❊ (تفسير سورة النساء وهي مدنية) ❊

وهي مائة وخمس وسبعون آية وثلاثة آلاف وخمس واربعون كلمة وستة عشر الف حرف وثلاثون حرفا

❊ (بسم الله الرحمن الرحيم) ❊

❊ قوله عز وجل (يا أيها الناس) خطاب للكافة فهو كقوله يا بني آدم (اتقوا ربكم) اى احذروا امر ربكم ان تخالفوه فيما امركم به اونهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال القدرة فقال تعالى (الذى خلقكم من نفس واحدة) يعنى من اصل واحد وهو آدم ابو البشر عليه السلام وانما انث الوصف على لفظ النفس وان كان المراد به الذكر فهو كما قال بعضهم ❊ ابوك خليفة ولدته اخرى ❊ وانت خليفة ذاك الكمال ❊ فانما قال ولدته اخرى لتأنيث الخليفة (وخلق منها زوجها) يعنى حوّاء وذلك ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام القى عليه النوم ثم خلق حوّاء من ضلع من اضلاعه اليسرى وهو قصير فلما استيقظ رآها جالسة عند رأسه فقال لها من انت قالت امرأة قال لماذا خلقت قالت خلقت لتسكن الىّ قال اليها والفها لانها خلقت منه واختلفوا فى اى وقت خلقت حوّاء فقال كعب الاحبار ووهب ابن اسحق خلقت قبل دخوله الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس انما خلقت فى الجنة بعد دخوله اياها (وبث منهما) يعنى نشر واظهر من آدم وحوّاء (رجالا كثيرا ونساء) انما وصف الرجال بالكثرة دون النساء لان حال الرجال اتم واكمل وهذا كالتنبيه على ان اللائق بحال الرجال الظهور والاشتهار وبحال النساء الاختفاء والخمول (واتقوا الله الذى تساءلون به) انما كرر ذكر التقوى لتأكيده وانه اهل ان يتقى والتساؤل بالله هو كقولك اسألك بالله واحلف عليك بالله واستشفع اليك بالله (والارحام) قرئ بفتح الميم ومعناه واتقوا الارحام ان تقطعوها وقرئ بكسر الميم فهو كقولك سألتك بالله وبالرحم وناشدتك بالله وبالرحم لان العرب كان من عادتهم ان يقولوا ذلك والرحم القرابة وانما استعير اسم الرحم للقرابة لانهم خرجوا من رحم واحدة وقيل هو مشتق من الرحمة لان القرابة يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض وفى الآية دليل على تعظيم حق الرحم والنهى عن قطعها ويدل على ذلك ايضا الاحاديث الواردة فى ذلك (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط عليه من رزقه وينسأ فى اثره فليصل رحمه قوله ينسأ فى اثره اى يؤخره فى اجله (ق) عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان فى روايته يعنى قاطع رحم وعن الحسن قال من سأل بالله فاعطه ومن سألك بالرحم فاعطه وعن ابن عباس قال الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت عنه (ان الله كان عليكم رقيبا) يعنى حافظا والرقيب فى صفة الله تعالى هو الذى لا يغفل عما خلق فيلحقه نقص ويدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذى لا يغيب عنه شئ من امر خلقه فبين بقوله ان الله كان عليكم رقيبا انه يعلم السر واخفى واذا كان كذلك فهو جدير بان يخاف ويتقى ❊ قوله عز وجل (وآتوا اليتامى اموالهم) نزلت فى رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم كان فى حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذى له فمنعه عنه فترافعا الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا

(سورة النساء)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الناس اتقوا ربكم) احذروه فى اتصال صفته عند صدور الخيرات منكم واتخذوا الصفة وقاية لكم فى صدور ما صدر منكم من الخير وقولوا صدر عن القادر المطلق (الذى خلقكم من نفس واحدة) هى النفس الناطقة الكلية التى هى قلب العالم وهو آدم الحقيقىّ (وجعل منها زوجها) اى النفس الحيوانية الناشئة منها وقيل انها خلقت من ضلعه الايسر من الجهة التى تلى عالم الكون فانها اضعف من الجهة التى تلى الحق ولولا زوجها لما اهبط الى الدنيا كما اشتهر انّ ابليس سوّل لها اولا فتوسل باغوائها الى اغواء آدم ولا شك فى انّ التعلق البدنىّ لا يتهيأ الا بواسطتها (وبث منهما رجالا كثيرا) اى اصحاب قلوب ينزعون الى ابيهم (ونساء) اصحاب نفوس وطبائع ينزعون الى امهم (واتقوا الله) فى ذاته عن اثبات وجودكم واجعلوه وقاية لكم عند ظهور البقية منكم فى الفناء فى التوحيد حتى لا تحتجبوا برؤية الفناء (الذى تساءلون به) لا بكم (والارحام)

الرسول نعوذبالله من الحوب الكبير ودفع الى اليتيم ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من ي
شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الصبي ماله انفقه فى سبيل
تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا كيف ثبت الاجر وبقي الو
قال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على ابيه والخطاب فى قوله تعالى وآتوا للاولياء والاوص
واليتامى جمع يتيم وهو الصبي الذى مات ابوه واليتيم فى اللغة الانفراد ومنه الدرة اليتيمة لانفراد
واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقاء معنى الانفراد عن الآباء لكن فى العرف اختص
اسم اليتيم بمن لم يبلغ مبلغ الرجال فاذا بلغ الصبي وصار يستغنى بنفسه عن غيره زال عنه ا
اليتيم وسئل ابن عباس عن اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليتم قال اذا اونس منه الرشد وانم
سماهم يتامى بعد البلوغ على مقتضى اللغة اولقرب عهدهم باليتم وان كان قد زال عنهم بالبلو
وقيل المراد باليتامى الصغار الذين لم يبلغوا والمعنى وآتوا اليتامى اموالهم بعد البلوغ وتحقق الرش
وقيل معناه وآتوا اليتامى الصغار مايحتاجون اليه من نفقة وكسوة والقول الاول هو الصحيح
اذ المراد باليتامى البالغون لانه لايجوز دفع المال الى اليتيم الابعد البلوغ وتحقق الرشد (ولاتتبدلوا
اى ولاتستبدلوا (الخبيث بالطيب) يعنى الخبيث الذى هو حرام عليكم بالحلال من اموالكم
واختلفوا فى هذا التبديل فقال سعيد بن المسيب والنخعي والزهرى والسدى كان اولياء اليتامى
يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردئ فربما كان احدهم يأخذ الشاة السمينة ويجعل
مكانها الهزيلة ويأخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك
تبديلهم فنهوا عنه وقال عطاء هو الربح فى مال اليتيم وهو صغير لاعلم له بذلك وقيل انه ليس
بابدال حقيقة وانما هو اخذه مستهلكا وذلك ان اهل الجاهلية كانوا لايورثون النساء والصغار
وانما كان يأخذ الميراث الاكابر من الرجال وقيل هو اكل اموالهم فنهوا عن ذلك (ولاتأكلوا
اموالهم الى اموالكم) يعنى مع اموالكم وقيل معناه ولاتضموا اموالهم الى اموالكم فى الانفاق
واعلم ان الله تعالى نهى عن اكل مال اليتيم واراد به جميع التصرفات المهلكة للمال وانما ذكر الاكل لانه
معظم المقصود (انه كان حوبا كبيرا) يعنى ان اكل مال اليتيم من غير حق اثم عظيم والحوب الاثم ❁
قوله عز وجل (وان خفتم الاتقسطوا فى اليتامى) يعنى وان خفتم يا اولياء اليتامى ان لاتعدلوا فيهن
اذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب (ق) عن عروة انه سأل عائشة رضى الله عنها
عن قوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء الى قوله اوما
ملكت ايمانكم قالت يا ابن اختى هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد
ان ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان تقسطوا لهن فى اكمال الصداق وامروا بنكاح
من سواهن قالت عائشة رضى الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك
فأنزل الله عز وجل ويستفتونك فى النساء الى وترغبون ان تنكحوهن فبين الله لهم فى هذه
الآية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوها بسنتها فى اكمال الصداق
وان كانت مرغوبة عنها فى قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال فما يتركونها
حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى
من الصداق وقال الحسن كان الرجل من اهل المدينة تكون عنده الايتام وفيهن من يحل له
نكاحها فيتزوجها لاجل مالها وهى لاتعجبه كراهية ان يدخل غريب فيشاركه فى مالها ثم

أى احذروا الارحام الحقيقية
اى اقربة المبادى العالية
من المفارقات وارواح الانبياء
والاولياء فى قطعها بعدم المحبة
واجعلوها وقاية لكم فى
حصول سعاداتكم وكمالاتكم
فان قطع الرحم بفقد المحبة
توجه من الاتصال والوحدة
الى الانفصال والكثرة وهو
المقت الحقيقى والبعد الكلى
من جناب الحق تعالى ولهذا
قال عليه الصلاة والسلام
صلة الرحم تزيد فى العمر
اى توجب دوام البقاء واعلم
ان الرحم من الظاهر صورة
الاتصال الحقيقى فى الباطن
وحكم الظاهر فى التوحيد
كحكم الباطن فمن لايقدر
على مراعاة الظاهر فهو
احرى بأن لايقدر على
مراعاة الباطن (ان الله كان
عليكم رقيبا) يرقبكم لئلا
تحتجبوا عنه بظهور صفة من
صفاتكم او بقية من بقاياكم
فتعذبوا (وآتوا اليتامى)
يتامى قواكم الروحانية
المنقطعين عن تربية الروح
القدسى الذى هو ابوهم
(اموالهم) اى معلوماتهم
وكمالاتهم وربوهم بها
(ولاتتبدلوا الخبيث) من
المحسوسات والخياليات
والوساوس ودواعى الوهم
وسائر قوى النفس التى هى

يسى صحبتها ويتربص بها الى ان تموت فيرثها فعاب الله ذلك عليهم وانزل هذه الآية وقال عكرمة
فى رواية عن ابن عباس كان الرجل من قريش يتزوّج العشر من النساء اواكثر فاذا صار معدما
من مؤن نسائه مال الى مال يتيمته الذى فى حجره فانفقه فقيل لهم لاتزيدوا على اربع حتى لايحوجكم
الى اخذ مال اليتامى وقيل كانوا يتحرجون من اموال اليتامى ويترخصون فى النساء فيتزوّجون
ماشاؤا فربما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما انزل الله تعالى فى اموال اليتامى. وآتوا اليتامى اموالهم
انزل هذه الآية وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى يقول فكما خفتم ان لاتقسطوا فى اليتامى
فكذلك خافوا فى النساء ان لاتعدلوا فيهن فلاتتزوّجوا اكثر مما يمكنكم القيام بحقهن لان النساء
فى الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدى ثم رخص الله تعالى
فى نكاح اربع فقال تعالى (فانكحوا ماطاب لكم من النساء) يعنى ماحل لكم من النساء واستدلت
الظاهرية بهذه الآية على وجوب النكاح قالوا لان قوله فانكحوا امر والامر للوجوب واجيب
عنه بان قوله تعالى فانكحوا انما هو بيان لما يحل من العدد فى النكاح وتمسك الشافعى فى بيان
ان النكاح ليس بواجب بقوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح الى قوله ذلك لمن خشى العنت
منكم وان تصبروا خير لكم الآية فحكم فى هذه السورة بان ترك النكاح خير من فعله وذلك يدل
على انه ليس بواجب ولامندوب وقوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع) معناه اثنين اثنين وثلاثا
ثلاثا واربعا اربعا وهو غير منصرف لانه اجتمع فيه امران العدل والوصف والواو بمعنى
او فى هذا الفصل لانه لما كانت او بمنزلة واو النسق جاز ان تكون الواو بمنزلة او وقيل ان الواو
افادت انه يجوز لكل احد ان يختار لنفسه قسما من هذه الاقسام بحسب حاله فان قدر على
نكاح اثنتين فاثنتان وان قدر على ثلاث فثلاث وان قدر على اربع فاربع لانه يضم عددا
واجمعت الامة على انه لايجوز لاحد ان يزيد على اربع نسوة وان الزيادة على اربع من خصائص
رسول الله صلى الله عليه وسلم التى لايشاركه فيها احد من الامة ويدل على ان الزيادة على اربع
غير جائزة وانها حرام ماروى عن الحرث بن قيس اوقيس بن الحرث قال اسلمت وعندى ثمان
نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن اربعا اخرجه ابوداود *
عن ابن عمر ان غيلان بن سلمة الثقفى اسلم وله عشر نسوة فى الجاهلية فاسلمن معه فامره رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يختار منهن اربعا اخرجه الترمذى قال العلماء فيجوز للحر ان يجمع بين
اربع نسوة حرائر ولايجوز للعبد ان ينكح اكثر من امرأتين وهو قول اكثر العلماء لانه خطاب
لمن ولى وملك وذلك للاحرار دون العبيد وقال مالك فى احدى الروايتين عنه وربيعة يجوز
للعبد ان يتزوّج باربع نسوة واستدل بهذه الآية واجاب الشافعى بان هذه الآية مختصة بالاحرار
ويدل عليه آخر الآية وهو قوله فان خفتم الا تعدلوا فواحدة اوما ملكت ايمانكم والعبد
لايملك شيأ فثبت بذلك ان المراد من حكم الآية الاحرار دون العبيد وقوله تعالى (فان خفتم)
يعنى فان خشيتم وقيل فان علمتم (الا تعدلوا) يعنى بين الازواج الاربع (فواحدة) يعنى
فانكحوا واحدة (اوماملكت ايمانكم) يعنى وماملكتم من السرارى لانه لايلزم فيهن من
الحقوق مثل مايلزم فى الحرائر ولاقسم لهن (ذلك ادنى) اى اقرب (الاتعولوا) معناه
اقرب من ان لاتعولوا فحذف لفظة من لدلالة الكلام عليه ومعنى ان لاتعولوا اى لاتميلوا

اموالها (بالطيب) من
اموالهم (ولا تأكلوا
اموالهم الى اموالكم)
اى لاتخلطوها بها فيشتبه
الحق بالباطل وتستعملوها
فى تحصيل لذاتكم الحسية
وكمالاتكم الحسية فتنتفعوا
بها فى مطالبكم الخسيسة
الدنيوية وتجعلوها غذاء
نفوسكم (انه كان حوبا
كبيرا) حجبة وحرمانا (وان
خفتم الاتقسطوا فى اليتامى
فانكحوا ماطاب لكم من
النساء مثنى وثلاث ورباع
فان خفتم الاتعدلوا فواحدة
اوما ملكت ايمانكم ذلك
ادنى الاتعولوا وآتوا النساء
صدقاتهن نحلة فان طبن لكم
عن شىء منه نفسا فكلوه
هنيأ مريئا ولاتؤتوا السفهاء
اموالكم التى جعل الله لكم
قياما وارزقوهم فيها
واكسوهم وقولوا لهم قولا
معروفا وابتلوا اليتامى حتى
اذا بلغوا النكاح فان آنستم
منهم رشدا فادفعوا اليهم
اموالهم ولاتأكلوها اسرافا
وبدارا ان يكبروا ومن كان
غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا
فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم
اليهم اموالهم فأشهدوا
عليهم وكفى بالله حسيبا
للرجال نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون وللنساء

ولاتجوروا وهوقول اكثرالمفسرين لاناصل العول الميل يقال عال الميزان اذا مال وقيل معناه لاتجاوزوا ما فرض الله عليكم ومنه عول الفرائض اذا جاوزت سهامها وقيل معناه ذلك ادنى ان لاتضلوا وقال الشافعى رحمه الله تعالى معناه ان لاتكثر عيالكم وقد انكر على الشافعىّ من ليس له احاطة بلغة العرب فقال انما يقال من كثرة العيال اعال الرجل يعيل اعالة اذا كثر عياله قال وهذا من خطأ الشافعى لانه انفرد به ولم يوافقه عليه احد وانما قال هذه المقالة من انكر على الشافعى وُخطأه من غير علم له بلغة العرب فقد روى الازهرى فى كتابه تهذيب اللغة عن عبدالرحمن بن زيد بن اسلم فى قوله الاتعولوا اى لاتكثر عيالكم وروى الازهرى عن الكسائى قال عال الرجل اذا افتقر واعال اذا كثر عياله قال ومن العرب الفصحاء من يقول عال يعول اذا كثر عياله قال الازهرى وهذا يقوّى قول الشافعى لان الكسائى لايحكى عن العرب الاما حفظه وضبطه وقول الشافعى نفسه حجة لانه عربى فصيح والذى اعترض عليه وخطاه عجل ولم يتثبت فيما قال ولا ينبغى للحضرى ان يعجل الى انكار مالايحفظه من لغات العرب هذا آخر كلام الازهرى وبسط الامام فخر الدين الرازى فى هذا الموضع من تفسيره ورد على ابى بكر الرازى ثم قال الطعن لايصدر الا عن كثرة الغباوة وقلة المعرفة وحكى البغوى عن ابى حاتم قال كان الشافعى اعلم بلسان العرب منا ولعله لغة ويقال هى لغة حمير وقرأ طلحة بن مصرف الاتعيلوا بضم التاء وهو حجة للشافعى (وآتوا النساء صدقاتهن) قال الكلبى وجماعة هذا خطاب للاولياء قال ابو صالح كان الرجل اذا زوّج ايمه اخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك وقيل ان ولى المرأة كان اذا زوّجها فان كانت معهم فى العشيرة لم يعطها من مهرها قليلا ولا كثيرا وان كان زوجها غريبا حملوها اليه على بعير ولا يعطها من مهرها غير ذلك فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يدفعوا الحق الى اهله وقال الحضرمى كان اولياء النساء يعطى هذا اخته على ان يعطيه الآخر اخته ولا مهر بينهما وهذا هو الشغار فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بتسمية المهر فى العقد (ق) عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار فى العقد والشغار ان يزوج الرجل ابنته على ان يزوجه الرجل ابنته وليس بينهما صداق وقيل الخطاب للازواج وهذا اصح وهو قول الاكثرين لان الخطاب فيما قبل مع الناكحين وهم الازواج امرهم الله تعالى بان يؤتوا نساءهم الصداق والصدقات المهور واحدها صدقة بفتح الصاد وضم الدال (نحلة) يعنى فريضة مسماة وقيل عطية وهبة وقيل نحلة يعنى عن طيب نفس واصل النحلة العطية على سبيل التبرع وهى اخص من الهبة وسمى الصداق نحلة من حيث انه لايجب فى مقابلة غير التمتع دون عوض مالى (ق) عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احق الشروط ان توفوا بها ما استحللتم به الفروج وقوله تعالى (فان طبن) يعنى النساء المتزوّجات (لكم) يعنى للازواج (عن شئ منه) يعنى من الصداق ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض لانها لو وهبت المرأة لزوجها جميع صداقها جاز (نفسا) نصب على التمييز والمعنى فان طابت نفوسهن عن شئ من ذلك الصداق المعين فوهبن ذلك لكم فنقل الفعل من النفوس الى اصحابها فخرجت النفس مفسرا فلذلك وحد النفس وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع (فكلوه) يعنى ما وهبنه لكم (هنيئا مريئا) يعنى طيبا سائغا وقيل الهنئ الطيب المساغ الذى لاينغصه شئ والمرئ المحمود العاقبة وفى الآية دليل على اباحة هبة المرأة صداقها وانها تملكه ولا حق للولى فيه * قوله تعالى (ولاتؤتوا السفهاء اموالكم) اختلفوا فى هؤلاء السفهاء من هم فقيل لهم النساء نهى الله الرجال ان يؤتوا النساء اموالهم

نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قلّ منه او كثر نصيبا مفروضا واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا انّ الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كنّ نساء فوق اثنتين فلهنّ ثلثا ماترك وان كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلأمه الثلث فان كان له اخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها او دين آباؤكم وابناؤكم لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ولكم نصف ماترك ازواجكم ان لم يكن لهنّ ولد فان كان لهنّ ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهنّ الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهنّ

سواكن ازواجا اوبنات اوامهات وقيل هم الاولاد خاصة يقول لاتعط ولدك السفيه مالك الذى هو قيامك فيفسده عليك وقيل امرأتك وابنك السفيه قال ابن عباس لاتعمد الى مالك الذى خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وابنك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر الى مابين ايديهم امسك مالك واصلحه وكن انت الذى تنفق عليهم فى رزقهم ومؤنتهم وقال الكلبى اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد لاينبغى له ان يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده وقال سعيد بن جبير هو مال اليتيم يكون عندك يقول لاتؤته اياه وانفق عليه منه حتى يبلغ وانما اضاف المال الى الاولياء لانهم قوامها ومدبروها واصل السفه الخفة واستعمل فى خفة النفس لنقصان العقل فى الامور الدنيوية والدينية والسفيه المستحق الحجر هو الذى يكون مبذرا فى ماله ومفسدا فى دينه فلا يجوز لوليه ان يدفع اليه ماله وقيل ان السفه المذكور فى هذه الآية ليس هو صفة ذم لهؤلاء وانما سموا سفهاء لخفة عقولهم ونقصان تميزهم وضعفهم عن القيام بحفظ المال فقوله تعالى ولاتؤتوا السفهاء يعنى الجهال بموضع الحق اموالكم (التى جعل الله لكم قياما) يعنى قوام معايشكم يقول المال هو قوام الناس وقوام معايشهم كن انت قيم اهلك انفق عليهم ولاتؤت مالك امرأتك وولدك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ولما كان المال سببا للقيام بالمعاش سمى به اطلاقا لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة لانه به يقام الحج والجهاد واعمال البر وفكاك الرقاب من النار (وارزقوهم فيها) اى اطعموهم (واكسوهم) يعنى لمن يجب عليكم رزقه وكسوته لما نهى الله عن ايتاء المال للسفيه امر ان يجرى رزقه وكسوته وانما قال وارزقوهم فيها ولم يقل منها لانه اراد جعلوا لهم فيها رزقا والرزق من الله تعالى هو العطية من غير حد ولا قطع ومعنى الرزق من العباد هو الاجر الموظف المعلوم لوقت معلوم محدود (وقولوا لهم قولا معروفا) يعنى قولا جميلا لان القول الجميل يؤثر فى القلب ويزيل السفه وقيل معناه عدوهم عدة جميلة من البر والصلة قال عطاء يقول اذا ربحت اعطيتك وان غنمت قسمت لك حظا وقيل معناه الدعاء اى ادعوا لهم قال ابن زيد ان لم يكن ممن تجب عليك نفقته فقل له عافانا الله واياك بارك الله فيك وقيل معناه قولوا لهم قولا تطيب به انفسهم وهو ان يقول الولى لليتيم السفيه مالك عندى وانا امين عليه فاذا بلغت ورشدت اعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر دينهم ومايصلحهم مما يتعلق من العلم والعمل * قوله عز وجل (وابتلوا اليتامى) الآية نزلت فى ثابت بن رفاعة وفى عمه وذلك ان رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاء عمه الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له ان ابن اخى يتيم فى حجرى فمايحل لى من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله تعالى هذه الآية وابتلوا اليتامى يعنى اختبروهم فى عقولهم واديانهم وحفظ اموالهم (حتى اذا بلغوا النكاح) اى مبلغ الرجال والنساء (فان آنستم) اى ابصرتم وعرفتم (منهم رشدا) يعنى عقلا وصلاحا فى الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه

* (فصل) * فى احكام تتعلق بالحجر وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) * الابتلاء يختلف باختلاف احوال اليتامى فان كان ممن يتصرف بالبيع والشراء فى الاسواق يدفع اليه شيأ يسيرا من المال وينظر فى تصرفه وان كان ممن لايتصرف فى الاسواق فيختبر بنفقته على اهله وعبيده واجرائه وتصرفه فى احوال داره وتختبر المرأة فى امر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزالها فاذا راى حسن تدبير اليتيم

انثين مما تركتم من بعد وصية توصون بها اودين وان كان رجل يورث كلالة اوامرأة وله اخ اواخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها اودين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم

وحسن تصرفه في الامور مرارا وغلب على الظن رشده دفع اليه ماله بعد بلوغه ولا يدفع اليه ماله وان كان شيخا يغلب عليه السفه حتى يؤنس منه الرشد * (المسئلة الثانية) * قال الامام ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة وقال الشافعي هي غير صحيحة واحتج ابو حنيفة على قوله بهذه الآية وذلك لان قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح يقتضي ان هذا الابتلاء انما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلاء اختبار حاله في جميع تصرفاته فثبت ان قوله وابتلوا اليتامى امر للاولياء بالاذن لهم في البيع والشراء قبل البلوغ اجاب الشافعي بان قال ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى الاذن لهم في التصرف حال الصغر بدليل قوله فان آنستم منهم رشدا (فادفعوا اليهم اموالهم) وانما تدفع اليهم اموالهم بعد البلوغ وايناس الرشد فثبت بموجب هذه الآية انه لا يدفع اليه ماله حال الصغر فوجب ان لا يصح تصرفه حال الصغر وانما المراد من الابتلاء هو اختبار عقله واستكشاف حاله في معرفة المصالح والمفاسد * (المسئلة الثالثة) * في بيان البلوغ وذلك باربعة اشياء اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء واثنان يختصان بالنساء اما اللذان يشترك فيهما الرجال والنساء فاحدهما السن فاذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان او جارية ويدل عليه ما روى عن ابن عمر عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام احد وانا ابن اربع عشرة سنة فردني ثم عرضت عليه عام الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فاجازني اخرجاه في الصحيحين وهذا قول اكثر اهل العلم وقال ابو حنيفة بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة وبلوغ الغلام باستكمال ثماني عشرة سنة والثاني الاحتلام وهو انزال المني الدافق سواء انزل باحتلام او جماع فاذا وجد ذلك من الصبي او الجارية حكم ببلوغه لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ خذ من كل حالم دينارا اما انبات الشعر الخشن حول الفرج فهو يدل على البلوغ في اولاد المشركين لما روى عن عطية القرظي قال كنت من سبي قريظة فكانوا ينظرون فمن انبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون ذلك علامة على البلوغ في اولاد المسلمين فيه قولان احدهما انه يكون بلوغا كما في اولاد المشركين والثاني لا يكون ذلك بلوغا في حق اولاد المسلمين لانه يمكن الوقوف على مواليد اولاد المسلمين الرجوع الى قول آبائهم بخلاف الكفار فانه لا يوقف على مواليدهم ولا يقبل في ذلك قول آبائهم لكفرهم فجعل الانبات الذي هو امارة البلوغ بلوغا في حقهم واما الذي يختص بالنساء فهو الحيض والحبل فاذا حاضت الجارية بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة اشهر لانها اقل مدة الحمل *(المسئلة الرابعة)* في بيان الرشد وهو ان يكون مصلحا في دينه وماله فالصلاح في الدين هو اجتناب الفواحش والمعاصي التي تسقط بها العدالة والصلاح في المال هو ان لا يكون مبذرا والتبذير ان ينفق ماله فيما لا يكون محمدة دنيوية ولا مثوبة اخروية او لا يحسن التصرف فيغبن في البيع والشراء فاذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله ودينه لم ينفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه في ماله وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة اذا كان مصلحا لماله زال عنه الحجر وان كان مفسدا لدينه واذا كان لماله مفسدا لا يدفع اليه المال حتى يبلغ خمسة وعشرين سنة غير انه ينفذ تصرفه قبله والقرآن حجة الشافعي في استدامة الحجر عليه لان الله تعالى قال فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم امر بدفع المال بعد البلوغ وايناس الرشد والفاسق لا يكون

(رشيدا)

عذابا اليما يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيا اتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله

رشيداو بعد بلوغه خمسا وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد فوجب ان لايجوز دفع المال اليه كما قبل بلوغ هذا السن * (المسئلة الخامسة)* اذا بلغ الصبي او الجارية واونس الرشد زال عنه الحجر ودفع اليه ماله سواء تزوج اولم يتزوج وقال مالك ان كانت امراة لايدفع اليها المال مالم تتزوج فاذا تزوجت دفع اليها مالها ولا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج مالم تكبر وتجرب * (المسئلة السادسة) * اذا بلغ الصبي رشيدا زال عنه الحجر فلو عاد سفيها نظر فان كان مبذرا لماله حجر عليه وان كان مفسدا في دينه فعلى وجهين احدهما ان يعاد عليه الحجر كاستدام اذا بلغ وهو بهذه الصفة والثاني لايحجر عليه لان حكم الدوام اقوى من حكم الابتداء وعند ابي حنيفة لاحجر على الحر العاقل البالغ بحال والدليل على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة ماروى عن هشام بن عروة عن ابيه ان عبدالله بن جعفر ابتاع ارضا سبخة بستين الف درهم فقال علي لآتين عثمان ولاحجرن عليك فاتى ابن جعفر الزبير فاعلمه بذلك فقال الزبير انا شريكك في بيعك فاتى علي عثمان فقال احجر على هذا فقال الزبير انا شريكه فقال عثمان كيف احجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه * وقوله تعالى (ولا تأكلوها اسرافا) الخطاب للاولياء يعني يامعشر الاولياء لاتاكلوا اموال اليتامى بغير حق (وبدارا ان يكبروا) يعني لاتبادروا كبرهم ورشدهم فتفرطوا في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبروا فيلزمكم تسليمها اليهم * ثم بين تعالى حال الاولياء وقسمهم قسمين فقال تعالى (ومن كان غنيا فليستعفف)اى فليمتنع من اكل مال اليتيم ولا يرزؤه قليلا ولا كثيرا (ومن كان فقيرا) يعني محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه (فليأكل بالمعروف) روى ابوداود عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني فقير وليس لي شئ ولي يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبذر ولا متأثل واختلف العلماء في حكم هذه الآية فروى عن عمر وابن عباس وابن جبير وابي العالية وعبيدة السلماني وابي وائل ومجاهد ومقاتل انه يأخذ من مال اليتيم على وجه القرض واختلفوا في انه هل يلزمه القضاء فذهب قوم الى انه يلزمه القضاء اذا ايسر وهو المراد من قوله تعالى فليأكل بالمعروف والمعروف القرض اى يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا ايسر قضاه وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب اني انزلت نفسي من مال الله بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف فاذا أيسرت قضيت وقال قوم لاضمان عليه ولاقضاء بل يكون ما يأكله كالاجرة له على عمله وهو قول الحسن والشعبي والنخعي وقتادة قال الشعبي لايأكله الا ان يضطر اليه كما يضطر الى الميتة ثم القائلون بجواز الاكل من مال اليتيم اختلفوا في قوله فليأكل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة يأكل باطراف اصابعه ولايسرف ولايكتسي منه ولايلبس الكتان ولا الحلل لكن يأكل مايسد به الجوع ويلبس مايستر به العورة وقال الحسن يأكل من ثمر نخله ولبن مواشيه بالمعروف ولاقضاء عليه فأما الذهب والفضة فلا يأخذ منه شيأ فان اخذ وجب عليه رده وقال الكلبي المعروف هو ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له ان يأكل من ماله شيأ وروى ان رجلا قال لابن عباس ان لي يتيما وان له ابلا افاشرب من لبن ابله فقال ابن عباس ان كنت تبغي ضالة ابله وتهنأ جرباها وتليط حوضها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر بنسل ولاناهك في الحلب

عليكم واحل لكم ماوراء ذلكم ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ماملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ماعلى المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ياايها الذين امنوا لاتأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما

وقال قوم المعروف ان يأخذ من ماله بقدر قيامه وأجرة عمله ولاقضاء عليه وهو قول عائشة وجماعة من اهل العلم وقوله تعالى (فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم) هذا امر ارشاد وليس بواجب امر الله تعالى الولى بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد البلوغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة لانه اذا كانت عليه بينة كان ابعد من ان يدعى عدم القبض وتظهر بذلك امانة الوصى وتسقط عنه اليمين عند انكار اليتيم القبض (وكفى بالله حسيبا) يعنى محاسبا ومجازيا وشاهدا به ❊ قوله تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) نزلت هذه الآية فى اوس بن ثابت الانصارى توفى وترك امرأته ويقال لها ام كحة وثلاث بنات منها فقام رجلان هما ابناء عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيأ من ماله وذلك انهم كانوا فى الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير من الذكور وانما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا يعطى الارث الا من قاتل وحاز الغنيمة وحمى الحوزة فجاءت ام كحة امرأة اوس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله مات اوس بن ثابت وترك ثلاث بنات وانا امرأته وليس عندى ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطيانى ولا بناته منه شيأ وهن فى حجرى ولا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ان ولدها لا يركبن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكين عدوا فانزل الله هذه الآية وبين ان الارث ليس مختصا بالرجال بل هو امر يشترك فيه الرجال والنساء فقال تعالى للرجال يعنى الذكور من اولاد الميت وعصبته نصيب اى حظ مما ترك الوالدان والاقربون يعنى من الميراث (وللنساء نصيب) يعنى وللاناث من اولاد الميت حظ (مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر) يعنى من المال المخلف عن الميت (نصيبا مفروضا) يعنى معلوما والفرض ما فرضه الله تعالى وهو آكد من الواجب فلما نزلت هذه الآية مجملة ولم يبين كم هو النصيب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة لا تفرقا من المال شيئا فان الله تعالى قد جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى انظر ما ينزل فيهن فانزل الله تعالى يوصيكم الله فى اولادكم الآية فلما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة ان ادفعا الى ام كحة الثمن مما ترك والى بناته الثلثين ولكما باقى المال ❊ قوله عز وجل (واذا حضر القسمة) يعنى قسمة الميراث فعلى هذا القول يكون الخطاب للوارثين (اولوا القربى) يعنى القرابة الذين لا يرثون (واليتامى والمساكين) انما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم (فارزقوهم منه) اى فارضخوا لهم من المال قبل القسمة واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة بآية المواريث وهذا قبل نزول آية المواريث فلما نزلت آية المواريث جعلت لاهلها ونسخت هذه الآية وهى رواية مجاهد عن ابن عباس وقول سعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وقتادة وقال قوم هى محكمة غير منسوخة وهى الرواية الاخرى عن ابن عباس وهو قول ابى موسى الاشعرى والحسن وابى العالية والشعبى وعطاء بن ابى رباح وسعيد بن جبير ومجاهد والنخعى والزهرى ثم اختلف العلماء بعد القول بانها محكمة هل هذا الامر امر وجوب اوندب على قولين احدهما انه واجب فقيل ان كان الوارث كبيرا وجب عليه ان يرضخ لمن حضر القسمة شيأ من المال بقدر ما تطيب به نفسه وان كان الوارث صغيرا وجب على الولى ان يعتذر اليهم ويقول انى لا املك هذا المال وهو

فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) من اثبات الغير فى الوجود الذى هو الشرك ذاتا وصفة وفعلا فان اكبر الكبائر اثبات وجود غير وجوده تعالى كما قيل ❊ وجودك ذنب لا يقاس به ذنب ❊ ثم اثبات الاثنينية فى الذات باثبات زيادة الصفات عليها كما قال امير المؤمنين عليه السلام وكمال الاخلاص له نفى الصفات عنه (نكفر عنكم سيآتكم) بظهور النفس والقلب بصفة من صفاتها احيانا فانها بعد ظهور نور التوحيد لا تثبت (وندخلكم مدخلا كريما) اى حضرة عين الجمع لا كرم الا فيها (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) من الكمالات المرتبة بحسب الاستعدادات الاولية فان كل استعداد يقتضى بهويته فى الازل كمالا وسعادة تناسبه وحصول ذلك الكمال الخاص لغيره محال ولذلك ذكر بلفظ التمنى الذى هو طلب ما يمتنع حصوله للطالب لامتناع سببه (للرجال) اى الافراد الواصلين (نصيب مما اكتسبوا) بنور استعدادهم الاصلى (وللنساء) اى

لهؤلاء الضعفاء قال ابن عباس ان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كان الورثة صغارا اعتذر اليهم فيقول الولى اوالوصى انى لااملك هذا المال وانما هو للصغار ولو كان لى منه شئ لاعطيتكم وان يكبروا فسيعرفوا حقكم هذا هو القول المعروف وقال بعضهم هذا حق واجب فى مال الصغار والكبار فان كان الورثة كبارا تولوا اعطاءهم بانفسهم وان كانوا صغارا اعطى وليهم وروى محمد بن سيرين ان عبيدة السلمانى قسم اموال ايتام فأمر بشاة فذبحت وصنعت طعاما لاجل هذه الآية وقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالى وقال الحسن والنخعى هذا الرضخ مختص بقسمة الاعيان فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما اشبه ذلك فقولوا لهم قولا معروفا وقيل كانوا يعطون التابوت والاوانى ورث الثياب والمتاع الذى يستحى من قسمته والقول الثانى ان هذا الامر ندب واستحباب لا على سبيل الفرض والايجاب وهذا القول هو الاصح الذى عليه العمل اليوم واحتجوا لهذا القول بأنه لو كان لهؤلاء حق معين لبينه الله تعالى كما بين سائر الحقوق فحيث لم يبين علمنا ان ذلك غير واجب وقيل فى معنى الآية ان المراد بالقسمة الوصية فاذا حضر الوصية من لايرث من الاقرباء واليتامى والمساكين امر الله الوصى ان يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وقوله (وقولوا لهم قولا معروفا) هو ان لايتبع العطية بالمن والاذى

* قوله تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا) يعنى اولادا صغارا (خافوا عليهم) يعنى الفقر قيل هذا خطاب للذين يجلسون عند المريض وقد حضره الموت فيقولون له انظر لنفسك فان اولادك وورثتك لايغنون عنك شيأ قدم لنفسك اعتق وتصدق واعط فلا يزالون به حتى يأتى على عامة ماله فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بان يامروه بالنظر لولده ولا يزيد على الثلث فى وصيته ولا يجحف والمعنى كما انكم تكرهون بقاء اولادكم فى الضعف والجوع من غير مال فاخشوا الله ولا تحملوا المريض على ان يحرم اولاده الصغار من ماله وحاصل هذا الكلام كما انك لاترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لاخيك المسلم وكما انه لو كان هذا القائل هو الموصى لسره ان يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة يتكففون الناس مع ضعفهم وعجزهم وقيل هو الرجل يحضره الموت ويريد ان يوصى بشئ فيقول له من حضره من الرجال اتق الله وامسك اموالك لولدك فيمنعونه من الوصية لاقاربه المحتاجين وقيل الآية يحتمل ان تكون خطابا لمن حضر اجله ويكون المقصود نهيه عن تكثير الوصية لئلا تبقى ورثته فقراء ضعافا ضائعين بعد موته ثم ان كانت هذه الآية نزلت قبل تقدير الثلث كان المراد منها ان لايجعل الوصية مستغرقة للتركة وان كانت قد نزلت بعد تقدير الثلث كان المراد منها ان يوصى بالثلث اوباقل منه اذا خاف على ورثته كما روى عن كثير من الصحابة انهم اوصوا بالقليل لاجل ذلك وكانوا يقولون الخمس فى الوصية افضل من الربع والربع افضل من الثلث وقد ورد فى الصحيح الثلث والثلث كثير لان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس يعنى يسألونهم بأكفهم وقيل هو خطاب لاولياء اليتامى والمعنى وليخش من خاف على ولده من بعد موته ان يضيع مال اليتيم الضعيف الذى هو ذرية غيره اذا كان فى حجره والمقصود من الآية من كان فى حجره يتيم فليحسن اليه وليه اووصيه وليفعل به مايحب ان يفعل بأولاده من بعده (فليتقوا الله) يعنى فى الامر الذى تقدم ذكره (وليقولوا قولا سديدا) يعنى عدلا وصوابا فالقول السديد

الناقصين القاصرين عن الوصول (نصيب مما اكتسبن) بقدر استعدادهن (واسألوا الله من فضله) اى اطلبوا منه افاضة كمال يقتضيه استعدادكم بالتزكية والتصفية حتى لايحول بينكم وبينه فتحتجبوا وتتعذبوا بنيران الحرمان منه (ان الله كان بكل شئ) مما يخفى عليكم كامنا فى استعدادكم بالقوة (عليما) فيجيبكم بما يليق بكم كما قال وآتاكم من كل ماسألتموه اى بلسان الاستعداد الذى مادعاه احد به الااجابه كما قال ادعونى استجب لكم (ولكل جعلنا موالى مما ترك الولدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شئ شهيدا الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا واعبدوا الله)

من الجالسين عند المريض هو ان يأمره ان يتصدق بدون الثلث ويترك الباقي لولده وورثته وان لا يحيف في وصيته والقول السديد من الاوصياء واولياء اليتامى ان يكلموهم كما يكلمون اولاده ولا يؤذوهم بقول ولا فعل * قوله عز وجل (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما) قال مقاتل وابن حبان نزلت في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي مال يتيم وكان اليتيم ابن اخيه فاكله فانزل الله هذه الآية ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما يعني حراما بغير حق (انما يأكلون في بطونهم نارا) يعني سيأكلون يوم القيامة فسمي الذين يأكلون نارا بما يؤول اليه امرهم يوم القيامة قال السدي يبعث آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه واذنيه وعينيه وانفه يعرفه من رآه بأكل مال اليتيم وفي حديث ابي سعيد الخدري قال حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسري به قال نظرت فاذا انا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخرا من نار يخرج من اسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وقيل انما ذكر اكل النار على سبيل التمثيل والتوسع في الكلام والمراد ان اكل مال اليتيم ظلما يفضي به الى النار وانما خص الاكل بالذكر وان كان المراد سائر انواع الاتلافات وجميع التصرفات الرديئة المتلفة للمال لان الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فعبر عن جميع ذلك بالاكل لانه معظم المقصود وانما ذكر البطون للتأكيد فهو كقولك رأيت بعيني وسمعت بأذني (وسيصلون سعيرا) يعني بأكلهم اموال اليتامى ظلما والسعير النار الموقدة المسعرة ولما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس واحترزوا من مخالطة اليتامى واموالهم بالكلية فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم وقد توهم بعضهم ان قوله وان تخالطوهم ناسخ لهذه الآية وهذا غلط ممن توهمه لان هذه الآية واردة في المنع من اكل اموال اليتامى ظلما وهذا لا يصير منسوخا لان اكل مال اليتيم بغير حق من اعظم الآثام وقوله وان تخالطوهم فاخوانكم وارد على سبيل الاصلاح في اموال اليتامى والاحسان اليهم وهو من اعظم القرب * قوله تعالى (يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فروي عن جابر قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وابو بكر وهما ماشيان فوجداني اغمي علي فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه علي فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم جالس فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي كيف اقضي في مالي فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية الميراث وفي رواية فقلت لا يرثني الا كلالة فكيف الميراث فنزلت آية الفرائض وفي رواية اخرى فنزلت يوصيكم الله في اولادكم وفي رواية اخرى فلم يرد علي شيأ حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم اخرجه البخاري ومسلم وقال مقاتل والكلبي نزلت في ام كجة امرأة اوس بن ثابت وبناته وقال عطاء نزلت في سعد بن الربيع النقيب استشهد يوم احد وترك بنتين وامرأة واخا (ق) عن جابر رضي الله عنه قال جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل ابوهما معك يوم احد شهيدا وان عمهما اخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا ينكحان الا ولهما مال قال يقضي الله في ذلك فنزلت آية الميراث فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمهما فقال اعط ابنتي سعد الثلثين واعط امهما الثمن وما بقي فهو لك اخرجه

خصصوه بالتوجه اليه والفناء فيه الذي هو غاية التذلل (ولا تشركوا به شيأ) باثبات وجوده (وبالوالدين احسانا) واحسنوا بالروح والنفس اللذين تولد القلب منهما وهو حقيقتكم لستم الا اياه ووفوا حقوقهما وراعوهما حق المراعاة بالاستفاضة من الاول والتوجه اليه بالتسليم والتعظيم وتزكية الثانية وحفظها من ادناس محبة الدنيا والتذلل بالحرص والشره وامثالهما ومن شر الشيطان وعداوته اياها واعينوهما بالرأفة والحمية بتوفير حقوقها عليها ومنع الحظوظ عنها (وبذي القربى) الذي يناسبكم في الحقيقة بحسب القرب في الاستعداد الاصلي والمشاكلة الروحانية (واليتامى) المستعدين المنقطعين عن نور الروح القدسي الذي هو الاب الحقيقي بالاحتجاب عنه (والمساكين) العاملين الذين لا مال لهم اي لا حظ من العلوم والمعارف والحقائق فسكنوا ولم يقدروا على المسير وهم السعداء الصالحون الذين مآلهم الى جنة الافعال (والجار ذي القربى) الذي هو في

الترمذي وقال السدي كان اهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفاء من الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من اطاق القتال فمات عبدالرحمن اخو حسان الشاعر وترك امرأة وخمس بنات فجاء الورثة واخذوا ماله فشكت امرأته الى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة وقبل الشروع في تفسير هذه الاية نقدم فصولا تتضمن احكام الفرائض واصول قواعدها

* (فصل في الحث على تعليم الفرائض) * اعلم ان علم الفرائض من اعظم العلوم قدرا واشرفها ذخرا وافضلها ذكرا وهي ركن من اركان الشريعة وفرع من فروعها في الحقيقة اشتغل الصدر الاول من الصحابة بتحصيلها وتكلموا في فروعها واصولها ويكفي في فضلها ان الله عز وجل تولى قسمتها بنفسه وانزلها في كتابه مبينة من محل قدسه وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيما رواه ابوهريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض والقرآن وعلموا الناس فاني مقبوض اخرجه الترمذي وقال فيه اضطراب واخرجه احمد بن حنبل وزاد فيه فاني امرؤ مقبوض والعلم مرفوع ويوشك ان يختلف اثنان في الفريضة فلا يجدان احدا يخبرهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض وعلموها فانه نصف العلم وهو اول علم ينسى وهو اول شئ ينزع من امتي اخرجه ابن ماجه والدار قطني

* (فصل في بيان احكام الفرائض) * اذا مات الميت وله مال يبدأ بتجهيزه من ماله ثم تقضى ديونه ان كان عليه دين ثم تنفذ وصاياه وما فضل بعد ذلك من ماله يقسم بين ورثته والوارثون من الرجال عشرة الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد وان علا والاخ سواء كان لاب وام اولاب اولام وابن الاخ للاب والام اوللاب وان سفل والعم للاب والام اوللاب وابناهما وان سفلوا والزوج والمعتق والوارثات من النساء سبع البنت وبنت الابن وان سفلت والام والجدة وان علت والاخت من كل الجهات والزوجة والمعتقة وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير وهم الابوان والولدان والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة ثم الورثة ثلاثة اصناف صنف يرث بالفرض المجرد وهم الزوجان والبنات والاخوات والامهات والجدات واولاد الام وصنف يرث بالتعصيب وهم البنون والاخوة وبنوهم والاعمام وبنوهم وصنف يرث بالتعصيب تارة وبالفرض اخرى وهما الاب والجد فيرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد فان كان له ابن ورث الاب بالفرض السدس وان كانت بنت ورث السدس بالفرض واخذ الباقي بالتعصيب والعصبة اسم لمن يأخذ جميع المال اذا انفرد ويأخذ مافضل عن اصحاب الفرائض

* (فصل) * واسباب الارث ثلاثة نسب ونكاح وولاء فالنسب القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح هو ان يرث احد الزوجين من صاحبه بسبب النكاح والولاء هو ان المعتق وعصابته يرثون المعتق والاسباب التي تمنع الميراث اربعة اختلاف الدين فالكافر لا يرث المسلم ولا المسلم يرث الكافر لما روي عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم اخرجاه في الصحيحين فاما الكفار فيرث بعضهم بعضا مع اختلاف مللهم واديانهم لان الكفر كله ملة واحدة وذهب بعضهم الى ان اختلاف الملل والكفر يمنع التوارث ايضا حتى لا يرث اليهودي

مقام من مقامات السلوك قريب من مقامك (والجار الجنب) الذي هو في مقامه بعيد من مقامك (والصاحب بالجنب) والرفيق الذي هو في عين مقامكم ورافقكم في سيركم (وابن السبيل) اي السالك في طريق الحق الداخل في الغربة عن مأوى النفس الذي لم يصل الى مقام من مقامات اهل الله (وما ملكت ايمانكم) من اهل ارادتكم ومحبتكم الذين هم عبيدكم كلا بما يناسبه ويليق به من انواع الاحسان وان شئت اولت ذي القربى بما يتصل به من الملكوت العالية من المجردات واليتامى بالقوى الروحانية كما مر والمساكين بالقوى النفسانية من الحواس الظاهرة وغيرها والجار ذي القربى بالعقل والجار الجنب بالوهم والصاحب بالجنب بالشوق اوالارادة وابن السبيل بالفكر والممالك بالملكات المكتسبة التي هي مصادر الافعال الجميلة (ان الله لا يحب من كان مختالا) يسعى في السلوك بنفسه لا بالله معجبا باعماله (فخورا) مبتهجا باحواله ومقاماته وكمالاته محتجبا برؤيتها ورؤية اتصافه بها

من النصرانى ولاالنصرانى من المجوسى والى هذا ذهب الزهرى والاوزاعى واحمد واسحق لماروى عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتوارث بين اهل ملتين اخرجه الترمذى وقال حديث غريب به عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايتوارث اهل ملتين شتى اخرجه ابوداود وحمله الآخرون على الاسلام والكفر لان الكفر عندهم ملة واحدة فتوريث بعضهم من بعض لايكون فيه اثبات التورات بين ملتين شتى والرق يمنع الارث لان الرقيق ملك ولاملك له فلايرث ولايورث والقتل يمنع الارث عمدا كان القتل او خطأ لما روى عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال القاتل لايرث اخرجه الترمذى وقال هذا حديث لايصح والعمل عليه عند اهل العلم ان القاتل لايرث سواء كان القتل عمدا او خطأ وقال بعضهم اذا كان القتل خطأ فانه يرث وهو قول مالك وعمى الموت وهو ان يخفى موت المتوارثين وذلك بان غرقا اوانهدم عليهما بناء فلم يدرايهما سبق موته فلا يرث احدهما الآخر بل يكون ارث كل واحد منهما لمن كانت حياته يقينا بعد موته من ورثته * (فصل) * والسهام المحدودة فى الفرائض المذكورة فى كتاب الله عزوجل ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس فالنصف فرض خمسة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب اوبنت الابن عند عدم بنت الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام وفرض الاخت الواحدة للاب اذا لم يكن ولد لاب وام والربع فرض الزوج مع الولد وفرض الزوجة مع عدم الولد والثمن فرض الزوجة مع الولد والثلثان فرض البنتين فصاعدا اوبنات الابن عند عدم بنات الصلب وفرض الاختين فصاعدا للاب والام اوللاب والثلث فرض ثلاثة فرض الام اذا لم يكن للميت ولد ولااثنان من الاخوة والاخوات الا فى مسئلتين احداهما زوج وابوان والاخرى زوجة وابوان فان للام فيهما ثلث الباقى بعد نصيب الزوج اوالزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من اولاد الام ذكرهم واناثهم فيه سواء وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن فى المسئلة صاحب فرض وكان الثلث للجد خيرا من المقاسمة مع الاخوة والسدس فرض سبعة فرض الاب اذا كان للميت ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد اوولد ابن اواثنان من الاخوة والاخوات وفرض الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة اذا كان فى المسئلة صاحب فرض وكان السدس خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من اولاد الام ذكرا كان اوانثى وفرض بنات الابن مع بنت الصلب تكملة الثلثين وفرض الاخوات للاب مع الاخت للاب والام تكملة الثلثين (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض بأهلها فابقى فهو لأولى رجل ذكر (خ) عن ابن عباس قال كان المال للولد والوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ماأحب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع اه

(فصل)

روى عن زيد بن ثابت قال ولد الابناء بمنزلة الابناء اذا لم يكن دونهن ابن ذكرهم كذكرهم واناثهم كاناثهم يرثون كما يرثون ويحجبون كما يحجبون ولايرث ولدابن مع ابن ذكر فان ترك ابنة وابن ابن ذكرا كان للبنت النصف ولابن الابن مابقى لقوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض بأهلها فمابقى فهو لأولى رجل ذكر ففى هذا الحديث دليل على ان بعض الورثة يحجب البعض والحجب حجبان حجب

(الذين يبخلون) اولا بامساك كمالاتهم وعلومهم فى مكامن قرائحهم ومطامير ضرائرهم لايظهرونها بالعمل بها فى وقتها ثم بالامتناع عن توفير حقوق ذوى الحقوق عليهم لايبذلون صفاتهم وذواتهم بالفناء فى الله لمحبتهم لها ولاينفقون اموال علومهم واخلاقهم وكمالاتهم على ماذكرنا من المستحقين (ويأمرون الناس بالبخل) يحملونهم على مثل حالهم (ويكتمون ماآتاهم الله من فضله) من التوحيد والمعارف والاخلاق والحقائق فى كتم الاستعداد وظلمة القوة كانها معدومة (واعتدنا للكافرين) المحجوبين عن الحق (عذابا مهينا) فى ذلة وجوههم وشين صفاتهم (والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس) اى يبرزون كمالاتهم من كتم العدم ويخرجونها الى الفعل محجوبين برؤيتها لانفسهم يراؤن الناس بانها لهم (ولايؤمنون بالله) الايمان الحقيقى فيعلمون ان الكمال المطلق ليس الاله ومن اين لغيره وجود حتى يكون له فيتخلصون عن حجاب رؤية الكمال لانفسهم وينجون من اثم

نقصان وحجب حرمان اما الاول وهو حجب النقصان فهو ان الولد وولد الابن يحجب الزوج
من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان
من الاخوة والاخوات يحجبون الام من الثلث الى السدس واما الثانى وهو حجب الحرمان
فهو ان الام تسقط الجدات واولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون باربعة بالاب والجد وان
علا وبالولد وولد الابن واولاد الاب والام وهم الاخوة للاب والام يسقطون بثلاثة بالاب
والابن وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان
وعلى وابن مسعود وبه قال مالك والاوزاعى والشافعى واحمد واولاد الاب يسقطون بهؤلاء
الثلاثة وبالاخ للاب والام وذهب قوم الى ان الاخوة يسقطون جميعا بالجد كما يسقطون بالاب
وهو قول ابى بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وابى الدرداء وعائشة وبه قال الحسن وعطاء
وطاوس وابو حنيفة والاقرب من العصبات يسقط الابعد منهم فاقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل
ثم الاب ثم الجد وان علا فان كان مع الجد احد من الاخوة والاخوات للاب والام اوللاب
يشتركان فى الميراث فان لم يكن جد فللاخ للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنو الاخوة يقدم اقربهم
سواء كان لاب وام اولاب فان استويا فى الدرجة فالذى هو لاب وام اولى ثم العم لاب وام ثم لاب
ثم بنوهم على ترتيب بنى الاخوة ثم عم لاب ثم عم الجد على الترتيب فان لم يكن احد من عصبات النسب
وعلى الميت ولاء فالميراث للمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات المعتق واربعة من الذكور يعصبون الاناث
الابن وابن الابن والاخ للاب والام والاخ للاب فلومات عن ابن وبنت اوعن اخ واخت لاب
وام اولاب يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ولا يفرض للبنت والاخت وكذلك
ابن الابن يعصب من فى درجته من الاناث ومن فوقه اذا لم يأخذ من الثلثين شيأ حتى لومات
عن بنتين وبنت ابن وابن ابن فللبنتين الثلثان ولاشئ لبنت الابن فان كان فى درجتها ابن ابن اواسفل
منها ابن ابن كان الباقى بينهما للذكر مثل حظ الانثيين والاخت للاب والام اوللاب
تكون مع البنت عصبة حتى لومات عن بنت واخت كان للبنت النصف والباقى وهو النصف
للاخت ولومات عن بنتين واخت كان للبنتين الثلثان والباقى للاخت ويدل على ذلك ماروى
عن هذيل بن شرحبيل قال سئل ابو موسى عن ابنة وابنة ابن واخت فقال للابنة النصف
وللاخت النصف واتى ابن مسعود فسئل ابن مسعود واخبر بقول ابى موسى فقال
ابن مسعود لقد ضللت وما انا من المهتدين ثم قال اقضى فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين ومابقى فللاخت فاخبر ابو موسى بقول
ابن مسعود فقال لاتسألونى مادام هذا الحبر فيكم اخرجه البخارى واما التفسير فقوله
تعالى يوصيكم الله اى يعهد اليكم ويفرض عليكم فى اولادكم يعنى فى امر اولادكم اذا متم
والوصية من الله ايجاب وانما بدأ الله تعالى بذكر ميراث الاولاد تعلق قلب الانسان بولده
اشد من تعلقه بغيره فلهذا قدم الله ذكر ميراثهم للذكر مثل حظ الانثيين يعنى ان الولد الذكر له
من الميراث ضعفا سهام الانثى فللذكر سهمان وللانثى سهم فلو حصل مع الاولاد غيرهم
من الورثة من اهل الفروض كالابوين اخذوا فروضهم ومابقى بعد ذلك كان بين الاولاد
للذكر مثل حظ الانثيين (فان كن) يعنى المتروكات من الاولاد (نساء فوق اثنتين) يعنى

العجب (ولا باليوم الآخر
اى الفناء فى الله والبروز
للواحد القهار فيتبرؤون
من ذنب الشرك وذلك
لمقارنة شيطان الوهم اياهم
(ومن يكن الشيطان له قرينا
فساء قرينا) لانه يضله عن
الهدى ويحجبه عن الحق
(وماذا عليهم لوآمنوا بالله)
اى لو صدقوا الله بالتوحيد
والفناء فيه ومحوا كمالاتهم
التى رزقهم الله باضافتها
الى الله (واليوم الآخر
وانفقوا مما رزقهم الله وكان
الله بهم عليما) يجازيهم بالبقاء
بعد الفناء وكونهم مع تلك
الصفات والكمالات بالله
لا بانفسهم (ان الله لا يظلم) اى
لا ينقص من تلك الكمالات
بالفناء فيه (مثقال ذرة)
بل يضاعفها بالتأييد الحقانى
(وان تك حسنة يضاعفها)
ولا تكون حسنة الا اذا
كانت له (ويؤت من لدنه
اجرا عظيما) هو ما اخفى له
من قرة اعين اى الشهود
الذاتى الذى لا حجبة معه
عن تفاصيل الصفات
(فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا) الشهيد والشاهد
ما يحضر كل احد مما بلغه
من الدرجة فى العرفان
وهو الغالب عليه فهو يكشف

بنتين فصاعدا (فلهن ثلثاما ترك) واجمعت الامة على ان للبنتين الثلثين الا ماروى عن ابن عباس
انه ذهب الى ظاهر الآية وقال الثلثان فرض الثلاث من البنات لان الله تعالى قال فان كن
نساء فوق اثنتين فلهن ثلثاما ترك فجعل الثلثين للنساء اذا زدن على اثنتين وعنده ان فرض الثنتين
النصف كفرض الواحدة واجيب عنه بوجوه فيها حجة لمذهب الجمهور ايضا الوجه الاول ان
الله تعالى قال وان كانت واحدة فلها النصف فجعل النصف للواحدة وذلك ينفى حصول
النصف نصيبا للبنتين الوجه الثانى ان فى الآية تقديما وتأخيرا والتقدير فان كن نساء
اثنتين فما فوقهما فلهن الثلثان الوجه الثالث ان لفظة فوق ههنا صلة والتقدير فان كن نساء
اثنتين فهو كقوله فاضربوا فوق الاعناق يعنى فاضربوا الاعناق وانما سمى الاثنتين نساء
بلفظ الجمع لان العرب تطلق على الاثنين جماعة بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما الوجه
الرابع قال علماء الجمهور انما اعطينا البنتين الثلثين بتأويل القرآن لان الله تعالى جعل للبنت
الواحدة النصف بقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف وجعل للاخت الواحدة النصف بقوله
ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ثم جعل للاختين الثلثين بقوله فان كانتا اثنتين
فلهما الثلثان فلما جعل للاختين الثلثين علمنا ان للبنتين الثلثين قياسا على الاختين الوجه
الخامس ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالثلثين لابنتى سعد بن الربيع وهذا نص واضح
فى المسئلة وقوله تعالى (وان كانت واحدة) يعنى البنت واحدة (فلها النصف) يعنى فرضا لها
(ولابويه) يعنى ابوى الميت كناية عن غير مذكور وهما والداه (لكل واحد منهما
السدس مما ترك ان كان له ولد) يعنى ان للاب والام مع وجود الولد او ولد الابن لكل
واحد منهما سدس الميراث واعلم ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى فاذا مات الميت
وترك ابوين وولدا ذكرا واحدا كان او اكثر او ترك بنات فان للام السدس بالفرض
وللاب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالتعصيب وهو الباقى
من التركة وله مع البنت الواحدة السدس بالفرض والباقى بالتعصيب (فان لم يكن له ولد)
يعنى للميت (وورثه ابواه فلامه الثلث) يعنى ان الميت اذا مات عن ابوين وليس له وارث
سواهما فان الام تأخذ الثلث بالفرض ويأخذ الاب باقى المال بالفرض والتعصيب
فيكون المال بينهما اثلاثا للذكر مثل حظ الانثيين فان كان مع الابوين احد الزوجين
فيفرض للام ثلث الباقى بعد نصيب الزوج او الزوجة (فان كان له) يعنى للميت (اخوة)
يعنى ذكورا أو اناثا (فلامه السدس) يعنى لام الميت سدس التركة اذا كان معها اب واجمع
العلماء على ان الثلاثة يحجبون الام من الثلث الى السدس وان الاخ الواحد والاخت
الواحدة لا تحجب الام من الثلث الى السدس واختلفوا فى الاخوين فالاكثرون من الصحابة
يقولون ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى السدس وهذا قول عمر وعثمان وعلى
وزيد بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس لا تحجب الاخوة الام من الثلث الى السدس الا ان
يكونوا ثلاثة قال ابن عباس لعثمان لم صار الاخوان يردان الام من الثلث الى السدس وانما
قال الله تعالى فان كان له اخوة والاخوان فى لسان قومك ليسا باخوة فقال عثمان يابنى

من حاله وعمله وسعيه ومبلغ جهده مقاما كان اوصفة من صفات الحق اوذاتا فلكل امة شهيد بحسب مادعاهم اليه نبيهم وعرّفه لهم وما دعاهم الا الى ماوصل اليه من مقامه فى المعرفة ولا يبعث نبىّ الا بحسب استعداد امته فهم يعرفون الله بنور استعدادهم فى صورة كمال نبيهم ولهذا ورد فى الحديث انّ الله يتجلى لعباده فى صورة معتقدهم فيعرفه كلّ واحد من الملل والمذاهب ثم يتحوّل عن تلك الصورة فيبرز فى صورة اخرى فلا يعرفه الا الموحدون الداخلون فى حضرة الاحدية من كلّ باب وكما انّ لكلّ امة شهيدا فكذلك لكلّ اهل مذهب شهيد ولكلّ واحد شهيد يكشف عن حال مشهوده واما المحمديون فشهيدهم الله المحبوب الموصول بجميع الصفات لمكان كمال نبيهم وكونه حبيبا مؤتى جوامع الكلم متمما لمكارم الاخلاق فلا جرم يعرفونه عند التحول فى جميع الصور اذ اتّبعوا نبيهم حق المتابعة وكانوا موحدين محبوبين كنبيهم (يومئذ يود الذين كفروا) بالاحتجاب عن الحق

ان قومك حجبوها باخوين ولا استطيع نقض امر قدكان قبلي وانما نشأ هذا الاختلاف لانهم اختلفوا في اقل الجمع وفيه قولان احدهما ان اقل الجمع اثنان وهو قول القاضي ابي بكر الباقلاني ووجه هذا القول انك اذا جمعت واحدا الى واحد فهما جماعة لان اصل الجمع ضم شيء الى شيء وقال ابن الانباري التثنية عند العرب اول الجمع ومشهور في كلامهم ايقاع الجمع على التثنية فمن ذلك قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين وهما داود وسليمان عليهما السلام ومنه قوله تعالى فقد صغت قلوبكما يريد قلباكما والقول الثاني ان اقل الجمع ثلاثة وهو قول جمهور العلماء وهو الاصح وانما حجب العلماء الام بالاخوين لدليل اتفقوا عليه وهو ان لفظ الاخوة يطلق على الاخوين فما زاد وذلك جائز في اللغة كما تقدم ثم ان الاخوة اذا حجبوا الام من الثلث الى السدس فانهم لا يرثون شيأ البتة بل يأخذ الاب الباقي كرجل مات عن ابوين واخوين فان للام السدس والباقي وهو خمسة اسداس للاب سدس بالفريضة والباقي بالتعصيب قال قتادة وانما حجب الاخوة الام من غير ان يرثوا مع الاب شيأ معونة للاب لانه يقوم بشأنهم وينفق عليهم دون الام (من بعد وصية يوصي بها اودين) يعني ان هذه الانصباء والسهام انما تقسم بعد قضاء الدين وانفاذ وصية الميت في ثلثه وذكر الوصية مقدم على الدين في اللفظ لا في الحكم لان لفظة او لا توجب الترتيب وانما هي لاحد الشيئين كانه قال من بعد احد هذين مفردا او مضموما الى الآخر قال علي رضي الله عنه انكم تقرؤن الوصية قبل الدين وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية وهذا اجماع على ان الدين مقدم على الوصية والارث مؤخر عنهما لان الدين حق على الميت والوصية حق له وهما يتقدمان على حق الورثة * قوله تعالى (آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا) قيل هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله ولا تعلق لمعناه بمعنى الآية ومعنى هذا الكلام في قول ابن عباس ان الله عز وجل يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فاطوعكم لله من الآباء والابناء ارفعكم درجة فان كان الوالد ارفع درجة من ولده رفع الله درجة ولده اليه وان كان الولد ارفع درجة من والديه رفع الله اليه والديه لتقر بذلك اعينهم فقال تعالى لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا لان احدهما لا يعرف منفعة صاحبه له في الجنة وسبقه الى منزلة عالية تكون سببا لرفعته اليها وقيل ان هذا الكلام ليس معترضا بينهما ومعناه متعلق بمعنى الآية يقول آباؤكم وابناؤكم يعني الذين يرثونكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون ايهم انفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب انفع له فيكون الابن انفع له ومنكم من يظن ان الابن انفع له فيكون الاب انفع له ولكن الله هو الذي دبر امركم على ما فيه المصلحة لكم فاتبعوه ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم فتعطون من لا يستحق ما لا يستحق من الميراث وتمنعون من يستحق الميراث (فريضة من الله) يعني ما قدر من المواريث لاهلها فريضة واجبة (ان الله كان عليما حكيما) يعني كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيما فيما قدر من الفرائض وفرض من الاحكام وقيل معناه عليما بخلقه قبل ان يخلقهم حكيما حيث فرض للصغار مع الكبار ولم يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفي معنى لفظة كان ثلاثة اقوال احدها ان الله تعالى كان عليما بالاشياء قبل خلقها ولم يزل كذلك الثاني حكى الزجاج

(وعصوا الرسول) بالاحتجاب عن الذين (لو تسوى بهم الارض) ارض الاستعداد فتنطمس نفوسهم او تصير ساذجة لا نقش فيها من العقائد الفاسدة والرذائل الموبقة (ولا يكتمون الله حديثا) اي لا يقدرون على كتم حديث من تلك النقوش حتى لا يعذبون بعقابه (يا ايها الذين آمنوا) بالايمان العلمي قال المؤمن بالايمان العيني لا يكون في صلاته غافلا (لا تقربوا الصلوة) اي لا تقربوا مقام الحضور والمناجاة مع الله في حال كونكم (وانتم سكارى) من نوم الغفلة او من خمور الهوى ومحبة الدنيا (حتى تعلموا ما تقولون) في مناجاتكم ولا تشتغل قلوبكم بأشغال الدنيا ووساوسها فتذهلوا عنه ولا في حال كونكم بعداء عن الحق بشدة الميل الى النفس ومباشرة لذاتها وشهواتها وحظوظها والركون اليها (ولا جنبا الا عابري سبيل) اي مارين عليها سالكي طريق من طرق تمتعاتها بقدر الضرورة والمصلحة كعبور طريق الاغتذاء بالمطعم والمشرب لسد الرمق وحفظ القوة والاكتساء لدفع الحر والبرد

من سيبويه انه قال ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وفضلا قيل لهم ان الله كان كذلك ولم يزل الله على ما شاهدتم الثالث قال الخليل الخبر عن الله عز وجل بمثل هذه الاشياء كالخبر بالحال والاستقبال لان صفات الله تعالى لا يجوز عليها الزوال والتقلب * قوله عز وجل (ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين) هذا ميراث الازواج من الزوجات وقال تعالى في ميراث الزوجات من الازواج (ولهن) يعني الزوجات (الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين) لما جعل الله في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين جعل الله في الموجب السببي الرجل مثل حظ الانثيين واعلم ان الواحد من النساء لها الربع او الثمن وكذلك لو كن اربع زوجات فانهن يشتركن في الربع او الثمن واسم الولد يطلق على الذكر والانثى ولا فرق بين الولد وولد الابن وولد البنت في ذلك وسواء كان الولد للرجل من الزوجة او من غيرها * قوله تعالى (وان كان رجل يورث كلالة او امرأة) تقدير الآية وان كان رجل او امرأة يورث كلالة واختلفوا في الكلالة فذهب اكثر الصحابة الى ان الكلالة من لا ولد له ولا والد روى الشعبي قال سئل ابو بكر الصديق عن الكلالة فقال سأقول فيها قولا برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان اراه ما خلا الوالد والولد فلما استخلف عمر قال اني لاستحي من الله ان ارد شيئا قاله ابو بكر وهذا قول علي وابن مسعود وزيد بن ثابت واحدى الروايتين عن عمر وابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل على صحته ان اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة بينهم فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه وقيل ان الكلالة في اصل اللغة عبارة عن الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطته بالرأس فمن عدا الوالد والولد انما سموا كلالة لانهم كالدائرة المحيطة بالانسان اما نسبة الولادة فليست كذلك لان فيها تفرع البعض عن البعض وتولد البعض من البعض فهو كالشيء الواحد الذي يتزايد على نسق واحد فاما القرابة المغايرة لقرابة الولادة وهم الاخوة والاخوات والاعمام والعمات وغيرهم فانما يحصل نسبهم اتصال احاطة بالمنسوب اليه فثبت بذلك ان الكلالة عبارة عن عدا الوالد والولد والرواية الاخرى عن عمر وابن عباس ان الكلالة من لا ولد له وبه قال طاوس واحتج لهذا القول بقوله تعالى قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وبيانه عند عامة العلماء مأخوذ من حديث جابر بن عبد الله لان الآية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها اب ولا ابن لان اباه قتل يوم احد وآية الكلالة نزلت في آخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم فصار شان جابر بيانا لمراد الآية التي نزلت في آخر السورة لنزولها فيه واختلفوا في ان الكلالة اسم لمن فمنهم من قال هو اسم للميت وهو قول علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس لانه مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه وقيل هو اسم للحي من الورثة وهو قول ابي بكر الصديق وعليه جمهور العلماء الذين قالوا ان الكلالة من دون الوالد والولد ويدل عليه حديث جابر انما يرثني كلالة اي يرثني ورثة ليسوا بولد ولا والد فان كان المراد بالكلالة الميت الموروث فالمراد يرثه غير الوالد والولد وان كان المراد الوارثين فهم غير الوالد والولد وقال ابن زيد الكلالة الذي لا ولد له ولا والد والحي والميت كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة وقال ابو الخير سأل رجل عقبة عن الكلالة فقال الا تعجبون من هذا يسألني عن الكلالة وما

وسائر المؤونة والمباشرة لحفظ النسل لا منجذبين اليها بالكلية بمجرد الهوى فتنطبع فيكم فلا يمكن زوالها او يتعذر (حتى تغتسلوا) اي تتطهروا عن تلك الهيئة الحاصلة من الانجذاب الى الجهة السفلية بماء التوبة والاستغفار وعيون التنصل والاعتذار (وان كنتم مرضى) القلوب فاقدي سلامتها بامراض العقائد الفاسدة والرذائل المهلكة (او على سفر) في تيه الجهل والحيرة لطلب لذة النفس ومادة الرجس بالحرص (او جاء احد منكم من الغائط) من الاشتغال بلوث المال وكسب الحطام ملوثا بهيئة محبته وميله راسخة فيه تلك الهيئة (او لامستم النساء) لازمتم النفوس وباشرتموها في لذاتها وشهواتها (فلم تجدوا ماء) علما يهديكم الى التفصي منها ويهذبكم بالتطهر عنها (فتيمموا صعيدا طيبا) فتوجهوا صعيد استعدادكم الطيب والصدور وارجعوا الى اصل الاستعداد الفطري (فامسحوا) من نوره (بوجوهكم وايديكم) اي ذواتكم الموجودة وصفاتكم بالنزوع وهو هيئات التعلق بها والتصرف فيها فان ذلك التراب يمحو آثارها صافية

وما اعضل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شئ ما اعضلت بهم الكلالة (ق) عن عمر قال ثلاث
وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة وابواب
من ابواب الربا وهذا طرف حديث ذكر في الخمر (ق) عن معدان بن ابي طلحة قال خطب
عمر بن الخطاب فقال اني لا ادع بعدي شيأ اهم عندي من الكلالة ماراجعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم في شئ ماراجعته في الكلالة وما اغلظ لي في شئ ما اغلظ لي في الكلالة حتى طعن باصبعيه
في صدري وقال يا عمر الا يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء واني ان اعش اقض فيها
بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن لفظ مسلم قوله الا يكفيك آية الصيف اراد
ان الله عز وجل انزل في الكلالة آيتين احداهما في الشتاء وهي التي في اول سورة النساء والآية
الاخرى في الصيف وهي التي في آخر السورة وفيها من البيان ماليس في آية الشتاء فلذلك احاله
عليها * قوله تعالى (وله اخ اواخت فلكل واحد منهما السدس) اراد به الاخ والاخت للام
باتفاق العلماء وقرأ سعد بن ابي وقاص وله اخ اواخت من ام فان قلت ان الله تعالى قال وان كان رجل
يورث كلالة اوامرأة ثم قال تعالى وله اخ فذكر الرجل ولم يذكر المرأة فما السبب فيه قلت هذا على عادة
العرب فانهم اذا ذكروا اسمين ثم اخبروا عنهما وكانا في الحكم سواء ربما اضافوا احدهما الى الآخر
وربما اضافوا اليهما فهو كقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة ثم قال تعالى وانها لكبيرة وقال
الفراء اذا جاء حرفان بمعنى واحد جاز اسناد التفسير الى ايهما اريد ويجوز اسناده اليهما ايضا
(فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) وهذا اجماع العلماء ان اولاد الام اذا كانوا اثنين
فصاعدا يشتركون في الثلث ذكرهم وانثاهم فيه سواء قال ابو بكر الصديق في خطبته الا ان الآية
التي انزل الله في اول سورة النساء من شأن الفرائض انزلها في الولد والوالد والام والآية الثانية
في الزوج والزوجة والاخوة من الام والآية الثالثة التي ختم الله بها سورة النساء في الاخوة
والاخوات من الاب والام والآية التي ختم بها سورة الانفال انزلها الله في اولى الارحام
بعضهم اولى ببعض في كتاب الله * وقوله تعالى (من بعد وصية يوصي بها اودين) تقدم تفسيره
وبقي شئ من الاحكام نذكرها وذلك ان ظاهر الآية يدل على جواز الوصية بكل المال
وببعضه وفي معنى الآية ماروى عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماحق
امرئ مسلم له شئ يوصي فيه وفي رواية له شئ يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية
ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول مامرت على ليلة منذ
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا وعندي وصيتي مكتوبة اخرجاه في الصحيحين
فظاهر الآية والحديث يدل على اطلاق الوصية لكن ورد في السنة مايدل على تقييد هذا
المطلق وتخصيصه وهو قوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن ابي وقاص قال الثلث والثلث
كثير انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس اخرجاه في الصحيحين ففي هذا
الحديث دليل على ان الوصية لاتجوز بأكثر من الثلث وان النقصان عن الثلث جائز ولا تجوز
الوصية لوارث ويدل عليه ماروى عن عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله عز وجل اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر
اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله

كما كانت (ان الله كان عفوا)
يعفو عن تلك الهيئات المظلمة
ورسوخ تلك الملكات
الحاجبة بتركها والاعراض
عنها فيزيلها بالكلية فيصفو
استعدادكم وتستعدوا للقائه
(غفورا) يستر صفاتكم
وذواتكم بصفاته وذاته
(الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب) اى بعضا هو
اعترافهم بالحق مع احتجابهم
عن الدين (يشترون الضلالة)
يستبدلون الاحتجاب
عن الذين هو طريق الحق
بنور هداية استعدادهم
ويريدون بكم ذلك ايضا وهم
اعداؤكم علم الله عداوتهم اياكم
اذا (ويريدون ان تضلوا
السبيل والله اعلم باعدائكم
وكفى بالله وليا وكفى بالله
نصيرا) يلى امركم بالتوفيق
لطريق التوحيد ونصيرا
بنصركم على اعدائكم بالقمع
من الذين هادوا يحرفون
الكلم عن مواضعه ويقولون
سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع
وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا
في الدين ولو انهم قالوا سمعنا
واطعنا واسمع وانظرنا لكان
خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم
الله بكفرهم فلا يؤمنون
الا قليلا يا ايها الذين اوتوا
الكتاب) كتاب الاستعداد
(آمنوا بما نزلنا مصدقا لما
معكم) ايمانا حقيقيا عيانيا

اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه ابو داود * وقوله تعالى (غير مضار) يعني غير
مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية وهو ان يوصي بأكثر من الثلث وقيل هو
ان يوصي بدين ليس عليه او يقر بماله او اكثر ماله لاجنبي ويترك ورثته عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل والمراة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت
فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ ابو هريرة من بعد وصية يوصى بها او دين الى قوله وذلك
الفوز العظيم اخرجه ابو داود والترمذي وقال قتادة كره الله تعالى الضرار في الحياة وعند الموت
فنهى عنه وقدم فيه وقيل ان الاضرار في الوصية من الكبائر لان مخالفة امر الله عز وجل كبيرة
وقد نهى الله عن الاضرار في الوصية فدل على ان ذلك من الكبائر واعلم ان الاولى بالانسان ان ينظر
عند الموت في قدر ما يخلف من المال ومن يخلف من الورثة ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان
ماله قليلا وفي الورثة كثرة فالاولى به ان لا يوصي بشئ لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابي وقاص
انك ان تدر ورثتك اغنياء خير من ان تدرهم عالة يتكففون الناس وان كان في المال كثرة اوصى
بحسب المال وبحسب الورثة وحاجتهم بعده في القلة والكثرة * وقوله تعالى (وصية من الله)
اي فريضة من الله وقيل عهدا من الله اليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم (والله عليم)
يعني انه عالم بمصالح عباده ومضارهم وبما يفرض عليهم من الاحكام وقيل عليم بمن يجور في وصيته
وبمن لا يجور (حليم) يعني انه تعالى ذو حلم واناة في ترك العقوبة عمن جار في وصيته وقال ابو سليمان
الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل والحليم
هو الصفوح مع القدرة المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة * قوله عز وجل (تلك حدود الله) يعني
الاحكام التي تقدم ذكرها في هذه السورة من مال اليتامى والوصايا والانكحة والمواريث وانما
سماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين فلا يجوز لهم ان يتجاوزوها وقال ابن
عباس يريد ما حد الله من فرائضه (ومن يطع الله ورسوله) يعني في شأن المواريث ورضي بما
قسم الله له وحكم عليه (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم
ومن يعص الله ورسوله) يعني في شأن المواريث ولم يرض بقسمة الله ورسوله (ويتعد حدوده)
يعني ويتجاوز ما امر الله تعالى به (يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) فان قلت كيف قطع
للعاصي بالخلود في النار في هذه الآية وهل فيها دليل للمعتزلة على قولهم ان العصاة والفساق
من اهل الايمان يخلدون في النار قلت قال الضحاك المعصية هنا الشرك وروى عكرمة عن ابن
عباس في معنى الآية من لم يرض بقسمة الله ويتعد ما قال الله يدخله نارا وقال الكلبي يكفر بقسمة
المواريث ويتعد حدود الله استحلالا اذا ثبت ذلك فمن رد حكم الله ولم يرض بقسمته كفر بذلك واذا
كفر كان حكمه حكم الكفار في الخلود في النار اذا لم يتب قبل موته واذا مات وهو مصر على
ذلك كان مخلدا في النار بكفره فلا دليل في الآية للمعتزلة والله اعلم * قوله تعالى (واللاتي) هو
جمع التي وهي كلمة يخبر بها عن المؤنث خاصة (يأتين الفاحشة) يعني يفعلن الفاحشة يقال اتيت
امرا قبيحا اذا فعلته والفاحشة في اللغة الفعلة القبيحة وقيل الفاحشة عبارة عن كل فعل او قول يعظم
قبحه في النفوس ويقبح ذكره في الالسنة حتى يبلغ الغاية في جنسه وذلك مخصوص بشهوة الفرج
الحرام ولذلك اجمعوا على ان الفاحشة ههنا هي الزنا وانما سمي الزنا فاحشة لزيادة قبحه (من نسائكم)

باخراج ما في كتاب استعداد
كم الى الفعل من توحيد الذات
(من قبل ان نطمس وجوها
من قبل ان نطمس وجوها
بازالة استعدادها ومحوه
(فنردها على ادبارها)
التي هي اسفل سافلي
عالم الجسم الذي هو خلف
كل عالم (او نلعنهم كما لعنا)
نعذبهم بالمسخ كما مسخنا
(اصحاب السبت وكان
امر الله مفعولا) اي مقضيا
الى الابد لا يغيره احد
ولا ينقضه (ان الله لا يغفر
ان يشرك به) اشارة الى ان
الشقاوة العلمية الاعتقادية
مخلدة لا تتدارك ابدا دون
العملية اي لا يستر بوجوده
ولا يفنى بذاته من يثبت غيره
في الوجود وكيف وانه
يناويه بوجوده (ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء
ومن يشرك بالله فقد افترى
اثما عظيما الم تر الى الذين
يزكون انفسهم) اي يريلون
صفات نفوسهم بنفوسهم
وذلك غير ممكن كما لا يمكن
لاحد ان اجل نفسه اذ هي
لوازم النفس باقية لازمة
لها ولهذا قال تعالى ومن يوق
شح نفسه اذ الرذائل معجونة
فيها باقية ببقائها وقال
عليه الصلاة والسلام شر

قيل هن الزوجات وقيل المراد بهن جنس النساء (فاستشهدوا عليهن اربعة منكم) يعني من المسلمين
وهذا خطاب للازواج اى اطلبوا اربعة من الشهود ليشهدوا عليهن وقيل هو خطاب للحكام اى
اسمعوا شهادة اربع عليهن ويشترط في هذه الشهادة العدالة والذكورة قال عمر بن الخطاب انما
جعل الله الشهود اربعة سترا يستركم به دون فواحشكم (فان شهدوا) يعني الشهود بالزنا (فامسكوهن
في البيوت) اى فاحبسوهن في البيوت والحكمة في حبسهن ان المرأة انما تقع في الزنا عند الخروج
والبروز للرجال فاذا حبست في البيت لم تقدر على الزنا (حتى يتوفاهن الموت) يعني تتوفاهن
ملائكة الموت عند انقضاء اجالهن (او يجعل الله لهن سبيلا) وهذا الحكم كان في اول الاسلام قبل
نزول الحدود كانت المرأة اذا زنت حبست في البيت حتى تموت ثم نسخ الحبس بالحدود وجعل الله
لهن سبيلا (م) عن عبادة بن الصامت قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه حكم كرب
لذلك وتربد وجهه فانزل الله عليه ذات يوم فبقي كذلك فلما سرى عنه قال خذوا عني خذوا عني
قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب جلد مائة والرجم

(فصل) اتفق العلماء على ان هذه الآية منسوخة ثم اختلفوا في ناسخها فذهب بعضهم الى ان
ناسخها هو حديث عبادة بن الصامت المتقدم وهذا على مذهب من يرى نسخ القرآن بالسنة وذهب
بعضهم الى ان الآية منسوخة بآية الحد التي في سورة النور وقيل ان هذه الآية منسوخة بالحديث
والحديث منسوخ بآية الجلد وقال ابو سليمان الخطابي لم يحصل النسخ في هذه الآية ولا في الحديث وذلك
لان قوله تعالى فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا يدل على امساكهن
في البيوت ممدودا الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا وان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه
وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الحديث صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية المجملة لا ناسخا لها
واجمع العلماء على جلد البكر الزاني مائة ورجم المحصن وهو الذي اجتمع فيه اربعة اوصاف البلوغ
والعقل والحرية والاصابة في نكاح صحيح وهو الثيب واختلفوا في جلد الثيب ورجمه فذهب طائفة
الى انه يجب الجمع بينهما وبه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن واسحق بن راهويه
وداود واهل الظاهر وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه انه جلد شراحة الهمدانية
يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال جماهير العلماء الواجب على المحصن الزاني الرجم وحده لان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا
والغامدية ولم يجلدهما واما تغريب البكر الزاني ونفيه سنة فذهب الشافعي وجماهير العلماء وجوب
ذلك وقال ابو حنيفة وحماد لا يقضي بالنفي الا ان رآه الحاكم تعزيرا وقال مالك والاوزاعي لا نفي
على النساء وروي مثله عن علي قال لان المرأة عورة وفي نفيها تضييع لها وتعريض للفتنة وحجة الشافعي
وجماهير العلماء ظاهر حديث عبادة بن الصامت وهو قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة
ونفي سنة وروى نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وان ابا بكر ضرب
وغرب وان عمر ضرب وغرب وان كان الزاني عبدا فعليه جلد خمسين وفي تغريبه قولان فان قلنا
انه يغرب ففيه قولان اصحهما انه يغرب نصف سنة قياسا على حده وان كان الزاني مجنونا او غير بالغ
فلا جلد عليه * قوله عز وجل (واللذان) هو تثنية الذي (يأتيانها) يعني يأتيان الفاحشة
(منكم) يعني من رجالكم ونسائكم وقيل هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير المعنيين بالآية

الناس من قامت عليه القيامة
وهو حي اى يقف على علم
التوحيد ونفسه لم تمت
بالفناء حتى تحيي بالله فانه
حينئذ زنديق قائل بالاباحة
في الاشياء (بل الله يزكي من
يشاء) بمحو صفاته وازالتها
بصفاته تعالى (ولا يظلمون
فتيلا) اى لا ينقصون شيأ
حقيرا من صفاتهم وحقوقها
فان الله لا يأخذ شيأ منها
مع ضعفها وسرعة انقضائها
حتى يعطي بدله من صفاته
مع قوتها ودوامها (انظر
كيف يفترون على الله الكذب)
بادعاء تزكية نفوسهم من
صفاتهم او ما تزكت او باتصال
صفات الله الى انفسهم لوجود
نفوسهم (وكفى به اثما مبينا
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت) لاثباتهم وجود
الغير وذلك اضلالهم عن الدين
الذي هو طريق التوحيد
(ويقولون للذين كفروا)
لاجل الدين حجبوا عن الحق
(هؤلاء اهدى من الذين
آمنوا) من الموحدين (سبيلا)
لموافقتهم في الشرك دون
المؤمنين فانهم يخالفونهم
في الطريق والمقصد اذ
المعترفون بالتوحيد لما ضلوا
السبيل لم يصلوا الى المقصد
الذي اعترفوا به فلزمهم شرك
خفي قريب من حال

الاولى وقيل المراد بمن ذكر فى الاولى النساء وهذه فى الرجال لان الله تعالى حكم فى الآية الاولى بالحبس فى البيت على النساء وهو اللائق بحالهن لان المرأة انما تفعل الفاحشة عند الخروج فاذا حبست فى البيت انقطعت مادة المعصية واما الرجل فلا يمكن حبسه فى البيت لانه يحتاج الى الخروج فى اصلاح معاشه واكتساب قوت عياله فجعلت عقوبة الرجل الزانى الاذية بالقول والفعل (فآذوهما) يعنى عيروهما بالقول باللسان وهو ان يقال له اما خفت الله اما استحييت من الله حين زنيت وقال ابن عباس سبوهما واشتموهما وفى رواية عنه قال هو باللسان واليد يؤذى بالتعيير ويضرب بالنعال (فان تابا) يعنى من الفاحشة (واصلحا) يعنى العمل فيما يأتى (فاعرضوا عنهما) اى اتركوهما ولا تؤذوهما (ان الله كان توابا رحيما) يعنى انه تعالى يعود على عبده بفضله ومغفرته ورحمته اذا تاب اليه وهذا الحكم كان فى ابتداء الاسلام كان حد الزانى الاذى بالتوبيخ والتعيير بالقول باللسان فلما نزلت الحدود وثبتت الاحكام نسخ ذلك الاذى بالآية التى فى سورة النور وهى قوله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله الآية فثبت الجلد على البكر بنص الكتاب وثبت الرجم على الثيب المحصن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وكان قد احصن وسواء فى هذا الحكم المسلم واليهودى لانه ثبت فى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وكانا قد احصنا وقال ابو حنيفة لا رجم على اليهودى لان المشرك ليس بمحصن واجيب عنه بان المراد بهذا الاحصان احصان العفاف لا احصان الفرج * قوله تعالى (انما التوبة على الله) يعنى التوبة التى يقبلها الله تعالى فيكون على بمعنى عند وقيل على بمعنى من أى من الله وقال اهل المعانى ان الله تعالى وعد قبول التوبة من المؤمنين فى قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة واذا وعد الله شيأ انجز ميعاده وصدق فيه فمعنى قوله على الله اوجب على نفسه من غير ايجاب احد عليه لانه تعالى يفعل ما يريد (للذين يعملون السوء) يعنى الذنوب والمعاصى سميت سوء لسوء عاقبتها اذا لم يتب منها (بجهالة) قال قتادة اجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل شئ عصى الله به فهو جهالة عمدا كان اوغيره وكل من عصى الله فهو جاهل وقال ابن عباس من عمل السؤ فهو جاهل من جهالته عمل السؤ فكل من عصى الله سمى جاهلا وسمى فعله جهالة وانما سمى من عصى الله جاهلا لانه لم يستعمل ما معه من العلم بالثواب والعقاب واذا لم يستعمل ذلك سمى جاهلا بهذا الاعتبار وقيل معنى الجهالة ان يأتى الانسان بالذنب مع العلم بانه ذنب لكنه يجهل عقوبته وقيل معنى الجهالة هو اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية (ثم يتوبون من قريب) يعنى يتوبون بعد الاقلاع عن الذنب بزمان قريب لئلا يبعد فى زمرة المصرين وقيل القريب ان يتوب فى صحته قبل مرض موته وقيل موته وقيل معاينة ملك الموت ومعاينة اهوال الموت وانما سميت هذه المدة قريبة لان كل ما هو آت قريب وفيه تنبيه على ان عمر الانسان وان طال فهو قليل وان الانسان يتوقع فى كل ساعة ولحظة نزول الموت به عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر اخرجه الترمذى الغرغرة ان يجعل المشروب فى فم المريض فيردده فى الحلق ولا يصل اليه لا يقدر على بلعه وذلك عند بلوغ الروح الى الحلقوم وروى البغوى بسنده عن ابى سعيد الخدرى ان

المحجوبين من الحق الذين اشركوا شركا جليا فناسبوهم وصوبوهم وزعموا انهم اهدى الموحدين على ما رئى عليه بعض الظاهريين من الاسلاميين (اولئك الذين لعنهم الله) بمسخ الاستعداد ومن طرده الله فلا يمكن لاحد نصرته بالهداية والتقريب والانجاء (ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ان الذين كفروا بآياتنا) اى حجبوا عن تجليات صفاتنا وافعالنا اذ مطلع الآية كونه متجليا بالعلم والحكمة والملك فى آل ابرهيم (سوف نصليهم نارا) نار شوق الكمال لاقتضاء غرائزهم وطلبتهم بحسب استعدادهم ذلك مع رسوخ الحجاب ولزومه اونار قهر من تجليات صفات قهره تناسب احوالهم اونار شره نفوسهم وحدة شوقها وطلبها لما ضربت بها من كمالات صفاتها وشهواتها مع حرمانها عنها (كلما نضجت

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك يارب لا ابرح اغوى عبادك مادامت ارواحهم فى اجسادهم فقال الرب تبارك وتعالى وعزتى وجلالى وارتفاعى فى مكانى لا ازال اغفر لهم مااستغفرونى وقيل فى معنى الآية ان القريب هو ان يتوب الانسان قبل ان يحيط السوء بحسناته فيحبطها (فاولئك يتوب الله عليهم) يعنى يقبل توبتهم (وكان الله عليما حكيما) قال ابن عباس علم مافى قلوب عباده المؤمنين من التصديق واليقين فحكم بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فواق ناقة وقيل فى معنى الآية علم انه انما اتى بتلك المعصية باستيلاء الشهوة والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها واناب عن قريب * قوله عزوجل (وليست التوبة للذين يعملون السيئات) قال ابن عباس يريد الشرك وقال ابو العالية وسعيد بن جبير هم المنافقون وقال سفيان الثورى هم المسلمون الاترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار (حتى اذا حضر احدهم الموت) يعنى وقع النزع وعاين ملائكة الموت وهو حالة السوق حين تساق الروح للخروج من جسده (قال انى تبت الآن) قال المحققون قرب الموت لايمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاحوال التى لايمكن معها الرجوع الى الدنيا بحال ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا ايمانه وهو قوله تعالى حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لااله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ويدل على ذلك ايضا قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا فان قلت قد تعلقت الوعيدية بهذه الآية وقالوا اخبر الله تعالى ان عصاة المؤمنين اذا اهملوا امرهم الى انقضاء آجالهم حصلوا على عذاب الآخرة مع الكفار لان الله تعالى جمعهم فى قوله اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما وايضا انه تعالى اخبر انه لاتوبة لهم عند معاينة الموت واسبابه قلت ليس الامر على ماز عموا فقد روى عن ابن عباس فى قوله وليست التوبة للذين يعملون السيآت يريد الشرك وقال سعيد بن جبير نزلت الآية الاولى فى المؤمنين يعنى قوله انما التوبة على الله والوسطى فى المنافقين يعنى قوله وليست التوبة والاخرى فى الكافرين يعنى قوله ولا الذين يموتون وهم كفار واذا كانت الآية نازلة فى المنافقين والكفار فلاوجه لحملها على المؤمنين وعلى تقدير ان تكون الآية نازلة فى عصاة المؤمنين فقد روى عن ابن عباس فى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيآت الآية ثم انزل الله تعالى بعد ذلك ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فحرم الله المغفرة على من مات وهو كافر وارجأ اهل التوحيد الى مشيئته ولم يؤيسهم من المغفرة فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة فى حق المؤمنين * وقوله تعالى (ولا الذين يموتون وهم كفار) معناه لاتوبة للكفار اذا ماتوا على كفرهم وانما لم تقبل توبتهم فى الآخرة لرفع التكليف فى الآخرة ومعاينة ماوعد وابه من العقاب (اولئك اعتدنا لهم) اى هيأنا لهم (عذابا اليما) * قوله عزوجل (ياايها الذين امنوا لايحل لكم ان ترثوا النساء كرها) نزلت فى اهل المدينة وذلك انهم كانوا فى الجاهلية وفى اول الاسلام اذا مات الرجل وخلف امرأة جاء ابنه من غيرها اوقريبه من ذوى عصبته فالقى ثوبه على تلك المراة وعلى خبائها فصار احق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذى اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره واخذ هو صداقها

جلودهم) رفعت حجبهم الجسمانية بانسلاخهم عنها (بدلناهم جلودا) حجبا غيرها جديدة (ليذوقوا العذاب) نيران الحرمان (ان الله كان عزيزا) قويا يقهرهم ويذلهم بذل صفات نفوسهم ويحرقهم بنيران توقانها الى كمالاتهم مع حرمانهم ابدا (حكيما) يجازيهم بما يناسبهم من العذاب الذى اختاروه لانفسهم بدواعيهم الغضبية والشهوية وغيرها وميولهم الى الملاذ الجسمانية فلذلك بدلوا حجبا ظلمانية بعد حجب (الذين آمنوا) بتوحيد الصفات (وعملوا الصالحات) مايصلحهم لقبول تجلياتها (سندخلهم جنات) الاتصاف بها ومقاماتها (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة) اى انهار علوم تجلياتها من علوم القلب والازواج ههنا الارواح المقدسة التى هى مظاهر الصفات الآلهية المطهرة بالهيئات البدنية (وندخلهم ظلا ظليلا) اى ظل الصفات الآلهية الدائم روحها بمحو الصفات البشرية (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا

وان شاء عضلها ومنعها من الازواج يضارها بذلك لتفتدى منه بماورثت من الميت اوتموت
هى فيرثها فان ذهبت المراة اهلها قبل ان يلقى عليها ولى زوجها ثوبه كانت احق بنفسها وكانوا
على ذلك حتى توفى ابوقيس بن الاسلت الانصارى وترك امراته كبيشة بنت معن الانصارية
فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وقيل اسمه قيس بن ابى قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها
ثم تركها فلم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدى منه فأتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يارسول الله ان اباقيس توفى وورث نكاحى ابنه فلاهو ينفق على ولاهو يدخل بى ولا يخلى
سبيلى فقال اقعدى فى بيتك حتى يأتى امرالله فيك فانزل الله عزوجل ياايها الذين آمنوا لايحل
لكم ان ترثوا النساء كرها يعنى ميراث نكاح النساء وقيل معناه ان ترثوا اموالهن كرها
يعنى وهن كارهات (ولاتعضلوهن) اى ولاتمنعوهن من الازواج واصل العضل المنع
(لتذهبوا ببعض ماآتيتموهن) يعنى لتضجر فتفتدى ببعض مالها قيل هو خطاب للازواج
قال ابن عباس هذا فى الرجل تكون له امراة وهو كاره لها ولصحبتها ولها عليه مهر فيضارها
لتفتدى منه وترد اليه ماساق اليها من المهر فنهى الله عن ذلك وقيل كان الرجل يطلق
امراته ثم يراجعها ثم يطلقها يضارها بذلك فنهوا عن ذلك وقيل هو خطاب لاولياء الميت فنهاهم
الله عن عضل المرأة ثم قال تعالى (الاان يأتين بفاحشة مبينة) يعنى فحينئذ يحل لكم اضرارهن
ليفتدين منكم واختلفوا فى الفاحشة المبينة فقيل هى النشوز وسوء الخلق وايذاء الزوج وقيل
الفاحشة هى الزنا يعنى ان المراة اذا نشزت اوزنت حل للزوج ان يسألها الخلع وقيل كانت
المراة اذا اصابت فاحشة اخذ منها زوجها ماساق اليها واخرجها فنسخ الله ذلك بالحدود
(وعاشروهن بالمعروف) قيل هو راجع للكلام الذى قبله والمعنى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة
وعاشروهن بالمعروف والمعاشرة بالمعروف هو الاجمال فى القول والمبيت والنفقة
وقيل هو ان تصنع لها كما تحب ان تصنع لك (فان كرهتموهن) يعنى فان كرهتم
عشرتهن وصحبتهن وآثرتم فراقهن (فعسى ان تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)
قال ابن عباس ربما رزق منها ولدا صالحا فجعل الله فى ولدها خيرا كثيرا
فتنقلب تلك الكراهة محبة والنفرة رغبة وقيل فى الآية ندب الى امساك المراة مع الكراهية لها لانه
اذا كره صحبتها وتحمل ذلك المكروه طلبا للثواب وانفق عليها واحسن هو صحبتها استحق الثناء
الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى وقيل فى معنى الآية انكم ان كرهتموهن ورغبتم فى فراقهن
فربما جعل الله فى تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا وذلك بان تخلص من هذا الزوج الكاره لها وتتزوج
غيره خيرا منه * قوله عزوجل (وان اردتم استبدال زوج مكان زوج) الخطاب للرجال
واراد بالزوج الزوجة قال المفسرون لما ذكر الله فى الآية الاولى مضارة الزوجات اذا اتين بفاحشة
وهى اما النشوز اوالزنا بين فى هذه الآية تحريم المضارة ان لم يكن من قبلها نشوز ولازنا ونهى
عن بخس الرجل المرأة اذا اراد طلاقها واستبدال غيرها (وآتيتم احداهن قنطارا) يعنى
وكان ذلك الصداق مالا كثيرا وفى الآية دليل على جواز المغالاة فى المهور روى ان عمر قال على
المنبر الالاتغالوا فى مهور نسائكم فقامت امرأة فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنعنا وتلت
الآية فقال كل الناس افقه منك ياعمر وفى رواية امرأة اصابت وامير اخطأ ورجع عن كراهة

حكمتم بين الناس ان تحكموا
بالعدل ان الله نعما يعظكم به)
اى حق كل ذى حق اليه
بتوفيه حق الاستعداد اولا
ثم بتوفيه حقوق القوى
كلها من كمالاتها التى تقتضيها
ثم بتوفيه حق الله تعالى من
اداء الصفات اليه ثم اداء
الوجود فتكونوا فانين
فى التوحيد فاذا رجعتم
الى البقاء بعد الفناء وحكمتم
بين الناس كنتم قائمين
فى الاشياء بالله قوامين
بالقسط متصفين بعدل الله
بحيث لايمكن صدور الجور
منكم واقل الدرجات
فى العدل هو المحو فى الصفات
اذ القائم بالنفس لايقدر
على العدل ابدا (ان الله
كان سميعا) باقوالكم فيما
بين الناس من المحاكمات
هل هى صائبة بالحق ام
فاسدة بالنفس (بصيرا)
باعمالكم هل تصدر من
صفات نفوسكم او من
صفات الحق (ياايها الذين
آمنوا) بتوحيد الصفات
(اطيعوا الله) بتوحيد
الذات والفناء فى الجمع
(واطيعوا الرسول) بمراعاة
حقوق التفصيل فى عين
الجمع وملاحظة ترتيب
الصفات بعد الفناء فى الذات
(واولى الامر منكم) من

المغالاة وقد تغالى الناس في صدقات النساء حتى بلغوا الالوف وقيل ان خير المهور ايسرها واسهلها (فلا تأخذوا منه شيأ) يعني من القنطار الذى آتيتموهن لو جعلتم ذلك القدر لهن صداقا فلا تأخذوا منه شيأ وذلك ان سوء العشرة اما ان يكون من قبل الزوج او من قبل الزوجة فان كان من قبل الزوج واراد طلاق المرأة فلا يحل له ان يأخذ شيأ من صداقها وان كان النشوز من قبل المرأة جاز له ذلك (اتأخذونه) استفهام بمعنى التوبيخ (بهتانا) يعني ظلما وقيل باطلا (واثما مبينا) يعني اتأخذونه مباهتين آثمين فلا تفعلوا مثل هذا الفعل مع ظهور قبحه في الشرع والعقل ثم قال تعالى (وكيف تأخذونه) كلمة تعجب والمعنى لاى وجه تفعلون مثل هذا الفعل وكيف يليق بالعاقل ان يسترد شيأ بذله لزوجته عن طيب نفس وقيل هو استفهام معناه التوبيخ والتعظيم لاخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب في ذلك فقال تعالى (وقد افضى بعضكم الى بعض) اصل الافضاء في اللغة الوصول يقال افضى اليه اى وصل اليه ثم للمفسرين في معنى الافضاء في هذه الآية قولان احدهما انه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدى واختيار الزجاج وابن قتيبة ومذهب الشافعي لان عنده ان الزوج اذا طلق قبل المسيس فله ان يرجع بنصف المهر وان خلا بها والقول الثاني في معنى الافضاء هو ان يخلو بها وان لم يجامعها وقال الكلبي الافضاء ان يكونا معها في لحاف واحد جامعها اولم يجامعها وهذا القول هو اختيار الفراء ومذهب ابي حنيفة ان الخلوة الصحيحة عنده تقرر المهر (واخذن منكم ميثاقا غليظا) قيل هو قول العاقد عند العقد زوجتكها على ما اخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل هي كلمة النكاح المعقودة على الصداق وهي الكلمة التي تستحل بها فروج النساء ويدل على ذلك ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله * قوله تعالى (ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء) قال المفسرون كان اهل الجاهلية يتزوجون ازواج آبائهم فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية روى انه لما توفى ابوقيس وكان من صالحي الانصار خطب ابنه قيس امرأة ابيه فقالت انى اتخذتك ولدا وانت من صالحي قومك ولكني آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأمره فاتته فاخبرته فانزل الله عز وجل ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء (الا ماقد سلف) يعني الا مامضى في الجاهلية قبل نزول التحريم فانه معفو عنه (انه كان فاحشة) انما سماه فاحشة لان زوجة الاب في منزلة الام ونكاح الامهات حرام فلما كان ذلك كذلك سماه الله فاحشة لانه من اقبح المعاصي (ومقتا) يعني انه يورث المقت من الله وهو اشد البغض وغاية الخزى والخسارة (وساء سبيلا) اى وبئس ذلك طريقا لانه يؤدى الى مقت الله والعرب تسمى ولد الرجل من امرأة ابيه مقيتا وكان منهم الاشعث بن قيس وابو معيط ابن ابي عمرو بن امية روى البغوى بسنده عن البراء بن عازب قال مربي خالي ومعه لواء فقلت اين تذهب قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امرأة ابيه آتيه برأسه * قوله عز وجل (حرمت عليكم امهاتكم) بين الله عز وجل في هذه الآية المحرمات من النساء بسبب الوصلة اما بسبب اونسب (خ) عن ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم امهاتكم الآية فجملة المحرمات من النساء بنص الكتاب اربعة عشر صنفا فاما المحرمات بالنسب فقوله حرمت عليكم امهاتكم جمع ام واصل امهات

استحق الولاية والرياسة كامر في حكاية طالوت (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا الم تر) اى تعجب (من الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك) من علم التوحيد (وما انزل من قبلك) من علم المبدا والمعاد (يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت) وهو ينافي ماادعوه اذلو كان ايمانهم صحيحا لما ابتغوا غيرا حتى يكون له حكم فانهم بحكم الايمان الحقيقي مأمورون بالكفر بغيره ومن لم ينسلخ عن صفاته وافعاله ولم تنطمس ذاته في الله تعالى فهو غيره ومن توجه الى الغير فقد اطاع الشيطان ولا يريد الشيطان بهم الا الضلال البعيد الذى هو الانحراف عن الحق بالشرك اذ الزيغ عن الدين هو الضلال المبين (وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ماانزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون

امات وانما زيدت الهاء للتوكيد والام هي الوالدة القريبة ويدخل في حكمها كل امرأة رجع
النسب اليها من جهة الاب او من جهة الام بدرجة او بدرجات وهن جميع الجدات وان علون فيحرم
نكاح الام وجميع الجدات (وبناتكم) والبنت عبارة عن كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة
اودرجات باناث كبنت البنت وان سفلت وكذا بنت الابن (واخواتكم) جمع اخت وهي عبارة عن
كل امرأة شاركتك في اصلك فتدخل فيه الاخوات من الاب والام والاخوات من الاب والاخوات
من الام (وعماتكم) جمع عمة وهي كل امرأة شاركت اباك في اصله وهن جميع اخوات الاب
واخوات آبائه وان علون وقد تكون العمة من جهة الام ايضا وهي اخت ابي الام (وخالاتكم)
جمع خالة وهي كل امرأة شاركت الام في اصلها فيدخل فيه جميع اخوات الام واخوات امهاتها
وقد تكون الخالة من جهة الاب ايضا وهي اخت ام الاب (وبنات الاخ وبنات الاخت) وهي
عبارة عن كل امرأة لاخيك اولاختك عليها ولادة ورجع نسبها الى الاخ اوالاخت فيدخل
فيهن جميع بنات اولاد الاخ والاخت وان سفلن فهذه الاصناف السبعة محرمة بسبب النسب
بنص الكتاب وجملته انه يحرم على الرجل اصوله وفصوله وفصول اول اصوله واول فصل
من كل اصل بعده اصل فالاصول هن الامهات والجدات والفصول هن البنات وبنات الاولاد
وفصول اول اصوله هن الاخوات وبنات الاخوة والاخوات واول فصل من كل اصل بعده
اصل هن العمات والخالات وان علون قال العلماء كل امرأة حرم الله نكاحها بالنسب والرحم فحرمتها
مؤبدة لاتحل بوجه من الوجوه * الصنف الثاني المحرمات بالسبب وهن سبع الاول والثاني
المحرمات بالرضاع وذلك في قوله تعالى (وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة) كل انثى
انتسبت باللبن اليها فهي امك وبنتها اختك وانما نص الله على ذكر الام والاخت ليدل بذلك على جميع
الاصول والفروع فنبه بذلك انه تعالى اجرى الرضاع مجرى النسب ويدل على ذلك ماروى عن عائشة
رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع مايحرم من الولادة
اخرجاه في الصحيحين (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنت حمزة انها
لاتحل لي يحرم من الرضاعة مايحرم من النسب وانها ابنة اخي من الرضاعة فكل من حرمت بسبب
النسب حرم نظيرها بسبب الرضاعة وانما سمى الله تعالى المرضعات امهات لاجل الحرمة فيحرم عليه
نكاحها ويحل له النظر اليها والخلوة بها والسفر معها ولايترتب عليه جميع احكام الامومية من كل
وجه فلايتوارثان ولاتجب على كل واحد منهما نفقة الآخر وغير ذلك من الاحكام وانما تثبت حرمة
الرضاع بشرطين احدهما ان يكون ارضاع الصبي في حال الصغر وذلك الى انتهاء سنتين من ولادته
لقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين وقوله تعالى وفصاله في عامين عن ام سلمة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايحرم من الرضاع الا مافتق الامعاء في الثدي وكان قبل الفطام
اخرجه الترمذي عن ابن مسعود قال لارضاعة الا ماكان في الحولين اخرجه مالك في الموطا
بأطول من هذا واخرجه ابو داود مختصرا قال قال عبدالله بن مسعود لارضاع الا ماشد العظم
وقال ابو حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وحمله الجمهور على
اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لان مدة الحمل داخلة فيه واقله ستة اشهر الشرط الثاني ان

بالله ان اردنا الا احسانا
وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله
مافي قلوبهم فاعرض عنهم
وعظهم وقل لهم في انفسهم
قولا بليغا وما ارسلنا من
رسول الا ليطاع باذن الله)
الفرق بين الرسول والنبي
هو ان الرسالة باعتبار
تبليغ الاحكام يا ايها الرسول
بلغ والنبوة باعتبار الاخبار
عن المعارف والحقائق التي
تتعلق بتفاصيل الصفات
والافعال فان النبوة تظاهرا
الولاية التي هي الاستغراق
في عين الجمع والفناء في
الذات فعلمها علم توحيد
الذات ومحو الافعال
والصفات فكل رسول نبي
وكل نبي ولي وليس كل
ولي نبيا ولا كل نبي مرسلا
وان كانت رتبة الولاية
اشرف من النبوة والنبوة
من الرسالة كما قيل مقام
النبوة في برزخ * دوين
الولي وفوق الرسول فلا
يرسل الرسول الا للطاعة
لاحكمه حكم الله باعتبار
التبليغ فيجب ان يطاع الا
باذنه فان من حجب عنه بقصور
الاستعداد كالكافر الاصلي
والشقي الحقيقي اوبالرين
ومحو الاستعداد كالمنافق
ليس بمأذون له في الطاعة
في الحقيقة (ولو انهم اذ ظلموا

يوجد خمس رضعات متفرقات * روى ذلك عن عائشة * وبه قال عبدالله بن الزبير * واليه ذهب الشافعى * ويدل على ذلك ماروى عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتحرم المصة ولا المصتان اخرجه مسلم (م) عن ام الفضل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتحرم الاملاجة ولا الاملاجتان وفى رواية ان رجلا من بنى عامر بن صعصعة قال يانبى الله هل تحرم الرضعة الواحدة قال لا (م) عن عائشة قالت كان فيما انزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن (قولها فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن يحتمل انه لم يبلغها نسخ ذلك واجمعوا على ان هذا لايتلى فهو مما نسخ تلاوته وبقى حكمه * وذهب جمهور العلماء الى ان قليل الارضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب واليه ذهب الثورى والاوزاعى ومالك وابن المبارك وابو حنيفة واحمد فى احدى الروايتين عنه والرواية الاخرى كذهب الشافعى * واحتج مذهب الجمهور بمطلق الآية لانه عمل بعموم القرآن وظاهره ولم يذكر عددا * واجاب الشافعى ومن وافقه فى هذه المسئلة بأن السنة مبينة للقرآن مفسرة له وقوله تعالى (وامهات نسائكم) يعنى اذا تزوج الرجل بامرأة حرمت عليه امها الاصلية وجميع جداتها من قبل الاب والام كما فى النسب والرضاع ايضا (ومذهب اكثر الصحابة وجميع التابعين وكل العلماء ان من تزوج امرأة حرمت عليه امها بنفس العقد سواء دخل بها اولم يدخل بها (وذهب جمع من الصحابة الى ان ام المرأة انما تحرم بالدخول بابنتها وهو قول على وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر واظهر الروايات عن ابن عباس * والعمل اليوم على القول الاول وهو مذهب الجمهور (ويدل على ذلك ماروى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل نكح امرأة فلا يحل له نكاح ابنتها وان لم يكن دخل بها فلينكح ابنتها وايما رجل نكح امرأة فلا يحل له ان ينكح امها دخل بها او لم يدخل اخرجه الترمذى وقوله تعالى (وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلاجناح عليكم) الربائب جمع ربيبة وهى بنت المرأة من رجل آخر سميت ربيبة لتربيتها فى حجر الرجل * وقوله دخلتم بهن كناية عن الجماع لانفس العقد فيحرم على الرجل بنات امرأته وبنات اولادها وان سفلن من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فلو فارق زوجته قبل الدخول بها اوماتت قبل دخوله بها جازله ان يتزوج بنتها ولايجوزله ان يتزوج امها لان الله تعالى اطلق تحريم الامهات وعلق تحريم البنات بالدخول بالام وقوله تعالى (وحلائل ابنائكم) يعنى ازواج ابنائكم واحدتها حليلة والرجل حليل سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل لصاحبه. وقيل لان كل واحد منهما يحل حيث يحل صاحبه فى ازار واحد. وقيل لان كل واحد منهما يحل ازار صاحبه من الحل بفتح الحاء * وجملته انه يحرم على الرجل ازواج ابنائه وابناء اولاده وان سفلوا من النسب والرضاع وذلك بنفس العقد (الذين من اصلابكم) انما قال من اصلابكم احترازا من التبنى ليعلم ان زوجة المتبنى لاتحرم على الرجل الذى تبناه لانه كان فى صدر الاسلام بمنزلة الابن فنسخ الله ذلك وقال الله تعالى ادعوهم لآبائهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة زيد ابن حارثة وكان قدتبناه فقال المشركون تزوج زوجة ابنه فأنزل الله تعالى * وماجعل

انفسهم) بمنعها عن حقوقها التى هى كمالاتها الثابتة فيها بالقوة وتكدير الاستعداد بالتوجه الى طلب اللذات الحسية والاغراض الفانية (جاؤك) بالارادة التى هى مقتضى استعدادهم (فاستغفروا الله) طلبوا من الله ستر صفات نفوسهم التى هى مصادر تلك الافعال الحاجبة لما فى استعدادهم بنور صفاته (واستغفر لهم الرسول) بامدادهم بنور صفاته التى هى صفات الله عزوجل لرابطة الجنسية التى بينهم وبين نفسه ومكان الارادة والصحبة التى تستلزم قربهم منه وامتزاجهم به (لوجدوا الله توابا) مطهرا مصفيا لاستعدادهم بنوره اذقبول التوبة هو القاء نور الصفات عليهم وتنوير بواطنهم بهيئة نورية تعصمهم من الخطا فى الافعال لبعد النور عن الظلمة (رحيما) يفيض عليهم رحمة الكمال اللائق بهم من الايقان العلى او العينى او الحقى (فلا وربك لايؤمنون) الايمان الحقيقى التوحيدى (حتى يحكموك)لكون حكمك حكم الله وانما حجبت الذات بالصفات

ادعيائكم ابناءكم* وقال تعالى* لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم * وقوله تعالى (وان تجمعوا بين الاختين) يعنى لايجوز للرجل ان يجمع بين الاختين فى نكاح واحد سواء كانت الاخوة بينهما اخوة نسب اورضاع (والجمع بين الاختين يقع على ثلاثة اوجه (احدها ان يجمع بينهما بعقد واحد فهذا العقد فاسد لايصح فلو تزوج احدى الاختين ثم تزوج الاخرى بعدها فههنا يحكم ببطلان نكاح الثانية فلو طلق الاولى طلاقا بائنا جازله نكاح اختها (الوجه الثانى من صور الجمع بين الاختين هوان يجمع بينهما بملك اليمين فلايجوزله ان يجمع بينهما فى الوطء فاذا وطئ احداهما حرمت عليه الثانية حتى يحرم الاولى ببيع اوهبة اوعتق اوكتابة (الوجه الثالث من صور الجمع بين الاختين هوان يتزوج احداهما ويشترى الاخرى فيملكها بملك اليمين* فذهب بعض العلماء الى انه لايجوز الجمع بينهما لان ظاهر هذه الآية يقتضى تحريم الجمع مطلقا فوجب ان يحرم الجمع بينهما على جميع الوجوه * وذهب بعضهم الى جوازه * والقول الاول اصح واولى لماروى قبيصة ابن ذؤيب ان رجلا سأل عثمان عن اختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال عثمان احلتهما آية وحرمتهما آية فأما انا فلااحب ان اصنع ذلك فخرج من عنده فلق رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنه فقال اما انا فلو كان لى من الامر شئ لم اجد احدا فعل ذلك الاجعلته نكالا قال ابن شهاب اراه على بن ابى طالب قال مالك انه بلغه عن الزبير بن العوام مثل ذلك اخرجه مالك فى الموطأ * وقوله تعالى (الاماقد سلف) يعنى لكن ماقد مضى فانه معفوعنه بدليل قوله تعالى (ان الله كان غفورا رحيما) وقيل ان فائدة هذا الاستثناء ان انكحة الكفار صحيحة فلو اسلم عن اختين قيل له اختر ايتهما شئت ويدل على ذلك ماروى عن الضحاك بن فيروز عن ابيه قال قلت يارسول الله انى اسلمت وتحتى اختان قال طلق ايتهما شئت اخرجه ابوداود * (فروع)* تتعلق بحكم الآية الاول لايجوز الجمع بين المرأة وعمتها ولابين المرأة وخالتها ويدل على ذلك ماروى عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لايجمع بين المرأة وعمتها ولابين المرأة وخالتها اخرجاه فى الصحيحين* قال بعض العلماء فى حد مايحرم الجمع كل امرأتين بينهما قرابة اولبن لوكان ذلك بينك وبين المرأة لم يجزلك نكاحها لم يجزلك الجمع بينهما* الفرع الثانى المحرمات بالنسب سبعة اصناف ذكرت فى الآية نسقا والمحرمات بالسبب صنفان صنف يحرم بالرضاع وهن الامهات والاخوات على ماتقدم ذكره وصنف يحرم بالمصاهرة وهن ام المرأة وحليلة الابن وزجة الاب وقد تقدم ذكرها فى قوله تعالى ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء الآية والربائب على التفصيل المذكور والجمع بين الاختين * الفرع الثالث التحريم الحاصل بسبب المصاهرة انما يحصل بنكاح صحيح فلو زنى بامرأة لم تحرم عليه امها ولابنتها لواراد ان يتزوج بهن وكذلك لاتحرم المزنى بها على آباء الزانى ولاابنائه انما تتعلق الحرمة بنكاح صحيح اوبنكاح فاسد يجب لها به الصداق وتجب عليها العدة ويلحق به الولد* وهذا قول على وابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهرى* واليه ذهب مالك والشافعى وفقهاء الحجاز* وذهب قوم الى ان الزنا يتعلق به تحريم المصاهرة* روى ذلك عن عمر ان بن حصين وابى هريرة * وبه قال جابر بن زيد والحسن واهل العراق (ولولمس امرأة اجنبية بشهوة

والصفات بالافعال فاذا تشاجروا وقفوا مع صفاتهم محجوبين عن صفات الحق اومع افعالهم محجوبين عن افعال الحق فلم يؤمنوا حقيقة فاذا حكموك انسلخوا عن افعالهم واذالم يجدوا فى انفسهم حرجا من قضائك انسلخوا عن ارادتهم فصاروا الى مقام الرضا وعن علمهم وقدرتهم فصاروا الى مقام التسليم فلم يبق لهم حجاب من صفاتهم واتصفوا بصفات الحق فانكشف لهم فى صورة الصفات فعلموا انك هوقائم به لابنفسك عادل بالحقيقة بعدله فتحقق ايمانهم بالله (فيماشجر بينهم ثم لايجدوا فى انفسهم حرجامما قضيت ويسلموا تسليما ولوانا كتبنا) اى فرضنا (عليهم ان اقتلوا انفسكم) بقمع الهوى الذى هوحياتها وافناء صفاتها (اواخرجوا من دياركم) مقاماتكم التى هى الصبر والتوكل والرضا وامثالها لكونها حاجبة عن التوحيد كما قال الحسين بن منصور قدس الله روحه لابرهيم بن ادهم رحمه الله لماسأله عن حاله واجابه بقوله ادور فى الصحارى والطوف فى البرارى حيث

اوقبلها بشهوة هل يجعل ذلك كالدخول فى اثبات تحريم المصاهرة. وكذلك لو لمس امرأة بشهوة هل يجعل ذلك كالوطء فى تحريم الربيبة) فيه قولان اصحهما انه تثبت به حرمة المصاهرة وهو قول اكثر اهل العلم والثانى لاتثبت به كما لاتثبت بالنظر بشهوة * قوله تعالى (والمحصنات) يعنى وحرمت المحصنات (من النساء) واصل الاحصان فى اللغة المنع والحصان بالفتح المرأة العفيفة ويطلق الاحصان على المرأة ذات الزوج والحرة والعفيفة والمرأة المسلمة والمراد من الاحصان فى قوله والمحصنات ذوات الازواج من النساء فلا يحل لاحد نكاحهن قبل مفارقة ازواجهن وهذه هى السابعة من النساء التى حرمن بالسبب (قال ابو سعيد الخدرى نزلت هذه الآية فى نساء كن هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوّجن بعض المسلمين ثم قدم ازواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال تعالى (الا ما ملكت ايمانكم) يعنى السبايا اللتى سبين ولهن ازواج فى دار الحرب فيحل لمالكهن وطؤهن بعد الاستبراء لان السبى يرتفع به النكاح بينها وبين زوجها (قال ابو سعيد الخدرى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى اوطاس فاصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين فكرهوا غشيانهن فانزل الله تعالى هذه الآية (وقال ابن مسعود اراد انه اذا باع الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشترى وطؤها (وقال عطاء اراد بقوله الا ما ملكت ايمانكم ان تكون امته فى نكاح عبده فيجوز له ان ينتزعها منه (وقيل اراد بالمحصنات من النساء الحرائر ومعناه ان ما فوق الاربع منهن فانه عليكم حرام الا ما ملكت ايمانكم فانه لاعدد عليكم فى الجوارى ولا حصر (كتاب الله عليكم) يعنى حرمت عليكم امهاتكم وكتب عليكم هذا كتابا (وقيل معناه الزموا كتاب الله (وقيل معناه كتابا من الله عليكم بمعنى كتب الله تحريم ما حرم عليكم من ذلك وتحليل ما حلل كتابا (واحل لكم ما وراء ذلكم) يعنى واحل الله لكم ما سوى ذلكم الذى ذكر من المحرمات وظاهر هذه الآية يقتضى حل ما سوى المذكورين من الاصناف المحرمات لكن قد دل الدليل من السنة بتحريم اصناف اخر سوى ما ذكر * فمن ذلك انه يحرم الجمع بين المراة وعمتها وبين المراة وخالتها * ومن ذلك المطلقة ثلاثا لاتحل لزوجها الاول حتى تنكح زوجا غيره * ومن ذلك نكاح المعتدة فلا تحل للازواج حتى تنقضى عدتها * ومن ذلك ان من كان فى نكاحه حرة لم يجز له ان يتزوج بأمة والقادر على طول الحرة لم يجز له ان يتزوج بالامة * ومن ذلك ان من كان عنده اربع نسوة حرم عليه ان يتزوج بخامسة * ومن ذلك الملاعنة فانها محرمة على الملاعن بالتأبيد * فهذه اصناف من المحرمات سوى ما ذكر فى الآية فعلى هذا يكون قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم ورد بلفظ العموم لكن العموم دخله التخصيص فيكون عاما مخصوصا وقوله تعالى (ان تبتغوا بأموالكم) فيه اضمار تقديره واحل لكم ان تبتغوا اى تطلبوا باموالكم اى تنكحوا بصداق او تشتروا بثمن * وفى الآية دليل على ان الصداق لايتقدر بشئ فيجوز على القليل والكثير لاطلاق قوله تعالى ان تبتغوا باموالكم (محصنين) يعنى متزوجين وقيل متعففين (غير مسافحين) يعنى غير زانين والسفاح الفجور واصله من السفح وهو الصب وانما سمى الزنا سفاحا لان الزانى لاغرض له الاصب النطفة فقط وقوله تعالى (فما استمتعتم به منهن) اختلفوا فى معناه فقال الحسن ومجاهد اراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بنكاح صحيح لان

لاماء ولاشجر ولاروض ولامطر هل يصح حالى فى التوكل ام لافقال اذا افنيت عمرك فى عمران بطنك فاين الفناء فى التوحيد (ما فعلوه الا قليل منهم) وهم المحبون المستعدّ دون لقائه الاكثرون قدرا الاقلون عددا كما قال تعالى وقليل ماهم (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم) بحسب كمالهم الحاصل لهم عند رفع حجب صفات النفس بالاتصاف بصفات الحق او بالوصول الى عين الجمع (واشدّ تثبيتا) بالاستقامة فى الدين عند البقاء بعد الفناء (واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما) من تجليات الصفات عند قتل النفس (ولهديناهم صراطا مستقيما) عند الخروج عن الديار اى منازل النفس والمقامات وهو طريق الوحدة والاستقامة فى التوحيد (ومن يطع الله) بسلوك طرق التوحيد والجمع (والرسول) بمراعاة التفصيل (فاولئك مع الذين انعم الله عليهم) بالهداية (من النبيين والصدّيقين) الذين صدقوا بنسبة الافعال والصفات الى الله بالانخلاع عن صفاتهم والاتصاف بصفاته

اصل الاستمتاع فى اللغة الانتفاع وكل ما انتفع به فهو متاع (فآتوهن أجورهن) يعنى مهورهن وانما سمى المهر اجرا لانه بدل المنافع ليس بدل الاعيان كما سمى بدل منافع الدار والدابة اجرا وقال قوم المراد من حكم الآية هو نكاح المتعة وهو ان ينكح امرأة الى مدة معلومة بشئ معلوم فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بغير طلاق ويستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث وكان هذا فى ابتداء الاسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة فحرمها (م) عن سبرة بن معبد الجهنى انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس انى كنت اذنت لكم فى الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شئ فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيأ والى هذا ذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم اى ان نكاح المتعة حرام والآية منسوخة واختلفوا فى ناسخها فقيل نسخت بالسنة وهو ما تقدم من حديث سبرة الجهنى (ق) عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم الحمر الانسية وهذا على مذهب من يقول ان السنة تنسخ القرآن ومذهب الشافعى ان السنة لا تنسخ القرآن فعلى هذا يقول ان ناسخ هذه الآية قوله تعالى فى سورة المؤمنون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين والمنكوحة فى المتعة ليست بزوجة ولا ملك يمين واختلفت الروايات عن ابن عباس فى المتعة فروى عنه ان الآية محكمة وكان يرخص فى المتعة قال عمارة سألت ابن عباس عن المتعة اسفاح هى ام نكاح فقال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هى قال متعة قال الله تعالى فما استمتعتم به منهن قلت هل لها عدة قال نعم حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وروى ان الناس لما ذكروا الاشعار فى فتيا ابن عباس بالمتعة قال قاتلهم الله انا ما افتيت باباحتها على الاطلاق لكن قلت انما تحل للمضطر كما تحل الميتة له وروى انه رجع عنه وقال بتحريمها وروى عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله فما استمتعتم به منهن انها صارت منسوخة بقوله يا ايها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وروى سالم بن عبد الله بن عمر ان عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال اقوام ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لا اجد رجلا نكحها الا رجمته بالحجارة وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث قال الشافعى لا اعلم فى الاسلام شيأ احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة وقال ابو عبيد المسلمون اليوم مجمعون على ان متعة النساء قد نسخت بالتحريم نسخها الكتاب والسنة هذا قول اهل العلم جميعا من اهل الحجاز والشأم والعراق من اصحاب الاثر والراى وانه لا رخصة فيها لمضطر ولا لغيره قال ابن الجوزى فى تفسيره وقد تكلف قوم من مفسرى القرآن فقالوا المراد بهذه الآية نكاح المتعة ثم نسخت بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن متعة النساء وهذا تكلف لا يحتاج اليه لان النبى صلى الله عليه وسلم اجاز المتعة ثم منع منها فحرمها فكان قوله منسوخا بقوله واما الآية فانها لم تتضمن جواز المتعة لانه تعالى قال فيها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فدل ذلك على النكاح الصحيح قال الزجاج ومعنى قوله فما استمتعتم به منهن فما نكحتموه على الشرائط التى جرت وهو قوله محصنين غير مسافحين اى عاقدين التزويج وقال ابن جرير الطبرى اولى التأويلين فى ذلك بالصواب تأويل من تأوله فما نكحتموه

(منهن)

ولو ظهروا بصفات نفوسهم لكانوا كاذبين (والشهداء) اى اهل الحضور (والصالحين) اى اهل الاستقامة فى الدين (وحسن اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) اى التوفيق لتحصيل الكمال الذى ناسبوا به النبيين ومن معهم فرافقوهم (وكفى بالله عليما) يعلم ما فى استعدادهم من الكمال فيظهره عليهم (يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم) اى ما تحذرون من القاء الشيطان ووساوسه واهلاكه اياكم بالاغواء ومن ظهور صفات نفوسكم واستيلائها عليكم فانها اعدى عدوكم (فانفروا ثبات) اسلكوا فى سبيل الله جماعات كل فرقة على طريقة شيخ كامل عالم (او انفروا جميعا) فى طريق التوحيد والاسلام على متابعة النبى (وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة ومن

منهن بفامتعوهن فآتوهن اجورهن لقيام الحجة بتحريم الله تعالى متعة النساء على لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى فآتوهن اجورهن يعني مهورهن (فريضة)
يعني لازمة وواجبة (ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) اختلفوا فيه
*فمن حمل ماقبله على نكاح المتعة قال اراد انهما اذاعقدا عقدا الى اجل على مال فاذاتم الاجل
فان شاءت المرأة زادت فى الاجل وزاد الرجل فى الاجر وان لم يتراضيا فارقها وقدتقدم
انذلك كان جائزاثم نسخ وحرم * ومن حمل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد
بقوله ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به يعني من الابراء من المهر والافتداء والاعتياض
* وقال الزجاج معناه لاجناح عليكم ان تهب المرأة للزوج مهرها وان يهب الرجل للمرأة التى
لم يدخل بها نصف المهر الذى لايجب عليه (ان الله عليما) يعني بما يصلحكم ايها الناس
فى مناكحكم وغيرها من سائر اموركم (حكيما) يعني فيما دبر لكم من التدبير وفيما يأمركم به
وينهاكم عنه ولايدخل حكمه خلل ولازلل * (فصل فى قدر الصداق ومايستحب منه) *
اعلم انه لاتقدير لاكثر الصداق لقوله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ
والمستحب ان لايغالى فيه قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الالاتغالوا فى صدقة النساء
فانها لو كانت مكرمة فى الدنيا وتقوى عند الله لكان اولاكم بها نبي الله صلى الله عليه وسلم
ماعلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيأ من نسائه ولاانكح شيأ من بناته على اكثر
من اثنى عشر اوقية اخرجه الترمذى ولابى داود نحوه (م) عن ابى سلمة قال سألت عائشة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان
صداقه لازواجه ثنتى عشرة اوقية ونشا قالت اتدرى ماالنش قلت لا قالت نصف اوقية فذلك
خمسمائة درهم (واختلف العلماء فى اقل الصداق . فذهب جماعة الى انه لاتقدير لاقله بل
كل ماجاز ان يكون مبيعا اوثمنا جاز ان يكون صداقا وهو قول ربيعة وسفيان الثورى
والشافعى واحمد واسحق . وقال قوم يتقدر الصداق بنصاب السرقة وهو قول مالك وابى
حنيفة غير ان نصاب السرقة عند مالك ثلاثة دراهم وعند ابى حنيفة عشرة دراهم (والدليل
على ان الصداق لايتقدر ماروى عن سهل بن سعد الساعدى قال جاءت امرأة الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقالت يارسول الله قد وهبت نفسي لك فنظر اليها رسول الله عليه وسلم فصعد النظر
فيها وصوبه ثم طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فلما رأت المرأة انه لم يقض فيها
شيأ جلست فقام رجل من اصحابه فقال يارسول الله ان لم تكن لك بها حاجة فزوجنيها
فقال فهل عندك من شئ فقال لاوالله يارسول الله فقال اذهب الى اهلك فانظر هل تجد شيأ
فذهب ثم رجع فقال لاوالله ماوجدت شيأ فقال رسول صلى الله عليه وسلم انظر ولو خاتما
من حديد فذهب ثم رجع فقال لاوالله يارسول الله ولاخاتما من حديد ولكن ازارى هذا
قال سهل ماله رداء فلها نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتصنع بازارك ان لبسته
لم يكن عليها منه شئ وان لبسته لم يكن عليك منه شئ فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه
قام فرآه النبي صلى الله عليه وسلم موليا فأمر به فدعى له فلما جاء قال ماذا معك من القرآن
قال معى سورة كذا وسورة كذا عددها قال تقرؤهن عن ظهر قلبك قال نعم قال اذهب فقد

يقاتل فى سبيل الله فيقتل
او يغلب فسوف نؤتيه
اجرا عظيما ومالكم لاتقاتلون
فى سبيل الله والمستضعفين
من الرجال والنساء
والولدان الذين يقولون
ربنا اخرجنا من هذه القرية
الظالم اهلها واجعل لنا
من لدنك وليا واجعلنا
من لدنك نصيرا الذين
آمنوا يقاتلون فى سبيل الله
والذين كفروا يقاتلون
فى سبيل الطاغوت فقاتلوا
اولياء الشيطان ان كيد
الشيطان كان ضعيفا الم تر
الى الذين قيل لهم كفوا
ايديكم واقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة فلما كتب
عليهم القتال اذا فريق منهم
يخشون الناس كخشية الله
او اشد خشية وقالوا ربنا
لم كتبت علينا القتال لولا
اخرتنا الى اجل قريب قل
متاع الدنيا قليل والآخرة
خير لمن اتقى ولا تظلمون
فتيلا اينما تكونوا يدرككم
الموت ولو كنتم فى بروج
مشيدة وان تصبهم حسنة
يقولوا هذه من عند الله
وان تصبهم سيئة يقولوا
هذه من عندك) اثبت انهم
قدريون يضيفون
الخيرات الى الله والشرور
الى الناس يتشبهون بالمجوس
فى اثبات مؤثرين مستقلين

ملكتكها بما معك من القرآن وفى رواية فقد زوجتكها تعلها من القرآن وفى رواية فقد انكحتكها بما معك من القرآن اخرجاه فى الصحيحين وهذا لفظ الحميدى * فى هذا الحديث دليل على انه لاتقدير لاقل الصداق لانه قال هل تجد شيأ فهذا يدل على جواز اى شئ كان من المال ثم قال ولو خاتما من حديد ولاقيمة له الا القليل التافه * وفيه دليل على انه يجوز ان يجعل تعليم القرآن صداقا وهو قول الشافعى ومنعه اصحاب الرأى * عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعطى فى صداق امرأة ملء كفيه سويقا او تمرا فقد استحل أخرجه ابوداود عن عبدالله بن عامر عن ابيه ان امرأة من بنى فزاره تزوجت على نعلين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضيت من نفسك ومالك بنعلين قالت نعم فاجازه اخرجه الترمذى وقال عمر بن الخطاب ثلاث قبضات من زبيب مهر * قوله عز وجل (ومن لم يستطع منكم طولا) يعنى فضلا وسعة وانما سمى الغنى طولا لانه ينال به من المراد مالاينال مع الفقر والطول هنا كناية عما يصرف الى المهر والنفقة (ان ينكح المحصنات) يعنى الحرائر (المؤمنات فما ملكت ايمانكم) يعنى جارية اخيك المؤمن فان الانسان لايجوز له ان يتزوج بجارية نفسه (من فتياتكم المؤمنات) المعنى من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فليتزوج الامة المؤمنة (والفتيات الجوارى المملوكات جمع فتاة يقال للامة فتاة وللعبد فتى * وفى الآية دليل على انه لايجوز للحر نكاح الامة الابشرطين احدهما ان لايجد مهر حرة لانه جرت العادة فى الاماء بتخفيف مهورهن ونفقتهن وسبب ذلك اشتغالهن بخدمة ساداتهن والشرط الثانى هو خوف العنت على نفسه وهو قوله تعالى ذلك لمن خشى العنت منكم قال ابن عباس هو الزنا وهذا قول جابر وابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ومسروق ومكحول وعمرو بن دينار واليه ذهب مالك والشافعى واحمد وروى عن على والحسن البصرى وابن المسيب ومجاهد والزهرى انه يجوز للحر ان ينكح الامة وان كان موسرا وهو مذهب ابى حنيفة الا ان يكون فى نكاحه حرة * والسبب فى منع الحر من نكاح الامة الاعند خوف العنت ان الولد يتبع الام فى الرق والحرية واذا كانت الام رقيقة كان الولد رقيقا وذلك نقص فى حق الحر وفى حق ولده ولان حق السيد اعظم من حق الزوج فربما احتاج الزوج اليها فلايجد اليها سبيلا لان للسيد حبسها لخدمته ولان مهرها ملك السيد فلاتقدر على هبته من زوجها ولاان تبرئه منه بخلاف الحرة فلهذا السبب منع الله من نكاح الامة الاعلى سبيل الرخصة والاضطرار * ويجوز للعبد نكاح الامة وان كان فى نكاحه حرة وعند ابى حنيفة لايجوز له اذا كانت تحته حرة كما يقول فى الحر * وفى الآية دليل على انه لايجوز للمسلم حرا كان اوعبدا نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات يفيد جواز نكاح الامة المؤمنة دون الكتابية لان فيها نوعين من النقص وهما الرق والكفر بخلاف الامة المؤمنة لان فيها نقصا واحدا وهو الرق وهذا قول مجاهد والحسن واليه ذهب مالك والشافعى وقال ابوحنيفة يجوز التزويج بالامة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطء الامة الكتابية بملك اليمين * وقوله تعالى (والله اعلم بايمانكم) قال الزجاج اى اعملوا على الظاهر فى الايمان فانكم متعبدون بما ظهر والله يتولى السرائر والحقائق وقيل معناه لاتعرضوا للباطن فى الايمان وخذوا بالظاهر فان الله اعلم بايمانكم (بعضكم من بعض) يعنى انكم كلكم من نفس واحدة

فى الوجود واضافتهم الشرور الى الرسول لاالى انفسهم كانت لانه باعثهم ومحرضهم على مايلقون بسببه الشر عندهم فأمر الرسول بدعوتهم الى توحيد الافعال ونفى التأثير عن الاغيار والاقرار بكونه فاعل الخير والشر بقوله (قل كل من عندالله فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا) لاحتجابهم بصفات النفوس وارتجاج آذان قلوبهم التى هى اوعية السماع والوعى ثم بين ان الله فضلا وعدلا فالخيرات والكمالات كلها من فضله والشرور من عدله اى بقدرها علينا ويفعلها بنا لاستعداد واستحقاق فينا يقتضى ذلك وذلك الاستحقاق انما يحدث من ظهور النفس بصفاتها وارتكابها المعاصى والذنوب الموجبة للعقاب لابفعل آخر كما نسبوا مااصابهم من الشر الى الرسول لان الاستحقاق مرتب على الاستعداد ولايعرض مايقتضيه استعداد احد لغيره كما قال تعالى ولاتزر وازرة وزر اخرى فكذبهم وخطأهم فى قدرتهم باثبات ان السبب

فلا تستنكفوا من نكاح الاماء عند الضرورة * وانما قيل لهم ذلك لان العرب كانت تفتخر بالانساب والاحساب ويسمون ابن الامة الهجين فأعلم الله تعالى ان ذلك امر لا يلتفت اليه فلا يتداخلنكم شموخ وانفة من التزويج بالاماء فانكم متساوون في النسب الى آدم * وقيل ان معناه ان دينكم واحد وهو الايمان وانتم مشتركون فيه فتى وقع لاحدكم الضرورة جازله ان يتزوج بالامة عند خوف العنت وقال ابن عباس يريد ان المؤمنين بعضهم اكفاء بعض (فانكحوهن باذن اهلهن) يعنى اخطبوا الاماء الى ساداتهن * واتفق العلماء ان نكاح الامة بغير اذن سيدها باطل لان الله تعالى جعل اذن السيد شرطا في جواز نكاح الامة (وآتوهن اجورهن) يعنى مهورهن (بالمعروف) يعنى من غير مطل ولا اضرار وقيل معناه وآتوهن مهور امثالهن * واجمعوا على ان المهر للسيد لانه ملكه وانما اضيف ايتاء المهر الى الاماء لانه ثمن بضعهن (محصنات) يعنى عفائف (غير مسافحات) يعنى غير زانيات (ولا متخذات اخدان) جمع خدن وهو الصاحب الذى يكون معك في كل امر ظاهر وباطن واكثر ما يستعمل فيمن يصاحب بشهوة يقال خدن المرأة وخدينها يعنى حبها الذى يزنى بها في السر (قال الحسن المسافحة هي التى كل من دعاها تبعته وذات الاخدان هى التى تختص بواحد ولا تزنى مع غيره وكانت العرب في الجاهلية تحرم الاولى وتجوز الثانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم لاجرم ان الله تعالى افرد كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على تحريمهما (فاذا احصن) قرئ بفتح الالف والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه أسلمن وقرأ حفص بضم الالف وكسر الصاد ومعناه زوّجن (فان اتين بفاحشة) يعنى بزنا (فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) يعنى فعلى الاماء اللاتى زنين نصف ما على الحرائر الابكار اذا زنين من الجلد ويجلد العبد للزنا اذا زنى خمسين جلدة ولا فرق بين المملوك المتزوّج وغير المتزوّج فانه يجلد خمسين ولا رجم عليه * هذا قول اكثر العلماء وروى عن ابن عباس * وقال طاوس انه لاحدّ على من لم يتزوج من المماليك اذا ازنى لان الله تعالى قال فاذا احصن والذى لم يتزوج ليس بمحصن * واجيب عنه بان معنى الاحصان عندنا الاسلام وان كان المراد منه التزويج فليس المراد منه ان التزويج شرط لوجوب الحد عليه بل المراد منه التنبيه على ان المملوك وان كان محصنا فلا رجم عليه انما حده الجلد بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الآية وبيان انه بالجلد لا بالرجم ثابت بالحديث وهو ما روى عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت امة احدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر اخرجاه في الصحيحين (قوله ولا يثرب عليها اى لا يعيرها والتثريب التأنيب والتعيير والاستقصاء في اللوم قال الشيخ محيي الدين النواوى وهذا البيع المأمور به في الحديث مستحب وليس بواجب عندنا وعند الجمهور وقال داود واهل الظاهر هو واجب * وفيه جواز بيع الشئ الثمين بالثمن الحقير وهذا البيع المامور به يلزم صاحبه ان يبين حالها للمشترى لانه عيب والاخبار بالعيب واجب (فان قيل كيف يكره شيأ ويرتضيه لاخيه المسلم (فالجواب لعلها تستعف عند المشترى بان يعفها بنفسه او يصونها بهيبته او بالاحسان اليها او يزوجها او غير ذلك والله اعلم (ذلك) اشارة الى نكاح الامة (لمن خشى العنت منكم) يعنى الزنا والمعنى ذلك لمن خاف ان

الفاعل للخير والشر ليس الا الله وحده بمقتضى فضله وعدله واما السبب القابلى فهو وان كان ايضا منه في الحقيقة الا ان قابلية الخير هو من الاستعداد الاصلى الذى هو من الفيض الاقدس الذى لا مدخل لفعلنا واختيارنا فيه وقابلية الشر من الاستعداد الحادث بسبب ظهور النفس بصفات والافعال الحاجبة للقلب المكدّرة لجوهره حتى احتاج الى الصقل بالرزايا والمصائب والبلايا والنوائب لا من قبل الرسول او غيره (ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردّوه الى الرسول والى

تحمله شدة الشبق والغلمة وشدة الشهوة على الزنا * وانما سمى الزنا بالعنت لما يعقبه من المشقة
وهى شدة العزوبة فاباح الله تعالى نكاح الامة بثلاثة شروط عدم القدرة على نكاح
الحرة وخوف العنت وكون الامة مؤمنة (وان تصبروا) يعنى عن نكاح الاماء متعففين
(خير لكم) يعنى كيلا يكون الولد عبدا رقيقا (والله غفور رحيم) وهذا كالتوكيد لما تقدم يعنى
انه تعالى غفر لكم ورحمكم حيث اباح لكم ما انتم محتاجون اليه * قوله تعالى (يريد الله ليبين لكم)
اللام فى قوله ليبين معناه ان يبين وقيل معناه يريد انزال هذه الآيات من اجل ان يبين لكم دينكم
ويوضح لكم شرعكم ومصالح اموركم وقيل يبين لكم ما يقربكم منه وقيل يبين ان الصبر على
نكاح الاماء خير لكم (ويهديكم) اى ويرشدكم (سنن الذين من قبلكم) اى شرائع من قبلكم
فى تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه يرشدكم الى ما لكم
فيه مصلحة كما بينه لمن كان قبلكم (وقيل معناه ويهديكم الى الملة الحنيفية وهى ملة ابراهيم عليه
السلام (ويتوب عليكم) يعنى ويتجاوز عنكم ما اصبتم قبل ان يبين لكم ويرجع بكم
عن المعصية التى كنتم عليها الى طاعته (وقيل لما بين لنا امر الشرائع والمصالح وارشدنا الى
طاعته فربما وقع منا تقصير وتفريط فيما امر به وبينه فلاجرم انه تعالى قال ويتوب عليكم
(والله عليم) يعنى بمصالح عباده فى امر دينهم ودنياهم (حكيم) يعنى فيما دبر من امورهم (والله يريد ان
يتوب عليكم) قال ابن عباس معناه يريد ان يخرجكم من كل ما يكره الى ما يحب ويرضى * وقيل معناه
يدلكم على ما يكون سببا لتوبتكم التى يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم * وقيل معناه ان وقع منكم تقصير
فى دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم (ويريد الذين يتبعون الشهوات) قيل هم اليهود والنصارى
* وقيل هم اليهود خاصة لانهم يقولون ان نكاح بنت الاخت من الاب حلال * وقيل هم المجوس
لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخوة فلما حرمهن الله قالوا انكم تحلون بنت الخالة
وبنت العمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت هذه الآية * وقيل
هم الزناة يريدون ان تكونوا مثلهم (ان تميلوا) يعنى عن الحق وقصد السبيل بالمعصية (ميلا
عظيما) يعنى باتيانكم ما حرم الله عليكم (يريد الله ان يخفف عنكم) يعنى ليسهل عليكم
احكام الشرائع فهو عام فى كل احكام الشرع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا احسانا منه الينا
وتفضلا ولطفا علينا ولم يثقل التكاليف علينا كما ثقلها على بنى اسرائيل فهو كقوله تعالى يريد الله
بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وكما روى عن
النبى صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت بالحنيفية السهلة السمحة * وقوله تعالى (وخلق
الانسان ضعيفا) يعنى فى قلة الصبر عن النساء فلا صبر له عنهن وقيل انه لضعفه يستميله هواه
فهو ضعيف العزم عن قهر الهوى وقيل هو ضعيف فى اصل الخلقة لانه خلق من ماء مهين
* قوله عزوجل (يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) يعنى بالحرام الذى
لا يحل فى الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور واخذ المال باليمين
الكاذبة ونحو ذلك وانما خص الاكل بالذكر ونهى عنه تنبيها على غيره من جميع التصرفات
الواقعة على وجه الباطل لان معظم المقصود من المال الاكل وقيل يدخل فيه اكل مال نفسه
بالباطل ومال غيره اما اكل ماله بالباطل فهو انفاقه فى المعاصى واما اكل مال غيره فقد تقدم معناه

(وقيل)

اولى الامر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم ولولا
فضل الله عليكم ورحمته
لاتبعتم الشيطان الا قليلا
فقاتل فى سبيل الله لا تكلف
الا نفسك وحرض المؤمنين
عسى الله ان يكف بأس
الذين كفروا والله اشد
بأسا واشد تنكيلا من
يشفع شفاعة حسنة يكن له
نصيب منها ومن يشفع
شفاعة سيئة يكن له كفل
منها وكان الله على كل شئ
مقيتا واذا حييتم بتحية فحيوا
بأحسن منها او ردوها
ان الله كان على كل شئ
حسيبا الله لا اله الا هو
ليجمعنكم الى يوم القيامة
لا ريب فيه ومن اصدق
من الله حديثا فما لكم
فى المنافقين فئتين والله
اركسهم بما كسبوا اتريدون
ان تهدوا من اضل الله ومن
يضلل الله فلن تجد له سبيلا
ودوا لو تكفرون كما
كفروا فتكونون سواء
فلا تتخذوا منهم اولياء حتى
يهاجروا فى سبيل الله فان
تولوا فخذوهم واقتلوهم
حيث وجدتموهم ولا
تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا
الا الذين يصلون الى
قوم بينكم وبينهم ميثاق
او جاؤكم حصرت صدورهم

وقيل يدخل في اكل المال بالباطل جميع العقود الفاسدة * وقوله تعالى (الا ان تكون تجارة
عن تراض منكم) هذا الاستثناء منقطع لان التجارة عن تراض ليست من جنس اكل المال
بالباطل فكان الا ههنا بمعنى لكن يحل اكله بالتجارة عن تراض يعني بطيبة نفس كل واحد منكم
وقيل هو ان يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلزم والا فلهما الخيار مالم يتفرقا لما
روى عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما
بالخيار مالم يتفرقا وكانا جميعا او يخير احدهما الآخر فان خير احدهما الآخر فتبايعا على ذلك
فقد وجب البيع وان تفرقا بعد ان تبايعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب البيع اخرجاه
في الصحيحين * وقوله تعالى (ولا تقتلوا انفسكم) اي لا يقتل بعضكم بعضا وانما قال انفسكم
لانهم اهل دين واحد فهم كنفس واحدة وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في حجة الوداع
الا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل ان هذا نهي للانسان عن قتل نفسه
(ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو
في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار
جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم
خالدا مخلدا فيها ابدا * قوله يتردى التردي هو الوقوع من موضع عال الى اسفل * قوله يتوجأ يقال
جأته بالسكين اذا ضربته بها وهو يتوجأ بها اي يضرب بها نفسه (ق) عن جندب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله تبارك وتعالى بدرني عبدي بنفسه
حرمت عليه الجنة وفي رواية قال كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فاخذ سكينا فحزبها
يده فما رقأ الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة * وقيل في معنى
قتل الانسان نفسه ان لا يفعل شيأ يستحق به القتل مثل ان يقتل فيقتل به فيكون هو الذي تسبب في قتل
نفسه * وقيل معناه ولا تقتلوا انفسكم باكل المال بالباطل * وقيل معناه ولا تهلكوا انفسكم بان
تعملوا عملا ربما ادى الى قتلها (ان الله كان بكم رحيما) يعني انه تعالى من رحمته بكم نهاكم عن كل
شئ تستوجبون به مشقة او محنة * وقيل انه تعالى امر بني اسرائيل بقتل انفسهم ليكون ذلك توبة لهم
وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف المشقة الصعبة (ومن يفعل ذلك) يعني
ماسبق ذكره من قتل النفس المحرمة لان الضمير يعود الى اقرب المذكورات (وقيل انه يعود
الى قتل النفس واكل المال بالباطل لانهما مذكوران في آية واحدة (وقيل انه يعود الى كل مانهى الله
عنه من اول السورة الى هنا (عدوانا وظلما) يعني بتجاوز الحد فيضع الشئ في غير موضعه فلذلك
قيده بالعدوان والظلم لانه قد يكون القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون اخذ المال بحق
فلهذا السبب قيده بالوعيد وما كان على وجه العدوان والظلم وهو قوله تعالى (فسوف نصليه نارا)
اي ندخله في الآخرة نارا يصلى فيها (وكان ذلك على الله يسيرا) اي هينا لانه تعالى قادر على
مايريد * قوله عز وجل (ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) اجتناب الشئ المباعدة عنه وتركه
جانبا والكبيرة ماكبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته * وقبل ذكر التفسير نذكر الاحاديث
الواردة في الكبائر * فمن ذلك ماروى عن ابي بكرة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
الا انبئكم باكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين الا وشهادة

ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم
ولو شاء الله لسلطهم عليكم
فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم
يقاتلوكم والقوا اليكم السلم
فما جعل الله لكم عليهم سبيلا
ستجدون آخرين يريدون
ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم
كلما ردوا الى الفتنة اركسوا
فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا
اليكم السلم ويكفوا ايديهم
فخذوهم واقتلوهم حيث
ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم
عليهم سلطانا مبينا وما كان
لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ
ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير
رقبة مؤمنة ودية مسلمة
الى اهله الا ان يصدقوا فان
كان من قوم عدو لكم وهو
مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
وان كان من قوم بينكم
وبينهم ميثاق فدية مسلمة
الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة
فمن لم يجد فصيام شهرين
متتابعين توبة من الله وكان الله
عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا
متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا
فيها وغضب الله عليه ولعنه
واعد له عذابا عظيما يا ايها
الذين آمنوا اذا ضربتم في
سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا
لمن القى اليكم السلام لست
مؤمنا تبتغون عرض الحيوة
الدنيا فعند الله مغانم كثيرة
كذلك كنتم من قبل فمن الله

الزور اوقول الزور وكان متكئا فجلس فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت اخرجاه فى الصحيحين (ق) عن انس بن مالك قال ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقال الا انبئكم باكبر الكبائر قول الزور اوقال شهادة الزور (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يارسول الله وماهن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم والزنا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات (خ) عن ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ان ذلك لعظيم ثم اى قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قلت ثم اى قال ان تزانى حليلة جارك (خ) عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس وفى رواية ان اعرابيا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما الكبائر قال الاشراك بالله قال ثم ماذا قال اليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس قال الذى يقتطع مال امرئ مسلم بيمين هو فيها كاذب (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل ابا الرجل اوامه فيسب اباه اوامه وفى رواية من اكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه وذكر الحديث وقال عبدالله بن مسعود اكبر الكبائر الاشراك بالله والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله وعن سعد بن جبير ان رجلا سأل ابن عباس عن الكبائر اسبع هى قال هى الى السبعمائة اقرب وفى رواية الى السبعين اقرب الا انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقال كل شئ عصى الله به فهو كبيرة فمن عمل شيأ منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد فى النار من هذه الامة الا من كان راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او مكذبا بقدر * وقال على بن ابى طالب كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب فهو كبيرة * وقال سفيان الثورى الكبائر ما كان فيه المظالم فيما بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى لان الله كريم يغفر ويعفو واحتج لذلك بما روى عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة ياامة محمد ان الله قد عفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتى * وقال مالك بن مغول الكبائر ذنوب اهل البدع والسيآت ذنوب اهل السنة * وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيآت الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الامة * وقال السدى الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب والسيآت مقدماتها وتوابعها التى يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة والقبلة واشباه ذلك (ق) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه لفظ مسلم * وقيل الكبائر الشرك وما يؤدى اليه وما دونه فهو من السيآت فقد ثبت بما تقدم من الادلة ان من الذنوب كبائر وصغائر والى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف وثبت بدلائل الكتاب والسنة واذا ثبت انقسام المعاصى الى صغائر وكبائر فقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه هى كل ذنب عظم

عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا لايستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ان الذين توفاهم الملائكة التوفى هو استيفاء الروح من البدن بقبضها عنه وهو على ثلاثة اوجه توفى الملائكة وتوفى ملك الموت وتوفى الله اما توفى الملائكة فهو لاصحاب النفوس وهم اما سعداء اهل الخير والصفات الحميدة والاخلاق الحسنة من الصالحين المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فمادهم الى جنة الافعال واما اشقياء اهل الشر والصفات الرديئة والاخلاق السيئة فلا يقبض ارواحهم الا القوى الملكوتية التى هى للعالم بمثابة قواهم التى هم فى مقامها محتجبون بصفات النفس ولذات القوى الخيالية والوهمية والسبعية

فحد وعظمت عقوبته اما فى الدنيا بالحدود واما فى الآخرة بالعذاب عليه (نكفر عنكم سيئاتكم)
يعنى نسترها عليكم حتى تصير بمنزلة مالم يعمل لان اصل التكفير الستر والتغطية فصغار الذنوب
تكفر بالحسنات ولاتكفر كبارها الا بالتوبة والاقلاع عنها كما ورد فى الصحيح عن ابى هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد فى رواية ما
لم تغش الكبائر وزاد فى رواية اخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر
اخرجه مسلم * وقوله تعالى (وندخلكم مدخلا كريما) يعنى حسنا شريفا وهو الجنة والمعنى
اذا اجتنبتم الكبائر واتيتم بالطاعات ندخلكم مدخلا تكرمون فيه * قوله عز وجل (ولا تتمنوا
مافضل الله به بعضكم على بعض) اصل التمنى ارادة الشئ وتشهى حصول ذلك الامر المرغوب
فيه ومنه حديث النفس بما يكون وبما لايكون * وقيل التمنى تقدير الشئ فى النفس وتصويره فيها
وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن رؤية واكثر التمنى تصور مالاحقيقة له * وقيل
التمنى عبارة عن ارادة مايعلم اويظن انه لايكون * عن مجاهد عن ام سلمة قالت قلت يارسول الله
يغزو الرجال ولاتغزو النساء وانما لنا نصف الميراث فانزل الله تعالى ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم
على بعض قال مجاهد وانزل ان المسلمين والمسلمات وكانت ام سلمة اول ظعينة قدمت المدينة
مهاجرة اخرجه الترمذى وقال هذا حديث مرسل * وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الانثيين
من الميراث قالت النساء نحن احق واحوج الى الزيادة من الرجال لانا ضعفاء وهم اقوى واقدر
على طلب المعاش منا فانزل الله تعالى هذه الآية * وقيل لما نزل قوله للذكر مثل حظ الانثيين قالت
الرجال انا لنرجو ان نفضل على النساء فى الحسنات فى الآخرة فيكون لنا اجرنا على ضعف
اجر النساء كما فضلنا عليهن فى الميراث وقالت النساء انا لنرجو ان يكون الوزر علينا نصف ماعلى
الرجال كما لنا فى الميراث النصف من نصيبهم فنزلت هذه الآية * والتمنى على قسمين * احدهما ان يتمنى
الانسان ان يحصل له مال غيره مع زوال تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم هو الحسد وهو
مذموم لان الله تعالى يفيض نعمه على من يشاء من عباده وهذا الحاسد يعترض على الله تعالى
فيما فعل وربما اعتقد فى نفسه انه احق بتلك النعمة من ذلك الانسان ايضا فهذا اعتراض على الله
ايضا وهو مذموم * القسم الثانى ان يتمنى مثل مال غيره ولايحب ان يزول ذلك المال عن الغير وهذا
هو الغبطة وهذا ليس بمذموم ومن الناس من منع منه ايضا قال لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة
فى حقه فى الدين اوالدنيا قال الحسن لاتتمن مال فلان ولا مال فلان ولا تدرى لعل هلاكك
فى ذلك المال فيعلم العبد ان الله عزوجل اعلم بمصالح عباده فليرض بقضائه ولتكن امنيته الزيادة
من عمل الآخرة وليقل اللهم اعطنى مايكون صلاحا لى فى دينى ودنياى ومعادى * وقوله تعالى
(للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) قال ابن عباس يعنى مما ترك الوالدان
والاقربون من الميراث يقول للذكر مثل حظ الانثيين * وقيل هذا الاكتساب فى الاجر يعنى
ان الرجال والنساء فى الاجر فى الآخرة سواء لان الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها يستوى
فى ذلك الرجال والنساء وان فضل الرجال فى الدنيا على النساء * وقيل للرجال نصيب مما اكتسبوا
من امر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن يعنى من طاعة الازواج وحفظ الفروج (واسألوا الله
من فضله) قال ابن عباس يعنى من رزقه * وقيل من عبادته وهو سؤال التوفيق للعبادة وقيل

والبهيمة من الكافرين الذين
توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم
فعادهم الى النار واما توفى
ملك الموت فهو لارباب
القلوب الذين برزوا عن
حجاب النفس الى مقام القلب
ورجعوا الى الفطرة فتنوروا
بنورها فتقبض ارواحهم
النفس الناطقة الكلية التى
هى قلب العالم باتصالهم بها
هذا اذا قبض ارواحهم ملك
الموت بنفسه اما اذا قبض
باعوانه وقواهم فهم الفريق
الاول وقد يقبض بنفسه
ويذرهم فى ملكوت العذاب
حتى يحاسبوا ويعاقبوا
بحسب رذائلهم ويتخلصوا
وذلك للكمال العلمى
كما خلص من الجهل
والشرك وتحلى بالعلم
والتوحيد ولكن تراكمت
على قلبه الهيئات المظلمة
والملكات الرديئة بسبب
الاعمال السيئة والاخلاق
الذميمة والعلم بالتوحيد
والجهل بالمعاد كالموحد المنكر
للجزاء فينهمك فى المعاصى
كما قال تعالى قل يتوفاكم ملك
الموت الذى وكل بكم واما
توفى الله تعالى فهو للموحدين
الذين رجعوا عن مقام القلب
الى محل الشهود فلم يبق بينهم
وبين ربهم حجاب فهو يتولى
قبض ارواحهم بنفسه
ويحشرهم الى نفسه يوم

لم يأمر الله عباده بالمسئلة الا ليعطيهم وفيه تنبيه على ان العبد لا يعين شيأ في الدعاء والطلب ولكن
يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاح دينه ودنياه وآخرته * وقيل لما تمنى النساء ان يكن رجالا
وان يكون لهن مثل ما للرجال نهاهن الله عن ذلك وامرهن ان يسألوه من فضله فانه اعلم بمصالح
عباده (ان الله كان بكل شئ عليما) يعني انه تعالى عليم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر
السائل على المجمل في الطلب فان الله تعالى عليم بما يصلحه فلا يتمنى غير الذي قدر له * قوله تعالى
(ولكل) يعني من الرجال والنساء (جعلنا موالي) يعني ورثة من بني عم واخوة وسائر
العصبات (مما ترك) يعني يرثون مما ترك (الوالدان والاقربون) من ميراثهم فعلى هذا الوالدان
والاقربون هم الموروثون * وقيل معناه ولكل جعلنا موالي اي ورثة مما ترك وتكون ما بمعنى من
يعني من تركهم الميت ثم فسر الموالي فقال الوالدان والاقربون فعلى هذا الوالدان والاقربون هم
الوارثون والمعنى ولكل شخص جعلنا ورثة ممن تركهم وهم والداه واقربوه * والقول الاول
اصح لانه مروي عن ابن عباس وغيره (والذين عاقدت ايمانكم) وقرئ عقدت بغير الف مع
التخفيف * والمعاقدة المحالفة والمعاهدة * والايمان جمع يمين يحتمل ان يراد بها القسم او اليد او هما
جميعا وذلك انهم كانوا اذا تحالفوا اخذ كل واحد منهم بيد صاحبه وتحالفوا على الوفاء بالعهد
والتمسك بذلك العقد وكان الرجل يحالف الرجل في الجاهلية ويعاقده فيقول دمي دمك وهدمي
هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل
عني واعقل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين السدس في مال الآخر وكان الحكم ثابتا في الجاهلية
وابتداء الاسلام فذلك قوله تعالى (فآتوهم نصيبهم) يعني اعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ الله
هذا الحكم بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله * وقال ابن عباس نزلت هذه
الآية في الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار لما
قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا
موالي مما ترك الوالدان نسختها ثم قال والذين عاقدت ايمانكم من النصر والرفادة والنصيحة
وقد ذهب الميراث ويوصي له وفي رواية اخرى عنه قال والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم
كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث احدهما الآخر فنسخ ذلك بسورة الانفال
فقال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون
بالتبني بهذه الآية ثم نسخ ذلك * وذهب قوم الى ان الآية ليست بمنسوخة بل حكمها باق والمراد
بقوله والذين عاقدت ايمانكم الحلفاء والمراد من قوله فآتوهم نصيبهم يعني من النصرة والنصيحة
والموافاة والمصافاة ونحو ذلك * فعلى هذا لا تكون منسوخة * وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي
بكر الصديق عن داود بن الحصين قال كنت اقرأ على ام سعد بنت الربيع وكانت يتيمة في حجر
ابي بكر الصديق فقرأت والذين عاقدت ايمانكم فقالت لا تقرؤا والذين عقدت ايمانكم انما نزلت
في ابي بكر وابنه عبد الرحمن حين ابى الاسلام فحلف ابو بكر ان لا يورثه فلما اسلم امره الله
ان يؤتيه نصيبه اخرجه ابو داود وعلى هذا فلا نسخ ايضا فمن قال ان حكم الآية باق قال انما
كانت المعاقدة في الجاهلية على النصرة لا غير والاسلام لم يغير ذلك ويدل عليه ما روى عن جبير
بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام وايما حلف كان في الجاهلية

نحشر المتقين الى الرحمن
وفدا كما قال الله يتوفى الانفس
حين موتها (ظالمي انفسهم)
بمنعها عن حقوقها التي اقتضتها
استعداداتهم من الكمالات
المودعة فيها (فيم كنتم)
حيث قصرتم في السعي
لاقدرتم وفرطتم في جنب الله
وقصرتم عن بلوغ كمالكم
الذي هيئ لكم وندبتم اليه
(قالوا كنا مستضعفين
في الارض) في ارض
الاستعداد الذي جبلنا
عليه باستيلاء قوى النفس
الامارة وغلبة سلطان
الهوى بشيطان الوهم اسرونا
في قيودهم وجبرونا على
دينهم واكرهونا على كفرهم
(قالوا الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها)
الم تكن سعة استعدادكم
بحيث تهاجروا فيها من
مبدا فطرتكم خطوات يسيرة
بحيث اذا ارتقت عنكم بعض
الحجب انطلقتم عن اسر القوى
وتخلصتم عن قيود الهوى
وتقويتم بامداد اعوانكم
القوى الروحانية ونصرتم
بانوار القلب فخرجتم عن
القرية الظالم اهلها التي هي
مدينة النفس الى بلد القلب
الطيبة فتداركتم رحمة ربكم
الغفور (فأولئك مأواهم
جهنم) نفوسهم الشديدة
التوقان مع حصول الحرمان

لم يزده الاسلام الا شدة اخرجه مسلم * وقوله تعالى (ان الله كان على كل شى شهيدا) قال عطاء يريد انه لم يغب عنه علم ما خلق وبرأ فعلى هذا الشهيد بمعنى الشاهد والمراد منه علمه بجميع الاشياء * وقيل الشهيد هو الشاهد على الخلق يوم القيامة بكل ما علوه فعلى هذا الشاهد بمعنى المخبر وفيه وعد للطائعين ووعيد للعصاة المخالفين * قوله عز وجل (الرجال قوّامون على النساء) نزلت فى سعد بن الربيع وكان من النقباء وفى امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير ويقال امرأته بنت محمد بن مسلمة وذلك انها نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افرشته كريمتى فلطمها فقال النبى صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل اتانى فانزل الله تعالى هذه الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير ورفع القصاص فقوله تعالى الرجال قوامون على النساء اى متسلطون على تأديب النساء والاخذ على ايديهن قال ابن عباس امروا عليهن فعلى المرأة ان تطيع زوجها فى طاعة الله * والقوام هو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب فالرجل يقوم بامر المرأة ويجتهد فى حفظها * ولما اثبت القيام للرجال على النساء بين السبب فى ذلك فقال تعالى (بما فضل الله بعضهم على بعض) يعنى ان الله تعالى فضل الرجال على النساء بامور منها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات وبالامامة لان منهم الانبياء والخلفاء والائمة ومنها ان الرجل يتزوج باربع نسوة ولا يجوز للمرأة غير زوج واحد ومنها زيادة النصيب فى الميراث والتعصيب فى الميراث وبيده الطلاق والنكاح والرجعة واليه الانتساب فكل هذا يدل على فضل الرجال على النساء * ثم قال تعالى (وبما نفقوا من اموالهم) يعنى وبما اعطوا من مهور النساء والنفقة عليهن عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت آمرا احداً ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها اخرجه الترمذى (فالصالحات) يعنى المحسنات العاملات بالخير (قانتات) اى مطيعات لازواجهن وقيل مطيعات لله (حافظات للغيب) لفروجهن فى غيبة ازواجهن لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها ويلحق به الولد الذى هو من غيره * وقيل معناه حفظ سر زوجها وحفظ ماله وما يجب على المرأة من حفظ متاع البيت فى غيبة زوجها عن ابى هريرة قال قيل يارسول الله اىّ النساء خير قال التى تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا امر ولا تخالفه فى نفسها ولا مالها بما يكره اخرجه النسائى ورواه البغوى بسند الثعلبى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك واذا امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النساء الآية * وقوله تعالى (بما حفظ الله) يعنى بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج وامرهم باداء المهر والنفقة اليهن (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع اعوج وان اعوج ما فى الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنساء * وقيل فى معنى الآية بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب * وقيل بما حفظ الله من حقوقهن على ازواجهن حيث امرهم بالعدل فيهن وامساكهن بمعروف او تسريحهن باحسان (واللاتى تخافون) اى تعلمون وقيل تظنون (نشوزهن) اى شرورهن واصل النشوز الارتفاع ونشوز المرأة هو بغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته والتكبر عليه * وقيل دلالات النشوز

(وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال) اى اقوياء الاستعداد الذين قويت قواهم الشهوية والغضبية مع قوة استعدادهم فلم يقدروا على قمعها فى سلوك طريق الحق ولم يذهبوا لقواهم الوهمية والخيالية فيبطلوا استعداداتهم بالعقائد الفاسدة فبقوا فى اسر قواهم البدنية مع تنوّر استعدادهم بنور العلم وعجزهم عن السلوك برفع القيود (والنساء) اى القاصرى الاستعداد عن درك الكمال العلمىّ وسلوك طريق التحقيق الضعفاء القوى والاحلام الذين قال فى حقهم اكثر اهل الجنة البله (والولدان) اى الناقصين القاصرين عن بلوغ درجة الكمال لنيره تلحقهم من قبل صفات النفس (لا يستطيعون حيلة) لعدم قدرتهم وعجزهم عن كسر صفات النفس وقمع الهوى بالرياضة (ولا يهتدون سبيلا) لعدم علمهم بكيفية السلوك وحرمانهم عن نور الهداية الشرعية (فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم) بمحو تلك الهيئات المظلمة لعدم رسوخها وسلامة عقائدهم (وكان الله عفوّا) العفو عن الذنوب ما دامت الفطرة لم يتغير (غفورا) يستر بنور

قد تكون بالقول والفعل فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له اذا خاطبها والفعل مثل ان كانت تقوم له اذا دخل عليها وتسرع الى امره اذا امرها فاذا خالفت هذه الاحوال بان رفعت صوتها عليه اولم تجبه اذا دعاها اولم تبادر الى امره اذا امرها دل ذلك على نشوزها على زوجها (فعظوهن) يعني اذا ظهر منهن امارات النشوز فعظوهن بالتخويف بالقول وهو ان يقول لها اتقي الله وخافيه فان لي عليك حقا وارجعي عما انت عليه واعلمي ان طاعتي فرض عليك ونحو ذلك فان اصرت على ذلك هجرها في المضجع وهو قوله تعالى (واهجروهن في المضاجع) يعني ان لم ينزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن في المضاجع قال ابن عباس هو ان يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها * وقيل هو ان يعتزل عنها الى فراش آخر (واضربوهن) يعني ان لم ينزعن بالهجران فاضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن * قيل هو ان يضربها بالسواك ونحوه * وقال الشافعي الضرب مباح وتركه افضل عن عمرو بن الاحوص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد ان حمد الله واثنى عليه وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة فقال الا فاستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيأ غير ذلك الا ان يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اخرجه الترمذي بزيادة فيه * قوله عوان جمع عانية اي اسيرة شبه المرأة ودخولها تحت حكم زوجها بالاسير * والضرب المبرح الشديد الشاق * وقوله (فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) اي لا تطلبوا عليهن طريقة تحتجون بها عليهن اذا قمن بواجب حقكم * عن حكيم بن معاوية عن ابيه قال قلت يارسول الله ماحق زوجة احدنا عليه قال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت اخرجه ابو داود * قوله ولا تقبح اي لا تقل قبحك الله (ق) عن عبد الله بن زمعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد احدكم امرأته جلد العبد ثم لعله يجامعها اوقال يضاجعها من آخر اليوم * عن اياس بن عبد الله بن ابي ذباب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا النساء فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرت النساء على ازواجهن فرخص في ضربهن فاطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون ازواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون ازواجهن ليس اولئك بخياركم اخرجه ابو داود * اياس بن عبد الله هذا قد اختلف في صحبته وقال البخاري لا يعرف له صحبة * قوله ذئرت المرأة على زوجها اذا نشزت واجترأت عليه * والطاف بالشئ احاطبه * ففي هذه الاحاديث دليل على ان الاولى ترك الضرب للنساء فان احتاج الى ضربها لتأديب فلا يضربها ضربا شديدا وليكن ذلك مفرقا ولا يوالي بالضرب على موضع واحد من بدنها وليتق الوجه لانه مجمع المحاسن ولا يبلغ بالضرب عشرة اسواط * وقيل ينبغي ان يكون الضرب بالمنديل واليد ولا يضرب بالسوط والعصاه وبالجملة فالتخفيف بابلغ شئ اولى في هذا الباب * واختلف العلماء فقال بعضهم حكم الآية مشروع على الترتيب فان ظاهر اللفظ وان دل على الجمع الا ان مجرى الآية يدل على الترتيب * قال علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه يعظها بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان ابت هجر مضجعها فان ابت ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكم وقال آخرون هذا الترتيب مراعى عند خوف النشوز

(اما)

صفاته صفات نفوسهم (ومن يهاجر في سبيل الله) اي مقار النفس المألوفة في سبيل طريق الحق بالعزيمة (يجد في الارض مراغما كثيرا) في ارض استعداده مهاجر ومساكن ومنازل كثيرة فيها رغم أنوف قوى نفسه الوهمية والخيالية والبهيمية والسبعية واذلالها (وسعة) وانشراحا في الصدر عند الخلاص من ضيق صفات النفس وأسر الهوى (ومن يخرج) من المقام الذي هو فيه سواء كان مقر استعداده الذي جبل عليه أو منزلا من منازل النفس أو مقاما من مقامات القلب (مهاجرا الى الله) بالتوجه الى توحيد الذات (ورسوله) بالتوجه الى طلب الاستقامة في توحيد الصفات (ثم يدركه الموت) الانقطاع قبل الوصول (فقد وقع أجره على الله) بحسب ماتوجه اليه فان المتوجه الى السلوك له أجر المنزل الذي وصل اليه أي المرتبة من الكمال الذي حصل له ان كان واجر المقام الذي وقع نظره عليه وقصده فان ذلك الكمال وان لم يحصل بحسب السلوك والقدم لكنه اشتاق اليه بحسب القصد والنظر فهي

اما عند تحقق النشوز فلا بأس بالجمع بين الكل * وقيل ان له ان يعظها عند خوف النشوز وهل له ان يهجرها فيه احتمال ذلك وله عند ظهور النشوز ان يعظها وان يهجرها او يضربها * عن عمر رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسئل الرجل فيم ضرب امرأته اخرجه ابوداود (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فابت ان تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه الا كان الذى في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها وفي رواية اذا باتت مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملئكة حتى تصبح وفي اخرى حتى ترجع * من طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا الرجل امرأته الى حاجة فلتأته وان كانت على التنور اخرجه الترمذى * اوله من معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو دخيل عندك يوشك ان يفارقك الينا وله عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة * وقوله تعالى فان اطعنكم يعنى فان رجعن عن النشوز الى طاعتكم عند هذا التأديب فلا تبغوا عليهن سبيلا يعنى فلا تطلبوا عليهن الضرب والهجران على سبيل التعنت والايذاء * وقيل معناه ازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ ولا تجنوا عليهن الذنوب * وقيل معناه لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بايديهن (ان الله كان عليا كبيرا) العلى في صفة الله تعالى معناه الرفيع الذى يعلو عن وصف الواصفين ومعرفة العارفين * العلى بالاطلاق الذى يستحق جميع صفات المدح * والكبير هو المستغنى عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال والعظمة والكبرياء وكبر الشأن الذى يصغر كل احد لكبريائه وعظمته تعالى * والمعنى ان الله متعال من ان يكلف عباده ما لا يطيقونه * وقيل ان النساء وان ضعفن عن دفع ظلم الرجال عنهن فان الله علي كبير قادر على ان ينتصف لهن ممن ظلمهن من الرجال * وقيل معناه ان الله مع علوه وكبريائه يقبل توبة العاصى اذا تاب ويغفر له فاذا تابت المرأة من نشوزها فالاولى بكم ان تقبلوا توبتها وتتركوا معاتبتها واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم فأنتم احق بالعفو عمن جنى عليكم * قوله تعالى (وان خفتم) يعنى وان علمتم وتيقنتم وقيل معناه الظن اى ظننتم (شقاق بينهما) يعنى بين الزوجين واصل الشقاق المخالفة وكون كل واحد من المتخالفين في شق غير شق صاحبه او يكون اصله من شق العصا وهو ان يقول كل واحد من الزوجين ما يشق على صاحبه سماعه وذلك انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة واشتبه حالهما ولم يفعل الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة وكذلك الزوجة لا تؤدى الحق ولا الفدية وخرجا الى ما لا يحل قولا وفعلا * وقوله تعالى (فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها) اختلفوا في المخاطبين بهذا ومن المأمور ببعثة الحكمين * فقيل المخاطب بذلك هو الامام او نائبه لان تنفيذ الاحكام الشرعية اليه وقيل المخاطب بذلك كل احد من صالحي الامة لان قوله تعالى فابعثوا خطاب الجمع وليس حمله على البعض اولى من حمله على البقية فوجب حمله على الكل فعلى هذا يجب ان يكون امر الآحاد الامة سواء وجد الامام اولم يوجد فللصالحين ان يبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها وايضا فهذا يجرى مجرى دفع الضرر فلكل واحد ان يقوم به * وقيل هو خطاب للزوجين فاذا حصل

ان يؤيده التوفيق بعد ارتفاع الحجب بالوصول اليه (وكان الله غفورا) يغفر له ما يمنعه من قصده من الموانع (رحيما) يرحمه بان يهب له الكمال الذى توجه اليه ووقع نظره عليه * (واذا ضربتم في الارض) واذا سافرتم في ارض الاستعداد بالطريق العلى لطلب اليقين (فليس عليكم جناح ان تقصروا) من الصلاة اى تنقصوا من الاعمال البدنية واداء حقوق العبودية من الشكر والحضور لقوله عليه الصلاة والسلام من أوتى حظه من اليقين فلا يبالى بما انتقص من صلاته وصومه (ان خفتم ان يفتنكم) اى يغويكم ويضلكم (الذين كفروا) اى حجبوا من قوى الوهم والتخيل وشياطين الانس الضالين المضلين لما علم من قوله صلى الله عليه وسلم لفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى

بينهما شقاق بعثا حكمين حكما من اهله وحكما من اهلها (ان يريدا اصلاحا) يعنى الحكمين
وقيل الزوجين (يوفق الله بينهما) يعنى بالصلاح والالفة روى الشافعى بسنده عن على بن ابى
طالب رضى الله تعالى عنه انه جاءه رجل وامرأة ومع كل واحد منهما فئام من الناس فقال
علام شأن هذين قالوا وقع بينهما شقاق قال على فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ثم قال
للحكمين تدريان ماعليكما عليكما ان رأيتما ان تجمعا جمعتما وان رأيتما ان تفرقا فرقتما فقالت المرأة
رضيت بكتاب الله بما على فيه ولى وقال الرجل اما الفرقة فلا قال على كذبت والله حتى تقر بمثل
ما اقرت به قال الشافعى والمستحب ان يبعث الحاكم عدلين ويجعلهما حكمين والاولى ان يكون
واحد من اهله وواحد من اهلها لان اقاربهما اعرف بحالهما من الاجانب واشد طلبا للاصلاح
فان كانا اجنبيين جاز وفائدة الحكمين ان كل واحد منهما يخلو بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال
ليعرف ان رغبته فى الاقامة على النكاح اوفى المفارقة ثم يجتمعان فيفعلان ماهو الصواب من
اتفاق اوطلاق اوخلع * والحكمان وكيلان للزوجين وهل يجوز لهما تنفيذ امر يلزم الزوجين
دون رضاهما واذنهما فى ذلك مثل ان يطلق حكم الرجل اويفتدى حكم المرأة بشئ من مالها
* فللشافعى فى ذلك قولان * احدهما انه لايجوز الا برضاهما وليس لحكم الزوج ان يطلق الا باذنه
ولا لحكم المرأة ان يختلع بشئ من مالها الا باذنها وهو مذهب ابى حنيفة واحد لان عليا توقف
حين لم يرض الزوج وذلك حين قال اما الفرقة فلا فقال له على كذبت حتى تقر بمثل ما اقرت به
فثبت ان تنفيذ الامر موقوف على اقراره ورضاها ومعنى قول على للزوج كذبت اى لست
بمنصف فى دعواك حيث لم تقر بمثل ما اقرت به من الرضا بحكم كتاب الله لها وعليها * والقول
الثانى انه يجوز بعث الحكمين دون رضاهما ويجوز لحكم الزوج ان يطلق دون رضاه ولحكم
الزوجة ان يختلع دون رضاها اذا رأيا الصلاح فى ذلك كالحاكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن
على وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال بهذا القول قال ليس المراد من قول على للزوج
حتى تقر ان رضاه شرط بل معناه ان المرأة لما رضيت بما فى كتاب الله تعالى فقال الرجل اما الفرقة
فلا يعنى ليست الفرقة فى كتاب الله فقال له على كذبت حيث انكرت ان تكون الفرقة فى كتاب الله بل هى
فى كتاب الله فان قوله تعالى يوفق الله بينهما يشتمل على الفراق وعلى غيره لان التوفيق ان يخرج
كل واحد منهما من الاثم والوزر ويكون تارة ذلك بالفراق وتارة بصلاح حالهما فى الوصلة
* وقوله تعالى (ان الله كان عليما خبيرا) يعنى ان الله تعالى يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع
بين المتفرقين وفيه وعيد شديد للزوجين والحكمين ان سلكوا غير طريق الحق * قوله عزوجل
(واعبدوا الله) يعنى وحدوه واطيعوا وعبادة الله تعالى عبارة عن كل فعل يأتى به العبد لمجرد الله
تعالى ويدخل فيه جميع اعمال القلوب واعمال الجوارح (ولاتشركوا به شيأ) يعنى واخلصوا له
فى العبادة ولاتجعلوا له فى الربوبية والعبادة شريكا لان من عبد مع الله غيره اواراد بعمله غير الله
فقد اشرك به ولايكون مخلصا (ق) عن معاذ بن جبل قال كنت رديف رسول الله صلى الله
عليه وسلم على حمار يقال له عفير اواسمه يعفور فقال يامعاذ هل تدرى ماحق الله على عباده وما
حق العباد على الله قلت الله ورسوله اعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولايشركوا به شيأ

لم يصلوا فليصلوا معك
وليأخذوا حذرهم واسلحتهم
ود الذين كفروا لو تغفلون
عن اسلحتكم وامتعتكم
فيميلون عليكم ميلة واحدة
ولاجناح عليكم ان كان بكم
اذى من مطر اوكنتم مرضى
ان تضعوا اسلحتكم وخذوا
حذركم ان الله اعد للكافرين
عذابا مهينا فاذا قضيتم
الصلوة فاذكروا الله قياما
وقعودا وعلى جنوبكم فاذا
اطمأننتم فاقيموا الصلوة
ان الصلوة كانت على
المؤمنين كتابا موقوتا ولا
تهنوا فى ابتغاء القوم ان
تكونوا تألمون فانهم يألمون
كما تألمون وترجون من الله
مالايرجون وكان الله عليما
حكيما انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق) لتحكم بين الناس
اى علم تفاصيل الصفات
واحكام تجلياتها بالحق
ملتبسا بالعدل والصدق
اوقائما بالحق لابنفسك
لتكون حاكما بين الخلق
(بما اراك الله) من عدله
(ولاتكن للخائنين) الذين
لايؤدون امانة الله التى
اودعها عندهم فى الازل
بما ركز فى استعدادهم من
الكمال كمال معرفته وخانوا
انفسهم وغيرهم بنهب
حقوقهم وصرفها فى غير

وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيأ فقلت يارسول الله افلا ابشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا * قوله هل تدرى ماحق الله على عباده معناه مايستحقه مما اوجبه وجعله متحتما عليهم ثم فسر ذلك الحق بقوله ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ * وقوله وما حق العباد على الله انما قال حقهم على سبيل المقابلة لحقه عليهم لالانهم يستحقون عليه شيأ ويجوز ان يكون من قول الرجل لصاحبه حقك على واجب اى متأكد قيامى به * وقوله افلا ابشر الناس الخ انما قال لاتبشرهم فيتكلوا لانه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك اصلح لهم واحرى ان لايتكلوا على هذه البشارة ويتركوا العمل الذى ترفع لهم به الدرجات فى الجنة * وقوله تعالى (وبالوالدين احسانا) تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا يعنى براً بهما وعطفا عليهما وانما قرن برّ الوالدين بعبادته وتوحيده لتأكد حقهما على الولد * واعلم ان الاحسان الى الوالدين هو ان يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ويسعى فى تحصيل مرادهما والانفاق عليهما بقدر القدرة (ق) عن ابى هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله من احق الناس بحسن صحابتى قال امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ابوك وفى رواية قال امك ثم امك ثم اباك ثم ادناك فادناك * قوله ثم اباك فيه حذف تقديره ثم برأباك (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه رغم انفه قيل من يارسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر او احدهما ثم لم يدخل الجنة * قوله تعالى (وبذى القربى) اى واحسنوا الى ذى القرابة وهو ذو رحمه من قبل ابيه وامه (ق) عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يبسط له فى رزقه وينسأله فى اثره فليصل رحمه * قوله ينسأله فى اثره يعنى يؤخر له فى اجله وعمره * وقوله تعالى (واليتامى والمساكين) اى واحسنوا الى اليتامى وانما امر بالاحسان اليهم لان اليتيم مخصوص بنوعين من العجز الصغر وعدم المشفق والمسكين هو الذى ركبه ذل الفاقة والفقر فتمكن لذلك (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيأ (ق) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله واحسبه قال وكالقائم الذى لايفتر وكالصائم لايفطر * وقوله تعالى (والجار ذى القربى والجار الجنب) اى واحسنوا الى الجار ذى القربى وهو الذى قرب جواره منك والجار الجنب هو الذى بعد جواره عنك وقيل الجار ذو القربى هو القريب والجار الجنب هو الاجنبى الذى ليس بينك وبينه قرابة (ق) عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه وعن عائشة مثله (خ) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قلت يارسول الله ان لى جارين فالى ايهما اهدى قال الى اقربهما بابا منك (م) عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياابا ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك وفى رواية قال اوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم قال اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك فاصبهم منها بمعروف (ق) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال والله لايؤمن والله لايؤمن والله لايؤمن قيل من يارسول الله قال الذى لايأمن جاره بوائقه * ولمسلم لايدخل الجنة من لايأمن جاره بوائقه * البوائق الغوائل والشرور (ق) عنه قال قال رسول الله

وجهها (خصيما) يدفع عنهم العذاب وتسليط الله الخلق عليهم بالايذاء ويحتج عنهم على غيرهم او على الله بالاعتراض بأنه لم خذلهم وقهرهم فانهم الظالمون لاحجة لهم بل الحجة عليهم (واستغفر الله) لنفسك بترك الاعتراض والاحتجاج عنهم لنغفر لك لويشك الذى

صلى الله عليه وسلم يانساء المؤمنات لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة معناه ولو ان تهدى
اليها فرسن شاة وهو الظلف واراد به الشيء الحقير (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت * وقوله تعالى
(والصاحب بالجنب) قال ابن عباس هو الرفيق فى السفر * وقيل هى المرأة تكون معك الى
جنبك * وقيل هو الذى يصحبك رجاء نفعك * عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير الاصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم
لجاره اخرجه الترمذى وقال حديث حسن * وقوله تعالى (وابن السبيل) يعنى المسافر
المجتاز بك الذين قد انقطع به وقال الاكثرون المراد بابن السبيل الضيف يمر بك فتكرمه
وتحسن اليه (ق) عن ابى شريح خويلد بن عمر والعدوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته يارسول الله قال
يومه وليلته والضيافة ثلاثة ايام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه وقال من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت زاد فى رواية ولا يحل لرجل مسلم ان يقيم عند اخيه حتى
يؤثمه قالوا يارسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده ولا شيء عنده يقريه به * قوله جائزته يومه
وليلته الجائزة العطية اى يقرى الضيف ثلاثة ايام ثم يعطيه مايجوز به من منهل الى منهل * وقيل
هو ان يكرم الضيف فاذا سافر اعطاه مايكفيه يوما وليلة حتى يصل الى موضع آخر * وقوله
ان يقيم عند اخيه حتى يؤثمه اى يوقعه فى الاثم لانه اذا اقام عنده ولم يقره اثم بذلك * وقوله
تعالى (وماملكت ايمانكم) يعنى المماليك فاحسنوا اليهم والاحسان اليهم ان لا يكلفهم ما
لا يطيقون ولا يؤذيهم بالكلام الخشن وان يعطيهم من الطعام والكسوة مايحتاجون اليه بقدر
الكفاية * عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل
الجنة سيء الملكة اخرجه الترمذى * عن رافع بن مكيث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال حسن الملكة
نماء وسوء الخلق شؤم اخرجه ابوداود * وله عن على بن ابى طالب قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم (ق) عن المعرور بن سويد قال رأيت اباذر
وعليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها فسألته عن ذلك فذكر انه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعيره بامه فاتى الرجل النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له النبى صلى الله
عليه وسلم انك امرؤ فيك جاهلية قلت على ساعتى هذه من كبر السن قال نعم هم اخوانكم وخولكم
جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم
مايغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم عليه * وقوله تعالى (ان الله لا يحب من كان مختالا)
المختال المتكبر العظيم فى نفسه الذى لا يقوم بحقوق الناس (فخورا) الفخور هو الذى
يفتخر على الناس ويعدد مناقبه تكبرا وتطاولا على من دونه * وقيل هو الذى يفتخر على عباد الله بما
اعطاه الله من نعمه ولا يشكره عليها * وانما ختم الله هذه الآية بهذين الوصفين المذمومين لان المختال
الفخور يأنف من اقاربه الفقراء ومن جيرانه الضعفاء فلا يحسن اليهم ولا يلوى بنظره عليهم
ولان المختال هو المتكبر ومن كان متكبرا فلا يقوم بحقوق الناس (ق) عن ابن عمر ان رسول الله

ظهر عليك بوجود قلبك وبصفاته (ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل) لهم تأويله من هذا (عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما يستخفون من الناس) بكتمان رذائلهم وصفات نفوسهم التى هى معايبهم عنهم (ولا يستخفون من الله

صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه مرجل جمته يختال فى مشيته اذ خسف الله به فهو يتجلجل الى يوم القيامة (خ) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل ممن كان قبلكم يجر ازاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل فى الارض الى يوم القيامة (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر والخيلاء فى الفدادين من اهل الوبر والسكينة فى اهل الغنم * الفدادون هم الفلاحون والحراثون واصحاب الابل والبقر المستكثرون منهما المتكبرون على الناس بهما * قوله عزوجل (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) نزلت فى اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم فكتموها * وعلى هذا يكون المراد بالبخل كتمان العلم * وقال ابن عباس نزلت فى كردم بن زيد وحيى بن اخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت واسامة بن حبيب ونافع بن ابى نافع ويحيى بن عمرو كانوا يأتون رجالا من الانصار ويخالطونهم يقولون لهم لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون مايكون فانزل الله عزوجل هذه الآية * وقيل يحتمل ان يكون المراد بالبخل كتمان العلم ومنع المال لان البخل فى كلام العرب منع السائل من فضل ماليه وامساك المقتنيات * وفى الشرع البخل عبارة عن امساك الواجب ومنعه واذا كان ذلك امكن حمله على منع المال ومنع العلم (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) يعنى اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وماعندهم من العلم * وقيل هم الاغنياء الذين كتموا الغنى واظهروا الفقر وبخلوا بالمال (واعتدنا للكافرين) يعنى الجاحدين نعمة الله عليهم (عذابا مهينا) يعنى فى الآخرة عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذى وقال حديث غريب * قوله عزوجل (والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس) يعنى للفخار والسمعة وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا يريدون بما انفقوا وجه الله تعالى (م) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك معى فيه غيرى تركته وشركه * نزلت هذه الآية فى اليهود * وقيل فى المنافقين لان الرياء ضرب من النفاق * وقيل نزلت فى مشركى مكة المنفقين اموالهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى ولا يصدقون بتوحيد الله ولا بالمعاد الذى فيه جزاء الاعمال انه كائن (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) يعنى من يكن الشيطان صاحبه وخليله فبئس الصاحب وبئس الخليل الشيطان وانما اتصل الكلام هنا بذكر الشيطان تقريعا لهم على طاعة الشيطان * والمعنى من يكن عمله بما سوّل له الشيطان فبئس العمل عمله * وقيل هذا فى الآخرة يجعل الله الشياطين قرناءهم فى النار يقرن مع كل كافر شيطان فى سلسلة من النار * ثم وبخهم الله تعالى وعيرهم على ترك الايمان فقال تعالى (وماذا عليهم) يعنى واىّ شئ عليهم واىّ وبال وتبعة تلحقهم (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله) اى اىّ وبال عليهم فى الايمان بالله والانفاق فى سبيله وابتغاء مرضاته (وكان الله بهم عليما) يعنى لا يخفى عليه شئ من اعمال هؤلاء الذين ينفقون اموالهم لاجل الرياء والسمعة ففيه وعيد وتهديد لهم * قوله عزوجل (ان الله لا يظلم مثقال ذرة)

وهو معهم) بازالتها وقلعها وهو شاهدهم يعلم بواطنهم (اذ يبيتون) اى يقدّرون فى عالم ظلمة النفس والطبيعة (ما لا يرضى من القول) من الوهميات والتخيلات الفاسدة التى يلفقونها فى تحصيل اغراضهم من حطام الدنيا ولذاتها (وكان الله بما يعملون محيطا)

نظم الكلام وماذا عليهم لو آمنوا وانفقوا قال ان الله لا يظلم ولا يبخس ولا ينقص احدا من ثواب عمله مثقال ذرة يعني وزن ذرة وقال ابن عباس الذرة رأس نملة حمراء وقيل الذرة كل جزء من اجزاء الهباء الذي يكون في الكوة اذا كان فيها ضوء الشمس لا وزن لها وهذا مثل ضربه الله تعالى لاقل الاشياء والمعنى ان الله تعالى لا يظلم احدا شيأ من قليل ولا كثير فخرج الكلام على اصغر شئ يعرفه الناس (وان تك حسنة يضاعفها) يعني الحسنة بعشر امثالها وقيل هذا عند الحساب فمن بقي له من الحسنات مثقال ذرة ضاعفها الله له الى سبعمائة والى اجر عظيم قال قتادة لان تفضل حسناتي على سيأتي بمثقال ذرة احب الي من الدنيا وما فيها (م) عن انس بن مالك في قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة واما الكافر فيعطى بحسنات قد عمل بها في الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها * عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى سيخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيأ اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول افلك عذر فيقول لا يارب فيقول تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فقال فانك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شئ اخرجه الترمذي (ق) عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يارسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوش في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من احد منكم بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار وفي رواية فما انتم بأشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار اذا رأوا انهم قد نجوا في اخوانهم يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا مابقي فيها احد ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا احدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر او الى الشجر مايكون الى الشمس اصيفر واخيضر ومايكون منها الى الظل

يجازيهم بحسب صفاتهم واعمالهم (هاانتم هؤلاء) ظاهر تمامر (جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوأ) بظهور صفة من صفات نفسه (او يظلم نفسه ثم يستغفر الله) بنقص شئ من كمالاته التي هي مقتضى استعداده

يكون ابيض فقالوا يارسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا مالم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندي افضل من هذا فيقولون ربنا اي شئ افضل من هذا فيقول رضاى فلا اسخط عليكم بعده ابدا لفظ مسلم وهو بعض حديثه وقال بعضهم هذه الآية واردة في الخصوم ويدل عليه ماروى عن عبد الله بن مسعود قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين ثم نادى منادمن عند الله الامن كان يطلب مظلمة فليجئ الى حقه فليأخذه قال فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده او ولده اوزوجته اواخيه فيأخذ منه وان كان صغيرا ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ويؤتى بالعبد وينادى مناد على رؤس الاولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له آت هؤلاء حقوقهم فيقول اى رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى للملائكة انظروا في اعماله الصالحات فأعطوهم منها وان بقي مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة يا ربنا وهو اعلم بذلك اعطينا كل ذى حق حقه وبقي له مثقال ذرة من حسنة فيقول للملائكة ضعفوها لعبدى وادخلوه بفضل رحمتي الجنة ومصداق ذلك في كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما اى الجنة وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة الهنا فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول الله تبارك وتعالى خذوا من سيآتهم فاضيفوها الى سيآته ثم اكتبوا له كتابا الى النار اخرجه البغوى بغير سند عن ابن مسعود موقوفا عليه واسنده ابن جرير الطبرى عن ابن مسعود فمعنى الآية على هذا التأويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على خصمه بل يأخذها له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها او يضاعفها له فذلك قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها اى يجعلها اضعافا كثيرة (ويؤت من لدنه) يعنى من عنده (اجرا عظيما) يعنى الجنة والمعنى ويعط من عنده اجرا عظيما يعنى عوضا من حسنة وذلك العوض هو الجنة وقال ابو هريرة اذا قال الله عز وجل اجرا عظيما فمن يقدر قدره * قوله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد) يعنى فكيف يكون حال هؤلاء المشركين والمنافقين يوم القيامة اذا جئنا من كل امة بشهيد قال ابن عباس يريد نبيها والمعنى انه يؤتى بنبي كل امة يشهد عليها ولها (وجئنا بك) يامحمد (على هؤلاء شهيدا) يعنى تشهد على هؤلاء الذين سمعوا القرآن وخوطبوا به بماعملوا (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ علي القرآن فقلت يارسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل قال اني احب ان اسمعه من غيرى قال فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت الى هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن قال فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان زاد مسلم شهيدا مادمت فيهم اوقال ماكنت فيهم شك احد رواته * وقوله تعالى (يومئذ) يعنى يوم القيامة (يود) اى يتمنى (الذين كفروا) يعنى جحدوا وحدانية الله تعالى (وعصوا الرسول) يعنى فيما امرهم به من توحيد الله عز وجل (لو تسوى بهم الارض) يعنى لوصاروا فيها وسويت عليهم وقيل انهم ودوا ان لن يبعثوا لانهم انما كانوا في الارض وهى مستوية عليهم وقال الكلبي يقول الله تعالى للبهائم والوحوش والطيور والسباع كوني ترابا فتسوى بهن الارض فعند ذلك يتمنى الكافر لو يكون ترابا (ولا يكتمون الله حديثا) قال ابن عباس

بتقصير فيه وارتكاب عمل ينافيه ثم يطلب من الله ستر تلك الصفة والهيئة الساترة لكماله بالتوجه اليه والتنصل عن الذنب (يجد الله غفورا) يستر ذلك السوء والهيئة المظلمة بنور صفته (رحيما) يهب مايقتضيه استعداده (ومن يكسب خطيئة) بظهور

في رواية عطاء ودّوا لو تسوّى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به ولا نافقوه فعلى هذا القول يكون الكتمان ما كتموا في الدنيا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وهو كلام متصل بما قبله وقيل هو كلام مستأنف قال سعيد بن جبير سأل رجل ابن عباس فقال اني اجد في القرآن اشياء تختلف عليّ قال هات ما يختلف عليك قال منها قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا فقال يغفر الله تعالى لاهل الاسلام ذنوبهم ويدخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول ما كنا مشركين فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان يغفر لهم فيختم على افواههم وتنطق ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك عرفوا ان الله لا يكتم حديثا وعنده يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوّى بهم الارض فلا يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله وقال الحسن انها مواطن ففي موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفي موطن يعترفون على انفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنبهم وفي موطن لا يتساءلون وفي موطن يسألون الرجعة وآخر تلك المواطن ان يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم فهو قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى) جمع سكران (حتى تعلموا ما تقولون) سبب نزول هذه الآية ما روى عن عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه قال صنع لنا ابن عوف طعاما فدعانا فاكلنا وسقانا خمرا قبل تحريم الخمر فاخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فخلطت فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واخرجه ابو داود ولفظه ان رجلا من الانصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاهما قبل ان تحرم الخمر فحضرت الصلاة فامّهم عليّ في المغرب فقرأ قل يا ايها الكافرون فخلط فيها فنزلت الآية لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس ان رجالا كانوا يأتون الصلاة وهم سكارى قبل ان تحرم الخمر فقال الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى الآية فعلى هذا ففي المراد بالصلاة قولان احدهما انه نفس الصلاة ذات الركوع والسجود وهو قول الاكثرين والمعنى لا تصلوا وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون والقول الثاني ان المراد بالصلاة موضع الصلاة وهو المسجد واطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل فيكون من باب حذف المضاف والمعنى لا تقربوا مواضع الصلاة وانتم سكارى وحذف المضاف جائز سائغ ويدل عليه قوله تعالى لهدمت صوامع وبيع وصلوات والمراد بالصلوات مواضعها فثبت ان اطلاق لفظ الصلاة والمراد موضعها جائز واعلم ان هذا النهي عن قربان الصلاة في حالة السكر انما كان قبل تحريم الخمر فكانوا يشربونها في غير اوقات الصلاة ثم نزل تحريم الخمر بعد ذلك ونسخت هذه الآية وقال الضحاك المراد بالسكر سكر النوم يعني لا تقربوا الصلاة عند غلبة النوم ويدل عليه ما روى عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر ربه فيسب نفسه أخرجاه في الصحيحين * وقوله تعالى (ولا جنبا) يعني ولا تقربوا الصلاة وانتم جنب والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى

نفسه (او اثما) يمحو ما في استعداده وكسب هيئة منافية لكماله (ثم يرم به بريئا) بان قال حملني على ذلك فلان ومنعني عن طلب الحق فلان وهذا جريمة فلان كما هو عادة المتعللين بالاعذار (فقد احتمل بهتانا) بنسبة فعله الى الغير اذ لو لم يكن في نفسه ميل

المصدر الذى هو الاجناب واصل الجنابة البعد سمى الذى اصابته الجنابة جنبا لانه يتجنب الصلاة والمسجد وقيل لمجانبته الناس حتى يغتسل (الاعابرى سبيل) العابر ههنا فاعل من العبور وهو قطع الطريق من هذا الجانب الى الجانب الآخر * واختلف العلماء فى معنى قوله الاعابرى سبيل على قولين * احدهما ان المراد بالعبور هو العبور فى المسجد وذلك ان قوما من الانصار كانت ابوابهم فى المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا ممر لهم الا فى المسجد فرخص لهم العبور فيه فعلى هذا القول يكون المراد بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لاتقربوا المسجد وأنتم جنب الا مجتازين فيه اما للخروج منه اوللدخول فيه مثل ان يكون قد نام فى المسجد فاجنب فيجب الخروج منه او يكون الماء فى المسجد فيدخل اليه او يكون طريقه عليه فيمر فيه من غير اقامة وهذا قول ابن مسعود وانس بن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وعطاء الخراسانى والنخعى والزهرى واليه ذهب الشافعى واحمد * القول الثانى ان المراد من قوله الاعابرى سبيل المسافرون والمعنى لاتقربوا الصلاة وأنتم جنب الا ان تكونوا مسافرين ولم تجدوا الماء فتيمموا فمنع الجنب من الصلاة حتى يغتسل الا ان يكون فى سفر ولا ماء معه فيتيمم ويصلى الى ان يجد الماء فيغتسل وهذا قول علىّ وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة فمن جعل عابرى السبيل المسافرين منع الجنب من العبور فى المسجد وهو مذهب ابى حنيفة وصحح ابن جرير الطبرى والواحدى القول الاول * ويدل على صحته وجهان * احدهما ان المسافر الجنب لاتصح صلاته بدون التيمم ولم يذكر التيمم ههنا فيحتاج الى اضمار شيئين عدم الماء وذكر التيمم وعلى القول الاول لايحتاج الى اضمار شئ * الوجه الثانى ان الله تعالى ذكر حكم السفر وعدم الماء وجواز التيمم بعد هذا فلا يجعل هذا على حكم معاد فى الآية ويدل عليه ان جميع القراء استحسنوا الوقف على قوله (حتى تغتسلوا) يعنى الى ان تغتسلوا وفيه دليل على ان حكم الجنابة باق على الجنب الى غاية هى الاغتسال

* (فصل فى أحكام تتعلق بالآية) * اختلف العلماء فى العبور فى المسجد فاباحه قوم على الاطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعى ومنعه بعضهم على الاطلاق وهو قول اصحاب الرأى وقال قوم يتيمم للعبور فى المسجد * واختلف العلماء فى المكث فى المسجد أيضا للجنب فمنعه اكثر اهل العلم وقالوا لايجوز للجنب المكث فى المسجد بحال لما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت اصحابه شارعة فى المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيأ رجاء ان تنزل لهم رخصة فخرج اليهم بعد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فانى لااحل المسجد لحائض ولا جنب اخرجه ابوداود * وجوّز احمد المكث فى المسجد بشرط الوضوء وبه قال المزنى من اصحاب الشافعى وأجاب احمد عن حديث عائشة بانه فى رواته مجهول وقال عبد الحق لايثبت من قبل اسناده * واستدل احمد لمذهبه بما روى عن عطاء بن يسار قال رأيت رجالا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون فى المسجد وهم مجنبون اذا توضؤا وضوء الصلاة اخرجه سعيد بن منصور فى مسنده * واحتج لمذهب الجمهور بعموم الآية وبما روى عن ام سلمة قالت دخل النبى صلى الله عليه وسلم صرحة هذا المسجد فنادى باعلى صوته ان المسجد لايحل لجنب ولا حائض

لما يعناد كماله ومناسبة لمن وافقه واطاعه لما قبل ذلك منه فما كان الامن قبل نفسه كما قال لهم الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا انفسكم اذ لو لم يكن فى نفوسهم ظلمة تكسبها

اخرجه ابن ماجه* ويحرم على الجنب ايضا الطواف وقراءة القرآن كما يحرم عليه فعل الصلاة
* ويدل على ذلك ايضا ماروى عن علي بن ابي طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي
حاجته ثم يخرج فيقرأ القرآن ويأكل معنا اللحم ولا يحجبه وربما قال ولا يحجزه من القرآن
شيء ليس الجنابة اخرجه ابوداود النسائي والترمذي ولفظه كان يقرأ القرآن على كل حال مالم يكن
جنبا وقال حديث حسن صحيح * عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقرأ الجنب
ولا الحائض ولا النفساء من القرآن شيأ اخرجه الدار قطني* ويجب الغسل باحد شيئين بانزال
المني وهو الماء الدافق او بايلاج الحشفة في الفرج وان لم ينزل * ويدل على ذلك ماروى عن عائشة
رضي الله تعالى عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل ولا يذكر
احتلاما قال يغتسل وعن الرجل يرى انه احتلم ولا يجد بللا قال لاغسل عليه قالت ام سلمة والمرأة
ترى ذلك اعليها غسل قال نعم اخرجه ابوداود والترمذي (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا جلس بين شعبها الاربع ثم جهدها فقد وجب الغسل زاد في رواية
وان لم ينزل * وقوله تعالى (وان كنتم مرضى) جمع مريض واراد به المرض الذي يضر
معه امساس الماء مثل الجدري واحراق النار ونحو ذلك وان كان على بعض اعضائه جراحة
او به قروح يخاف من استعمال الماء التلف اوزيادة الوجع فانه يتيمم ويصلي مع وجود الماء وان
كان بعض اعضائه صحيحا وبعضها جريحا غسل الصحيح تيمم للجريح في الوجه واليدين لما روى
عن جابر قال خرجنا في سفر نا فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل اصحابه هل
تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله الا سألوا اذا لم يعلموا فانما
شفاء العي السؤال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصر اوقال يعصب شك الراوي على جرحه خرقة
ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده أخرجه ابوداود والدارقطني* ولم يجوز اصحاب الرأي الجمع
بين الغسل والتيمم قالوا اذا كان اكثر اعضائه اوبدنه صحيحا غسل الصحيح ولا يتيمم عليه وان كان
الاكثر جريحا اقتصر على التيمم* والحديث حجة لمن اوجب الجمع بين الغسل والتيمم * قوله
تعالى (اوعلى سفر) يعني اوكنتم مسافرين واراد به السفر الطويل والقصير وعدم الماء فانه يتيمم
ويصلي ولا اعادة عليه لما روى عن ابي ذر قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ياباذر ابد فيها فبدوت الى الربذة فكانت تصيبني الجنابة فأمكث الخمس والست فأتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابوذر فسكت فقال ثكلتك أمك ياباذر لامك الويل فدعا
بجارية سوداء فجاءت بعس فيه ماء فسترتني بثوب واستترت بالراحلة فاغتسلت فكأني القيت
عني جبلا فقال الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو الى عشر سنين فاذا وجدت الماء فأمسه
جلدك فان ذلك خير اخرجه ابوداود* العس قدح من فخار يجعل فيه الماء للوضوء والاغتسال
*اما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم الماء في موضع لايعدم فيه غالبا فانه يتيمم ويصلي
ثم يعيد اذا وجد الماء وقدر عليه وبه قال الشافعي* وقال مالك والاوزاعي لا اعادة عليه* وقال
ابو حنيفة يؤخر الصلاة حتى يجد الماء * وقوله تعالى (اوجاء احد منكم من الغائط) الغائط
المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان وكانت عادة العرب اتيان الغائط للحدث فكنوا به

وظهور صفاتهم لم يكن
فيهم محل لوسوسته وقابلية
لدعوته (وانما ميلنا)ظاهرا
متضاعفا لتركبه من هيئة
الخطيئة والامتناع من
الاعتراف ونسبة التقصير
الى انفسهم لتكبرهم فتضعف
من الاستيلاء على القلب
وحجبه عن الكمال (ولولا
فضل الله عليك) اى توفيقه

من الحدث وذلك ان الرجل منهم كان اذا اراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الارض يعنى مكانا منخفضا من الارض يحجبه عن أعين الناس فسمى الحدث بهذا الاسم فهو من باب تسمية الشئ باسم مكانه * وقوله تعالى (اولامستم النساء) قرئ هنا وفى سورة المائدة لامستم النساء ولمستم بغير الف واختلف العلماء فى معنى الملامسة على قولين * احدهما انه الجماع وهو قول على وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ووجه هذا القول ان الله تعالى كنى باللمس عن الجماع لان اللمس يوصل اليه قال ابن عباس ان الله حى كريم يكنى عن الجماع بالملامسة * والقول الثانى ان المراد باللمس هنا التقاء البشرتين سواء كان بجماع او بغير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبى والنخعى ووجه هذا القول ان اللمس حقيقة فى المس باليد فاما حمله على الاجماع فمجاز والاصل حمل الكلام على الحقيقة لا المجاز واما قراءة من قرأ اولامستم فالملامسة مفاعلة من اللمس لاتدل على المجامعة ايضا على الاطلاق لانه قد ورد فى الحديث النهى عن بيع الملامسة قال ابو عبيدة فى معناها هى ان يقول اذا لمست ثوبى اولمست ثوبك فقد وجب البيع فالملامسة فى الحديث بمعنى اللمس باليد واذا كانت مستعملة فى غير الجامعة لم يدل قوله تعالى اولامستم النساء على صريح الجماع بل حمل على الاصل الموضوع له وهو اللمس باليد

* (فصل فى احكام تتعلق بالآية) * وفيه مسائل *(المسئلة الاولى) اذا افضى الرجل بشئ من بدنه الى شئ من بدن المرأة ولا حائل بينهما انتقض وضوءهما وهو قول ابن مسعود وابن عمر وبه قال الزهرى والاوزاعى والشافعى لما روى الشافعى بسنده عن ابن عمر انه قال قبلة الرجل امرأته وجسها بيده من الملامسة فمن قبل امرأته اوجسها بيده فعليه الوضوء اخرجه مالك فى الموطأ قال الشافعى وبلغنا عن ابن مسعود مثله وقال مالك والليث بن سعد واحمد واسحق اذا كان اللمس بشهوة انتقض الوضوء وان لم يكن بشهوة فلا * ويدل عليه ماروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل امرأة من نسائه ثم خرج الى الصلاة ولم يتوضأ قال عروة من هى الا انت فضحكت اخرجه ابو داود * واجيب عن هذا الحديث بانه ليس بثابت قال الترمذى انه لايصح اسناده بحال وسمعت محمد بن اسمعيل يضعف هذا الحديث وقال حبيب بن ثابت لم يسمع من عروة وضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث وقال هو شبه لاشئ وفيه ضعف من وجه آخر وهو ان عروة هذا ليس بعروة بن الزبير ابن اخت عائشة انما هو شيخ مجهول قال البيهق يعرف بعروة المزنى وانما المحفوظ عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم كذا رواه الثقات عن عائشة * وقال ابو حنيفة لا ينتقض الوضوء باللمس الا ان يحدث الانتشار * وقال قوم لا ينتقض بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثورى * واحتج من لم يوجب الوضوء باللمس بما روى عن عائشة انها قالت كنت انام بين يدى رسول الله صلى الله عليه ورجلاى فى قبلته فاذا سجد غمزنى فقبضت رجلى فاذا قام بسطتهما والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح اخرجاه فى الصحيحين * واجاب من اوجب الوضوء باللمس عن هذا الحديث بانه يحتمل ان يكون غمزه لها على حائل * (المسئلة الثانية)* اختلف قول الشافعى فى لمس المحرم كالام والبنت والاخت او اجنبية صغيرة فاصح القولين عنه انه لا ينتقض الوضوء به والثانى انه ينتقض الوضوء به * ومأخذ القولين عند اصحاب الشافعى التردد بين التعلق بعموم الآية فى قوله اولامستم النساء او النظر الى المعنى فى

النقض باللمس وهو تحرك الشهوة فان اخذنا بعموم الآية فينتقض الوضوء بلمس المحارم وان
اخذنا بالمعنى فلا ينتقض * وفى الملموس قولان والملموس هو الذى لافعل منه فى المباشرة رجلا كان
اوامرأة واللامس هو الفاعل للمس وان لم يقصد المباشرة * فأحد القولين انه ينتقض وضوء
اللامس والملموس لعموم الآية لانه لمس وقع بين الرجل والمرأة فينتقض وضوءهما معا والقول الثانى انه
ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت فقدت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوضعت يدى على اخمص قدميه وهو ساجد وهما
منصوبتان وهو يقول اللهم انى اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك
لااحصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك اخرجه مسلم فلو انتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم
لقطع الصلاة ولولمس شعر امرأة اوسنها اوظفرها فلا وضوء عليه (المسئلة الثالثة فى الحدث) *
وهو الخارج من السبيلين عينا كان كالبول والغائط اواثرا كالريح ونحوها فاذا حصل شئ من ذلك
فلا تصح صلاته مالم يتوضأ او يتيمم عند عدم الماء لما روى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقبل الله صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضأ فقال رجل من اهل
حضرموت ما الحدث ياابا هريرة قال فساء اوضراط اخرجاه فى الصحيحين * اما خروج النجاسة
من غير السبيلين كالفصد والحجامة والرعاف والقئ ونحوها * فذهب قوم الى انه لا وضوء من خروج
هذه الاشياء روى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحسن وابن المسيب واليه ذهب
مالك والشافعى لما روى عن انس قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضأ ولم يزد
على غسل محاجمه اخرجه الدارقطنى * وذهب قوم الى ايجاب الوضوء من ذلك منهم سفيان
الثورى وابن المبارك واصحاب الرأى واحمد واسحق واتفق هؤلاء على ان خروج القليل منه
لاينقض الوضوء ويدل على انتقاض الوضوء بخروج هذه الاشياء ماروى عن معدان بن ابى طلحة
عن ابى الدرداء ان النبى صلى الله عليه وسلم قاء فتوضأ قال معدان فلقيت ثوبان فى مسجد دمشق
فذكرت له ذلك فقال صدق انا صببت له وضوءه اخرجه الترمذى وقال هو اصح شئ فى هذا الباب
* (المسئلة الرابعة) * من نواقض الوضوء زوال العقل بجنون اواغماء اونوم لما روى عن على
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين وكاء السنة فمن نام فليتوضأ اخرجه ابوداود وابن ماجه
ويستثنى من ذلك النوم اليسير قاعدا مفضيا بمحل الحدث الى الارض ويدل على ذلك ماروى
عن انس قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء الاخيرة حتى تخفق رؤسهم
ثم يصلون ولايتوضؤن اخرجه ابوداود * وذهب قوم الى ان النوم لاينقض الوضوء بكل حال
وهو قول ابى هريرة وعائشة وبه قال الحسن واسحق والمزنى * وذهب قوم الى انه لونام قائما
اوقاعدا اوساجدا وهو فى الصلاة فلا وضوء عليه حتى يضطجع وبه قال سفيان الثورى وابن
المبارك واصحاب الرأى لما روى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام
ساجدا وضوء حتى يضطجع فانه اذا اضطجع استرخت مفاصله اخرجه احمد بن حنبل وضعف
بعضهم هذا الحديث * (المسئلة الخامسة) * من نواقض الوضوء مس الفرج من نفسه اوغيره
فذهب قوم الى انه يوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس وسعد بن ابى وقاص وابى هريرة
وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار واليه ذهب الاوزاعى والشافعى واحمد واسحق

غير ان الشافعي قال ينتقض الوضوء اذا لمس ببطن الكف * والرجل والمرأة في ذلك سواء * ويدل على ذلك ماروى عن بسرة بنت صفوان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره فلا يصل حتى يتوضأ اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح ولابي داود والنسائي نحوه * وعن ام حبيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مس فرجه فليتوضأ اخرجه ابن ماجه وصححه احمد وابوزرعة وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من افضى بيده الى ذكره وليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء اخرجه احمد بن حنبل * وذهب قوم الى ان مس الذكر لايوجب الوضوء وهو قول عليّ وابن مسعود وابي الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن واليه ذهب الثوري وابن المبارك واصحاب الرأي * واحتجوا بما روى عن طلق بن عليّ قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل كأنه بدوي فقال يانبي الله ماترى في مس الرجل ذكره بعدما توضأ قال هل هو الامضغة اوقال بضعة منه اخرجه ابوداود وللترمذي والنسائي نحوه بمعناه * واجاب من اوجب الوضوء على من مس الذكر عن حديث طلق بن عليّ بان قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في اوّل الهجرة وهو يبني المسجد وابوهريرة من آخرهم اسلاما وقد روى انتقاض الوضوء بمس الذكر فصار حديث ابي هريرة ناسخا لحديث طلق بن عليّ وايضا فان حديث طلق يرويه عنه ابنه قيس بن طلق وهو ليس بالقوي عند اهل الحديث * وقوله تعالى (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) اعلم ان التيمم من خصائص هذه الامة خصها الله تعالى به ليسهل عليهم اسباب العبادة ويدل على ذلك ماروى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء اخرجه مسلم * وكان سبب بدء التيمم ماروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس الى ابي بكر الصديق فقالوا الاترى الى ماصنعت عائشة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء ابوبكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة فعاتبني ابوبكر وقال ماشاء الله ان يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الامكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبح على غير ماء فأنزل الله عزوجل آية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن حضير وهو احد النقباء ماهي بأوّل بركتكم ياآل ابي بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته اخرجاه في الصحيحين * قولها بالبيداء البيداء المفازة والقفر وكل صحراء فهي بيداء وجمعها بيد * وذات الجيش اسم لموضع وهو على بريد من المدينة * وقولها فبعثنا البعير اي اثرناه * قوله تعالى فلم تجدوا ماء هو معطوف على ماقبله والمعنى اوجاء احد منكم من الغائط اولامستم النساء فطلبتم الماء لتطهروا به فلم تجدوه يعني فاعوزكم فلم تجدوه بثمن ولابغير ثمن لان المحدث مامور بالتطهر بالماء فاذا اعوزه الماء عدل عنه الى التيمم بعد طلب الماء قال الشافعي اذا دخل وقت الصلاة طلب الماء فان لم يجده تيمم

وصلى ثم اذا دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى * وقال ابوحنيفة لايجب عليه الطلب للصلاة الثانية * حجة الشافعي قوله تعالى فلم تجدوا ماء فعدم الوجدان مشعر بسبق الطلب فلابد في كل مرة من سبق الطلب * واجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه يحتاج اليه لعطشه اوعطش حيوان محترم فانه يجوز له التيمم مع وجدان ذلك الماء * وقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اصل التيمم في اللغة القصد يقال تيممت فلانا اذا قصدته وهو في الشرع عبارة عن افعال مخصوصة عند عدم الماء لتأدية الصلاة * واختلفوا في الصعيد الطيب فقال قتادة الصعيد الارض التي ليس فيها شجر ولا نبات وقال ابن زيد الصعيد المستوى من الارض وكذلك قال الليث الصعيد الارض المستوية التي لا شئ فيها وقال الفراء الصعيد هو التراب وكذلك قال ابو عبيد في قوله صلى الله عليه وسلم اياكم والقعود بالصعدات قال الصعدات الطرق مأخوذ من الصعيد وهو التراب وقيل الصعيد وجه الارض البارز وهو اختيار الزجاج قال الصعيد وجه الارض ولا تبالي أكان في الموضع تراب اولا لان الصعيد ليس هو التراب انما هو وجه الارض ونقل الربيع عن الشافعي في تفسير الصعيد قال لايقع اسم الصعيد الاعلى تراب ذي غبار فأما البطحاء الغليظة والرقيقة فلايقع عليها اسم الصعيد فان خالطه تراب اومدر يكون له غبار كان الذي خالطه هو الصعيد * قال ولايتيمم بنورة ولا بكحل ولازرنيخ كل هذا حجارة هذا كلام الشافعي في تفسير الصعيد وهو القدوة في اللغة وقوله في ذلك حجة وقد وافقه على ذلك الفراء وابو عبيد في انه التراب * وجميع الاقوال في الصعيد صحيحة في اللغة لكن المراد به هنا التراب وقد قال ابن عباس في قوله صعيدا هو التراب * واختلف اهل العلم فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعي الى انه يختص بما وقع عليه اسم التراب مما له غبار يعلق بالوجه واليدين لان النبي صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا فخص التراب بالطهور ولان الله تعالى وصف الصعيد بالطيب والطيب * من الارض هو الذي ينبت فيها بدليل قوله والبلد الطيب يخرج نباته فعلى هذا مالا ينبت ليس بطيب ولما ايضا قوله تعالى في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه وكلمة من للتبعيض هنا ولايتأتى ذلك في الصخر الذي لاتراب عليه وايضا فانه يقال للغبار صعيد لانه مأخوذ من الصعود وهو الارتفاع ولايكون ذلك في الصخر وماشبهه * وذهب ابو حنيفة ومالك الى انه يجوز التيمم بكل ماهو من جنس الارض كالرمل والجص والنورة والزرنيخ ونحو ذلك حتى لو ضرب يده على صخرة ملساء لاغبار عليها صح تيممه عندهم * واحتج ابو حنيفة ومن وافقه بظاهر الآية قالوا لان التيمم هو القصد والصعيد اسم لما تصاعد من الارض فقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اى اقصدوا ارضا فوجب ان يكون هذا القدر كافيا * واجيب عنه بما تقدم من الدليل في قوله منه وان لفظة من تكون للتبعيض * قالوا ولما روى عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا * واجيب عنه بان هذا مجمل يفسره ماتقدم من حديث حذيفة في تخصيص التراب والمفسر يقضي على المجمل * وجوّز بعضهم التيمم بكل ماهو متصل بالارض من شجر ونبات ومدر ونحو ذلك قالوا لان اسم الصعيد يقع على ماتصاعد على الارض * واجيب عنه بما تقدم من الادلة * وقوله تعالى (فامسحوا بوجوهكم وايديكم) الوجه الممسوح في التيمم هو المحدود في الوضوء * واختلف العلماء فيما يجب مسحه من اليد

فذهب اكثر اهل العلم منهم ابن عمر وابنه سالم والحسن وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي انه يمسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين * وصورة ذلك ان يضرب كفيه على التراب ويمسح بهما وجهه ولا يجب ايصال التراب الى منابت الشعور ثم يضرب ضربة اخرى ويفرق اصابعه فيمسح يديه الى المرفقين * ويدل على ذلك ماروى عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين رواه البيهقي ولم يضعفه وروى الشافعي عن ابراهيم بن محمد عن ابي الحويرث عن الاعرج عن ابن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي حتى قام الى الجدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يده على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علي * هذا حديث منقطع لان الاعرج وهو عبد الرحمن بن هرمز لم يسمع هذا من ابن الصمة وانما سمعه من عمير مولى ابن عباس عن ابن الصمة وكذا هو مخرج في الصحيحين عن عمير مولى ابن عباس قال دخلنا على ابي جهيم بن الحرث فقال ابو جهيم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم حتى اقبل على الجدار فوضع يده على الحائط فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام ولابي داود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر في حاجة الى ابن عباس فلما ان قضى حاجته فكان من حديثه يومئذ ان قال مر رجل في سكة من سكك المدينة فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من غائط اوبول فسلم عليه الرجل فلم يرد عليه حتى اذا كاد الرجل ان يتوارى في السكة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على حائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة اخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد عليه السلام وقال لم يمنعني ان ارد عليك اولا الا اني لم اكن على طهر وفي رواية فمسح ذراعيه الى المرفقين فهذا اجود ما في هذا الباب فان البيهقي اشار الى صحة اسناده وفيه دليل على الحكمين يعني مسح الوجه واليدين بضربتين وايصال المسح الى المرفقين وفيه دليل على ان التيمم لايصح مالم يعلق بالوجه واليدين غبار التراب لان النبي صلى الله عليه وسلم حت الجدار بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافيا لما كان حته وذهب الزهري الى انه يمسح اليدين الى المنكبين ويدل على ذلك ماروى عن عمار بن ياسر قال تمسحوا وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا باكفهم الصعيد ثم مسحوا بوجوههم مسحة واحدة ثم عادوا فضربوا باكفهم الصعيد مرة اخرى فمسحوا بايديهم كلها الى المناكب والآباط ثم بطون ايديهم اخرجه ابوداود * وذهب جماعة الى ان التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس وبه قال الشعبي وعطاء ومكحول واليه ذهب الاوزاعي ومالك واحمد واسحق وداود الظاهري * واحتجوا بماروى عن عمار بن ياسر قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة فاجنبت فلم اجد الماء فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما يكفيك ان تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيديه الارض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه وباطنهما ووجهه وفي رواية ان تقول هكذا وضرب بيديه الارض فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه اخرجاه في الصحيحين وجملته ان اليد اسم لهذه الجارحة وحدها عند بعض اهل اللغة من اطراف الانامل الى الكوع وهذا هو المقطوع في حد السرقة وقال ابو اسحق الزجاج حدها من اطراف الانامل الى الكتف فمن ذهب الى ان الممسوح في التيمم هو الكف قال ان حد

اليد هو المقطوع في حد السرقة ومن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المناكب والآباط نظر الى ان مسمى اليد يطلق على جميعها ومن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المرفقين قال ان التيمم بدل عن الوضوء واليد المغسولة في الوضوء هي الممسوحة في التيمم فحمل المطلق الذي في قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم على المقيد الذي في قوله تعالى في آية الوضوء فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق * واجاب من ذهب الى هذا عن حديث عمار بان المراد منه بيان صورة الضرب وليس المراد منه جميع ما يحصل به التيمم

(فصل) واركان التيمم خمسة *الاول تراب طاهر خالص له غبار يعلق بالوجه واليدين ويجوز بالرمل اذا كان عليه غبار *الثاني قصد الصعيد فلو تعرض لمهب الريح لم يكفه ولو يممه غيره باذنه مع عجزه جاز وان كان قادرا فوجهان *الثالث نقل التراب الى الوجه واليدين *الرابع نية استباحة الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يصح واكمله ان ينوي استباحة الفرض والنفل *الخامس مسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين والترتيب * ولا يصح التيمم لصلاة الا بعد دخول وقتها ولا يجوز الجمع بين صلاتي فرض بتيمم واحد وهو قول علي وابن عباس وابن عمر وبه قال الشعبي والنخعي وقتادة واليه ذهب مالك والشافعي واحمد واسحق وذهب جماعة الى ان التيمم كالوضوء فيجوز تقديمه على الوقت ويجوز ان يصلي به ماشاء من الفرائض مالم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهري والثوري واصحاب الرأي واتفقوا على انه يجوز ان يصلي بتيمم واحد ماشاء من النوافل قبل الفرض وبعده الى ان يدخل وقت الصلاة الاخرى وان يقرأ القرآن ان كان جنبا ويشترط طلب الماء في السفر بان يطلبه في رحله وعند رفقائه وان كان في صحراء ولا حائل دون نظره نظر حواليه وان كان دون نظره حائل قريب من تل او جدار او نحوه عدل عنه لان الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال لم يجد الا لمن طلب ولا يشترط طلب عند ابي حنيفة فان رأى الماء ولا يقدر عليه لمانع من عدو اوسبع يمنعه من الذهاب اليه او كان الماء في بئر وليس معه آلة الاستقاء فهو كالعادم فيتيمم ويصلي ولا اعادة عليه والله اعلم * وقوله تعالى (ان الله كان عفوّا) يعني يتجاوز عن ذنوب عباده ويعفو ويصفح عنهم (غفورا) ستورا على عباده يغفر الذنوب ويسترها وفيه تنبيه على ان الله تعالى رخص لعباده امر العبادة ويسرها عليهم لان من كانت عادته ان يغفر الذنوب ويعفو عنها كان اولى بان يرخص للعاجزين امر العبادة * قوله عز وجل (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب) نزلت في يهود المدينة وقال ابن عباس نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم اليهوديين كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا السنتهما وعاباه فانزل الله تعالى الم تر يعني الم ينته علمك يا محمد الى هؤلاء الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني اعطوا حظا من علم التوراة وذلك انهم عرفوا نبوّة موسى من التوراة وانكروا نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم منها فلذلك اتى بمن التي هي للتبعيض وقيل انهم علموا التوراة ولم يؤتوا العمل بها (يشترون الضلالة) يعني يؤثرون تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ليأخذوا بذلك الرشا وتحصل لهم الرياسة وانما ذكر بلفظ الشراء لانه استبدال شيء بشيء وقيل فيه اضمار يعني يستبدلون الضلالة بالهدى (ويريدون) يعني اليهود (ان تضلوا السبيل) يعني عن السبيل والمعنى انهم يتوصلون الى اضلال المؤمنين والتلبيس عليهم لكي يجتنبوا

الاسلام (والله اعلم باعدائكم) يعنى انه سبحانه وتعالى اعلم بكنه مافى قلوب اليهود من العداوة والبغضاء لكم يامعشر المؤمنين فلا تنصحوهم فانهم اعداؤكم (وكفى بالله وليا) يعنى متوليا امركم والقائم به ومن كان الله تعالى وليه لم يضره احد (وكفى بالله نصيرا) يعنى فهو ينصركم عليهم فثقوا بولايته ونصره وقوله تعالى (من الذين هادوا) قيل هو بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب والتقدير الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هو متعلق بماقبله والتقدير وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا وقيل هو ابتداء كلام وفيه حذف تقديره من الذين هادوا قوم (يحرفون الكلم) اى يزيلونه ويغيرونه ويبدلونه (عن مواضعه) يعنى يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقال ابن عباس كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الامر فيخبرهم به فيرى انهم يأخذون بقوله فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف القاء الشبهة الباطلة والتأويلات الفاسدة وهو تحريف اللفظ عن معناه الحق الى معنى باطل (ويقولون سمعنا وعصينا) يعنى سمعنا قولك وعصينا امرك وذلك انهم كانوا اذا امرهم النبى صلى الله عليه وسلم بامر قالوا فى الظاهر سمعنا وقالو فى الباطن عصينا وقيل انهم يظهرون ذلك القول عنادا واستخفافا (واسمع غير مسمع) هذه كلمة تحتمل المدح والذم فاما معناها فى المدح اسمع غير مسمع مكروها واما معناها فى الذم فانهم كانوا يقولون اسمع منا ولانسمع منك وقيل انهم كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون فى انفسهم لاسمعت وقيل معناه غير مقبول منك ماتدعوا اليه وقيل معناه غير مسمع جوابا يوافقك ولا كلاما ترتضيه (وراعنا) اى ويقولون راعنا يريدون بذلك نسبته الى الرعونة وقيل معناه ارعنا سمعك اى اصرف سمعك الى كلامنا وانصت الى قولنا ومثل هذا لايخاطب به الانبياء بل انما يخاطبون بالاجلال والتعظيم والتبجيل والتفخيم (ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين) اصله لويا لانه من لويت الشئ اذا فتلته والمعنى انهم يفتلون الحق فيجعلونه باطلا لان راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون لاصحابهم انما نشتمه ولايعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فاظهره الله تعالى على خبث ضمائرهم ومافى قلوبهم من العداوة والبغضاء ثم قال تعالى (ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا) يعنى ولو انهم قالوا بدل سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا (واسمع) يعنى بدل قولهم لاسمعت (وانظرنا) يعنى بدل قولهم راعنا اى انظر الينا (لكان خيرا لهم) يعنى عند الله (واقوم) يعنى اعدل واصوب (ولكن لعنهم الله) يعنى طردهم وابعدهم من رحمته (بكفرهم) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم (فلا يؤمنون الا قليلا) يعنى فلا يؤمن من اليهود الانفر قليل مثل عبدالله بن سلام واصحابه وقيل اراد بذلك القليل هو اعترافهم بان الله خلقهم ورزقهم * قوله تعالى (ياأيها الذين اوتوا الكتاب) خطاب لليهود (آمنوا بما نزلنا) يعنى القرآن (مصدقا لما معكم) يعنى التوراة وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كلم احبار اليهود عبدالله بن صوريا وكعب بن الاشرف فقال يامعشر اليهود اتقوا الله واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذى جئتكم به لحق قالوا مانعرف ذلك واصروا على الكفر فأنزل الله هذه الآية وامرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد فقال تعالى (من قبل ان نطمس وجوها) اصل الطمس ازالة الاثر بالمحو وذكروا فى المراد بالطمس ههنا وجهين * احدهما ان يحمل على حقيقته * والثانى ان يحمل على مجازه * امامن حمله على الحقيقة فقال هو

محو تخطيط صورالوجوه قال ابن عباس يجعلها كخف البعير وقيل نعميها فيكون المراد بالوجه العين (فنردّها على ادبارها) يعني نجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء وقيل ندبرها فنجعل الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وانما جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة وعند هذا يحصل لهم الغم وتكثر الحسرات فعلى هذا يكون هذا الوعيد مختصا بيوم القيامة * واما من حمل الطمس على المجاز فقال المراد به نطمسها عن الهدى فنردها على ادبارها يعني على ضلالتها * وقيل المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة فنردها على ادبارها يعني بتغيير احوالهم فنلبسهم الصغار والذلة بعد العز * وقيل المراد بالطمس محو آثارهم من المدينة وردهم الى اذرعات واريحاء من ارض الشأم من حيث جاؤا وهو اجلاء بني النضير * فان قلت قد اوعدهم وهددهم بطمس الوجوه ان لم يؤمنوا ولم يؤمنوا فلم لم يفعل بهم ذلك * قلت هذا الاشكال انما يرد على من فسر الطمس بتغيير الوجوه ومحو تخطيطها وحمله على الحقيقة والجواب عنه ان هذا مشروط بعدم الايمان وقد آمن منهم ناس فرفع عن الباقين وروى ان عبدالله بن سلام لما سمع هذه الآية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتي اهله فاسلم وقال يارسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يحول وجهي الى قفاي وكذلك روى عن كعب الاحبار انه لما سمع هذه الآية في خلافة عمر بن الخطاب اسلم وقال يارب اسلمت مخافة ان يصيبني وعيد هذه الآية فكان هذا الوعيد مشروطا بان لا يؤمن احد منهم وهذا الشرط لم يوجد لانه آمن منهم جمع كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كعبدالله بن سلام واصحابه ففات الشرط لفوات المشروط * وقيل ان الطمس باق في اليهود فيكون فيهم طمس ومسخ قبل يوم القيامة * وقيل انه تعالى جعل الوعيد باحد شيئين اما بالطمس اوباللعنة وهو قوله تعالى (اونلعنهم كما لعنا اصحاب السبت) اى نجعلهم قردة كما فعلنا باوائلهم * وقيل المراد من لعنهم الطرد والابعاد من الرحمة * والكناية في نلعنهم تعود الى المخاطبين في قوله تعالى يا أيها الذين اوتوا الكتاب وهذا على طريقة الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقد يحتمل ان يكون معناه من قبل ان نطمس وجوها فنردها ونلعن اصحاب الوجوه فيجعل الكناية في قوله اونلعنهم عن ذكر اصحاب الوجوه اذا كان في الكلام دلالة عليهم * وقوله تعالى (وكان امر الله مفعولا) يعني لابد وان يقع بهم ذلك ان لم يؤمنوا فلا راد لحكمه ولا ناقض لامره على معنى انه لا يمتنع عليه شئ يريد ان يفعله * وقيل معناه وكان مأمور الله مفعولا والامر هنا في موضع المأمور سمى امرا لانه عن امره كان * قوله عز وجل (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) قال ابن جرير الطبرى معناه يا أيها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا فان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * فعلى هذا يكون في الآية دلالة على ان اليهودى يسمى مشركا في عرف الشرع * وقيل ان الآية نزلت في وحشي واصحابه وذلك لما قتل حمزة رضي الله عنه ورجع الى مكة ندم هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ماصنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله آلها آخر الى آخر الآيات وقد دعونا مع الله آلها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الآيات لاتبعناك فنزلت الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآيتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم

فلما قرؤهما كتبوا اليه ان هذا شرط شديد ونخاف ان لا نعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا انا نخاف ان لا نكون من اهل المشيئة فنزلت قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم الآية فبعث بها اليهم فدخلوا فى الاسلام ورجعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشى اخبرنى كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك عنى فلحق بالشام فكان به الى ان مات * وقيل لما نزلت قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم الآية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلاثا فنزلت هذه الآية ومعنى الآية ان الله لا يغفر لمشرك مات على شركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يعنى ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء من اصحاب الذنوب والآثام * ففى الآية دليل على ان صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه فى خطر المشيئة ان شاء عفا عنه وادخله الجنة بفضله وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم ادخله الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فان مات على الشرك فهو مخلد فى النار لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * وفى الآية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز فى الحكمة ان يغفر لصاحب كبيرة * وعند اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء لا مكره له ولا حجر عليه * ويدل على ذلك ايضا ما روى عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين الرجل يعمل من الصالحات لم يدع من الخير شيأ الا عمله غير انه مشرك قال عمر هو فى النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيأ من الشر الا عمله غير انه لم يشرك بالله شيأ فقال عمر الله اعلم قال ابن عباس انى لارجو له كما انه لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر * عن على بن ابى طالب قال ما فى القرآن احب الى من هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن جابر قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار وقوله تعالى (ومن يشرك بالله) يعنى يجعل معه شريكا غيره (فقد افترى) اى اختلق (اثما عظيما) يعنى ذنبا عظيما غير مغفور ان مات عليه * قوله عز وجل (ألم تر الى الذين يزكون انفسهم) نزلت فى رجال من اليهود اتوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هؤلاء من ذنب قال لا قالوا وما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملناه بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى اليهود والنصارى حين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى والتزكية هنا عبارة عن مدح الانسان نفسه بالصلاح والدين ومنه تزكية الشاهد حتى يصير عدلا قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وذلك لان التزكية متعلقة بالتقوى وهى صفة فى الباطن فلا يعلم حقيقتها الا الله تعالى فلا تصلح التزكية الا من عند الله تعالى فلهذا قال الله تعالى بل الله يزكى من يشاء ويدخل فى هذا المعنى كل من ذكر نفسه بصلاح او وصفها بزكاء العمل او بزيادة الطاعة والتقوى او بزيادة الزلفى عند الله تعالى فهذه الاشياء لا يعلمها الا الله تعالى فلهذا قال فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى ومعنى يزكون انفسهم يزعمون انهم ازكياء لانهم برؤا انفسهم من الذنوب قال تعالى ردا عليهم (بل الله يزكى من يشاء) فيجعله زاكيا (ولا يظلمون فتيلا) يعنى ان الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تلك التزكية من غير ظلم * وقيل معناه ان الذين زكاهم الله

وامداده لسلوك طريقه بما يخرج كمالك الى الفصل ويبرز ما فيك كامنا من العلم (ورحمته) هبته لذلك الكمال المطلق الذى اودعه فيك فى الازل وهى الرحمة التى ليس وراءها رحمة (لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم) لكون الضلال

لاينقصون من ثواب طاعتهم شيأ* والفتيل المفتول وسمي مايكون في شق النواة فتيلا لكونه على هيئته* وقيل الفتيل هو ماتفتله بين اصابعك من وسخ وغيره ويضرب به المثل في الشئ الحقير الذى لاقيمةله (انظر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انظر يامحمد الى هؤلاء اليهود (كيف يفترون على الله الكذب) يعني قولهم انهم لاذنوب لهم وتزكيتهم انفسهم (وكفى به) اى بذلك الكذب (اثما مبينا) * قوله عزوجل (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) نزلت في كعب بن الاشرف وسبعين راكبا من اليهود قدموا مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على النبي صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب بن الاشرف على ابى سفيان فأحسن مثواه ونزل باقي اليهود على قريش في دورهم فقال لهم اهل مكة انتم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم ان نخرج معكم فاسجدوا الى هذين الصنمين ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليجئ منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال ابو سفيان لكعب بن الاشرف انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لانعلم فأينا اهدى سبيلا نحن ام محمد فقال كعب اعرض على دينكم فقال ابوسفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله تعالى الم تر يعني يامحمد الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعب بن الاشرف واصحابه اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت يعني سجودهم للصنمين* واختلف العلماء فيهما فقيل الجبت والطاغوت كل معبود دون الله تعالى. وقيل هما صنمان كانا لقريش وهما اللذان سجد اليهود لهما لمرضاة قريش . وقيل الجبت اسم للاصنام والطاغوت شياطين الاصنام ولكل صنم شيطان يعبر فيها ويكلم الناس فيغترون بذلك. وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الساحر* عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو داود* وقال الطرق الزجر والعيافة الخط* وقيل العيافة هي زجر الطير وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا خرج لامر زجر طيرا فاذا اخذ ذات اليمين مضى في حاجته واذا اخذ ذات الشمال رجع فنهوا عن ذلك . والطرق هو ضرب الحجارة والحصا على طريق الكهانة فنهوا عنه . والطيرة هو ان يتطير بالشئ فيرى الشؤم فيه والشر منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطائر والخط هو ضرب الرمل لاستخراج الضمير* وقيل الجبت كل ماحرم الله تعالى والطاغوت كل مايطغى الانسان . وقيل الجبت هو حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف اليهوديان وكانا طاغية اليهود (ويقولون) يعني كعب بن الاشرف واصحابه (للذين كفروا)يعني لكفار قريش (هؤلاء) يعني انتم ياهؤلاء (اهدى من الذين آمنوا سبيلا) يعني طريقا (اولئك الذين لعنهم الله) يعني كعب بن الاشرف واصحابه (ومن يلعن الله) يعني يطرده من رحمته (فلن تجد له نصيرا) يعني ينصره * قوله تعالى (ام لهم نصيب من الملك) هذا استفهام انكار يعني ليس لهم من الملك شئ البتة وذلك ان اليهود كانوا يقولون نحن اولى بالملك

ناشئا من اصل استعدادهم لكونهم مجبولين على الشقاوة ازلا فكيف يرجع ذلك الضلال المجبول فيهم الى غيرهم (ومايضرونك من شئ وانزل الله عليك الكتاب) اى العلم التفصيلي التام بعد الوجود الموهوب (والحكمة) وعلم احكام التفاصيل وتجليات

(والنبوة)

والنبوة فكيف نتبع العرب فأكذبهم الله تعالى وابطل دعواهم (فاذا لايؤتون الناس نقيرا) هذا جواب وجزاء لمضمر تقديره ولئن كان لهم نصيب وحظ من الملك فلايؤتون الناس منه نقيرا وصفهم بالبخل فى هذه الآية ووصفهم بالجهل فى الآية المتقدمة ووصفهم بالحسد فى الآية الآتية وهذه الخصال كلها مذمومة فكيف يدعون الملك وهى حاصلة فيهم * والنقير هو النقطة التى تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب به المثل فى الشئ الحقير التافه الذى لاقيمة له * قوله عزوجل (ام يحسدون الناس على ماآتاهم الله من فضله) اصل الحسد تمنى زوال النعمة عمن هو مستحق لها وربما يكون ذلك مع سعى فى زوالها وصف الله اليهود بشر خصلة وهى الحسد * والمراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم وحده وانما جاز ان يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لانه صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة مالايجتمع مثله فى جماعة ومن هذا القبيل يقال فلان امة وحده يعنى انه يقوم مقام امة * وقيل المراد بالناس النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه لان لفظ الناس جمع وحمله على الجمع اولى والمراد بالفضل النبوة لانها اعظم المناصب واشرف المراتب * وقيل حسدوه على ما احل الله له من النساء وكان له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا لشغله امر النبوة عن الاهتمام بأمر النساء فأكذبهم الله تعالى ورد عليهم بقوله (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة) يعنى انه قد حصل فى اولاد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة مثل داود وسليمان عليهما السلام فلم يشغلهم الملك عن امر النبوة المعنى كيف يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ماآتاه الله من فضله وقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وانتم لاتحسدونهم والمراد بالكتاب التوراة وبالحكمة النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) يعنى فلم يشغلهم عن النبوة فمن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم فى حق داود وسليمان بكثرة النساء فانه كان لداود مائة ولسليمان الف امرأة ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الاتسع نسوة ولما لم يكن ذلك مستبعدا فى حقهم ولانقصا فى نبوتهم فلايكون مستبعدا فى حق محمد صلى الله عليه وسلم ولانقصا فى نبوته (فمنهم) يعنى من اليهود (من آمن به) اى بالنبى صلى الله عليه وسلم وماانزل اليه كعبد الله بن سلام واصحابه (ومنهم من صد عنه) اى اعرض عنه ولم يؤمن به (وكفى بجهنم سعيرا) يعنى وكفى فى عذاب من لم يؤمن بالنبى صلى الله عليه وسلم سعيرا * قوله تعالى (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) هذا وعيد من الله عزوجل للذين اقاموا على كفرهم وتكذيبهم بماانزل الله عزوجل على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم من سائر الكفار والمعنى ان الذين جحدوا ماانزلت على رسولى محمد من آياتى الدالة على توحيدى وصدق رسولى محمد صلى الله عليه وسلم سوف نصليهم نارا اى ندخلهم نارا نشويهم فيها (كلما نضجت جلودهم) يعنى احترقت (بدلناهم جلودا غيرها) يعنى غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وروى ان هذه الآية قرئت عند عمر بن الخطاب فقال عمر للقارئ اعدها فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندى تفسيرها تبدل فى كل ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره البغوى بغير سند وقال الحسن تأكلهم النار فى كل يوم سبعين الف مرة (ق) عن ابى هريرة يرفعه مابين منكبى الكافر فى النار مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع

الصفات مع العمل به (وعلمك مالم تكن تعلم) لانه علم الله لايعلمه الاهو فلما كشف لك عن ذاته بفنائك فيه ثم ابقاك بالوجود الحقانى فصار قلبك وجيبك بحجاب ذلك القلب علمك علمه اذ الصفة تابعة للذات (وكان فضل الله عليك) فى اظهار هذا الكمال عليك بالتوفيق

(م) عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر او قال ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة ايام* فان قلت كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعص قلت يعاد الجلد الاوّل في كل مرة وانما قال جلودا غيرها لتبديل صفتها كما تقول صغت من خاتمي خاتما غيره فالثاني هو الاوّل غير ان الصناعة بدلت الصفة* وقيل ان العذاب للجملة الحساسة وهي النفس التي عصت فاذا كان كذلك فغير مستحيل ان الله يخلق للكافر في كل ساعة من الجلود ما لا يحصى لتحترق ويصل الهما اليه* وقيل المراد بالجلود السرابيل وهو قوله سرابيلهم من قطران والمعنى كلما نضجت سرابيلهم واحترقت بدلناهم سرابيل من قطران غيرها لان الجلود لو احترقت لفنيت وفي فنائها راحتها وقد اخبر الله عنهم انهم لا يموتون فيها ولا يخفف عنهم من عذابها ولان الجلد احد اجزاء الجسم فثبت ان التبديل انما هو للسرابيل* وقيل يبدل الجلد من نفس الكافر فيخرج من لحمه جلدا * وقيل ان الله تعالى يلبس اهل النار جلودا لا تألم لتكون زيادة في عذابهم كلما احترق جلد بدلهم جلدا غيره * وقوله تعالى (ليذوقوا العذاب) اي انما فعلنا بهم ذلك ليجدوا الم العذاب وكربه وشدته وانما اتى بلفظ الذوق مع ما نالهم من عظم العذاب الذي نالوه اخبارا بان احساسهم به في كل حال كاحساس الذائق في تجديد وجدان الذوق من غير نقصان في الاحساس (ان الله كان عزيزا) يعني في انتقامه ممن ينتقم من خلقه لا يغلبه شئ ولا يمتنع عليه احد (حكيما) يعني في تدبيره وقضائه لا يفعل الا ما هو الصواب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم) يعني سوف ندخلهم يوم القيامة (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) يعني باقين فيها (ابدا) يعني ذلك الخلود بغير نهاية ولا انقطاع (لهم فيها) يعني في الجنات (ازواج مطهرة) يعني مطهرات من الحيض والنفاس وسائر اقذار الدنيا (وندخلهم ظلا ظليلا) يعني كنينا ذلك الظل لا تنسخه الشمس ولا يؤذيهم فيه حر ولا برد وذلك الظل هو ظل الجنة* فان قلت اذا لم يكن في الجنة شمس يؤذي حرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل * قلت انما خاطبهم بما يعقلون ويعرفون وذلك لان بلاد العرب في غاية الحرارة فكان الظل عندهم من اعظم اسباب الراحة واللذاذة فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا* قوله عز وجل (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها) قال البغوي نزلت في عثمان ابن طلحة الحجبي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له انه مع عثمان فطلب منه رسول الله المفتاح فابى وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه المفتاح فلوى علي بن ابي طالب واخذ منه المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح وان يجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يردّ المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك فقال له عثمان اكرهت ثم جئت ترفق فقال علي لقد انزل الله عز وجل في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاسلم فكان المفتاح معه الى ان مات فدفعه الى اخيه شيبة فالمفتاح والسدانة في اولادهم الى يوم القيامة* قلت وفيما ذكره البغوي رحمه الله من اسلام عثمان بن طلحة يوم الفتح ومنعه المفتاح وقوله لو اعلم انه رسول الله لم امنعه المفتاح نظر والصحيح ما حكاه ابو عمر بن عبد البر وابن منده وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الى المدينة

العمل الذي اوصلك الى ما لو وصلك (عطيا لا خير في كثير من نجواهم) فانها فضول والفضول يجب تركها على السالك كما قال عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه لا لا يعنيه (الا من امر) اي الا نجوى من امر (بصدقة) اي بفضيلة العطاء التي هي

في هدنة الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن العاص مقبلا من عند النجاشي فرافقهما وهاجر معهما فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال رمتكم مكة بافلاذ كبدها يعني انهم وجوه اهل مكة فاسلموا وسلم عثمان بن طلحة المفتاح للنبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فرده النبي صلى الله عليه وسلم اليه وقال خذوها يا بني طلحة خالدة مخلدة لا ينزعها منكم الا ظالم ولم يذكروا سؤال العباس السدانة والله اعلم وثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف اسامة على القصواء ومعه بلال وعثمان حتى اناخ عند البيت ثم قال لعثمان ائتنا بالمفتاح فجاءه بالمفتاح ففتح الباب وذكر الحديث وذكر ابن الجوزي في تفسير هذه الآية من رواية ابي صالح عن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب ليعطيه اياه فقال العباس بابي انت وامي اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده مخافة ان يعطيه العباس فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح فاعاد العباس قوله وكف عثمان يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فقال هاكه يا رسول الله بامانة الله فاخذ المفتاح ففتح الباب ونزل جبريل بهذه الآية فدعا عثمان ودفعه اليه * ففي هذه الرواية ايضا ما يدل على تقدم اسلام عثمان بن طلحة على فتح مكة لان قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر يدل على ذلك * فعلى هذا القول يكون الخطاب في قوله ان الله يأمركم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الله امره ان يردّ مفتاح البيت الى عثمان بن طلحة * وقيل الخطاب في قوله ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها لولاة امور المسلمين من الامراء والحكام وغيرهم ويدل على ذلك سياق الآية وهو قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ومعنى الآية ان الله يأمركم يا ولاة الامور ان تؤدوا ما ائتمنتم عليه من امور رعيتكم وان توفوهم حقوقهم وان تعدلوا بينهم * وقيل ان الآية عامة في جميع الامانات ولا يمتنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل في ذلك جميع الامانات التي يحملها الانسان * وينقسم ذلك الى ثلاثة اقسام * القسم الاول رعاية الامانة في عبادة الله عز وجل وهو فعل المأمورات وترك المنهيات قال ابن مسعود الامانة لازمة في كل شئ حتى في الوضوء والغسل من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم وسائر انواع العبادات * القسم الثاني هو رعاية الامانة مع نفسه وهو ما انعم الله به عليه من سائر اعضائه فامانة اللسان حفظه من الكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك وامانة العين غضها عن المحارم وامانة السمع ان لا يشغله بسماع شئ من اللهو والفحش والاكاذيب ونحوه ثم سائر الاعضاء على نحو ذلك * القسم الثالث هو رعاية امانة العبد مع سائر عباد الله تعالى فيجب عليه رد الودائع والعواري الى اربابها الذين ائتمنوه عليها ولا يخونهم فيها عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب ويدخل في ذلك وفاء الكيل والميزان فلا يطفف فيهما ويدخل في ذلك ايضا عدل الامراء والملوك في الرعية ونصح العلماء للعامة فكل هذه الاشياء من الامانة التي امر الله عز وجل بادائها الى اهلها وروى البغوي بسنده عن انس قال قلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له * وقوله تعالى (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) يعني وان الله يأمركم ان تحكموا بين الناس بالعدل فيجب على الحاكم ان يأخذ الحق ممن وجب عليه لمن وجب له * واصل

من باب الشفقة (او معروف) قولي كتعليم علم وحكمة من باب فضيلة الحكمة او فعلي كاغاثة ملهوف واعانة مظلوم من باب الشجاعة (او اصلاح بين الناس) من باب العدالة (ومن يفعل ذلك) اي يجمع بين الكمالات المذكورة (ابتغاء مرضاة

العدل هو المساواة فى الاشياء فكل ماخرج عن الظلم والاعتداء سمى عدلا قال بعض العلماء ينبغى للقاضى ان يسوّى بين الخصمين فى خمسة اشياء فى الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما والحكم بالحق فيمالهما وعليهما وحاصل الامر فيه ان يكون مقصود الحاكم بحكمه ايصال الحق الى مستحقه وان لايمتزج ذلك بغرض آخر (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عندالله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتايديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم واهليهم وماولوا عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الناس الى الله يوم القيامة وادناهم عنده مجلسا امام عادل وابغض الناس الى الله وابعدهم منه مجلسا امام جائر اخرجه الترمذى * قوله تعالى (ان الله نعما يعظكم به) اى نعم الشئ الذى يعظكم به وهو اداء الامانات والحكم بالعدل (ان الله كان سميعا بصيرا) يعنى انه تعالى سميع لماتقولون وبصير بما تفعلون فاذا حكمتم فهو يسمع حكمكم واذا اديتم الامانة فهو بصير فعلكم * قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) (ق) عن ابن عباس قال لما نزل قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم الآية قال نزلت فى عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدى السهمى اذبعثه النبى صلى الله عليه وسلم فى سرية وقال السدى نزلت فى خالد بن الوليد وذلك انه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية وفيها عمار بن ياسر فسار قبل القوم فلما بلغوا قريبا منهم عرسوا واتاهم ذوالعيينتين فاخبرهم فاصبحوا وقد هربوا غير رجل امر اهله فجمعوا متاعهم ثم اقبل يمشى فى ظلمة الليل حتى اتى عسكر خالد فسأل عن عمار بن ياسر فاتاه فقال يااباليقظان انى قد اسلمت وشهدت ان لااله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان قومى لما سمعوا بكم هربوا وانى بقيت فهل اسلامى نافعى غدا والا هربت فقال عمار بل هو ينفعك فاقم فاقام فلما اصبحوا اغار خالد فلم يجد احدا غير الرجل فاخذه واخذ ماله فبلغ عمارا الخبر فاتى خالدا فقال خل عن الرجل فانه قد اسلم وهو فى امان منى فقال خالد وفيم انت تجير فاستبا وارتفعا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاجاز امان عمار ونهاه ان يجير الثانية على امير فانزل الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم * واصل الطاعة الانقياد وهو امتثال الامر فطاعة الله عزوجل امتثال امره فيما امر والانقياد لذلك الامر وطاعة الله واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة ايضا لقوله تعالى واطيعوا الرسول فاوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق * واختلف العلماء فى اولى الامر الذين اوجب الله طاعتهم بقوله واولى الامر منكم يعنى واطيعوا اولى الامر منكم قال ابن عباس وجابر هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال ابو هريرة الامراء والولاة وهى رواية عن ابن عباس ايضا قال على بن ابى طالب حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدى الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعنى ومن يعص الامير فقد عصانى (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب اوكره الاان يؤمر بمعصية الله فان امر بمعصية فلاسمع ولاطاعة (خ) عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة مااقام فيكم كتاب الله وقال ميمون بن مهران هم امراء السرايا والبعوث وهى رواية عن ابن عباس ايضا * ووجه هذا القول ان الآية نازلة فيهم وقال عكرمة اراد باولى الامر ابابكر وعمر لماروى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاادرى مابقائى فيكم فاقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر وعمر اخرجه الترمذى وقيل هم جميع الصحابة لما روى عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اخرجه رزين فى كتابه

(وروى)

الله) لالطلب السمعة اوالرياء والسمعة فتصير به الفضيلة رذيلة (فسوف نؤتيه اجرا عظيما) من جنات الصفات (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ان الله لايغفران يشرك به ويغفر

وروى البغوى بسنده من الحسن عن انس قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل اصحابى فى امتى كالملح فى الطعام لايصلح الطعام الا بالملح قال الحسن قد ذهب ملحنا فكيف نصلح * قال الطبرى واولى الاقوال بالصواب قول من قال هم الامراء والولاة لصحة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بطاعة الائمة والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة وللمسلمين مصلحة * وقال الزجاج وجملة اولى الامر من يقوم بشأن المسلمين فى امر دينهم وجميع ما ادى اليه صلاحهم قال العلماء طاعة الامام واجبة على الرعية مادام على الطاعة فاذا زال عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما تجب طاعته فيما وافق الحق * وقوله تعالى (فان تنازعتم فى شئ) يعنى اختلفتم فى شئ من امر دينكم * والتنازع اختلاف الآراء واصله من انتزاع الحجة وهو ان كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة لنفسه (فردوه الى الله والرسول) اى ردوا ذلك الامر الذى تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم مادام حيا وبعد وفاته فردوه الى سنته * والرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجب فان وجد ذلك الحكم فى كتاب الله اخذ به فان لم يوجد فى كتاب الله ففى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان لم يوجد فى السنة فسبيله الاجتهاد * وقيل الرد الى الله ورسوله ان يقول لما لا يعلم * الله ورسوله اعلم (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى افعلوا ذلك الذى امرتكم به ان كنتم تؤمنون بالله وان طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد الذى فيه جزاء الاعمال * قال العلماء فى الآية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا بالله واليوم الآخر (ذلك خير) يعنى رد الحكم الى الله ورسوله خير (واحسن تأويلا) يعنى واحد عاقبة وقيل معناه ذلك اى ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله احسن تأويلا منكم له واعظم اجرا * قوله عز وجل (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به) قال ابن عباس نزلت فى رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودى خصومة فقال اليهودى ننطلق الى محمد وقال المنافق بل ننطلق الى كعب بن الاشرف وهو الذى سماه الله الطاغوت فأبى اليهودى ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك اتى معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر فأتيا عمر فقال اليهودى اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لى عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصمى اليك فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما عمر رويدا حتى اخرج اليكما فدخل عمر البيت واخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا اقضى بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الآية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وقال السدى كان ناس من اليهود قد اسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير فى الجاهلية وكانت قريظة حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الاوس وكان اذا قتل رجل من بنى قريظة رجلا من بنى النضير قتل به او اخذت ديته مائة وسق من تمر واذا قتل رجل من بنى النضير رجلا من قريظة لم يقتل به واعطى ديته ستين وسقا فلما جاء الاسلام وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة

ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان يدعون من دونه الا اناثا) اى نفوسا اذ كل من يشرك بالله فهو عابد لنفسه بطاعة هواها وعابد لشيطان الوهم بقبول اغوائه وطاعته او كل ما يعبد من دون الله لانه ممكن وكل ممكن فهو متأثر

فاختصموا في ذلك فقال بنو النضير كنا وانتم قد اصطلحنا على ان نقتل منكم ولا تقتلوا منا وديتنا مائة وسق وديتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك فقالت الخزرج هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية لكثرتكم وقلتنا فقهرتمونا على ذلك فاليوم نحن اخوة في الدين فلا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم ننطلق الى ابي بردة الكاهن الاسلمي وقال المسلمون من الفريقين بل ننطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى المنافقون وانطلقوا الى ابي بردة الكاهن ليحكم بينهم فقال اطعموا اللقمة يعني الخطر فقالوا لك عشرة اوسق فقال لا بل مائة وسق ديتي فابوا ان يعطوه الا عشرة اوسق وابى ان يحكم بينهم فانزل الله عز وجل آيتي القصاص وانزل هذه الآية الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك * الزعم والزعم بضم الزاي وفتحها لغتان واكثر ما يستعمل الزعم بمعنى القول الذي لا يتحقق * وقيل هو حكاية قول يكون مظنة للكذب ولذلك قيل زعم مطية الكذب والمراد به في هذه الآية الكذب لان الآية نازلة في المنافقين وظاهر الآية يدل على انها نازلة في الذين نافقوا من مؤمني اهل الكتاب ويدل عليه قوله آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت يعني كعب بن الاشرف في قول ابن عباس سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل هو ابو بردة الكاهن في قول السدي (وقد امروا ان يكفروا به) يعني بالطاغوت ايمان بالله عز وجل (ويريد الشيطان ان يضلهم) يعني عن طريق الهدى والحق (ضلالا بعيدا واذا قيل لهم) يعني للمنافقين (تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول) يعني هلموا الى حكم الله الذي انزله في كتابه والى الرسول ليحكم بينكم به (رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) يعني يعرضون عنك وعن حكمك اعراضا واي اعراض وانما اعرض المنافقون عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم علموا انه صلى الله عليه وسلم كان يحكم بينهم بالحق الصريح ولا يقبل الرشا * قوله عز وجل (فكيف اذا اصابتهم مصيبة) يعني فكيف حال هؤلاء المنافقين وكيف يصنعون اذا اصابتهم مصيبة يعجزون عنها (بما قدمت ايديهم) يعني تصيبهم عقوبة بسبب ما قدمت ايديهم وهو التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء صنيعهم ورضاهم بحكم الطاغوت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المصيبة هي قتل عمر لذلك المنافق وقيل هي كل مصيبة تصيب المنافقين في الدنيا والآخرة (ثم جاؤك) يعني المنافقين حين تصيبهم المصائب يعتذرون اليك (يحلفون بالله ان اردنا) اي ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك (الا احسانا) يعني في التحاكم الى غيرك لا اساءة (وتوفيقا) يعني بين الخصمين لا مخالفة لك في حكمك وقيل جاء اولياء المنافق الذي قتله عمر يطلبون ديته وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا في حكمه ويوفق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم بما حكم به من قتل صاحبنا فاهدر الله دم ذلك المنافق (اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) يعني من النفاق (فاعرض عنهم) يعني عن عقوبتهم وقيل عن قبول عذرهم (وعظهم) يعني باللسان والمراد زجرهم بالوعظ عن النفاق والكفر والكذب وتخويفهم بعذاب الآخرة (وقل لهم في انفسهم قولا بليغا) يعني بليغا يؤثر في قلوبهم موقعه وهو التخويف بالله عز وجل وقيل هو ان يوعدهم بالقتل ان لم يتوبوا من النفاق وقيل هو ان يقول لهم ان اظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لان هذا القول

عن الغير قابل لتأثيره محتاج اليه وهي صفة الاناث (وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) اي غير المخلصين الذين خصوا دينهم بالتوحيد (ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم) بالعادات الفاسدة والاهواء

(بليغ)

بلغ فی نفوسهم کل مبلغ* وقیل معناه فاعرض عنهم فی الملا وقل لهم فی انفسهم اذا خلوت بهم قولا
بلیغا ای اغلظ لهم فی القول خالیا بهم لیس معهم غیرهم مسارا لهم بالنصیحة لانها فی السر انجع
* وقیل هذا الاعراض منسوخ بآیة القتال وقد تکلم العلماء فی حد البلاغة فقال بعضهم البلاغة
ایصال المعنی الی الفهم فی احسن صورة من اللفظ وقیل البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنی
وقیل البلاغة سرعة الایجاز مع الافهام وحسن التصرف من غیر اضجار وقیل احسن الکلام
ماقلت الفاظه وکثرت معانیه* وقیل خیر الکلام ماشوّق اوّله الی سماع آخره* وقیل لایستحق
الکلام اسم البلاغة الا اذا طابق لفظه معناه ومعناه لفظه ولم یکن لفظه الی السمع اسبق من معناه
الی القلب وقیل* المراد بالقول البلیغ فی الآیة ان یکون حسن الالفاظ حسن المعانی مشتملا علی
الترغیب والترهیب والاعذار والانذار والوعد والوعید بالثواب والعقاب فان الکلام اذا کان
کذلک عظم وقعه فی القلوب واثر فی النفوس * قوله تعالی (وماارسلنا من رسول) قال الزجاج
لفظة من هنا صلة مؤکدة والمعنی وماارسلنا رسولا (الا لیطاع باذن الله) یعنی بامر الله والمعنی
انما وجبت طاعة الرسول بامر الله لان الله اذن فی ذلک وامر به وقیل* معناه بعلم الله وقضائه
ای طاعته تکون باذن الله لانه اذن فیه فتکون طاعة الرسول طاعة الله ومعصیته معصیة الله والمعنی وما
ارسلنا من رسول الا فرضت طاعته علی من ارسلته الیهم وانت یا محمد من الرسل الذین فرضت طاعتهم
علی من ارسلوا الیهم ففیه توبیخ وتقریع للمنافقین الذین ترکوا حکم رسول الله صلی الله علیه
وسلم ورضوا بحکم الطاغوت(ولو انهم اذ ظلموا انفسهم) یعنی الذین تحاکموا الی الطاغوت
ظلموا انفسهم بالتحاکم الیه (جاؤک) یعنی جاؤک تائبین من النفاق والتحاکم الی الطاغوت متنصلین
مما ارتکبوا من المخالفة(فاستغفروا الله) یعنی من ذلک الذنب بالاخلاص وبالغوا فی الاعتذار
الیک من ایذائک برد حکمک لانهم تحاکموا الی غیرک (واستغفر لهم الرسول) یعنی من مخالفته والتحاکم
الی غیره وانما قال واستغفر لهم الرسول ولم یقل واستغفرت لهم اجلالا لرسول الله صلی الله علیه وسلم
وتفخیما له وتعظیما لاستغفاره والصدیق‌وذا جاؤک فقد جاؤا من خصه الله برسالته وجعله سفیرا بینه
وبین خلقه ومن کان کذلک فان الله تعالی لا یرد شفاعته فلهذا السبب عدل الی طریقة الالتفات من لفظ
الخطاب الی لفظ الغیبة (لوجدوا الله توابا رحیما) یعنی لو انهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم
لعلموا ان الله یتوب علیهم ویتجاوز عنهم ویرحمهم * قوله عز وجل (فلا وربک لایؤمنون حتی
یحکموک فیما شجر بینهم) نزلت هذه الآیة فی الزبیر بن العوام ورجل من الانصار (ق) عن عروة بن الزبیر
عن ابیه ان رجلا من الانصار خاصم الزبیر فی شراج الحرة التی یسقون بها النخل فقال الانصاری سرح
الماء یمر فابی علیه فاختصما عند رسول الله صلی الله علیه وسلم فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم للزبیر اسق
یا زبیر ثم ارسل الی جارک فغضب الانصاری ثم قال یا رسول الله ان کان ابن عمتک فتلون وجه رسول
صلی الله علیه وسلم ثم قال للزبیر اسق یا زبیر ثم احبس الماء حتی یرجع الی الجدر فقال الزبیر والله انی
لاحسب هذه الآیة نزلت فی ذلک فلا وربک لایؤمنون حتی یحکموک فیما شجر بینهم زاد البخاری
فاستوعی رسول الله صلی الله علیه وسلم حینئذ للزبیر حقه وکان رسول الله صلی الله علیه وسلم
قبل ذلک قد أشار علی الزبیر برأی اراد سعة له وللانصاری فلما احفظ الانصاری رسول الله صلی الله
علیه وسلم استوعی رسول الله صلی الله علیه وسلم للزبیر حقه فی صریح الحکم قال الزبیر والله ما احسب

المردیة والافعال الشنیعة
المخالفة للعقل والشرع
فلیبتکن آذان الانعام
ولآمرنهم فلیغیرن خلق
الله ومن یتخذ الشیطان
ولیا من دون الله فقد خسر
خسرانا مبینا یعدهم ویمنیهم
ومایعدهم الشیطان الاغرورا
اولئک مأواهم جهنم
ولایجدون عنها محیصا
والذین آمنوا) الایمان الحقیقی
التوحید لانهم فی مقابلة
المشرکین (وعملوا الصالحات)
مایصلح لهم فی الوصول الی
الجمع او یصلح للناس اجمعین
بالاستقامة فی الله وبالله
بعد الفناء وحصول البقاء
(سندخلهم جنات تجری
من تحتها الانهار خالدین فیها

هذه الآية نزلت الا فى ذلك * قوله فى شراج الحرة * الشراج مسايل الماء التى تكون من الجبل وتنزل الى السهل الواحدة شرجة بسكون الراء * والحرة الارض الحمراء المتلبسة بالحجارة السود * وقوله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى تغير * وقوله فلما احفظ اى اغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله حتى يرجع الى الجدر هو بفتح الجيم يعنى اصل الجدار * وقوله فاستوعى له اى استوفى حقه فى صريح الحكم وهو ان من كان ارضه اقرب الى فم الوادى فهو اولى باوّل الوادى وحقه تمام السقى فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن للزبير فى السقى على وجه المسامحة فلما ابى خصمه ذلك ولم يعترف بما اشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسامحة لاجله امر الزبير باستيفاء حقه على التمام وحمل خصمه على مرّ الحق * فعلى هذا القول تكون الآية مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها * قال البغوى وروى انهما لما خرجا مرّا على المقداد فقال لمن كان القضاء قال الانصارى لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه فى قضاء يقضى بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة فى حياة موسى فدعا موسى الى التوبة منه فقال فاقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم منى الصدق ولو امرنى محمد ان اقتل نفسى لفعلت * وقال مجاهد والشعبى نزلت هذه الآية فى بشر المنافق واليهودى اللذين اختصما الى الطاغوت * وعلى هذا القول تكون الآية متصلة بما قبلها * فلا وربك معناه وربك فعلى هذا تكون لا مزيدة لتأكيد معنى القسم * وقيل ان لا ردّ لكلام سبق كأنه قال ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم يعنى فيما اختلفوا فيه من الامور واشكل عليهم حكمه * وقيل فيما التبس عليهم يقال شاجره فى الامر اذا نازعه فيه اصله التداخل والاختلاط وشجر الكلام اذا دخل بعضه فى بعض واختلط (ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت) يعنى ضيقا مما قضيت وقيل شكا فيما قضيت بل يرضوا بقضائك (ويسلموا تسليما) يعنى وينقادوا لامرك انقيادا ولا يعارضونك فى شئ من امرك * وقيل معناه يسلموا ما تنازعوا فيه لحكمك * قوله عز وجل (ولو انا كتبنا عليهم) اى فرضنا واوجبنا عليهم * الضمير فى عليهم يعود الى المنافقين وقيل يعود الضمير على الكافة فيدخل فيه المنافق وغيره (ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم) يعنى كما كتبنا على بنى اسرائيل القتل والخروج من مصر (ما فعلوه الا قليل منهم) معناه لم يفعله الا قليل منهم نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وذلك ان رجلا من اليهود قال والله لقد كتب الله علينا القتل والخروج ففعلنا فقال ثابت والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا وهو من القليل الذى استثنى الله * وقيل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وابن مسعود وناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذين ذكرهم الله والله لو امرنا لفعلنا والحمد لله الذى عافانا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان من امتى لرجالا الايمان فى قلوبهم اثبت من الجبال الرواسى * ومن قال ان الضمير فى عليهم يعود الى المنافقين قال معنى ما فعلوه الا قليل منهم يعنى رياء وسمعة والمعنى ان ما كتبنا عليهم الا طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه ولو ان كتبنا عليهم القتل والخروج من الدور والوطن ما كان فعله الا نفر يسير منهم * وقرئ الا قليلا منهم بالنصب وتقديره الا ان يكون قليلا منهم (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به) يعنى ولو انهم فعلوا ما كلفوا به من طاعة الرسول

ابدا وعد الله حقا ومن
اصدق من الله قيلا)
الجنات الثلاثة المذكورة
(ليس) حصول الموعود
(بأمانيكم ولا امانيّ اهل
الكتاب) اى ما بقيتم مع
نفوسكم وصفاتها وافعالها
فارادتكم مجرّد تمن والتمنى
طلب ما يمتنع وجوده
فى العادة (ومن يعمل من

صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه (لكان خيرا لهم) يعني في الدنيا والآخرة وانما سمى ذلك التكليف وعظا لان اوامر الله تعالى وتكاليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا (واشد تثبيتا) يعني تحقيقا وتصديقا لايمانهم والمعنى ان ذلك اقرب الى ثبات ايمانهم وتصديقهم (واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما) يعني ثوابا وافرا جزيلا واذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا يكون من هذا الخير والتثبيت قال هو ان نؤتيهم من لدنا اجرا عظيما (ولهديناهم صراطا مستقيما) قال ابن عباس معناه ولارشدناهم الى دين مستقيم يعني دين الاسلام وقيل معناه ولهديناهم الى الاعمال الصالحة التي تؤدي الى الصراط المستقيم وهو الصراط الذي يمر عليه المؤمنون الى الجنة لان الله تعالى ذكر الاجر العظيم اولا ثم ذكر الصراط المستقيم بعده لانه هو المؤدي الى الجنة * قوله عز وجل (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم) الآية نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم اني اذا ذكرت الآخرة اخاف لا اراك لانك ترفع الى عليين مع النبيين واني اخاف ان دخلت الجنة كنت في منزلة هي ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه الآية * وقيل ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وانت يا رسول الله في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فانزل الله تعالى هذه الآية * ومن يطع الله يعني في اداء الفرائض واجتناب النواهي * والرسول اي ويطع الرسول في السنن التي سنها * فاولئك مع الذين انعم الله عليهم يعني بالهداية والتوفيق في الدنيا وبدخول الجنة في الآخرة (من النبيين) يعني ان المطيعين مع النبيين في الجنة لا تفوتهم رؤية الانبياء في الجنة ومجالستهم لا انهم يكونون في درجتهم في الجنة لان ذلك يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول (والصديقين) الصديق الكثير الصدق فعيل من الصدق والصديقون هم اتباع الرسل الذين اتبعوهم على مناهجهم بعدهم حتى لحقوا بهم * وقيل الصديق هو الذي صدق بكل الدين حتى لا يخالطه فيه شك * والمراد بالصديقين في هذه الآية افاضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كابي بكر فانه هو الذي سمى بالصديق من هذه الامة وهو افضل اتباع الرسل (والشهداء) هم الذين استشهدوا في سبيل الله وقيل هم الذين استشهدوا يوم احد (والصالحين) جمع صالح وهو الذي استوت سريرته وعلانيته في الخير * وقيل الصالح من اعتقاده صواب وعمله في سنة وطاعة * وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالصديقين ابو بكر وبالشهداء عمر وعثمان وعلي وبالصالحين سائر الصحابة (وحسن اولئك) يعني المشار اليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وفيه معنى التعجب كأنه قال وما احسن اولئك (رفيقا) يعني في الجنة * والرفيق الصاحب سمى رفيقا لارتفاقك به وبصحبته * وانما وحد الرفيق وهو صفة الجمع لان العرب تعبر به عن الواحد والجمع * وقيل معناه وحسن كل واحد من اولئك رفيقا (ق) عن انس ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة قال وما اعددت لها قال لا شيء الا اني احب الله ورسوله فقال انت مع من احببت قال انس فما فرحنا بشيء اشد فرحا بقول النبي صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال انس فانا احب النبي صلى الله عليه وسلم

الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن احسن دينا) اى طريقا (ممن اسلم وجهه) اى وجوده (لله) واخلص ذاته من شوب الانية والاثنينية بالفناء المحض (وهو محسن) مشاهد للجمع في عين التفصيل

وابابكر وعمروارجوان اكون معهم بحبى اياهم وان لم اعمل باعمالهم * وقوله تعالى (ذلك) اشارة الى ماتقدم ذكره من وصف الثواب (الفضل من الله) يعنى الذى اعطى الله المطيعين من الاجر العظيم (وكفى بالله عليما) يعنى بجزاء من اطاعه وقيل معناه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم لطاعته * وفيه دليل على انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل انما نالوها بفضل الله تعالى ورحمته * ويدل عليه ماروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله منه بفضل ورحمة لفظ البخارى ولمسلم نحوه * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا خذوا حذركم) الحذر احتراز من مخوف والمعنى احذروا واحترزوا من عدوكم ولا تمكنوه من انفسكم * وقيل المراد بالحذر هنا السلاح يعنى خذوا سلاحكم وعدتكم لقتال عدوكم وانما سمى السلاح حذرا لان به يتقى ويحذر وقيل معناه احذروا عدوكم * ولقائل ان يقول اذا كان المقدور كائنا فما ينفع الحذر * فالجواب عنه بانه لما كان الكل بقضاء الله وقدره كان الامر باخذ الحذر من قضاء الله وقدره (فانفروا ثبات) اى اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية (اوانفروا جميعا) يعنى او اخرجوا جميعا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم الى جهاد عدوكم (وان منكم لمن ليبطئن) نزلت فى المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع اهل الايمان فى الجنسية والنسب واظهار كلمة الاسلام لا فى حقيقة الايمان * والمعنى وان منكم لمن ليتأخرن وليتثاقلن عن الجهاد وهو عبدالله بن ابى بن سلول المنافق وكان رأس المنافقين (فان اصابتكم مصيبة) اى قتل وهزيمة (قال) يعنى هذا المنافق (قد انعم الله على) يعنى بالقعود (اذلم اكن معهم) يعنى مع المؤمنين (شهيدا) يعنى حاضر الوقعة فيصيبنى مااصابهم (ولئن اصابكم فضل من الله) اى فتح وغنيمة (ليقولن) يعنى هذا المنافق (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) اى معرفة ومودة فى الدين والمعنى كأنه ليس من اهل دينكم وذلك ان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين فى الظاهر (ياليتنى كنت معهم) فى تلك الغزوة التى غنم فيها المؤمنون (فأفوز فوزا عظيما) اى فآخذ نصيبا وافرا من الغنيمة * قوله عز وجل (فليقاتل فى سبيل الله) هذا خطاب للمنافق اى فليخلص الايمان وليقاتل فى سبيل الله * وقيل هو خطاب للمؤمنين المخلصين اى فليقاتل المؤمنون فى سبيل الله (الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) اى يبيعون يقال شريت بمعنى بعت لانه استبدال عوض بعوض والمعنى فليقاتل المؤمنون الكافرين الذين يبيعون حياتهم فى الدنيا بثواب الآخرة وما وعدالله فيها لاهل الايمان والطاعة * وقيل معناه فليقاتل فى سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحياة الدنيا ويختارون الآخرة وثوابها على الدنيا الفانية (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل) اى فيستشهد (اويغلب) يعنى يظفر بعدوه من الكفار (فسوف نؤتيه) يعنى فى كلا الحالتين الشهادة او الظفر نؤتيه فيهما (اجرا عظيما) يعنى ثوابا وافرا (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فهو على ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا مانال من اجر او غنيمة لفظ مسلم * قوله عز وجل (ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله) قال المفسرون هذا حض من الله على الجهاد فى سبيله لاستنقاذ المؤمنين المستضعفين من ايدى الكفار * وفيه دليل على ان الجهاد واجب * والمعنى لا عذر لكم فى ترك الجهاد

مراع لحقوق تجليات الصفات واحكامها سالك طريق الاحسان بالاستقامة فى الاعمال (واتبع ملة ابراهيم) فى التوحيد (حنيفا) مائلا عن كل شرك فى ذاته وصفاته وافعاله وعن كل دين باطل اى طريق يؤدى الى اثبات فعل لغيره او صفة او ذات اذ دينه دين الحق اعنى سيره

وقدبلغ حال المستضعفين مابلغ من الضعف والاذى (والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان)
قال ابن عباس يريد ان قوما من المؤمنين استضعفوا فحبسوا وعذبوا* وقيل كان هؤلاء بمكة
يلقون من المشركين اذى شديدا وكان اهل مكة قد اجتهدوا ان يفتنوا قوما من المؤمنين
عن دينهم بالاذى لهم وكانوا مستضعفين فى ايديهم ولم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين
فعلى هذا يكون معنى الآية ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله وفى خلاص المستضعفين وقال ابن
عباس معناه وعن المستضعفين لان المراد صرف الاذى عنهم (خ) عن ابن عباس فى قوله ومالكم
لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين الآية قال كنت انا وامى من المستضعفين وفى رواية ابن
ابى مليكة قال تلا ابن عباس الاالمستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال كنت انا وامى
ممن عذر الله انا من الولدان وامى من النساء * فعلى هذه الرواية الثانية من حديث ابن عباس يكون
معنى والمستضعفين الاالمستضعفين من الرجال والنساء والولدان فانهم ممن عذر الله فى ترك القتال
* والولدان جمع وليد وهو الصبى الصغير (الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية) يعنى
مكة (الظالم اهلها) يعنى الظالم اهلها انفسهم بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وذلك
ان المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة الى المدينة دعوا الله عز وجل فقالوا
ربنا اخرجنا من هذه القرية يعنى مكة الظالم اهلها بالشرك (واجعل لنا من لدنك وليا) يعنى
وليا يلى امرنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) يعنى ينصرنا ويمنعنا من العدو فاستجاب الله
دعاءهم وجعل لهم من لدنه خير ولى وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولى امرهم
ونصرهم واستنقذهم من ايدى المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب بن اسيد وكان
ابن ثمان عشرة سنة فكان ينصر المظلومين على الظالمين ويأخذ للضعيف من القوى * قوله
عز وجل (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله) يعنى فى طاعة الله واعلاء كلمته وابتغاء مرضاته
(والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) يعنى فى طاعة الشيطان (فقاتلوا اولياء الشيطان)
اى فقاتلوا ايها المؤمنون حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار (ان كيد الشيطان كان ضعيفا)
الكيد السعى فى الفساد على جهة الاحتيال ويعنى بكيده ماكاد المؤمنين به من تخويفه اولياءه الكفار
يوم بدر وكونه ضعيفا لانه خذل اولياءه الكفار لما رأى الملائكة قد نزلت يوم بدر وكان النصر
لاولياء الله وحزبه على اولياء الشيطان وحزبه* وادخال كان فى قوله ضعيفا لتأكيد ضعف كيد
الشيطان * قوله عز وجل (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكوة)
قال الكلبى نزلت فى عبد الرحمن بن عوف الزهرى والمقداد بن الاسود الكندى وقدامة بن مظعون
الجمحى وسعد بن ابى وقاص وجماعة من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يلقون من المشركين
اذى كثيرا بمكة قبل ان يهاجروا فكانوا يقولون يارسول الله ائذن لنا فى قتالهم فانهم قد آذونا
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم فانى لم اومر بقتالهم واقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة يعنى قيل لهم كفوا ايديكم عن قتالهم وادوا ما افترض عليكم من الصلاة والزكاة *
وفيه دليل على ان فرض الصلاة والزكاة كان قبل فرض الجهاد (فلما كتب عليهم القتال)
اى فرض عليهم جهاد المشركين امروا بالخروج الى بدر (اذا فريق منهم) يعنى اذا جماعة
من الذين سألوا ان يفرض عليهم الجهاد (يخشون الناس) يعنى يخافون مشركى مكة
(كخشية الله او اشد خشية) او بمعنى الواو يعنى واشد خشية (وقالوا ربنا لم كتبت علينا

حينئذ سير الى الله لاسير
فى الله بسلوك طريق
الصفات ولا الى الله بقطع
صفات النفس ومناهل
صفات القلب فلادين
احسن من دينه (واتخذ الله
ابراهيم خليلا) يخاله اى
يداخله فى خلال ذاته
وصفاته بحيث لايذر منها
بقية اويسد خلله ويقوم

القتال) يعنى لم فرضت علينا الجهاد (لولا اخرتنا الى اجل قريب) يعنى هلا تركتنا ولم تفرض علينا القتال حتى نموت بآجالنا* والقائلون لهذا القول هم المنافقون لان هذا القول لايليق بالمؤمنين* وقيل قاله بعض المؤمنين وانما قالوا ذلك خوفا وجبنا لااعتقادا ثم انهم تابوا من هذا القول (قل) اى قل لهم يامحمد (متاع الدنيا قليل) يعنى ان منفعتها والاستمتاع بالدنيا قليل لانه فان زائل (والآخرة) يعنى وثواب الآخرة (خير لمن اتقى) يعنى اتقى الشرك ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم (ولاتظلمون فتيلا) اى ولاتنقصون من اجوركم قدر فتيل (م) عن المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماالدنيا فى الآخرة الامثل مايجعل احدكم اصبعه هذه واشار يعنى بالسبابة فى اليم فلينظر بم ترجع * قوله عزوجل (اينما تكونوا يدرككم الموت) نزلت فى المنافقين الذين قالوا فى قتلى احد لوكانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فردّ الله عليهم بهذه الآية* وقيل نزلت فى الذين قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فردّ الله عليهم بقوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت يعنى ينزل بكم الموت فبين تعالى انه لاخلاص لهم من الموت واذا كان لابد لهم من الموت كان القتل فى سبيل الله وجهاد اعدائه افضل من الموت على الفراش لان الجهاد موت تحصل به سعادة الآخرة * ثم بين تعالى انه لابد لهم من الموت وانه لاينجى منه شئ بقوله (ولوكنتم فى بروج مشيدة) البروج فى كلام العرب الحصون والقلاع والمشيدة المرفوعة المطوّلة*وقيل هى المطلية بالشيد وهو الجص (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عندالله) نزلت فى المنافقين واليهود وذلك ان المدينة كانت ذات خير وارزاق ونعم عند مقدم النبى صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود امسك الله عنهم بعض الامساك فقال المنافقون واليهود مازلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل واصحابه فقال الله تعالى وان تصبهم يعنى المنافقين واليهود حسنة اى خصب فى الثمار ورخص فى السعر يقولوا هذه من عندالله يعنى من قبل الله (وان تصبهم سيئة) اى جدب فى الثمار وغلاء فى السعر (يقولوا هذه من عندك) يعنى من شؤم محمد واصحابه*وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم احد ومعنى من عندك انت الذى حملتنا عليه يامحمد* فعلى هذا القول يكون هذا اخبارا عن المنافقين خاصة (قل) اى قل لهم يامحمد (كل من عندالله) يعنى الحسنة والسيئة والخصب والجدب والغنيمة والهزيمة والظفر والقتل فاما الحسنة فانعام من الله واما السيئة فابتلاء منه (فما لهؤلاء القوم) اى فما شأن هؤلاء القوم المنافقين واليهود الذين قالوا ماقالوا (لايكادون يفقهون حديثا) يعنى لايفقهون معانى القرآن وان الاشياء كلها من الله عزوجل خيرها وشرها * قوله تعالى (مااصابك من حسنة) يعنى من خير ونعمة (فمن الله) يعنى من فضل الله عليك يتفضل به احسانا منه اليك (وما اصابك من سيئة) يعنى من شدة ومكروه ومشقة واذى (فمن نفسك) يعنى فمن قبل نفسك وبذنب اكتسبته نفسك استوجبت ذلك به *وفى المخاطب بهذا الكلام قولان* احدهما انه عام وتقديره مااصابك أيها الانسان* والثانى انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة والنبى صلى الله عليه وسلم برئ لان الله عزوجل قد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وقد عصمه من حين البعثة فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت*ويدل على ان المراد بهذا الخطاب غيره قوله عزوجل ياأيها النبى اذا طلقتم النساء

بدل مايغنى منه عند تكميله وفقره اليه فالخليل وان كان اعلى مرتبة من الصفى لكنه ادون من الحبيب لانّ الخليل محب يوشك ان يتوهم فيه بقية غيرية والحبيب محبوب لايتصور فيه ذلك ولهذا القى فى نار العشق دونه (ولله مافى السموات ومافى الارض وكان الله بكل شئ محيطا ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهنّ ومايتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لاتؤتونهنّ ماكتب

خاطبه وحده ثم جمع الكل بقوله اذا طلقتم النساء فمعنى قوله فمن نفسك اى عقوبة لذنبك يابن آدم كذا قاله قتادة * وقال الكلبي ماأصابك من خير فالله هداك له واعانك عليه وماأصابك من امر تكرهه فبذنبك عقوبة لذلك الذنب * وقد تعلق بظاهر هذه الآية القدرية وقالوا نفى الله السيئة عن نفسه ونسبها الى الانسان بقوله وماأصابك من سيئة فمن نفسك * ولا متعلق لهم بها لانه ليس المراد من الآية حسنة الكسب من الطاعات ولا السيئة المكتسبة من فعل المعاصي بل المراد من الحسنة والسيئة في هذه الآية مايصيب الانسان من النعم والمحن وذلك ليس من فعل العبد لانه لايقال في الطاعة والمعصية اصابني وانما يقال اصبتها ويقال في النعم والمحن اصابني بدليل انه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ولما ذكر الله حسنات الكسب وسيآته وعد عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها * فبطل بهذا قول القدرية وقال بعضهم لو كانت الآية على مايقول اهل القدر لقال ماأصبت من حسنة وماأصبت من سيئة ولم يقل ماأصابك لان العادة جرت بقول الانسان اصابني خير اومكروه واصبت حسنة اوسيئة * وقيل في معنى الآية ماأصابك من حسنة اى النصر والظفر يوم بدر فمن الله اى من فضل الله وماأصابك من سيئة اى من قتل وهزيمة يوم احد فمن نفسك يعني فبذنوب اصحابك وهو مخالفتهم اياك * فان قلت كيف وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وماأصابك من سيئة فمن نفسك فأضاف السيئة الى فعل العبد في هذه الآية * قلت اما اضافة الاشياء كلها الى الله تعالى في قوله قل كل من عند الله فعلى الحقيقة لان الله تعالى هو خالقها وموجدها واما اضافة السيئة الى فعل العبد فعلى المجاز تقديره وماأصابك من سيئة فمن الله بذنب نفسك عقوبة لك * وقيل اضافة السيئة الى فعل العبد على سبيل الادب فهو كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فاضاف المرض الى نفسه على طريق الادب ولا يشك عاقل ان الممرض هو الله تعالى * وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيه اضمار وتقديم وتأخير تقديره فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا ويقولون ماأصابك من حسنة فمن الله وماأصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله * وقال ابن الانباري في معنى الآية ماأصابك الله به من حسنة وما اصابك به من سيئة فالفعلان راجعان الى الله تعالى * قوله تعالى (وارسلناك للناس رسولا) يعني وارسلناك يامحمد الى كافة الناس رسولا لتبلغهم رسالتي وما ارسلتك به ولست رسولا الى العرب خاصة كما قال بعض اليهود بل انت رسول الى الخلق كافة العرب وغيرهم (وكفى بالله شهيدا) يعني على ارسالك للناس كافة فماينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك * وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على تبليغك ماارسلت به الى الناس * وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على ان الحسنة والسيئة من الله * قوله عز وجل (من يطع الرسول فقد اطاع الله) سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن احبني فقد احب الله فقال بعض المنافقين مايريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فانزل الله هذه الآية من يطع الرسول يعني فيما امر به ونهى فقد اطاع الله يعني ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى لانه هو امر بها * وقال الحسن جعل الله طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وقال الشافعي

لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وماتفعلوا من خير فان الله كان به عليما وان امرأة خافت من بعلها نشوزا اواعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما

ان كل فريضة فرضها الله فى كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولابيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ماكنانعرف كيف نأتيها ولا كان يمكننا اداء شئ من العبادات واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة الشريفة كانت طاعته على الحقيقة طاعة الله (ومن تولى) اى اعرض عن طاعته (فما ارسلناك عليهم حفيظا) يعنى حافظا تحفظ اعمالهم عليهم بل كل امرهم الى الله * قال المفسرون وكان هذا قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخ ذلك بآية القتال * قوله تعالى (ويقولون طاعة) نزلت فى المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم آمنابك وصدقناك فمر نابامرك طاعة اى امرنا وشأننا طاعة (فاذا برزوا من عندك) اى خرجوا من عندك (بيت طائفة منهم غير الذى تقول) التبييت كل امر يفعل بالليل يقال هذا امر مبيت اذا دبر بليل وقضى بليل فقد بيت * والمعنى انهم قالوا وقدروا امرا بالليل غير الذى اعطوك بالنهار من الطاعة * وقيل معنى بيت غير وبدل طائفة منهم غير الذى تقول يعنى غير الذى عهدت اليهم * فعلى هذا يكون التبييت بمعنى التبديل * وانما خص طائفة من المنافقين بالتبييت فى قوله منهم وكلمة من للتبعيض لانه تعالى علم ان منهم من يبقى على كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه ويتوب فخص من يصر على النفاق بالذكر * وقيل ان طائفة منهم اجتمعوا فى الليل وبيتوا ذلك القول فخصهم بالذكر (والله يكتب) اى يثبت ويحفظ عليهم (مايبيتون) يعنى مايزورون ويغيرون ويقدرون * وقال ابن عباس يكتب مايسرون من النفاق (فأعرض عنهم) اى لاتعاقبهم يامحمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وخلهم فى ضلالتهم فانا منتقمهم منهم * وقيل لاتغتر باسلامهم (وتوكل على الله) اى فوض امرك الى الله فى شأنهم فان الله يكفيك امرهم وينتقم لك منهم (وكفى بالله وكيلا) يعنى ناصرا لك عليهم * قوله عز وجل (افلا يتدبرون القرآن) اصل التدبر النظر فى عواقب الامور والتفكر فى ادبارها ثم استعمل فى كل تفكر وتأمل يقال تدبرت الشئ اى نظرت فى عاقبته ومعنى تدبر القرآن تأمل معانيه والتفكر فى حكمه وتبصر مافيه من الآيات * قال ابن عباس افلا يتدبرون القرآن فيتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض ومافيه من المواعظ والذكر والامر والنهى وان احدا من الخلق لايقدر عليه * قال العلماء ان الله تعالى احتج بالقرآن والتدبر فيه على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم * والحجة فى ذلك من ثلاثة اوجه * احدها فصاحته التى عجز الخلائق عن الاتيان بمثلها فى اسلوبه * الثانى اخباره عن الغيوب وهو مايطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على احوال المنافقين ومايخفونه من مكرهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن احوال الاولين واخبارهم ومايأتى فى المستقبل من امور الغيب التى لايعلمها الا الله تعالى * الثالث سلامته من الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) قال ابن عباس يعنى تفاوتا وتناقضا وفى رواية عنه لوكان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل معناه لوجدوا فى اخباره عن الغيب بما يكون وبما قد كان اختلافا كثيرا لان الغيب لايعلمه الا الله تعالى واذا كان كذلك ثبت انه من عند الله وانه ليس فيه اختلاف ولاتناقض * وقيل لوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من حيث البلاغة والفصاحة * والمعنى لوكان من عند مخلوق لكان على قياس الكلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مردود ركيك فاسد فلما كان القرآن جميعه على منهاج واحد فى الفصاحة

والبلاغة ثبت انه من عندالله والمعنى أفلايتفكرون فى القرآن فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق مايخبربه عن الغيوب انه كلام الله عزوجل وان مايكون من عند غيرالله لايخلو عن تناقض واختلاف فلما كان القرآن ليس فيه تناقض واختلاف علم انه من عند قادر على مالايقدر عليه غيره عالم بمالايعلمه سواه * قوله تعالى (واذا جاءهم امر من الامن اوالخوف اذاعوا به) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث والسرايا فاذا غلبوا اوغلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون به قبل ان يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فانزل الله تعالى هذه الآية واذا جاءهم يعنى المنافقين امر من الامن يعنى جاءهم خبر بفتح وغنيمة اوالخوف يعنى القتل والهزيمة اذاعوا به اى افشوا ذلك الخبر واشاعوه بين الناس يقال اذاع السر واذاع به اذا اشاعه واظهره قال الشاعر

اذاع به فى الناس حتى كأنه * بعلياء نار اوقدت بثقوب

(ولو ردوه) يعنى الامر الذى تحدثوا به (الى الرسول) يعنى انهم لم يتحدثوا به حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يتحدث به ويظهره (والى اولى الامر منهم) يعنى ذوى العقول والرأى والبصيرة بالامور منهم وهم كبار الصحابة كابى بكر وعمر وعثمان وعلى * وقيل هم امراء السرايا والبعوث وانما قال منهم على حسب الظاهر ولان المنافقين كانوا يظهرون الايمان فلذا قال والى اولى الامر منهم (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) اى يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب وماينبغى لها ومكايدها وهم العلماء الذين علموا ماينبغى ان يكتم من الامور وماينبغى ان يذاع منها * والنبط الماء الذى يخرج من البئر اول ماتحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يخرجه الرجل بفضل ذكائه وصفاء ذهنه وفطنته من المعانى والتدبر فيما يعضل ويهم يقال استنبط الفقيه المسألة اذا استخرجها باجتهاده وفهمه * وفى الآية دليل على جواز القياس وان من العلم مايدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه مايدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما * ومعنى الآية ولو ان هؤلاء المنافقين والمذيعين ردوا الامر من الامن والخوف الى الرسول والى اولى الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلموا حقيقة ذلك منهم وانهم اولى بالبحث عنه فانهم اعلم بما ينبغى ان يشاع اويكتم * قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) يعنى ولولا فضل الله عليكم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن ورحمته بالتوفيق والهداية (لاتبعتم الشيطان) يعنى لبقيتم على الكفر والضلالة (الاقليلا) اختلف العلماء فى هذا الاستثناء والى ماذا يرجع * فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير واذا جاءهم امر من الامن اوالخوف اذاعوا به الا قليلا فاخرج بعض المنافقين والمؤمنين عن هذه الاذاعة لانهم لم يذيعوا ماعلموا من امر السرايا وهذا القول اختيار الفراء وابن جرير الطبرى * وقيل هو راجع الى المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه منهم الاقليلا * فعلى هذين القولين فى الآية تقديم وتأخير * وقيل انه راجع الى اتباع الشيطان وهو قول الضحاك واختاره الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثناء الى مايليه ويتصل به اولى من صرفه الى الشئ البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الاقليلا منكم وهم قوم آمنوا واهتدوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانزال

القرآن مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الايادى * قوله تعالى (فقاتل فى سبيل الله لاتكلف الا نفسك) نزلت فى مواعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم اباسفيان بن حرب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده موسم بدر الصغرى بعد حرب احد وذلك فى ذى القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله هذه الآية فقاتل فى سبيل الله يعنى لاتدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين لاتكلف الا نفسك يعنى لاتكلف فرض غيرك بل جاهد فى سبيل الله ولو وحدك فان الله ناصرك لا الجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو لايخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين راكبا الى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال ورجعوا سالمين وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية على ترك الجهاد والخروج معه * وفى الآية دليل على ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اشجع الناس واعلمهم بامور القتال ومكايده لان الله تعالى امره بالقتال وحده ولو لم يكن اشجع الناس لما امره بذلك ولقد اقتدى به ابوبكر الصديق فى قتال اهل الردة من بنى حنيفة الذين منعوا الزكاة فعزم على الخروج الى قتالهم ولو وحده (وحرض المؤمنين) يعنى حضهم على الجهاد ورغبهم فى الثواب وليس عليك فى شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم (عسى الله) اى لعل الله (ان يكف بأس الذين كفروا) يعنى لعل الله ان يمنع بأس الكفار وشدتهم وقد فعل وذلك ان اباسفيان بداله عن القتال فلم يخرج الى الموعد (والله اشد بأسا) اى اعظم صولة (واشد تنكيلا) يعنى واشد عذابا وعقوبة من غيره * قوله عز وجل (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) الشفاعة مأخوذة من الشفع وهو ان يصير الانسان نفسه شفعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة الى المشفوع اليه فعلى هذا قيل ان المراد بالشفاعة المذكورة فى الآية هى شفاعة الانسان لغيره ليجلب له بشفاعته نفعا او يخلصه من بلاء نزل به * وقيل هى الاصلاح بين الناس * وقيل معنى الآية من يصر شفعا لوتر اصحابك يا محمد فيشفعهم فى جهاد عدوهم يكن له نصيب منها اى حظ وافر من اجر شفاعته وهو ثواب الله وكرامته (ومن يشفع شفاعة سيئة) قيل هى النميمة ونقل الحديث لايقاع العداوة بين الناس * وقيل اراد بالشفاعة السيئة دعاء اليهود على المسلمين * وقيل معناه من يشفع كفره بقتال المؤمنين (يكن له كفل) اى ضعف وقيل نصيب (منها) اى من وزرها (وكان الله على كل شئ مقيتا) قال ابن عباس يعنى مقتدرا او مجازيا واقات على الشئ قدر عليه قال الشاعر

وذى ضغن كففت الشر عنه * وكنت على اساءته مقيتا

يعنى قادرا على الاساءة اليه * وقيل معناه شاهدا وحفيظا على الاشياء (ق) عن ابى موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فجاء رجل يسأل فأقبل علينا بوجهه وقال اشفعوا تؤجروا وليقضى الله على لسان رسوله ماشاء * وفى رواية كان اذا جاءه طالب حاجة اقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجروا واد كره * قوله عز وجل (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها) التحية تفعلة من حيا واصلها من الحياة ثم جعل السلام تحية لكونه خارجا عن حصول الحياة وسبب الحياة فى الدنيا اوفى الآخرة * والتحية ان يقال حياك الله اى جعل لك حياة وذلك اخبار ثم يجعل دعاء وهذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جاء الاسلام بدل ذلك بالسلام وهو المراد به فى الآية يعنى اذا سلم عليكم المسلم فاجيبوه

بأحسن مما سلم عليكم به * وانما اختير لفظ السلام على لفظة حياك الله لانه اتم واحسن واكمل لان معنى السلام السلامة من الآفات فاذا دعا الانسان بطول الحياة بغير سلامة كانت حياته مذمومة منغصة واذا كان في حياته سليما كان اتم واكمل فلهذا السبب اختير لفظ السلام (اوردوها) يعني لو ردوا عليه كما سلم عليكم (ان الله كان على كل شيء حسيبا) يعني محاسبا ومجازيا والمعنى انه تعالى على كل شيء من رد السلام بمثله او بأحسن منه مجاز

*(فصل في فضل السلام والحث عليه) * (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف * قوله اي الاسلام خير معناه اي خصال الاسلام خير (م) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا اولا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم * عن عبد الله بن سلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح * عن ابي امامة قال امرنا نبينا صلى الله عليه وسلم ان نفشي السلام اخرجه ابن ماجه

(فصل في احكام تتعلق بالسلام) وفيه مسائل * (المسئلة الاولى في كيفية السلام)* (ق) عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام قال اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا عليك السلام ورحمة الله فزادوه ورحمة الله * قال العلماء يستحب لمن يبتدئ بالسلام ان يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيأتي بضمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيأتي بواو العطف في قوله وعليكم * عن عمران بن حصين قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون اخرجه الترمذي وابوداود وقال الترمذي حديث حسن * وقيل اذا قال المسلم السلام عليكم فيقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله فيزيده ورحمة الله واذا قال السلام عليكم ورحمة الله فيقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيزيده وبركاته واذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيرد عليه السلام بمثله ولا يزيد عليه * وروي ان رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيأ فقال ابن عباس ان السلام انتهى الى البركة * ويستحب للمسلم ان يرفع صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه * ويشترط ان يكون الرد على الفور فان اخره ثم رد لم يعد جوابا وكان آثما بترك الرد *(المسئلة الثانية في حكم السلام)* الابتداء بالسلام سنة مستحبة ليس بواجب وهو سنة على الكفاية فان كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفى عن جميعهم ولو سلم كلهم كان افضل واكمل * قال القاضي حسين من اصحاب الشافعي ليس لنا سنة على الكفاية الا هذا * وفيه نظر لان تشميت العاطس سنة على الكفاية ايضا كالسلام * ولو دخل على جماعة في بيت او مجلس او مسجد وجب عليه ان يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم افشوا السلام والامر للوجوب او يكون ذلك سنة متأكدة لان السلام من شعار اهل الاسلام فيجب اظهاره او يتأكد استحبابه * اما الرد على المسلم فقد اجمع العلماء

على وجوبه * ويدل عليه قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها او ردّوها والامر للوجوب لان فى ترك الردّ اهانة للمسلم فيجب ترك الاهانة * فان كان المسلم عليه واحدا وجب عليه الردّ واذا كانوا جماعة كان ردّ السلام فى حقهم فرض كفاية فلو ردّ واحد منهم سقط فرض الردّ عن الباقين وان تركوه كلهم اثموا * عن علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجزى عن الجماعة اذا مرّوا ان يسلم احدهم ويجزى عن الجلوس ان يردّ احدهم اخرجه ابو داود * (المسئلة الثالثة فى آداب السلام) * السنة ان يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير وفى رواية للبخارى قال يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير واذا تلاقى رجلان فالمبتدئ بالسلام هو الافضل لما روى عن ابى امامة الباهلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بالله عز وجل من بداهم بالسلام اخرجه ابو داود والترمذى ولفظه قال قيل يا رسول الله الرجلان يلتقيان ايهما يبدأ بالسلام قال اولاهما بالله قال الترمذى حديث حسن * ويستحب ان يبدأ بالسلام قبل الكلام والحاجة والسنة اذا مرّ بجماعة صبيان صغار ان يسلم عليهم لما روى عن أنس انه مرّ على صبيان فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله اخرجاه فى الصحيحين * وفى رواية لابى داود ان النبى صلى الله عليه وسلم مرّ على غلمان يلعبون فسلم عليهم * واما السلام على النساء فان كنّ جماعة جالسات فى مسجد او موضع فيستحب ان يسلم عليهن اذا لم يخف على نفسه او عليهن فتنة لما روى عن اسماء بنت يزيد قالت مرّ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فسلم علينا اخرجه ابو داود وفى رواية الترمذى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ فى المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فالوى بيده بالتسليم قال الترمذى حديث حسن * واذا مرّ على امرأة مفردة اجنبية فان كانت جميلة فلا يسلم عليها ولو سلم فلا تردّ هى عليه لانه لم يستحق الردّ وان كانت عجوزا لا يخاف عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها وتردّ هى عليه * وحكم النساء مع النساء كحكم الرجال مع الرجال فى السلام فيسلم بعضهن على بعض * (المسئلة الرابعة فى الاحوال التى يكره السلام فيها) * فمن ذلك لذى يبول او يتغوط او يجامع ونحو ذلك لا يسلم عليه فلو سلم فلا يستحق المسلم جوابا لما روى عن ابن عمران رجلا مرّ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبول فسلم عليه فلم يردّ عليه اخرجه مسلم قال الترمذى انما يكره اذا كان على الغائط او البول * ويكره التسليم على من فى الحمام وقيل ان كانوا متزرين بالمآزر سلم عليهم والا فلا * ويكره التسليم على النائم والناعس والمصلى والمؤذن والتالى فى حال الصلاة والاذان والتلاوة * ويكره الابتداء بالسلام فى حال الخطبة لان الجالسين مامورون بالانصات للخطبة * ويكره ان يبدأ المبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسق وكذلك الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هؤلاء * (المسئلة الخامسة فى حكم السلام على اهل الذمة اليهود والنصارى) * اختلف العلماء فيه فذهب اكثرهم الى انه لا يجوز ابتداؤهم بالسلام وقال بعضهم انه ليس بحرام بل هو مكروه كراهة تنزيه ويدل على ذلك ما روى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام واذا لقيتم احدهم فى طريق فاضطروه الى اضيقه اخرجه مسلم * واذا سلم يهودى او نصرانى على مسلم فيردّ عليه ويقول عليك بغيرواو العطف لما روى عن انس ان يهوديا

اتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ماقال قالوا الله ورسوله اعلم سلم يانبي الله قال لاولكنه قال كذا وكذا ردوه على فردوه فقال قلت السام عليكم قال نعم نبي الله فقال صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم احد من اهل الكتاب فقولوا عليك اى عليك ماقلت اخرجه الترمذى فلو أتى بواو العطف وميم الجمع فقال وعليكم جاز لانا نجاب عليهم فى الدعاء ولا يجابون علينا * ويدل على ذلك ماروى عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليه ناس من اليهود فقالوا السام عليك ياابا القاسم فقال وعليكم فقالت عائشة وغضبت ألم تسمع ماقالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا اخرجه مسلم * واذا مر المسلم على جماعة فيهم مسلمون ويهود ونصارى يسلم عليهم ويقصد بتسليمه المسلمين لماروى عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه اخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم اخرجه الترمذى * قوله عز وجل (الله لا اله الا هو ليجمعنكم) هذه لام القسم تقديره والله الذى لا اله الا هو ليجمعنكم الله فى الموت وفى القبور (الى يوم القيامة) يعنى الى يوم الحشر والبعث سميت القيامة قيامة لقيام الناس من قبورهم بعد الموت وقيل لقيامهم للحساب نزلت هذه الآية فى منكرى البعث (لاريب فيه) يعنى لاشك فى ذلك اليوم انه كائن (ومن اصدق من الله حديثا) يعنى لا احد اصدق من الله فانه لا يخلف الميعاد ولا يجوز عليه الكذب والمعنى ان القيامة كائنة لاشك فيها ولاريب * قوله عز وجل (فمالكم فى المنافقين فئتين) اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فقيل نزلت فى الذين تخلفوا يوم احد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم يارسول الله فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فانهم قد تكلموا بكلمة الاسلام (ق) عن زيد بن ثابت قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد رجع ناس ممن خرج معه فكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فئتين قالت فرقة نقتلهم وقالت فرقة لانقتلهم فنزلت فمالكم فى المنافقين فئتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها طيبة تنفى الرجال كما ينفى الكير خبث الحديد * وقيل نزلت فى قوم خرجوا الى المدينة واسلموا ثم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا واقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقائل يقول هم منافقون وقائل يقول هم مؤمنون * وقيل نزلت فى ناس من قريش قدموا المدينة واسلموا ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين فلما بعدوا عن المدينة كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على الذى فارقناك عليه من الايمان ولكنا اجتوينا المدينة واشتقنا الى ارضنا ثم انهم خرجوا فى تجارة الى الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم ونقتلهم ونأخذ مامعهم لانهم رغبوا عن ديننا وقالت طائفة منهم كيف تقتلون قوما على دينكم وان لم يذروا ديارهم وكان هذا بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لاينهى احد الفريقين فنزلت هذه الآية * وقيل نزلت فى قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين * وقيل نزلت فى عبد الله بن ابى ابن سلول المنافق لما تكلم فى حديث الافك ومعنى الآية فمالكم يامعشر المؤمنين فى المنافقين فئتين اى صرتم فى امرهم فرقتين فرقة تذب عنهم وفرقة تباينهم وتعاديهم فنهى الله الفرقة الذين يذبون عنهم وأمر المؤمنين جميعا

ان يكونوا على منهاج واحد فى التباين لهم والتبرؤ منهم ثم اخبر عن كفرهم بقوله (والله اركسهم) يعنى نكسهم فى كفرهم وارتدادهم وردهم الى احكام الكفار (بما كسبوا) اى بسبب ما اكتسبوا من اعمالهم الخبيثة وقيل بما اظهروا من الارتداد بعدما كانوا على النفاق (اتريدون ان تهدوا من اضل الله) هذا خطاب للفئة التى دافعت عن المنافقين والمعنى اتبتغون ايها المؤمنون هداية هؤلاء المنافقين الذين اضلهم الله عن الهدى (ومن يضلل الله) يعنى عن الهدى (فلن تجد له سبيلا) يعنى فلن تجد له طريقا تهديه فيها الى الحق والهدى * قوله تعالى (ودوا) يعنى تمنى اولئك الذين رجعوا عن الايمان الى الارتداد والكفر (لو تكفرون) يعنى تكفرون انتم يامعشر المؤمنين (كما كفروا فتكونون سواء) فى الكفر (فلا تتخذوا منهم اولياء) يعنى من الكفار منع المؤمنين من موالاتهم (حتى يهاجروا) يعنى يسلموا ويهاجروا (فى سبيل الله) معكم وهى هجرة اخرى * والهجرة على ثلاثة اوجه الاولى هجرة المؤمنين فى اول الاسلام من مكة الى المدينة الثانية هجرة المؤمنين وهى الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله مخلصين صابرين محتسبين كما حكى الله عنهم وفى هذه الآية منع المؤمنين من موالاة المنافقين حتى يهاجروا والهجرة الثالثة هجرة المؤمنين مانهى الله عنه بقوله (فان تولوا) يعنى فان اعرضوا عن الاسلام والهجرة واختاروا الاقامة على الكفر (فخذوهم) الخطاب للمؤمنين اى خذوهم ايها المؤمنون (واقتلوهم حيث وجدتموهم) يعنى اين وجدتموهم فى الحل والحرم (ولا تتخذوا منهم وليا) يعنى فى هذه الحالة (ولا نصيرا) يعنى ينصركم على اعدائكم لانهم اعداءه ثم استثنى الله عز وجل طائفة منهم فقال تعالى (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) هذا الاستثناء يرجع الى القتل لا الى الموالاة لان موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال ومعنى يصلون ينتسبون اليهم او ينتمون اليهم او يدخلون معهم بالحلف والجوار وقال ابن عباس يريد يلجؤن الى قوم بينكم وبينهم ميثاق اى عهد وهم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الاسلمى عند خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم ولجأ اليه فلهم الجوار مثل ما لهلال * وفى رواية عن ابن عباس قال اراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بنى بكر بن زيد مناة كانوا فى الصلح والهدنة وقيل هم خزاعة والمعنى ان من دخل فى عهد من كان داخلا فى عهدكم فهم ايضا داخلون فى عهدكم (او جاؤكم حصرت صدورهم) يحتمل ان يكون عطفا على الذين وتقديره الا الذين يتصلون بالمعاهدين او يتصلون بالذين حصرت صدورهم فلا تقتلوهم وقيل يحتمل ان يكون عطفا على صفة قوم وتقديره الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم عهد او يصلون الى قوم حصرت صدورهم فلا تقتلوهم ومعنى حصرت اى ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتالهم لانهم اقاربهم وهم بنو مدلج وكانوا عاهدوا ان لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ان لا يقاتلوهم (ان يقاتلوكم) يعنى ضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذى بينكم وبينهم (او يقاتلوا قومهم) يعنى من آمن منهم * وقيل معناه انهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم فقد ضاقت صدورهم لذلك عن قتالكم والقتال معكم وهم قوم هلال الاسلميون وبنو بكر نهى الله عن قتال هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوى عهد فله حكمهم فى حقن

الثم وذلك ان الله تعالى اوجب قتال الكفار الا من كان معاهدا اولجأ الى معاهد اوترك القتال لانه لا يجوز قتل هؤلاء وعلى هذا القول فالقول بالنسخ لازم لان الكافر وان ترك القتال فقتاله جائزه وقال جماعة من المفسرين معاهدة المشركين وموادعتهم فى هذه الآية منسوخة بآية السيف وذلك لان الله تعالى لما اعز الاسلام واهله امران لا يقبل من مشركى العرب الا الاسلام او القتل (ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم) يذكر الله تعالى منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين وذلك لما القى الله الرعب فى قلوبهم وكفهم عن قتالكم ومعنى التسليط هنا تقوية قلوبهم على قتال المسلمين ولكن قذف الله الرعب فى قلوبهم وكفهم عن المسلمين (فان اعتزلوكم) يعنى فان اعتزلوكم عن قتالكم (فلم يقاتلوكم) ويقال فلم يقاتلوكم يوم فتح مكة مع قومهم (والقوا اليكم السلم) يعنى الانقياد والصلح فانقادوا واستسلموا (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) يعنى بالقتل والقتال قال بعض المفسرين هذا منسوخ بآية القتال وهى قوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال بعضهم هى غير منسوخة لانا اذا حملناها على المعاهدين فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة * قوله عزوجل (ستجدون آخرين) قال ابن عباس هم اسد وغطفان كانوا من حاضرى المدينة فتكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا آمنت يقول آمنت بالقرد والعقرب والخنفساء واذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم انا على دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين وفى رواية اخرى عن ابن عباس انها نزلت فى بنى عبد الدار وكانوا بهذه الصفة (يريدون ان يأمنوكم) يعنى يريدون باظهار الايمان ان يأمنوكم فلا تتعرضوا لهم (ويأمنوا قومهم) يعنى باظهار الكفر لهم فلا يتعرضوا لهم (كلما ردوا الى الفتنة) يعنى كلما دعوا الى الشرك (اركسوا فيها) رجعوا الى الشرك وعادوا اليه منكوسين على رؤسهم فيه (فان لم يعتزلوكم) يعنى فان لم يكفوا عن قتالكم حتى يسيروا الى مكة (ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم) اى ولم يلقوا الصلح ولم يكفوا عن قتالكم (فخذوهم) يعنى اسرى (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) يعنى حيث ادركتموهم (واولئكم) يعنى اهل هذه الصفة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) يعنى حجة ظاهرة بالقتل والقتال وقيل الحجة الواضحة هى ظهور عداوتهم وانكشاف حالهم بالكفر والعداوة * قوله تعالى (وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ) الآية نزلت فى عياش بن ابى ربيعة المخزومى وذلك انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن فى اطم من آطامها والاطم الحصن فجزعت امه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنيها الحرث وابى جهل ابنى هشام وهما اخوعياش بن ابى ربيعة لامه والله لا يظلنى سقف ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى تأتيانى به فخرجا فى طلبه وخرج معهما الحرث ابن زيد بن ابى انيسة حتى اتوا المدينة فاتوا عياشا وهو فى الاطم فقالوا انزل فان امك لم يؤوها سقف بعدك وقد حلفت لا تاكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولك عهد الله علينا ان لا نكرهك على شئ يحول بينك وبين دينك فلما ذكروا له جزع امه واوثقوا له العهد بالله نزل اليهم فاخرجوه من المدينة واوثقوه بنسعة وجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به على امه فلما اتاها قالت لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذى آمنت به ثم تركوه موثقا فى الشمس ما شاء الله فاعطاهم الذى ارادوا فاتاه الحرث بن زيد فقال يا عياش اهذا الذى كنت عليه

لئن كان هدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا القاك خاليا الا قتلتك ثم ان عياشا اسلم بعد ذلك وهاجر واسلم الحرث بن زيد من بعد وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينا عياش يسير بظهر قباء اذ لقي الحرث فقتله فقال له الناس ويحك يا عياش اى شئ صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انه كان من امرى وامر الحرث ما قد علمت وانى لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزل وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومعنى الآية وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة وما كان له سبب جواز قتله * وقيل معناه ما كان له ذلك فيما اتاه من ربه وعهد اليه ففيه تحريم قتل المؤمن من كل وجه * وقوله تعالى الا خطأ استثناف منقطع معناه لكن ان وقع خطأ فتحرير رقبة * وقيل معناه ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة الا ان يخطئ المؤمن فكفارة خطئه ما ذكر من بعد والخطأ فعل الشئ من غير قصد وتعمد (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) يعنى فعليه اعتاق رقبة مؤمنة كفارة (ودية مسلمة الى اهله) اى وعليه دية كاملة مسلمة الى اهل القتيل الذين يرثونه (الا ان يصدقوا) يعنى الا ان يتصدق اهل القتيل على القاتل بالدية ويعفوا عنه (فان كان) يعنى المقتول (من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) اراد انه اذا كان رجل مسلم فى دار الحرب وهو منفرد مع قوم كفار فقتله من لم يعلم باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة * وقيل المراد منه انه اذا كان المقتول مسلما فى دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار واهله الذين يرثونه فى دار الحرب وهم حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لاهله وكان الحرث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه الكفارة تحرير رقبة مؤمنة دون الدية لانه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) اى عهد (فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة) يعنى انه اذا كان المقتول كافرا معاهدا او ذميا فتجب فيه الدية والكفارة (فمن لم يجد) يعنى الرقبة (فصيام شهرين متتابعين) اى فعليه صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقبة (توبة من الله) يعنى جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطا (وكان الله عليما) يعنى بمن قتل خطأ (حكيما) يعنى فيما حكم به عليه من الدية والكفارة * (فصل فى احكام تتعلق بالآية) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى فى بيان صفة القتل) * قال الشافعى القتل على ثلاثة اقسام عمد وشبه عمد وخطأ * اما العمد المحض فهو ان يقصد قتل انسان بما يقتل به غالبا فقتل به ففيه القصاص عند وجود التكافؤ او دية حالة مغلظة فى مال القاتل * واما شبه العمد فهو ان يقصد ضرب انسان بما لا يقتل مثله غالبا مثل ان ضربه بعصا خفيفة او رماه بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه وتجب عليه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين * واما الخطأ المحض فهو ان لا يقصد قتله بل قصد شيا آخر فاصابه فمات منه فلا قصاص عليه وتجب فيه دية مخففة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين * ومن صور قتل الخطأ ايضا ان يقصد رمى مشرك او كافر فيصيب مسلما او يقصد قتل انسان يظنه مشركا بأن كان عليه لباس المشركين او شعارهم فالصورة الاولى خطأ فى الفعل والثانية خطأ فى القصد * (المسئلة الثانية فى حكم الديات) * فدية الحر المسلم مائة من الابل فاذا عدمت الابل فتجب قيمتها من الدراهم او الدنانير فى قول وفى قول بدل مقدر وهو الف دينار او اثنا عشر الف درهم * ويدل على ذلك ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة

دينار او ثمانية آلاف درهم قال وكانت دية اهل الكتاب يومئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيبا فقال ان الابل قد غلت ففرضها عمر على اهل الذهب الف دينار وعلى اهل الورق اثنى عشر الف درهم وعلى اهل البقر مائتى بقرة وعلى اهل الشاء الفى شاة وعلى اهل الحلل مائتى حلة قال وترك دية اهل الكتاب فلم يرفعها فيما رفع من الدية اخرجه ابو داود * فذهب قوم الى ان الواجب فى الدية مائة من الابل او الف دينار او اثنا عشر الف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصرى وبه قال مالك والشافعى * وذهب قوم الى انها مائة من الابل او الف دينار او عشرة آلاف درهم وهو قول سفيان الثورى واصحاب الرأى ودية المرأة نصف دية الذكر الحر ودية اهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابيا وان كان مجوسيا فخمس الثلث ثمانمائة درهم وهو قول سعيد بن المسيب واليه ذهب الشافعى * وذهب قوم الى ان دية الذمى والمعاهد مثل دية المسلم روى ذلك عن ابن مسعود وهو قول سفيان الثورى واصحاب الرأى وقال قوم دية الذمى نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك واحمد * والاصل فى ذلك ماروى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر اخرجه ابو داود وعنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عقل اهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى اخرجه النسائى * فمن ذهب الى ان دية اهل الذمة ثلث دية المسلم اجاب عن هذا الحديث بأن الاصل فى ذلك كان النصف ثم رفعت زمن عمر دية المسلم ولم ترفع دية الذمى فبقيت على اصلها وهو قدر الثلث من دية المسلمين والدية فى قتل العمد وشبه العمد مغلظة فتجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة فى بطونها اولادها وهذا قول عمر وزيد بن ثابت وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعى لماروى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع الى اولياء المقتول فان شاؤا قتلوا وان شاؤا اخذوا الدية وهو ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة وما صولحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد العقل اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * وعن عقبة بن اوس عن رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال خطب النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال الاوان قتيل العمد بالسوط والعصا والحجر مائة من الابل اربعون ثنية الى بازل عامها كلهن خلفة * وفى رواية اخرى الاان كل قتيل خطأ العمد او شبه العمد قتيل السوط والعصا مائة من الابل فيها اربعون فى بطونها اولادها اخرجه النسائى * وذهب قوم الى ان الدية المغلظة ارباع خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهذا قول الزهرى وربيعة واليه ذهب مالك واحمد واصحاب الرأى * واما دية الخطأ فمخففة وهى اخماس بالاتفاق غير انهم اختلفوا فى تقسيمها * فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهرى وربيعة وبه قال مالك والشافعى * وابدل قوم ابناء اللبون ببنات المخاض يروون ذلك عن ابن مسعود وبه قال احمد واصحاب الرأى * والدية فى قتل الخطأ وشبه العمد على العاقلة وهم العصبات من الذكور ولا يجب على الجانى منها شئ لان النبى صلى الله عليه وسلم اوجبها على العاقلة * ودية الاعضاء والاطراف حكمها مبين فى كتب الفقه * ودية اعضاء المرأة على النصف من دية اعضاء الرجل والله اعلم * (المسئلة الثالثة فى حكم

وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ولله ما فى السموات وما فى الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض وكان الله غنيا حميدا * ولله ما فى السموات وما فى الارض

الكفارة) * الكفارة اعتاق رقبة مؤمنة وتجب في مال القاتل سواء كان المقتول مسلما او معاهدا رجلا كان او امرأة حرا كان او عبدا فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فالقاتل ان كان واجدا للرقبة او قادرا على تحصيلها بوجود الثمن فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز له ان ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة او عن تحصيل ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا في خلال الشهرين او نسي النية او نوى صوما آخر وجب عليه استئناف الشهرين * وان افطر يوما بعذر مرض او سفر هل ينقطع التتابع اختلف العلماء فيه * فنهم من قال ينقطع التتابع وعليه استئناف الشهرين وهو قول النخعي واظهر قولي الشافعي لانه افطر مختارا * ومنهم من قال لا ينقطع التتابع وعليه ان يبني وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبي ولو حاضت المرأة في خلال الشهرين افطرت ايام الحيض ولا ينقطع التتابع فاذا طهرت بنت لانه امر كتبه الله على النساء ولا يمكن الاحتراز عنه * فان عجز عن الصوم فهل ينتقل عنه الى الاطعام فيطعم ستين مسكينا ففيه قولان * احدهما انه ينتقل الى الاطعام كما في كفارة الظهار والثاني لا ينتقل لان الله تعالى لم يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة من الله فنص على الصوم وجعل ذلك عقوبة لقتل الخطا والله اعلم * قوله عز وجل (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) نزلت في مقيس بن صبابة الكناني وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني فهر الى بني النجار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابة ان تدفعوه الى اخيه مقيس فيقتص منه وان لم تعلموه ادفعوا اليه ديته فبلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي اليه ديته فاعطوه مائة من الابل فانصرفا راجعين نحو المدينة فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال له تقبل دية اخيك لتكون عليك سبة اقتل الفهري الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وقال في ذلك

قتلت به فهرا وحملت عقله * سراة بني النجار ارباب فارع
وادركت ثاري واضطجعت موسدا * وكنت الى الاصنام اول راجع

فنزلت فيه ومن يقتل مؤمنا متعمدا يعني قاصد القتله فجزاؤه جهنم (خالدا فيها) يعني بكفره وارتداده وهو الذي استثناه النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عن امنه من اهلها فقتل وهو متعلق باستار الكعبة (وغضب الله عليه) يعني لاجل كفره وقتله المؤمن متعمدا (ولعنه) يعني وطرده عن رحمته (واعدّ له عذابا عظيما) اختلف العلماء في حكم هذه الآية هل هي منسوخة ام لا وهل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة ام لا فروي عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ألمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة قال لا فتلوت عليه الآية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق الى آخر الآية قال هذه آية مكية نسختها آية مدنية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم * وفي رواية قال اختلف اهل الكوفة في قتل المؤمن فرحلت الى ابن عباس فقال نزلت في آخر ما نزل ولم ينسخها شيء * وفي رواية اخرى

وكفى بالله وكيلا ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا من كان يريد ثواب الدنيا) بالوقوف مع هوى النفس فماله يطلب اخس الاشياء ويقف في ادنى المراتب (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) الدارين حيث اراده بالفناء فيه لانه

قال ابن عباس نزلت هذه الآية بالمدينة والذين لايدعون مع الله آلها آخر الى قوله مهانا فقال المشركون ومايغنى عنا الاسلام وقدعدلنا بالله وقدقتلنا النفس التى حرم الله واتينا الفواحش فانزل الله تعالى الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا الى آخر الآية زاد فى رواية فامامن دخل فى الاسلام وعقله ثم قتل فلاتوبة له اخرجاه فى الصحيحين *وروى عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه انه ناظر ابن عباس فى هذه الآية فقال من اين لك انها محكمة فقال ابن عباس تكاثف الوعيد فيها وقال ابن مسعود انها محكمة ومازداد الاشدة وعن خارجة ابن زيد قال سمعت زيد بن ثابت يقول انزلت هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها بعد التى فى الفرقان والذين لايدعون مع الله آلها آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله الابالحق بستة اشهر اخرجه ابوداود والنسائى وزاد النسائى فى رواية بثمانية اشهر وقال زيد بن ثابت لما نزلت هذه الآية التى فى الفرقان والذين لايدعون الله آلها آخر عجبنا من لينها فلبثنا سبعة اشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة *واراد بالغليظة هذه الآية التى فى سورة النساء وباللينة آية الفرقان *وذهب الا كثرون من علماء السلف والخلف الى ان هذه الآية منسوخة واختلفوا فى ناسخها *فقال بعضهم نسختها التى فى الفرقان وليس هذا القول بالقوى لان آية الفرقان نزلت قبل آية النساء والمتقدم لاينسخ المتأخر * وذهب جهور من قال بالنسخ الى ان ناسخها الآية التى فى النساء ايضا وهى قوله تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء *واجاب من ذهب الى انها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج فى الصحيحين بان هذه الآية خبر عن وقوع العذاب بمن فعل ذلك الامر المذكور فى الآية والنسخ لايدخل الاخبار ولئن سلمنا انه يدخلها النسخ لكن الجمع بين الآيتين ممكن بحيث لايكون بينهما تعارض وذلك بان يحمل مطلق آية النساء على تقييد آية الفرقان فيكون المعنى فجزاؤه جهنم الامن تاب *وقال بعضهم ماورد عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد والمبالغة فى الزجر عن القتل فهو كماروى عن سفيان بن عيينة انه قال ان لم يقتل يقال له لاتوبة لك وان قتل ثم ندم وجاء تائبا يقال له لك توبة وقيل انه قدروى عن ابن عباس مثله *وروى عنه ايضا ان توبته تقبل *وهو قول اهل السنة *ويدل عليه الكتاب والسنة *اما الكتاب فقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا *واما السنة فماروى عن جابر بن عبد الله قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ماالموجبتان قال من مات لايشرك بالله شيأ دخل الجنة ومن مات يشرك به شيأ دخل النار اخرجه مسلم (ق) عن عبادة بن الصامت قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس فقال تبايعونى على ان لاتشركوا بالله شيأ ولاتسرقوا ولاتزنوا ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الابالحق وفى رواية ولاتقتلوا اولادكم ولاتأتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولاتعصونى فى معروف فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب شيأ من ذلك فستره الله عليه فامره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه فبايعناه على ذلك

* (فصل) * وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الآية لصحة مذهبهم على ان الفاسق يخلد فى النار *واجاب علماء السنة بان الآية نزلت فى كافر قتل مسلما وهو مقيس بن صبابة فتكون الآية على هذا مخصوصة *وقيل هذا الوعيد لمن قتل مسلما مستحلا لقتله ومن استحل قتل مسلم كان كافرا

الوجود المحيط بالكل فلايفوته شئ (وكان الله سميعا) بأحاديث نفوسكم (بصيرا) بنياتكم وارادتكم باعمالكم (يا أيها الذين آمنوا) بالتوحيد العلمى وارادة ثواب الدارين (كونوا) ثابتين فى مقام العدالة التى هى اشرف الفضائل (قوامين بالقسط شهداء

وهو مخلد في النار بسبب كفره وعن ابي مجلز في قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه فان شاء الله ان يتجاوز عن جزائه فعل اخرجه ابوداوده وقيل ان الخلود لايقتضي التأبيد بل معناه دوام الحالة التي هو عليها ويدل عليه قول العرب للايام خوالد وذلك لطول مكثها لا الدوام بقائها واذا ذكر الخلود في حق الكفار قرنه بذكر التأبيد كقوله خالدين فيها ابدا فاذا قرن الخلود بهذه اللفظة علم ان المراد منه الدوام الذي لاينقطع * اذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور في الآية ان الله تعالى يعذب قاتل المؤمن عمدا في النار الى حيث يشاء الله ثم يخرجه منها بفضل رحمته وكرمه فانه قد ثبت في احاديث الشفاعة الصحيحة اخراج جميع الموحدين من النار * وقيل ان قاتل المؤمن عمدا عدوانا اذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ولان الكفر اعظم من هذا القتل وتوبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف واذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلأن تقبل من القاتل اولى والله اعلم * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآية قال ابن عباس نزلت في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان من اهل فدك لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي فهربوا منه واقام ذلك الرجل المسلم فلما رأى الخيل خاف ان لايكونوا مسلمين فالجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف انهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه اسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلتموه ارادة مامعه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على اسامة بن زيد هذه الآية فقال اسامة استغفر لي يارسول الله فقال كيف انت بلا اله الا الله يقولها ثلاث مرات قال اسامة فمازال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعتق رقبة وروى ابوظبيان عن اسامة قال قلت يارسول الله انما قالها خوفا من السلاح فقال افلا شققت عن قلبه حتى تعلم اقالها خوفا ام لا وفي رواية عن ابن عباس قال مرّ رجل من بني سليم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم فسلم عليهم فقالوا انما سلم عليكم ليتعوّذ منكم فقاموا اليه فقتلوه واخذوا غنمه فاتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الاية يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله يعني اذا سافرتم الى الجهاد * فتبينوا من البيان يقال تبينت الامر اذا تأملته قبل الاقدام عليه وقرئ فتثبتوا من التثبت وهو خلاف العجلة والمعنى فقفوا وتثبتوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وتعرفوا حقيقة الامر الذي تقدمون عليه (ولاتقولوا لمن القى اليكم السلام) يعني التحية يعني لاتقولوا لمن حياكم بهذه التحية انه انما قالها تعوّذا فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ماله ولكن كفوا عنه واقبلوا منه مااظهره لكم وقرئ السلم بفتح السين من غير الف ومعناه الاستسلام والانقياد اي استسلم وانقاد لكم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل السلام والسلم بمعنى واحد اي لاتقولوا لمن سلم عليكم (لست مؤمنا) يعني لست من اهل

(الايمان)

ـه ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) بحقوقهما بحيث تكون ملكة راسخة فيكم لايمكن منها صدور جور وميل منكم في شيء ولا ظهور

الايمان فتقتلوه بذلك*قال العلماء اذا رأى الغزاة فى بلد اوقرية اوحى من العرب شعار الاسلام يجب ان يكفوا عنهم ولايغيروا عليهم لما روى عن عصام المزنى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيشا اوسرية يقول لهم اذا رأيتم مسجدا اوسمعتم مؤذنا فلا تقتلوا احدا اخرجه ابوداود والترمذى*وقال اكثر الفقهاء لو قال اليهودى اوالنصرانى انا مؤمن لايحكم بايمانه لانه يدعى ان الذى هو عليه ايمان ولوقال لااله الاالله محمد رسول الله فعند بعض العلماء لايحكم باسلامه حتى يتبرأ من دينه الذى كان عليه ويعترف انه دين باطل وذلك لان بعض اليهود يزعم ان محمدا رسول الى العرب خاصة لانه رسول الى كافة الخلق فاذا اعترف انه رسول الى كافة الخلق وان الذى كان عليه من التهود اوالتنصر باطل صح اسلامه وحكم بصحته * وقوله تعالى (تبتغون عرض الحيوة الدنيا) يعنى تطلبون الغنيمة التى هى من حطام الدنيا سريعة النفاد والذهاب وعرض الدنيا منافعها ومتاعها (فعندالله مغانم كثيرة) اى غنائم كثيرة من رزقه يغنمكموها يغنيكم بها عن قتل من يظهر الاسلام ويتعوذ به وقيل معناه فعندالله ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن (كذلك كنتم من قبل) يعنى كما كان هذا الذى القى اليكم السلام فقلتم له لست مؤمنا فقتلتموه كنتم انتم من قبل يعنى من قبل ان يعزالله دينه كنتم تستخفون انتم بدينكم كما استخفى هذا الذى قتلتموه بدينه من قومه حذرا على نفسه منهم*وقيل معناه كذلك كنتم تأمنون فى قومكم بهذه الكلمة فلاتحقروا من قالها ولاتقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من قبل مشركين (فمنّ الله عليكم) يعنى بالاسلام والهداية فلاتقتلوا من قال لااله الاالله*وقيل معناه منّ عليكم باعلان الاسلام بعد الاختفاء وقيل منّ عليكم بالتوبة (فتبينوا) اى ولاتعجلوا بقتل مؤمن وهو تأكيد للامر بالتبين (ان الله كان بما تعملون خبيرا) يعنى فلا تتهاونوا فى القتل وكونوا متحرزين من ذلك محتاطين فيه * قوله عز وجل (لايستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم) الآية (خ) عن زيد بن ثابت قال املى علىّ النبى صلى الله عليه وسلم لايستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم فجاءه ابن ام مكتوم وهو يمليها علىّ فقال والله يارسول الله لو استطيع الجهاد لجاهدت وكان اعمى فانزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذى فثقلت علىّ حتى خفت ان ترض فخذى ثم سرى عنه فانزل الله عز وجل غير اولى الضرر (ق) عن البراء بن عازب لما نزلت لايستوى القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجاء بكتف فكتبها وشكا ابن ام مكتوم ضرارته فنزلت لايستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر وفى رواية اخرى لما نزلت لايستوى القاعدون من المؤمنين قال النبى صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف فقال اكتب لايستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله وخلف النبى صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم فقال يارسول الله انا ضرير فنزلت مكانها لايستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله هذه الرواية الثانية اخرجها ابن الاثير فى كتابه جامع الاصول واضافها الى البخارى ومسلم ولم اجدها فى كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدى* وفى هذه الآية فضل الجهاد فى سبيل الله والحث عليه فقوله تعالى لايستوى القاعدون من المؤمنين يعنى لايعدل المتخلفون عن الجهاد فى سبيل الله

صفة نفس لاتباع هوى فى جذب نفع دنيوى أودفع مضرة (ياايها الذين آمنوا) بالايمان التقليدى (آمنوا) بالايمان التحقيقى اوآمنوا بالايمان العلمى آمنوا بالايمان العينى (بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل ومن يكفر بالله

من المؤمنين المجاهدين فى سبيل الله غير اولى الضرر يعنى اولى الزمانة والضعف فى البدن والبصر فانهم يساوون المجاهدين لان العذر اقعدهم عن الجهاد (م) عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة رجالا ماسرتم مسيرا ولاقطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض (خ) عن انس قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان اقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الاوهم معنا حبسهم العذر (خ) عن ابن عباس قال لايستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون اليها * وقوله تعالى (فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة) يعنى فضيلة فى الآخرة قال ابن عباس اراد بالقاعدين هنا اولى الضرر فضل الله المجاهدين على اولى الضرر درجة لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية واولو الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فنزلوا عن المجاهدين درجة (وكلا) يعنى كلا من المجاهدين والقاعدين (وعدالله الحسنى) يعنى الجنة بايمانهم (وفضل الله المجاهدين) يعنى فى سبيل الله (على القاعدين) يعنى الذين لاعذر لهم ولاضرر (اجرا عظيما) يعنى ثوابا جزيلا * ثم فسر ذلك الاجر العظيم فقال تعالى (درجات منه) قال قتادة كان يقال للاسلام درجة والهجرة فى الاسلام درجة والجهاد فى الهجرة درجة والقتل فى الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات هى سبع وهى التى ذكرها الله فى سورة براءة حين قال ذلك بانهم لايصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله الى قوله ولايقطعون واديا الا كتب لهم وقال ابن محيريز الدرجات سبعون درجة مابين كل درجتين حضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة (م) عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فتعجب لها ابو سعيد فقال اعدها على يارسول الله فاعادها عليه ثم قال واخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة فى الجنة مابين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وماهى يارسول الله قال الجهاد فى سبيل الله (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله واقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد فى سبيل الله اوجلس فى ارضه التى ولد فيها فقالوا اولا نبشر الناس بقولك فقال ان فى الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله مابين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الاعلى فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة * فان قلت قد ذكر الله عزوجل فى الآية الاولى درجة واحدة وذكر فى هذه الآية درجات فما وجه الحكمة فى ذلك * قلت اما الدرجة الاولى فلتفضيل المجاهدين على القاعدين بوجود الضرر والعذر واما الثانية فلتفضيل المجاهدين على القاعدين من غير ضرر ولاعذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة * وقيل يحتمل ان تكون الدرجة الاولى درجة المدح والتعظيم والدرجات درجات الجنة ومنازلها كما فى الحديث والله اعلم * قوله تعالى (ومغفرة) يعنى لذنوبهم يسترها ويصفح عنها (ورحمة) يعنى رأفة بهم (وكان الله غفورا) يعنى لذنوب عباده المؤمنين (رحيما) يعنى بهم يتفضل عليهم برحمته ومغفرته * عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه عزوجل قال قال ايما عبد من عبادى خرج مجاهدا فى سبيل الله ابتغاء مرضاتى ضمنت له ان ارجعه ارجعه بما

وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ان الذين آمنوا ثم كفروا) اى تحيروا وترددوا بين جهتى الربوبية العلوية والسفلية لشدة النفاق وغلبة نور الفطرة تارة واستيلاء ظلمة النفس والهوى أخرى لاستواء الحالتين فيهم حتى

اصاب من اجر اوغنيمة وان قبضته غفرت له ورحمته اخرجه النسائى

(فصل) اعلم ان الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين ان يدخل العدو دار قوم من المؤمنين وبلادهم فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له ولا ضرر به من اهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم دفعا عن انفسهم وعن اهليهم وجيرانهم وسواء فى ذلك الحر والعبد والغنى والفقير فيجب على الكافة * وهو فى حق من بعد عنهم من المسلمين فرض كفاية فان لم تقع الكفاية بمن نزل بهم العدو فيجب مساعدتهم على من قرب منهم من المسلمين اوبعد عنهم وان وقعت الكفاية بالمنزول بهم فلا فرض على الابعدين الا على طريق الاختيار ولا يدخل فى هذا القرض اعنى فرض الكفاية الفقراء والعبيد * واذا كان الكفار قارين فى بلادهم فعلى الامام ان لا يخلى كل سنة من غزاة يغزوهم فيها اما بنفسه اوسراياه حتى لا يبطل الجهاد والاختيار * والمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره لا يقعده * ولكن لا يفرض عليه لان الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان فرضا على الكافة لاستحق القاعدون عن الجهاد العقاب لا الثواب والله اعلم * قوله تعالى (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم) الآية نزلت فى اناس تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فانزل الله تعالى هذه الآية ان الذين توفاهم الملائكة يعنى ملك الموت واعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يلون قبض ارواح المؤمنين وثلاثة يلون قبض ارواح الكفار * وقيل اراد به ملك الموت وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع * وفى التوفى هنا قولان * احدهما انه قبض ارواحهم * والثانى حشرهم الى النار فعلى القول الثانى يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين يلون تعذيب الكفار * ظالمى انفسهم يعنى بالشرك وقيل بالمقام فى دار الشرك وذلك لان الله تعالى لم يقبل الاسلام من احد بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر اليه ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه فى الصحيحين * وقيل ظالمى انفسهم بخروجهم مع المشركين يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم (قالوا فيم كنتم) سؤال توبيخ وتقريع يعنى قالت الملائكة لهؤلاء الذين قتلوا فى اى الفريقين كنتم افى فريق المسلمين ام فى فريق المشركين فاعتذروا بالضعف عن مقاومة المشركين وهو قوله تعالى اخبارا عنهم (قالوا كنا مستضعفين) يعنى عاجزين (فى الارض) يعنى فى ارض مكة (قالوا) يعنى قال لهم الملائكة (الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها) يعنى الى المدينة وتخرجوا من بين اظهر المشركين فا كذبهم الله فى قولهم كنا مستضعفين واعلمنا بكذبهم (فاولئك) يعنى من هذه صفتهم (مأواهم) يعنى منزلهم (جهنم وساءت مصيرا) يعنى بئس المصير مصيرهم الى جهنم * ثم استثنى اهل العذر ومن علم صحفه منهم فقال تعالى (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة) يعنى لا يقدرون على حيلة ولا نفقة ولا قوة لهم على الخروج من مكة (ولا يهتدون سبيلا) يعنى ولا يعرفون طريقا يسلكونه من مكة الى المدينة (فاولئك) يعنى المستضعفين واهل الاعذار (عسى الله ان يعفو عنهم) يعنى يتجاوز عنهم بفضله واحسانه وعسى من الله واجب لانه اطماع وترج والله تعالى اذا اطمع عبدا وصله (وكان الله

استحكمت الهيئات المظلمة وازدادت الحجب ورسخت العقائد الفاسدة والملكات الكاسدة باستيلاء صفات النفس واستعلائها مطلقا فرانت على قلوبهم (لم يكن الله ليغفر لهم) لمكان الرين الحاجب وفساد جوهر القلب وزوال الاستعداد (ولا ليهديهم سبيلا) الى

عفواً غفورا) قال ابن عباس كنت انا وامى ممن عذر الله يعنى من المستضعفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين فى الصلاة (ق) عن ابى هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابى ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف * قوله عز وجل (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة) قال الزجاج معنى مراغما مهاجرا يعنى يجد فى الارض مهاجرا يعنى ان المهاجر لقومه والمراغم لهم بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان وهو مأخوذ من الرغام وهو التراب يقال رغم انفه اذا التصق بالتراب وذلك لان الانف عضو شريف والتراب ذليل حقير فجعلوا قولهم رغم انفه كناية عن حصول الذلة ويقال راغمت فلانا بمعنى هجرته وعاديته ولم ابال به رغم انفه *ويقوى ذلك قول بعض اهل اللغة هو الخروج من بلاد العدو برغم انفه *وقيل معناه ان الرجل اذا خرج من قومه خرج مراغما لهم اى مغاضبا لهم ومقاطعا وقال الفراء المراغم المضطرب والمذهب فى الارض وانشد الزجاج فى المعنى

الى بلد غير دانى المحل * بعيد المراغم والمضطرب

فعلى هذا يكون معنى الآية يجد مذهبا يذهب اليه اذا رأى مايكرهه هذا قول اهل اللغة فى معنى المراغمة *وقال ابن عباس يجد متحولا يتحول اليه من ارض الى ارض *وقال مجاهد يجد متزحزحا عما يكره وقيل يجد منقلبا ينقلب اليه *وقيل المراغمة والمهاجرة واحدة يقال راغمت قومى اى هاجرتهم وسميت المهاجرة مراغمة لانه يهاجر قومه برغمهم وقوله وسعة يعنى فى الرزق *وقيل يجد سعة من الضلالة الى الهدى *وقيل يجد سعة فى الارض التى يهاجر اليها* قال ابن عباس لما نزلت الآية التى قبل هذه سمعها رجل من بنى ليث شيخ كبير مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما انا ممن استثنى الله عز وجل وانى لاجد حيلة ولى من المال مايبلغنى الى المدينة وابعد منها والله لا ابيت الليلة بمكة اخرجونى فخرجوا به يحملونه على سرير حتى اتوا به التنعيم فادركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك ثم مات فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم واوفى اجرا وضحك المشركون وقالوا ما ادرك ما طلب فانزل الله عز وجل (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت) يعنى قبل بلوغه الى مهاجره (فقد وقع اجره على الله) يعنى فقد وجب اجر هجرته على الله بايجابه على نفسه بحكم الوعد والتفضل والكرم لا وجوب استحقاق وتحتم * قال بعض العلماء ويدخل فى حكم الآية من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز عن اتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملا وقال بعضهم انما يكتب له اجر ذلك القدر الذى عمل واتى به اما تمام الاجر فلا والقول الاول اصح لان الآية انما نزلت فى معرض الترغيب فى الهجرة وان من قصدها ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل له ثواب الهجرة كاملا فكذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب الله له ثوابها كاملا (وكان الله غفورا رحيما) يعنى ويغفر الله له ما كان منه من القعود قبل الهجرة الى ان خرج مهاجرا * قوله عز وجل (واذا ضربتم فى الارض) يعنى اذا سافرتم فيها (فليس عليكم جناح) اى حرج واثم (ان تقصروا من الصلاة) يعنى من اربع ركعات الى ركعتين وذلك فى صلاة الظهر والعصر والعشاء واصل

الحق ولا الى الكمال ولا الى الفطرة الاصلية لعدم قبولهم الهداية وصرف عذابهم بالايلام لمكان ستعدادهم فى الاصل (الذين يتخذون الكافرين اولياء) لمناسبتهم اياهم فى الاحتجاب (من دون المؤمنين) لعدم الجنسية (ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا

القصر في اللغة التضييق وقيل هو ضم الشئ الى اصله وفسر ابن الجوزى القصر بالنقص ولم اره لاحد من اهل التفسير واللغة وقيل معنى قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض ركعاتها او بعض اركانها ترخيصا ولهذا السبب ذكروا في تفسير قصر الصلاة المذكورة في الآية قولين *احدهما انه في عدد الركعات وهو ردالصلاة الرباعية الى ركعتين* والقول الثانى ان المراد بالقصر ادخال التخفيف في ادائها وهو ان يكتفى بالايماء والاشارة عن الركوع والسجود*والقول الاول اصح ويدل عليه لفظة من في قوله ان تقصروا من الصلاة ولفظة من هنا للتبعيض وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض الصلاة فثبت بهذا ان تفسير القصر باسقاط بعض ركعات الصلاة اولى (ان خفتم ان يفتنكم) يعنى يغتالكم ويقتلكم في الصلاة (الذين كفروا) *ذهب داود الظاهرى الى ان جواز القصر مخصوص بحال الخوف واستدل على صحة مذهبه بقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ولان عدم الشرط يقتضى عدم المشروط فعلى هذا لايجوز القصر عند الامن ولايجوز رفع هذا الشرط بخبر الآحاد لانه يقتضى نسخ القرآن بخبر الواحد* وذهب جمهور اهل العلم الى ان القصر في حال الامن في السفر جائز ويدل عليه ماروى عن يعلى بن امية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقد امن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته اخرجه مسلم وعن عبدالله بن خالد بن اسيد انه قال لابن عمر كيف تقصرون الصلاة وانما قال الله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقال ابن عمر يا ابن اخى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا ونحن في ضلال فعلمنا فكان فيما علمنا ان امرنا ان نصلى ركعتين في السفر اخرجه النسائى وعن ابن عباس رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة لايخاف الارب العالمين فصلى ركعتين اخرجه الترمذى والنسائى واجاب الجمهور عن قوله تعالى ان خفتم ان كلمة ان تفيد حصول الشرط ولايلزم عند عدم الشرط عدم المشروط فقوله تعالى ان خفتم يقتضى ان عند عدم الخوف لاتحصل رخصة القصر واذا كان كذلك كانت الآية ساكتة عن حال الامن فاثبات الرخصة حال الامن بخبر الواحد يكون اثباتا لحكم سكت عنه القرآن وذلك غير ممتنع انما الممتنع اثبات الحكم بخبر الواحد على خلاف مادل عليه القرآن* فان قلت اذا كان هذا الحكم ثابتا في حال الامن والخوف فما فائدة تقييده بحال الخوف*قلت انما نزلت الآية على غالب اسفار النبى صلى الله عليه وسلم واكثرها لم يخل عن خوف العدو فذكر الله عزوجل هذا الشرط من حيث انه الاغلب في الوقوع * وقوله تعالى(ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) اى ظاهر العداوة فلعلى بهذا رخصت لكم في قصر الصلاة لئلا يجدوا الى قتلكم واغتيالكم سبيلا وانما قال عدوا ولم يقل اعداء لانه يستوى فيه الواحد والجمع *(فصل في احكام تتعلق بالآية)* وفيه مسائل*(المسئلة الاولى)*في حكم القصر قصر الصلاة في حالة السفر جائز باجماع الامة وانما اختلفوا في جواز الاتمام في حال السفر *فذهب اكثر العلماء الى ان القصر واجب في السفر وهو قول عمر وعلى وابن عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن وعمر بن عبدالعزيز وقتادة وهو قول مالك وابى حنيفة ويدل عليه ماروى عن عائشة قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم اتمها في الحضر واقرت صلاة السفر على الفريضة الاولى وفي رواية

وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا

اخرى قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين فى الحضر والسفر فاقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر اخرجاه فى الصحيحين *وذهب قوم الى جواز الاتمام فى السفر ولكن القصر افضل روى ذلك عن عثمان وسعد بن ابى وقاص واليه ذهب الشافعى واحمد وهو رواية عن مالك ايضا ويدل على ذلك ماروى البغوى بسند الشافعى عن عائشة قالت كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر واتم وعن عائشة انها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قالت يارسول الله بابى انت وامى قصرت واتممت وصمت وافطرت قال احسنت ياعائشة وماعاب على اخرجه النسائى وظاهر القرآن يدل على ذلك لان الله تعالى قال فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ولفظة لاجناح انما تستعمل فى الرخصة لافيما يكون حتما واجيب عن حديث عائشة فرض الله الصلاة ركعتين بان معناه فرضت ركعتين اولا وزيد فى صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتم واقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار عليها وثبت جواز الاتمام بدليل آخر فوجب المصير اليه ليمكن الجمع بين الاحاديث ودلائل الشرع *(المسئلة الثانية)* اختلف فى صلاة المسافر اذا صلى ركعتين ركعتين هل هى مقصورة ام غير مقصورة *فذهب قوم الى انها غير مقصورة وانما فرض صلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر روى ذلك عن ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله واليه ذهب سعيد بن جبير والسدى وابو حنيفة فعلى هذا يكون معنى القصر المذكور فى الآية هو تخفيف ركوعها وسجودها وقد تقدم الجواب عنه *وذهب قوم الى انها مقصورة وليست باصل وهو قول مجاهد وطاوس واليه ذهب الشافعى واحمد *(المسئلة الثالثة) *ذهب الشافعى ومالك واحمد والجمهور الى انه يجوز القصر فى كل سفر مباح وشرط بعضهم كونه سفر حج او عمرة او جهاد او سفر طاعة ولا يجوز القصر فى سفر المعصية وقال ابو حنيفة والثورى يجوز ذلك * (المسئلة الرابعة)* اختلف العلماء فى مسافة القصر فقال داود واهل الظاهر يجوز القصر فى قصير السفر وطويله وروى ذلك عن انس ايضا وقال عمرو بن دينار قال لى جابر بن زيد اقصر بعرفة واما عامة اهل العلم فانهم لايجوزون القصر فى السفر القصير واختلفوا فى حد الطويل الذى يجوز فيه القصر فقال الاوزاعى مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران فى مسيرة اربعة برد وهى ستة عشر فرسخا واليه ذهب مالك واحمد واسحق وقول الحسن والزهرى قريب من ذلك فانهما قالا مسيرة يومين واليه ذهب الشافعى فقال مسيرة ليلتين قاصدتين ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة اميال فتكون ثمانية واربعين ميلا بالها شمى والميل ستة آلاف ذراع والذراع اربعة وعشرون اصبعا معترضة معتدلة والاصبع ست شعيرات معترضات معتدلات وقال الثورى وابو حنيفة واهل الكوفة لاقصر فى اقل من ثلاثة ايام

(فصل) قيل قوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا كلام متصل بما بعده منفصل عما قبله وتقديره وان خفتم روى عن ابى ايوب الانصارى انه قال نزل قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة هذا القدر ثم بعد حول سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فنزل ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم الآية ومثل هذا فى القرآن كثير يجىء الخبر بتمامه ثم ينسق عليه خبر آخر هو فى الظاهر كالمتصل به وهو منفصل عنه * قوله عز وجل (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) الآية روى عن ابن عباس وجابر

المنكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) التعزز بهم فى الدنيا او التقوّى عالهم وجاهلهم فلاسبيل الى ذلك وهم قد اخطؤا لان العزة كلها صفة من صفات الله تعالى

(ان المشركين)

ان المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى الظهر يصلون جميعا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من آبائهم وامهاتهم يعني صلاة العصر فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد انها صلاة الخوف وان الله عزوجل يقول واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فعلمه صلاة الخوف وروى عن ابي عياش الزرقي في سبب نزول هذه الآية قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون لقد اصبنا غرة وفي رواية غفلة ولو حملنا عليهم وهم في الصلاة فنزلت الآية بين الظهر والعصر فقوله تعالى واذا كنت فيهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذا كنت يا محمد في اصحابك وشهدت معهم القتال فأقمت لهم الصلاة (فلتقم طائفة منهم معك) يعني اذا حان وقت الصلاة واقمتها لاصحابك فاجعلهم فرقتين فلتقف فرقة منهم معك فتصلي بهم (وليأخذوا اسلحتهم) اختلفوا في هؤلاء الذين امرهم الله بأخذ السلاح فقيل اراد بهم الذين قاموا معه الى الصلاة فانهم يأخذون اسلحتهم في الصلاة فعلى هذا القول انما يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة ولا يؤذي به من الى جنبه كالسيف والخنجر وذلك لانه اقرب الى الاحتياط وامنع للعدوّ من الاقدام عليهم فان كان السلاح يشغل بحركته وثقله عن الصلاة كالترس الكبير اويؤذي من الى جنبه كالرمح فلا يأخذه وقيل اراد بهم الطائفة الذين بقوا في وجه العدوّ فانهم يأخذون اسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل ان يكون امرا للفريقين بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى الاحتياط (فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) يعني اذا صلى الذين معك وفرغوا من الصلاة فليكونوا من ورائكم يعني فلينصرفوا الى المكان الذي هو في وجه العدوّ للحراسة (ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا) يعني ولتأت الطائفة التي كانت في وجه العدوّ (فليصلوا معك) الركعة الثانية التي بقيت عليك وليتموا بقية صلاتهم (وليأخذوا حذرهم واسلحتهم) يعني ان الله تعالى جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي في دفع العدوّ فلذلك جعله مأخوذا مع السلاح * فان قلت لم ذكر في اول الآية الاسلحة فقط وذكر هنا الحذر والاسلحة * قلت لان العدوّ قلما يتنبه للمسلمين في اول الصلاة بل يظنون كونهم قائمين في المحاربة والمقاتلة فاذا قاموا الى الركعة الثانية ظهر للكفار ان المسلمين في الصلاة فحينئذ ينتهزون الفرصة في الاقدام على المسلمين فلا جرم ان الله تعالى امرهم في هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع اخذ الاسلحة (ودّ الذين كفروا) يعني تمنى الكفار (لو تغفلون) يعني لو وجدوكم غافلين (عن اسلحتكم وامتعتكم) يعني حوائجكم التي بها بلاغكم في اسفاركم فتسهون عنها (فيميلون عليكم ميلة واحدة) يعني فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة واحدة وانتم مشتغلون بصلاتكم عن اسلحتكم وامتعتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم

* (فصل في احكام تتعلق بالآية وصفة صلاة الخوف) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) * قال ابو يوسف والحسن بن زياد من اصحاب ابي حنيفة صلاة الخوف كانت خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لغيره بعده فعلها وقال المزني من اصحاب الشافعي كانت ثابتة ثم نسخت واحتجوا لصحة هذا القول بان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى واذا كنت فيهم

منبع القوى والقدرة فله قوّة القهر والغلبة للكلّ فبقدر القرب منه وقبول نوره وقوّته والاتصاف بصفاته تحصل العزة فهي بأهل الايمان اولى واهل الحجاب والكفر بالذلة اولى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى) لعدم شوقهم

فأقمت لهم الصلاة وظاهر هذا يدل على ان اقامة الصلاة مشروطة بكون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بها ولان كلمة اذا تفيد الشرط * وذهب جمهور العلماء والفقهاء الى ان هذا الحكم لما ثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الآية وجب ان يثبت في حق غيره من امته لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتموني اصلي ولان ذلك اجماع الصحابة على فعلها وقد روى عن علي بن ابي طالب انه صلى صلاة الخوف باصحابه ليلة الهرير وكذلك ابو موسى صلى باصحابه صلاة الخوف وكذلك حذيفة بن اليمان صلاها باصحابه بطبرستان وليس لهؤلاء مخالف من الصحابة * واجيب عن قوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة بان هذا وان كان قد خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فان سائر امته داخلون في هذا الحكم فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الا ان يرد نص بتخصيصه صلى الله عليه وسلم بحكم دون امته كقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين * ونظير قوله واذا كنت فيهم خذ من اموالهم صدقة فاذا كان هو المخاطب بها وقد ثبت حكم اخذ الزكاة لمن بعده من الائمة كان كذلك قوله واذا كنت فيهم * واجيب عن لفظة اذا بان مقتضاه الثبوت عند الثبوت واما العدم عند العدم فغير مسلم * (المسئلة الثانية) * قال الخطابي صلاة الخوف انواع صلاها النبي صلى الله عليه وسلم في ايام مختلفة واشكال متباينة يتحرى في ذلك كله ماهو الاحوط للصلاة وابلغ في الحراسة فهي مع اختلاف صورها متفقة المعنى فمن انواع صلاة الخوف ما اذا كان العدو في غير جهة القبلة فرق الامام اصحابه فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو فتحرس ويصلي بالطائفة الاخرى ركعة فاذا قام الى الثانية اتموا لانفسهم وذهبوا الى وجاه العدو فيحرسون وتأتي الطائفة الثانية التي كانت تحرس فيصلي بهم الركعة الثانية ويثبت جالسا في التشهد حتى يتموا لانفسهم الصلاة ثم يسلم بهم ويدل على ذلك ماروى عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا فأتموا لانفسهم ثم سلم بهم اخرجاه في الصحيحين الذي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم هو سهل بن ابي حثمة وقد اخرجاه من رواية اخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه وذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعي لانه اشد موافقة لظاهر القرآن واحوط للصلاة وابلغ في حراسة العدو اما كونه اشد موافقة لظاهر القرآن فان قوله ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت وقوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع صلاة الطائفة الثانية حصلت مع الامام وكونها احوط لامر الصلاة من حيث انه لايكثر فيها العمل من المجيء والذهاب وكونها احوط لامر الحرب والحراسة من حيث انه اذا لم يكونوا في الصلاة كان امكن للحراسة والكر والفر والهرب ان احتاجوا اليه * وذهب قوم الى ان الطائفة الاولى تصلي مع الامام ركعة ثم تذهب الى وجه العدو فتحرس وهم في صلاتهم ثم تأتي الطائفة الثانية فتصلي مع الامام الركعة الثانية ويسلم الامام ولايسلمون هم بل يذهبون الى وجه العدو وترجع الطائفة الاولى الى موضع الامام فتقضي بقية صلاتها ثم تذهب ثم تأتي الطائفة الثانية الى موضع الامام فتقضي بقية صلاتها روى ذلك عن ابن مسعود

الى الحضور ونفورهم عنه لقلة استعدادهم باستيلاء الهوى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى

وهو مذهب ابي حنيفة ويدل على ذلك ماروى عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف قال فكبر فصلى خلفه طائفة منا وطائفة مواجهة العدو فركع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا ولم يسلموا واقبلوا على العدو فصفوا مكانهم وجاءت الطائفة الاخرى فصفوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجدتين ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم ركعتين واربع سجدات ثم قامت الطائفتان فصلى كل انسان منهم لنفسه ركعة وسجدتين اخرجه النسائي قال ابو بكر بن السني سمع الزهري من ابن عمر ولم يسمع هذا منه والذى اخرجاه في الصحيحين عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا في مقام اصحابهم مقبلين على العدو وجاء اولئك فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة وفي رواية اخرى قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف في بعض ايامه فقامت طائفة معه وطائفة بازاء العدو فصلى بالذين معه ركعة وجاء الآخرون فصلى بهم ركعة وقضت الطائفتان ركعة ركعة وبهذه الرواية المخرجة في الصحيحين اخذ الاوزاعي واشهب المالكي وهو جائز عند الشافعي ايضا ثم قيل ان الطائفتين قضوا ركعتهم الباقية معا وقيل متفرقين وهو الصحيح والفرق بين الروايتين ان الطائفة الاولى ادركت اول الصلاة وهي في حكم من خلف الامام واما الطائفة الثانية فلم تدرك اول الصلاة والمسبوق فيما يقضي كالمنفرد في حكم صلاته * (المسئلة الثالثة) * فيما اذا كان العدو في ناحية القبلة وصورة هذه الصلاة ماروى عن جابر بن عبدالله قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصففنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه وقام الصف المؤخر في نحو العدو فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخرا في الركعة الاولى فقام الصف المؤخر في نحو العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هؤلاء بامرائهم اخرجه مسلم بتمامه واخرج البخاري طرفا منه انه صلى صلاة الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة السابعة غزوة ذات الرقاع وبهذا الحديث اخذ الشافعي ومن وافقه فيما اذا كان العدو في جهة القبلة * (المسئلة الرابعة) * اذا اشتد الحرب والتحم القتال صلوا رجالا وركبانا يومؤن بالركوع والسجود الى اى جهة كانت هذا مذهب الشافعي * ومذهب ابي حنيفة انهم لا يصلون في هذه الحالة فاذا امنوا قضوا مافاتهم من الصلاة ولصلاة الخوف صور اخر مذكورة في كتب الفقه وليس هذا موضعها والله اعلم * وقوله تعالى (ولا جناح عليكم) اى ولا اثم ولا حرج عليكم (ان كان بكم اذى من مطر اوكنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم) قال ابن عباس رخص الله لهم في وضع السلاح في حال المطر وحال المرض

هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء) لئلا يتعدى اليكم كفرهم واخبا بهم بالصحبة والمخالطة فانه لا شئ اقوى تأثيرا من الصحبة والميل الى ولايتهم لا يخلو من جنسية بينهم لوجود هوى كامن فيهم وضراوة بسادة

لان السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين (وخذوا حذركم) يعني راقبوا عدوّكم ولاتغفلوا عنه امرهم الله بالحفظ والتحرز والاحتياط لئلا يتجرأ العدوّ عليهم قال ابن عباس نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه غزا بني محارب وبني انما رفنزلوا ولايرون من العدوّ احدا فوضع الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادي والسماء ترش بالمطر فسال الوادي فحال السيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اصحابه فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحرث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الاوهو قائم على رأسه وقدسل السيف من غمده وقال يامحمد من يمنعك مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عزوجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحرث بماشئت فاهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكب لوجهه من زلخة زلخها فندر السيف من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ السيف ثم قال ياغورث من يمنعك مني الآن فقال لااحد فقال اتشهدان لااله الاالله وان محمداعبده ورسوله واعطيك سيفك فقال لاولكن اشهدان لااقاتلك ابدا ولااعين عليك عدوّا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث لانت خيرمني فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انااحق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقالوا له ويلك ياغورث مامنعك منه فقال والله لقداهويت اليه بالسيف لاضربه به فوالله ماادرى من زلخني بين كتفي فخررت لوجهي وذكر حاله لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي الى اصحابه واخبرهم الخبر وقرأ هذه الآية ولاجناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر اوكنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف جريحا فنزلت فيه ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم يعني من عدوّكم (ان الله اعدّ للكافرين عذابامهينا) يعني يهانون به * قوله عز وجل (فاذا قضيتم الصلوة) يعني فاذا فرغتم من صلاة الخوف (فاذكروا الله) يعني بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير واثنوا على الله في جميع احوالكم (قياما وقعودا وعلى جنوبكم) فان ماانتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكرالله عزوجل والتضرع اليه (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرالله في كل احيانه * وقيل المراد بالذكر الصلاة يعني فصلوا لله قياما يعني في حال الصحة وقعودا في حال المرض وعلى جنوبكم يعني في حال الزمانة والجراح (فاذا اطمأننتم) يعني فاذا امنتم وسكنت قلوبكم واصل الطمأنينة سكون القلب (فأقيموا الصلاة) يعني فأتموها اربعا فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة ترك السفر والمعنى فاذا صرتم مقيمين في اوطانكم فأقيموا الصلاة تامة اربعا من غير قصر * وقيل معناه فاقيموا الصلاة باتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة سكون القلب عن الاضطراب والامن بعد الخوف (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) يعني فرضا موقتا والكتاب هنا بمعنى المكتوب يعني مكتوبة موقتة في اوقات محدودة فلايجوز اخراجها عن اوقاتها على اىّ حال كان من خوف اوامن وقيل معناه فرضا واجبا مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتين * قوله تعالى (ولاتهنوا في ابتغاء القوم) سبب نزول هذه الآية ان اباسفيان واصحابه لمارجعوا يوم احد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم فشكوا من الم

ردية تشملهم لايؤمن عليهم الوقوع في الكفر بغلبة الهوى والنفس (اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) حجة ظاهرة في عقابكم برسوخ الهيئة التي بها تميلون الى ولايتهم بصحبتهم ومجالستهم (انّ المنافقين في الدرك الاسفل من النار) باعتبار زيادة عذابه وشدة ايلامه

الجراحات فقال الله تعالى ولاتهنوا يعنى ولاتضعفو ولاتتوانوا فى ابتغاء القوم يعنى فى طلب ابى سفيان واصحابه ثم اورد عليهم الحجة ذلك والزمهم بها فقال تعالى (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون) يعنى ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم وليس ماتكابدون من الوجع والم الجراح مختصابكم بل هم كذلك فاذا لم يكن الالم مانعالهم عن قتالكم فكيف يكون مانعالكم عن قتالهم وكيف لاتصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى بالصبر منهم لانكم مقرون بالحشر والنشر والثواب والعقاب والمشركون لايقرون بذلك كله فانتم ايها المؤمنون اولى بالجهاد منهم وهو قوله تعالى (وترجون من الله مالا يرجون) يعنى وتأملون من الله من الثواب فى الآخرة مالا يرجون وقيل ترجون النصر والظفر فى الدنيا واظهار دينكم على الاديان كلها (وكان الله عليما حكيما) يعنى انه تعالى لايأمركم بشئ الا وهو يعلم انه مصلحة لكم *

قوله عز وجل (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى رجل من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بنى ظفر بن الحرث سرق درعا من جارله يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع فى جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فى الجراب حتى انتهى الى داره ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ماأخذها ومالله بها من علم فقال اصحاب الدرع لقدر اينا اثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا اثر الدقيق الى منزل اليهودى فأخذوه منه فقال اليهودى دفعها الى طعمة بن ابيرق زاد فى الكشاف وشهد له جماعة من اليهود قال البغوى وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه ان يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاقب اليهودى وان يقطع يده فانزل الله هذه الآية وقيل ان زيد بن السمين اودع الدرع عند طعمة فجحده طعمة فانزل الله هذه الآية انا انزلنا اليك يعنى يامحمد الكتاب يعنى القرآن بالحق يعنى بالصدق وبالامر والنهى والفصل (لتحكم بين الناس بما اراك الله) يعنى بما علمك الله واوحى اليك وانما سمى العلم اليقينى رؤية لانه جرى مجرى الرؤية فى قوة الظهور روى عن عمر انه قال لايقولن احدكم قضيت بما ارانى الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجهد رأيه لان الرأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله تعالى كان يريه اياه وان رأى احدنا يكون ظنا ولايكون علما قال المحققون دلت هذه الآية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماكان يحكم الا بالوحى الالهى والنص المنزل عليه (ولاتكن) يعنى يامحمد (للخائنين خصيما) يعنى ولاتكن لاجل الخائنين وهم قوم طعمة تخاصم عنهم وتجادل عن طعمة مدافعا عنه ومعيناله (واستغفر الله) يعنى مما هممت به من معاقبة اليهودى وقيل من جدالك عن طعمة (ان الله كان غفورا) يعنى لذنوب عباده يسترها عليهم ويغفرها لهم (رحيما) يعنى بعباده المؤمنين

* (فصل) * وقد تمسك بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب من الانبياء وقالوا لولم يقع من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لما امر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا به من وجوه احدها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهى عنه فى قوله ولاتكن للخائنين خصيما ولم يخاصم عن طعمة لما سأله قومه ان يذب عنه وان يلحق السرقة باليهودى فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر ماياتيه من الوحى السماوى والامر الالهى فنزلت هذه الآية واعلم رسول

واخراه لا باعتبار كونه ادون مرتبة اذ تأثير النار فى المنافق أشد وأكثر ايلاما لبقية استعداد فيه واما الكافر الاصلى البهيم فلعدم استعداده لايتالم بعذابه كما يتالم المنافق وان كان اسوا حالا منه واعظم عذابا وهوانا (ولن تجد لهم نصيرا) ينصرهم من عذاب الله

الله صلى الله عليه وسلم بان طعمة كذاب وان اليهودى برئ من السرقة وانما مال صلى الله عليه وسلم الى نصرة طعمة وهم بذلك بسبب انه فى الظاهر من المسلمين فامره الله بالاستغفار لهذا القدر الوجه الثانى ان قوم طعمة لما شهدوا زورا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة طعمة من السرقة ولم يظهر فى الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح فى شهادتهم بان يقضى على اليهودى بالسرقة فلما اطلعه الله على كذب قوم طعمة عرف انه لو وقع ذلك الامر لكان خطأ فى نفس الامر فامره الله بالاستغفار منه وان كان معذورا الوجه الثالث يحتمل ان الله تعالى امره بالاستغفار لقوم طعمة لذنبهم عن طعمة فان استغفاره صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون لذنب قد سبق قبل النبوة وان يكون الذنوب امته الوجه الرابع ان درجة النبى صلى الله عليه وسلم الدرجات ومنصبه اشرف المناصب فلعلو درجته وشرف منصبه وكمال معرفته بالله عز وجل فما يقع منه على وجه التأويل والسهو او امر من امور الدنيا فانه ذنب بالنسبة الى منصبه صلى الله عليه وسلم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين وذلك بالنسبة الى منازلهم ودرجاتهم والله اعلم ❊ قوله تعالى (ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم) يعنى ولا تجادل يا محمد عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة وهم طعمة ومن عاونه وذب عنه من اقدم على ذنب فقد خان نفسه لانه اوقعها العذاب وحرمها من الثواب ولهذا قيل لمن ظلم غيره انما ظلم نفسه وقيل المراد بهذا الجمع كل من خان خيانة اى فلا تخاصم الخائن ولا تجادل عنه (ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما) يعنى خوانا بسرقة الدرع اثيما برميه اليهودى وهو برئ وانما قال تعالى خوانا اثيما على المبالغة لانه تعالى علم من طعمة الافراط فى الخيانة وركوب المآثم ويدل على ذلك انه لما نزل فيه القرآن لحق مكة مرتدا عن دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط عليه حجر من الحائط فلما اصبحوا اخرجوه من مكة فلقى ركبا فعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع به فحملوه حتى اذا جن عليه الليل عدا عليهم فسرقهم ثم انطلق فركبوا فى طلبه فادركوه فرموه بالحجارة حتى مات ومن كانت هذه حاله كان كثير الخيانة والاثم فلذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة فى الخيانة والاثم قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وروى عن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكى وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه يا امير المؤمنين فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده فى اول مرة ❊ قوله عز وجل (يستخفون من الناس) يعنى يستترون حياء من الناس يريد بذلك بنى ظفر بن الحرث وهم قوم طعمة ابن ابيرق (ولا يستخفون من الله) يعنى ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه واصل الاستخفاء الاستتار وانما فسر الاستخفاء بالاستحياء على المعنى لان الاستحياء من الناس يوجب الاستتار منهم (وهو معهم) يعنى والله معهم بالعلم والقدرة ولا يخفى عليه شئ من حالهم لانه تعالى لا تخفى عليه خافيه وكفى بذلك زجرا للانسان عن ارتكاب الذنوب (اذ يبيتون ما لا يرضى من القول) يعنى يضمرون ويقدرون ويزوّرون فى اذهانهم واصل التبييت تدبير الفعل بالليل وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبى صلى الله عليه عليه وسلم فانه يسمع قول طعمة ويقبل يمينه لانه مسلم ولا يسمع قول اليهودى لانه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم فاطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم وما هموا به (وكان الله بما يعملون محيطا) يعنى انه تعالى لا يخفى عليه من اسرار عباده وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا تخفى عليه خافيه (ها انتم هؤلاء) ها للتنبيه يعنى يا هؤلاء الذين هو خطاب لقوم من المؤمنين كانوا يذبون

لانقطاع وصلتهم وارتفاع محبتهم مع اهل الله (الا الذين تابوا) رجعوا الى الله ببقية نور الاستعداد وقبول مدد التوفيق (وأصلحوا) ما افسدوا من استعدادهم بقمع الهوى وكسر صفات النفس ورفع حجب القوى بالزهد والرياضة (واعتصموا بالله) بالتمسك بحبل الارادة

عن طعمة وعن قومه (جادلتم عنهم) يعني خاصمتم عنهم بسبب انهم كانوا يرونهم في الظاهر مسلمين
واصل الجدال شدة القتل لان كل واحد من الخصمين يريد ان يفتل صاحبه عما هو عليه والمعنى
هبوا انكم خاصمتم وجادلتم عن طعمة وعن قومه (في الحيوة الدنيا) وقيل هو خطاب لقوم طعمة
وفي قراءة ابن مسعود جادلتم عنه والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة في الحياة الدنيا (فمن يجادل
الله عنهم يوم القيامة) يعني اذا اخذه بعذابه فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع (ام من يكون
عليهم وكيلا) يعني محافظا ومحاميا عنهم من بأس الله اذا نزل بهم * قوله تعالى (ومن يعمل
سوأ اويظلم نفسه) نزلت هذه الآية في ترغيب طعمة في التوبة وعرضها عليه *وقيل نزلت في قومه
الذين جادلوا عنه *وقيل هي عامة في كل مسيء ومذنب لان خصوص السبب لايمنع من اطلاق
الحكم ومعنى الآية ومن يعمل سوأ يسيء به غيره كما فعل طعمة بالسرقة من قتادة *وانما خص
مايتعدى الى الغير باسم السوء لان ذلك يكون في الاكثر ايصالا للضرر الى الغير اويظلم نفسه يعني
فيما يختص به من الحلف الكاذب ونحو ذلك* وقيل معناه ومن يعمل سوأ اى قبيحا اويظلم نفسه
برميه لبريء* وقيل السوء كل مايأثم به الانسان والظلم هو الشرك فما دونه (ثم يستغفر الله) يعني
من ذنوبه (يجد الله غفورا رحيما)* ففي هذه الآية دليل على حكمين *احدهما ان التوبة مقبولة
عن جميع الذنوب الكبائر والصغائر لان قوله ومن يعمل سوأ اويظلم نفسه عم الكل *والحكم
الثاني ان ظاهر الآية يقتضي ان مجرد الاستغفار كاف وقال بعضهم انه مقيد بالتوبة لانه لاينفع
الاستغفار مع الاصرار على الذنوب (ومن يكسب اثما) يعني ومن يعمل ذنبا يأثم به (فانما
يكسبه على نفسه) يعني انما يعود وبال كسبه عليه والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة اودفع مضرة
فكأنه تعالى يقول يا ايها الانسان ان الذنب الذي ارتكبته انما عادت مضرته عليك فاني منزه
عن الضر والنفع فأكثر من الاستغفار ولاتيأس من قبول التوبة فاني غفار لمن تاب *وهذه
الآية نزلت في طعمة ايضا (وكان الله عليما) يعني بسارق الدرع (حكيما) يعني اذا حكم
عليه بالقطع* وقيل معناه عليما بما في قلب عبده عند اقدامه على التوبة حكيما تقتضي حكمته ان
يتجاوز عن التائب ويغفر له ويقبل توبته (ومن يكسب خطيئة اواثما) قيل ان الخطيئة هي الصغيرة
من الذنوب والاثم هو الكبيرة* وقيل الخطيئة هي الذنب المختص بفاعله والاثم الذنب المتعدي الى
الغير وقيل ان الخطيئة هي سرقة الدرع والاثم هو يمينه الكاذبة (ثم يرم به بريأ) يعني ثم يقذف
بما جناه بريئا منه وهو نسبة السرقة الى اليهودي ولم يسرق* فان قلت الخطيئة والاثم اثنان فكيف
وحد الضمير في قوله ثم يرم به قلت معناه ثم يرم باحد هذين المذكورين بريأ* وقيل معناه ثم يرم
بهما فاكتفى باحدهما عن الآخر وقيل انه يعود الضمير الى الاثم وحده لانه اقرب مذكور وقيل
ان الضمير يعود الى الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب بريأ (فقد احتمل بهتانا) البهتان من
البهت وهو الكذب الذي يتحير في عظمه (واثما مبينا) يعني ذنبا بينا لانه بكسب الاثم آثم
وبرميه البريء باهت فقد جمع بين الامرين * قوله عز وجل (ولولا فضل الله عليك ورحمته)
هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن ابيرق وقومه حيث لبسوا على رسول الله صلى الله وسلم امر
صاحبهم فقوله تعالى ولولا فضل الله عليك يعني يا محمد بالنبوة ورحمته يعني بالعصمة وما اوحى اليك
من الاطلاع على اسرارهم فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (لهمت طائفة منهم) يعني من

وقوة العزيمة في التوجه
اليه (واخلصوا دينهم لله)
بافناء موانع السلوك من
صفات النفس وازالة خطاء
الشرك وقطع النظر عن
الغير في السير (فاولئك
مع المؤمنين) الموقنين
(وسوف يؤت الله المؤمنين
اجرا عظيما) من مشاهدة
تجليات الصفات وجنة
الافعال(مايفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وآمنتم وكان الله
شاكرا عليما لايحب الله
الجهر بالسوء من القول
الامن ظلم وكان الله سميعا
عليما ان تبدوا خيرا اوتخفوه
اوتعفوا عن سوء فان الله
كان عفوا قديرا ان الذين
يكفرون بالله ورسوله)
يحتجبون عن الحق والدين
وعن الجمع والتفصيل
(ويريدون ان يفرقوا
بين الله ورسوله ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر
ببعض) بالاحتجاب عن
الدين دون الحق والتفصيل
دون الجمع فينكرون الرسل
لتوهمهم وحدة منافية
للكثرة وحجابا بالتفصيل
وذلك هو ايمانهم بالبعض
وكفرهم بالبعض(ويريدون
ان يتخذوا) بين الايمان
بالكل جمعا وتفصيلا

بني ظفر وهم قوم طعمة (ان يضلوك) يعني عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل * وقيل معناه يخطئوك في الحكم ويلبسوا عليك الامر حتى تدفع عن طعمة وذلك لان قوم طعمة عرفوا انه سارق ثم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يدفع عنه ويبرئه عن السرقة ويرمي بها اليهودي (وما يضلون الا انفسهم) يعني ان وبال ذلك يرجع عليهم بسبب تعاونهم على الاثم وبشهادتهم له انه بريء فهم لما قدموا على ذلك رجع وباله عليهم (وما يضرونك من شيء) يعني انهم وان سعوا في القائك في الباطل فانت ما وقعت فيه لانك بنيت الامر على ظاهر الحال وما خطر ببالك ان الامر على خلاف ذلك *وقيل معناه وما يضرونك من شيء في المستقبل فوعده الله ادامة العصمة وانه لا يضره احد (وانزل الله عليك الكتاب) يعني القرآن (والحكمة) يعني القضاء بهما يعني واوجب بهما بناء الحكم على الظاهر فكيف يضرونك بالقائك في الشبهات (وعلمك ما لم تكن تعلم) يعني من احكام الشرع وامور الدين * وقيل علمك من علم الغيب ما لم تكن تعلم * وقيل معناه وعلمك من خفيات الامور واطلعك على ضمائر القلوب وعلمك من احوال المنافقين وكيدهم ما لم تكن تعلم (وكان فضل الله عليك عظيما) يعني ولم يزل فضل الله عليك يا محمد عظيما فاشكره على ما اولاك من احسانه ومن عليك بنبوته وعلمك ما انزل عليك من كتابه وحكمته وعصمك ممن حاول اضلالك فان الله هو الذي تولاك بفضله وشملك باحسانه وكفاك غائلة من ارادك بسوء ففي هذه الآية تنبيه من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ما حباه من الطافه وما شمله من فضله واحسانه ليقوم بواجب حقه * قوله تعالى (لا خير في كثير من نجواهم) يعني من نجوى قوم طعمة * وقيل هي عامة في جميع ما يتناجى الناس به والنجوى هي الاسرار في التدبير وقيل النجوى ما تفرد بتدبيره قوم سرا كان ذلك اوجهرا وناجيته ساررته * واصله ان يخلو في نجوة من الارض * وقيل اصله من النجى * والمعنى لا خير في كثير مما يدبرونه ويتناجون فيه (الا من امر بصدقة) يعني الا في نجوى من امر بصدقة * وقيل معناه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث الا فيما كان من اعمال الخير وقيل هو استثناء منقطع تقديره لكن من امر بصدقة وحث عليها (او معروف) يعني او امر بطاعة الله وما يجيزه الشرع واعمال البر كلها معروف لان العقول تعرفها (او اصلاح بين الناس) يعني الاصلاح بين المتباينين والمتخاصمين ليتراجعا الى ما كانا فيه من الالفة والاجتماع على ما اذن الله فيه وامر به *عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وان فساد ذات البين هي الحالقة اخرجه الترمذي وابو داود * وقال الترمذي ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي الحالقة لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين (خ) عن سهل بن سعد ان اهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم (ق) عن ام مكتوم بنت عقبة بن ابي معيط قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذي يصلح بين اثنين او قال بين الناس فيقول خيرا او ينمي خيرا زاد مسلم في رواية له قالت ولم اسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس الا في ثلاث يعني الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها (ومن يفعل ذلك) يعني هذه الاشياء التي ذكرت (ابتغاء مرضات الله) يعني طلب رضاه لان الانسان اذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه وان فعله رياء وسمعة لم ينفعه ذلك

والكفر بالكل طريقا (أولئك هم الكافرون) المحجوبون (حقا) بذواتهم وصفاتهم فان معرفتهم وهم وغلط وتوحيدهم زندقة ليسوا من الدين ولا من الحق في شيء (واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) يهينهم بوجود الحجاب وذل النفس وصفاتها (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم) من الجنات الثلاثة (وكان الله غفورا) يستر عنهم ذواتهم وصفاتهم التي هي ذنوبهم ويحجبهم بذاته وصفاته (رحيما) يرحمهم بتنعيمهم بالجنات الثلاثة وبالوجود الموهوب الحقاني والبقاء السرمدي (يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء) علما يقينيا بالمكاشفة من سماء الروح (فقد سألوا موسى اكبر من ذلك) لان المشاهدة اكبر واعلى من المكاشفة (فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك) بطلبهم

لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات الحديث (فسوف نؤتيه) يعني في الآخرة اذا فعل ذلك ابتغاء مرضاة الله (اجرا عظيما) لا حد له لان الله سماه عظيما واذا كان كذلك فلا يعلم قدره الا الله * قوله عز وجل (ومن يشاقق الرسول) نزلت في طعمة ايضا وذلك انه لما سرق وظهرت عليه السرقة خاف على نفسه القطع والفضيحة فهرب الى مكة كافرا مرتدا عن الدين فانزل الله عز وجل فيه ومن يشاقق الرسول يعني يخالفه في التوحيد والايمان * واصله من المشاقة وهي كون كل واحد منهما في شق غير شق الآخر (من بعد ما تبين له الهدى) اي وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الاسلام وذلك لان طعمة كان قد تبين له بما انزل فيه واظهر من سرقته ما يدل على صحة دين الاسلام فعادى الرسول صلى الله عليه وسلم واظهر الشقاق ورجع عن الاسلام (ويتبع غير سبيل المؤمنين) يعني ويتبع غير طريق المؤمنين وما هم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان (نوله ما تولى) اي نكله في الآخرة الى ما تولى في الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه (ونصله جهنم) يعني ونلزمه جهنم واصله من الصلي وهو لزوم النار وقت الاستدفاء (وساءت مصيرا) يعني وبئس المرجع الى النار * روى ان الشافعي سئل عن آية من كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلثمائة مرة حتى استخرج هذه الآية وهي قوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين * وذلك لان اتباع غير سبيل المؤمنين وهو مفارقة الجماعة حرام فوجب ان يكون اتباع سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم واجبا * وذلك لان الله تعالى الحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا ان اجماع الامة حجة * قوله عز وجل (ان الله لا يغفر ان يشرك به) نزلت في طعمة بن ابيرق ايضا لكونه مات مشركا * وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في شيخ من الاعراب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اني شيخ منهمك في الذنوب غير اني لم اشرك بالله منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراءة على الله عز وجل وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما حالي عند الله فانزل الله هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به فهذا نص صريح بان الشرك غير مغفور اذا مات صاحبه عليه لانه قد ثبت ان المشرك اذا تاب من شركه وآمن قبلت توبته وصح ايمانه وغفرت ذنوبه كلها التي عملها في حال الشرك (ويغفر ما دون ذلك) يعني ما دون الشرك (لمن يشاء) يعني لمن يشاء من اهل التوحيد * قال العلماء لما اخبر الله انه يغفر الشرك بالايمان والتوبة علمنا انه يغفر ما دون الشرك بالتوبة وهذه المشيئة فيمن لم يتب من ذنوبه من اهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة او الصغيرة من غير توبة فهو على خطر المشيئة ان شاء غفر له وادخله الجنة بفضله ورحمته وان شاء عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) يعني فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه * فان قلت لم كررت هذه الآية بلفظ واحد في موضعين من هذه السورة وما فائدة ذلك * قلت فائدة ذلك التأكيد اولان الآية المتقدمة نزلت في سبب ونزلت هذه الآية في سبب آخر وهو ان الآية المتقدمة نزلت في سبب سرقة طعمة بن ابيرق ونزلت هذه الآية في سبب ارتداده وموته على الشرك * قوله عز وجل (ان يدعون من دونه الا اناثا) نزلت في اهل مكة يعني ما يعبدون من دون الله الا اناثا لان كل من عبد شيأ فقد دعاه لحاجته * وفي قوله اناثا اقوال * احدها انهم كانوا يسمون اصنامهم باسماء الاناث فيقولون

المشاهدة مع بقاء ذواتهم اذ وجود البقية عند المشاهدة وضع الشئ في غير موضعه وطلب المشاهدة مع البقية طغيان من النفس ينشأ من رؤيتها كمالات الصفات لنفسها وذلك ظلم (وآتينا موسى سلطانا مبينا) تسلطا بالحجة عليهم بعد الافاقة (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به) رفع عيسى عليه السلام اتصال روحه عنه المفارقة عن العالم السفلي بالعالم العلوي وكونه

اللات والعزى ومنات قال الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة انثى بنى فلان * والقول الثانى اناثا يعنى امواتا قال الحسن كل شئ لا روح فيه كالحجر والخشبة هو اناث قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث تقول هذه الحجر تعجبنى وهذه الدراهم تنفعنى ولان الانثى ارزل درجة من الذكر والميت ارزل درجة من الحى كما ان الموت ارزل من الحيوان وقد يطلق اسم الانثى على الجمادات * والقول الثالث ان بعضهم كان يعبد الملائكة ويقول هن بنات الله (وان يدعون) اى وما يعبدون (الا شيطانا مريدا) قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل فى جوفه ويتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا * وقيل هو ابليس لانه اغواهم واغراهم على عبادتها واطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة * والمريد والمارد هو المتمرد العاتى الخارج عن الطاعة (لعنه الله) اى ابعده الله وطرده عن رحمته (وقال) يعنى ابليس (لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) يعنى حظا مقدرا معلوما فكل ما اطيع فيه ابليس فهو نصيبه ومفروضه واصل الفرض القطع وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه (ولاضلنهم) عن طريق الحق والمراد به التزيين والوسوسة والافليس اليه من الاضلال شئ قال بعضهم لو كانت الضلالة الى ابليس لاضل جميع الخلق (ولامنينهم) قال ابن عباس يريد تسويف التوبة وتاخيرها وقال الكلبى امنيهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث * وقيل امنيهم ادراك الجنة مع عمل المعاصى * وقيل ازين لهم ركوب الاهواء والاهوال الداعية الى العصيان * وقيل امنيهم طول البقاء فى الدنيا ونعيمها ليؤثروها على الآخرة (ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام) يعنى يقطعونها ويشقونها وهى البحيرة وذلك انهم كانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها ولا يردونها عن ماء ولا مرعى وسول لهم ابليس ان هذا قربة (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) قال ابن عباس يعنى دين الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال * وقيل تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة التى فطر الخلق عليها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه * وقيل يحتمل ان يحمل هذا التغير على تغيير احوال تتعلق بظاهر الخلق مثل الوشم ووصل الشعر ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله اخرجاه من رواية ابن مسعود * ولهما عن اسماء قالت لعن النبى صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة وقيل تغير خلق الله هو الاختصاء وقطع الآذان حتى ان بعض العلماء حرمه وكره انس اخصاء الغنم وجوزه بعض العلماء لان فيه غرضا ظاهرا (ق) عن سعد بن ابى وقاص قال لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون التبتل لاختصينا التبتل هو ترك النكاح والانقطاع للعبادة عن نافع قال كان ابن عمر يكره الاختصاء ويقول ان فيه نماء الخلق اخرجه مالك فى الموطا ومعناه فى ترك الاختصاء نماء الخلق يعنى زيادتهم وقال ابن زيد هو التخنث وهو ان يتشبه الرجل بالنساء فى حركاتهن وكلامهن ولباسهن ونحو ذلك وقيل تغيير خلق الله هو ان الله تعالى خلق البهائم والانعام للركوب والاكل فحرموها على انفسهم وخلق الشمس والقمر والنجوم والنار والاحجار لمنفعة الناس فعبدوها من دون الله (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) يعنى يتخذه ربا يطيعه فيما يأمره به وقيل الولى من الموالاة وهو الناصر (فقد خسر خسرانا مبينا) لان طاعة الشيطان توصله الى نار جهنم وهى غاية الخسران

فى السماء الرابعة اشارة الى ان مصدر فيضان روحه روحانية تلك الشمس الذى هو بمثابة قلب العالم ومرجعه اليه وتلك الروحانية نور محرك ذلك الفلك بمعشوقيته واشراق اشعته على نفسه المباشرة لتحريكه ولما كان مرجعه الى مقره الاصلى ولم يصل الى الكمال الحقيقى وجب نزوله فى آخر الزمان بتعلقه ببدن آخر وحينئذ يعرفه كل احد فيؤمن به اهل الكتاب اى اهل العلم العارفين بالمبدا والمعاد كلهم عن آخرهم قبل موت عيسى بالفناء فى الله واذ آمنوا به يكون يوم القيامة اى يوم بروزهم عن الحجب الجسمانية وقيامهم عن حال غفلتهم ونومهم الذى هم عليه الآن (قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) شاهدهم يتجلى عليهم الحق فى صورة كما اشير اليه (فبظلم) عظيم (من الذين هادوا) اى بعباداتهم عجل النفس واتخاذه الها وامتناعهم عن دخول القرية التى هى حضرة الروح واعتدائهم فى السبت بمخالفة الشرع والاحتجاب عن كشف توحيد الافعال ونقضهم

*بقي في الآية سؤالان * الاول قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا والنصيب المفروض هو الشيء المقدر القليل وقال في موضع آخر لاحتنكن ذريته الاقليلا وقال لاغوينهم اجمعين الاعبادك منهم المخلصين وهذا استثناء القليل من الكثير فكيف وجه الجمع *فالجواب ان الكفار الذين هم حزب الشيطان وان كانوا اكثر من المسلمين في العدد لكنهم اقل من المؤمنين في الفضل والشرف وعلو الدرجة عند الله والمؤمنون وان كانوا اقل من الكفار لكنهم اكثر منهم لان لهم الفضل والشرف والسودد والغلبة في الدنيا وعلو الدرجة في الآخرة وانشد بعضهم في هذا المعنى فقال

وهم الاقل اذا تعد عشيرة * والاكثرون اذا يعد السودد

وقيل ان ابليس لما لم ينل من آدم ماأراد ورأى الجنة والنار وعلم ان لهذه اهلا ولهذه اهلا قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعني الذين هم اهل النار * السؤال الثاني من اين لابليس العلم بالعواقب حتى يقول ولاضلنهم ولاغوينهم ولامنينهم ولآمرنهم وقال في الاعراف ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال في بني اسرائيل لاحتنكن ذريته الا قليلا *فالجواب من ثلاثة اوجه *احدها ان ابليس ظن ان تقع منهم هذه الامور التي يريدها منهم فحصل له ماظنه ويدل على ذلك قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه* الوجه الثاني قال ابن الانباري المعنى لاجتهدن ولاحرصن في ذلك لانه كان يعلم الغيب *الوجه الثالث قال الماوردي من الجائز ان يكون قد علم ذلك من الملائكة بخبر من الله تعالى ان اكثر الخلائق لايؤمنون *وقوله تعالى (يعدهم ويمنيهم) يعني الشيطان يعد حزبه واولياءه ويمنيهم فوعده وتمنيته اياهم مايوقع في قلب الانسان من طول العمر ونيل ماأراد من الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكل ذلك غرور فيجب على العاقل ان لايلتفت الى شيء منها فربما لم يطل عمره ولم يحصل له ماأراد منها ولئن طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه ينغص عليه ماهو فيه وقيل يعدهم ويمنيهم بأن لاجنة ولانار ولابعث فاجتهدوا في تحصيل اللذات الدنيوية (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) يعني باطلا وضلالا (اولئك) يعني الذين اتخذوا الشيطان وليا (مأواهم جهنم) يعني مرجعهم ومستقرهم جهنم (ولايجدون عنها) يعني عن جهنم (محيصا) يعني مفرا ومعدلا يعني لايعدلون عنها الى غيرها ولابد لهم من ورودها والخلد فيها لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بوعد المؤمنين فقال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار) يعني من تحت المساكن والغرف (خالدين فيها) يعني في الجنات (ابدا) بلا انتهاء ولاغاية* والابد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لاانقطاع له ولايتجزأ كما يتجزأ غيره من الازمنة لانه لايقال ابد كذا كما يقال زمن كذا* وفي قوله خالدين فيها ابدا دليل على ان الخلود لايفيد التأبيد والدوام لانه لوافاد ذلك لزم التكرار وهو خلاف الاصل فعلم من ذلك ان الخلود عبارة عن طول الزمان لاعلى الدوام فلما اتبع الخلود بالابد علم انه يراد به الدوام الذي لاينقطع* وقوله عزوجل (وعد الله حقا) يعني وعد الله ذلك الذي ذكر وعدا حقا (ومن اصدق من الله قيلا) يعني ليس احد اصدق من الله وهو توكيد بليغ لقوله وعد الله حقا * قوله تعالى (ليس بأمانيكم ولااماني اهل الكتاب) الامنية افعولة من التمنية والتمني تقدير شيء في نفس وتصويره فيها* والامنية هي الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء اذا وقع في نفسه واراده

ميثاق الله واحتجابهم عن تجليات الصفات الذي هو كفرهم بآيات الله والانغماس في الرذائل كلها كقتل الانبياء والافتراء على الله بكون قلوبهم غلفا اي مغشاة بحجب خلقية لاسبيل الى رفعها وبهتانهم على مريم وادعائهم قتل عيسى عليه السلام من الخصال التي اجتماعها ظلم لايعرف كنهه (حرمنا عليهم طيبات) جنات النعيم من تجليات الافعال والصفات وشهود الذات التي هي طيبات لايعرف كنهها (احلت لهم) بحسب قابلية استعدادهم لولاهذه الموانع (وبصدهم) الناس بصحبتهم ومرافقتهم ودعوتهم الى الضلال اويصد قواهم الروحانية (عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه) ربا فضول العلوم كالخلاف والجدل واللذات البدنية والحظوظ التي نهوا عنها (واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما) برذيل الحرص والطمع كأخذ الرشا واجر التزويرات والتلبيسات اواستعمال علوم

وفى المخاطب بقوله ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب قولان احدهما انه خطاب للمسلمين واهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضى على الكتب وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن اولى بالله منكم * والقول الثانى انه خطاب لمشركى مكة فى قولهم لانبعث ولانحاسب وخطاب لاهل الكتاب فى قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة والمعنى ليس الامر بالامانى انما الامر بالعمل الصالح (ومن يعمل سوأ يجزبه) قال الضحاك يقول ليس لكم ماتمنيتم وليس لاهل الكتاب ماتمنوا ولكن من عمل سوأ يعنى شركا فمات عليه يجزبه النار وقال الحسن هذا فى حق الكفار خاصة لانهم يجازون بالعقاب على الصغير والكبير ولايجزى المؤمن بسيء عمله يوم القيامة ولكن يجزى بأحسن عمله ويتجاوز عن سيآته ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله (ولايجدله من دون الله وليا ولانصيرا) وهذا هو الكافر فاما المؤمن فله ولى ونصير وقال آخرون هذه الآية فى حق كل من عمل سوأ من مسلم ونصرانى وكافر قال ابن عباس هى عامة فى حق كل من عمل سوأ يجزبه الا ان يتوب قبل ان يموت فيتوب الله عليه * وقال ابن عباس فى رواية ابى صالح عنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة وقالوا يارسول الله واينا من لم يعمل سوأ غيرك فكيف الجزاء قال منه مايكون فى الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزى بالسيئة نقصت واحدة من عشر حسناته وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده اعشاره واما من كان جزاؤه فى الآخرة فيقابل بين حسناته وسيآته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر فى الفضل فيعطى الجزاء فى الجنة فيؤتى كل ذى فضل فضله *ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ابى هريرة قال لما نزلت من يعمل سوأ يجزبه بلغت من المسلمين مبلغا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا ففى كل مايصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها اخرجه مسلم *وعن ابى بكر الصديق قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت من يعمل سوأ يجزبه ولايجدله من دون الله وليا ولانصيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياابا بكر الااقرئك آية انزلت علىّ قلت بلى يارسول الله قال فاقرأنيها فلااعلم الا انى وجدت انقصاما فى ظهرى فتمطأت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشأنك ياابا بكر قلت يارسول الله بابى انت وامى واينا لم يعمل سوأ وانا لمجزيون باعمالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انت ياابا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك فى الدنيا حتى تلقوا الله وليس عليكم ذنوب واما الآخرون فيجتمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى اسناده مقال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن ابى بكر وليس له اسناد صحيح وقوله ولايجدله من دون الله وليا ولانصيرا قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولانصيرا ينصره فان قلنا ان هذه الآية خاصة فى حق الكفار فتاويلها ظاهر وان قلنا انها فى حق كل عامل سوء من مسلم وكافر فانه لاولى لاحد من دون الله يوم القيامة ولاناصر فالمؤمنون لاولى لهم غير الله وشفاعة الشافعين تكون باذن الله فليس يمنع احد احدا عن الله وقوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكر اوانثى وهو مؤمن) قال مسروق لما نزلت من يعمل سوأ يجزبه قال اهل الكتاب نحن وانتم سواء فنزلت هذه الآية قال المفسرون بين الله تعالى بهذه الآية فضيلة المؤمنين

القوى الروحانية بين الكفر والعقل النظرىّ والعلمىّ فى تحصيل المآكل والمشارب وكسب الحطام وتحصيل اللذات والشهوات الحسية والمآرب السبعية والبهيمية عذابا مؤلما لوجود استعدادهم (لكن الراسخون فى العلم) اى المحققون (منهم والمؤمنون) بالايمان التقليدىّ المطابق الثابت (يؤمنون بما انزل اليك وماانزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة) اى يتصفون بالتزكية والتحلية (والمؤمنون بالله) الموحدون بالتوحيد العيانىّ (واليوم الآخر) المعاينون لاحوال المعاد على ماهو عليه (اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما) من حظوظ تجليات الصفات وجناتها (انااوحينا اليك كمااوحينا الى نوح والنبيين من بعد واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قدقصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين) بتجليات

على غيرهم ولفظة من فى قوله من الصالحات للتبعيض لان احد الا يقدر ان يستوعب جميع الصالحات بالعمل فاذا عمل بعضها استحق الثواب (فاولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا) النقير نقرة فى ظهر النواة ومنها تنبت النخلة قال ابن عباس يريد لاينقصون قدر نقرة النواة وهذا على سبيل المبالغة فى نفى الظلم ووعد بتوفية جزاء اعمالهم من غير نقصان ❊ قوله عزوجل (ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن) لما بين الله تعالى ان الجنة لمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن شرح الايمان وبين فضله فقال تعالى ومن احسن دينا يعنى ومن احكم دينا والدين هو المشتمل على كمال العبودية والخضوع والانقياد لله عزوجل وهو الذى كان عليه ابراهيم صلى الله عليه وسلم٭ واعلم ان دين الاسلام مبنى على امرين٭ احدهما الاعتقاد واليه الاشارة بقوله اسلم وجهه لله يعنى انقاد لله وخضع له فى سره وعلانيته٭ وقيل معناه اخلص طاعته لله وقيل فوّض امره الى الله٭ الامر الثانى من مبانى الاسلام العمل واليه الاشارة بقوله وهو محسن يعنى فى عمله لله فيدخل فيه فعل الحسنات والمفروضات والطاعات وترك السيآت٭ وقال ابن عباس فى تفسير قوله وهو محسن يريد وهو موحد لله عز وجل لايشرك به شيأ قال العلماء وانما صار دين الاسلام احسن الاديان لان فيه طاعة الله ورضاه وهما احسن الاعمال٭ وانما خص الوجه بالذكر فى قوله اسلم وجهه لله لانه اشرف الاعضاء فاذا انقاد الوجه لله وخضع له فقد انقاد لله جميع الاعضاء لانها تابعة له (واتبع ملة ابراهيم) يعنى دين ابراهيم عليه السلام (حنيفا) يعنى مسلما مخلصا والحنيف المائل ومعناه المائل عن الاديان كلها الى الاسلام لان كل ماسواه من الاديان باطل٭ وحنيفا يجوز ان يكون حالا لابراهيم ويجوز ان يكون حالا للمتبع كما تقول رأيته راكبا قال ابن عباس ومن دين ابراهيم عليه السلام الصلاة الى الكعبة والطواف ومناسك الحج والختان ونحو ذلك٭ فان قلت ظاهر هذه الاية يقتضى ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع عليه السلام وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع يستقل به وليس الامر كذلك فما الجواب٭ قلت ان شرع ابراهيم وملته داخلان فى شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة حسنة خص الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم فمن اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتبع ملة ابراهيم لانها داخلة فى ملة محمد صلى الله عليه وسلم وشرع ابراهيم داخل فى شرع محمد صلى الله عليه وسلم٭ وانما قال تعالى واتبع ملة ابراهيم لان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى توحيد الله وعبادته ولهذا خصه بالذكر لانه كان مقبولا عند جميع الامم فان العرب كانوا يفتخرون بالانتساب اليه وكذا اليهود والنصارى فاذا ثبت هذا وان شرعه كان مقبولا عند الامم وان شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته هو شرع ابراهيم وملته لزم الخلق الدخول فى دين محمد صلى الله عليه وسلم وقبول شرعه وملته٭ وقوله تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلا) يعنى صفيا والخلة صفاء المودة. وقيل الخلة الافتقار والانقطاع فخليل الله المنقطع اليه وسمى ابراهيم خليلا لانه انقطع الى الله فى كل حال. وقيل الخلة الاختصاص والاصطفاء وسمى ابراهيم خليلا لانه والى فى الله وعادى فى الله. وقيل لانه تخلق بأخلاق حسنة وخلال كريمة وقيل الخليل المحب الذى ليس فى محبته خلل وسمى ابراهيم خليل الله لانه احبه محبة كاملة ليس فيها نقص ولا خلل. وانشد فى معنى الخلة التى هى بمعنى المحبة

قد تخللت مسلك الروح منى ❊ وبه سمى الخليل خليلا

صفات اللطف (ومنذرين) بتجليات صفات القهر (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ظهور وسلطنة بوجود صفة مابعد رفعها ومحوها بامداد الرسل (وكان الله عزيزا) قويا يقهرهم بمحو صفاتهم وافناء دواتهم (حكيما) لايفعل ذلك الا بحكمة اتصافهم بصفاته او بقائهم بذاته (لكن الله يشهد بما انزل اليك)لكونك فى مقام الجمع وهو محجوبون لايقرّون به بل هو يشهد (انزله بعلمه) ملتبسا بعلمه اى فى حالة كونه عالما به بحيث انه علمه الخاص لاعلمك ولاعلم غيرك من غيره (والملائكة يشهدون) لكونك مراعيا للتفصيل فى غير الجمع فهو الشاهد بذاته وباسمائه وصفاته (وكفى بالله شهيدا) اى الذات مع الصفات تكفى فى الشهادة اذلا موجود غيره (ان الذين كفروا)وصدّوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا حجبوا عن الحق لكون ضلالهم (بعيدا انّ الذين كفروا) حجبوا عن الدين (وظلموا)منعوا استعداد انهم عن حقوقها

من الكمال بارتكاب الرذائل وتسليط صفات النفس على قلوبهم (لم يكن الله ليغفر لهم) لرسوخ هيئات الرذائل فيهم وبطلان الاستعداد (ولا ليهديهم طريقا) لجهلهم المركب واعتقادهم الفاسد وعدم علمهم بطريق مامن طرق الكمال (الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا) نيران اشواق نفوسهم الى ملاذها مع حرمانهم عنها (وكان ذلك على الله يسيرا) سهلا على الله لانجذابهم اليها بالطبيعة (يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم) اما اليهود فبالتعمق فى الظاهر ونفى البواطن وحط عيسى عن درجة النبوة ومقام الاتصاف بصفات الربوبية واما النصارى فبالتعمق فى البواطن ونفى الظواهر ورفع عيسى الى مقام الالوهية (ولا تقولوا على الله الا الحق) بالجمع بين الظواهر والبواطن والجمع والتفصيل كما هو عليه التوحيد المحمدى والقول بكون عيسى مظهرا لصفات الآلهية حيا بحياته داعيا الى مقام توحيد الاوصاف (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله

*وقيل الخليل من الخلة بفتح الخاء وهى الحاجة سميت خلة للاختلال الذى يلحق الانسان فيها وسمى ابراهيم خليلا لانه جعل فقره وفاقته وحاجته الى الله تعالى وخلة الله للعبد هى تمكينه من طاعته وعصمته وتوفيقه وستر خلله ونصره والثناء عليه فقد اثنى الله عز وجل على ابراهيم عليه السلام وجعله اماما للناس يقتدى به *واختلفوا فى السبب الذى من اجله اتخذ الله ابراهيم خليلا فقال ابن عباس كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس فاصاب الناس شدة قحط فقصد الناس باب ابراهيم يطلبون منه الطعام وكانت الميرة تأتيه من صديق له بمصر فبعث ابراهيم غلمانه الى خليله الذى بمصر فقال خليله لغلمان ابراهيم لو كان ابراهيم يريد انما الطعام لنفسه احتملنا ذلك له وقد دخل علينا مثل ما دخل على الناس من الشدة فرجع غلمان ابراهيم بغير طعام فمروا ببطحاء من الرمل سهلة فقالوا لو حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بالميرة فانا نستحى ان نمر بهم وابلنا فارغة فملؤا من ذلك الرمل الغرائر التى معهم ثم اتوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فأعلموه وسارة نائمة فاهتم لذلك ولمكان الناس ببابه فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ماجاء الغلمان قالوا بلى قالت فجاؤا بشئ قالوا نعم فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هى ملاى باجود دقيق يكون حوارى فأمرت الخبازين فخبز واواطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال ياسارة من اين لكم هذا فقالت من عند خليلك المصرى فقال هذا من عند خليلى الله قال فيومئذ اتخذه الله خليلا وقيل لما اراه الله ملكوت السموات والارض وحاج قومه فى الله ودعاهم الى توحيده ومنعهم من عبادة النجوم والشمس والقمر والاوثان وبذل نفسه للالقاء فى النيران وبذل ولده للقربان وماله عليه للضيفان اتخذه الله خليلا وجعله اماما للناس يقتدى به وجعل النبوة فيه وفى ذريته • وقيل ان ابراهيم عليه السلام لما كسر الاصنام وعادى قومه فى الله عز وجل اتخذه الله خليلا وقيل لما دخل عليه الملائكة فظنهم ضيفا فقرب اليهم عجلا مشويا وقال كلوا على شرط ان تسموا الله فى اوله وتحمدوه فى آخره فقال جبريل انت خليل الله فمن يومئذ سمى ابراهيم خليل الله (م) عن انس قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ياخير البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ابراهيم خليل الله *(فصل)* وقد اتخذ الله محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فقد ثبت فى الصحيحين عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابابكر خليلا *وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابابكر خليلا ولكنه اخى وصاحبى وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا اخرجه مسلم فقد ثبت بهذين الحديثين الخلة للنبى صلى الله عليه وسلم وزاد على ابراهيم عليه السلام بالمحبة فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه فقد جاء فى حديث عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الا وانا حبيب الله ولا فخر اخرجه الترمذى باطول منه *قوله تعالى (ولله مافى السموات ومافى الارض) قال أهل المعانى لما دعا الله الخلق الى طاعته وعبادته والانقياد لامره بين سعة ملكه ليرغب الخلق اليه بالطاعة له وانما قال مافى السموات ومافى الارض ولم يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس والذى يعقل اذا ذكر وأريد به الجنس ذكر بلفظة ما (وكان الله بكل شئ محيطا) يعنى عالما علم احاطة وهو العلم بالشئ من كل وجه حتى لا يشذ عنه نوع الاعلم *وقيل يجوز ان يكون معناه محيطا بالقدرة عليه *قوله

عزوجل (ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن) الآيه قال ابن عباس نزلت فى بنات أم كحة وقد تقدمت قصتهن فى أول السورة وقالت عائشة هى اليتيمة تكون فى حجر الرجل وهو وليها فيرغب فى نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنة صداقها واذا كانت غير مرغوب فيها لقلة الجمال والمال تركها وفى رواية قالت هى اليتيمة تكون فى حجر الرجل وقد شركته فى ماله فيرغب عنها فلا يتزوجها لدمامتها ويكره أن يزوجها غيره فيدخل عليه ويشركه فى ماله فيحبسها حتى تموت فنهاهم الله عن ذلك وأنزل هذه الآية فقال ويستفتونك يعنى ويستخبرونك يا محمد فى شأن النساء وحالهن والاستفتاء طلب الفتوى وهو اظهار ما أشكل من الاحكام الشرعية وكشفه وتبيينه * قال المفسرون والذى استفتوه فيه هو ميراث النساء وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت آية الميراث قالوا يا رسول الله كيف ترث المرأة والصغير فأجابهم بهذه الآية قل الله يفتيكم فيهن يعنى قل يا محمد الله يفتيكم فى شأن النساء وحالهن (وما يتلى عليكم فى الكتاب) يعنى يفتيكم فيما يتلى عليكم والمعنى ان الله يفتيكم فى النساء بما أنزل فى كتاب عليكم وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ والغرض منه تعظيم حال هذه الآية التى تتلى عليكم وانها فى اللوح المحفوظ وأن العدل والانصاف فى حقوق اليتامى من أعظم الامور عند الله تعالى التى تجب مراعاتها وان المخل بها ظالم (فى يتامى النساء) قيل معناه فى النساء اليتامى وقيل فى اليتامى أولاد النساء لان الآية نزلت فى يتامى أم كحة (اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن) يعنى ما فرض لهن من الميراث وهذا على قول من يقول ان الآية نازلة فى ميراث اليتامى والصغار وعلى القول الآخر معناه ما كتب لهن من الصداق (وترغبون أن تنكحوهن) يعنى ويرغبون فى نكاحهن لمالهن وجمالهن باقل من صداقهن وقيل معناه وترغبون عن نكاحهن لقبحهن ودمامتهن وتمسكوهن رغبة فى أموالهن (ق) عن عائشة قالت هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد أن ينقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا أن يقسطوا لهن فى اكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة رضى الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عزوجل يستفتونك فى النساء الى قوله وترغبون أن تنكحوهن فبين لهم ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوها بسنتها فى اكمال الصداق واذا كانت مرغوبا عنها فى قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها اذا رغبوا فيها الا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق * وقوله تعالى (والمستضعفين من الولدان) يعنى ويفتيكم فى المستضعفين من الولدان وهم الصغار أن تعطوهم حقوقهم لان العرب فى الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار أيضا فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم أن يعطوهم حقهم من الميراث (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) يعنى بالعدل فى مهورهن ومواريثهن (وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما) يعنى فيجازيكم عليه * قوله تعالى (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا) (ق) عن عائشة فى قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا قالت نزلت فى المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له امسكنى لا تطلقنى ثم تزوج غيرى وأنت فى حل من النفقة على والقسمة لى قالت فذلك قوله

وكلمته) نفسا مجردة هى كلمة من كلمات الله اى حقيقة من حقائقه الروحانية روحا من ارواح (وكلمة القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله) بالجمع والتفصيل (ولا تقولوا ثلاثة) بزيادة الحياة والعلم على الذات فيكون الاله ثلاثة اشياء ويكون عيسى جزء من حياته بالنفخ او بالتفرقة بين ذات الحق وعالم النور وعالم الظلمة فيكون عيسى متولدا من نوره بل قولوا ما الكل من حيث هو كل ويكون العلم والحياة عين الذات وكذا عالم النور والظلمة ويكون عيسى فانيا فيه موجودا بوجوده حيا بحياته عالما بعلمه وذلك وحدته الذاتية المعبر عنها بقوله (انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد) نزهه عن ان يكون موجود غيره فيتولد منه وينفصل ويجانسه بانه موجود مثله بل هو الموجود من حيث هو وجود (له ما فى السموات) الارواح (وما فى الارض) الاجساد بكونها اسماءه وظاهره وباطنه (وكفى بالله وكيلا) يقوم مقام الخلق

تعالى فلاجناح عليهماأن يصالحا بينهما صلحا والصلح خير وقيل نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة ويقال اسمها خولة وفي زوجها سعدبن الربيع ويقال له رافع بن خديج تزوّجها وهي شابة فلما كبرت تزوّج عليها امرأة أخرى شابة وآثرها عليها وجفا الاولى فأتت ابنة محمد بن مسلمة تشكو زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقيل كان رجل له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقها ويتزوّج غيرها فقالت لاتطلقني ودعني أقوم على أولادي واقسم لي كل شهرين ان شئت وان شئت فلاتقسم لي فقال أن كان يصلح ذلك فهو احب الىّ فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فانزل الله هذه الآية وان امرأة خافت يعني علمت وقيل ظنت وقيل بل المراد نفس الخوف لان الخوف لايحصل الا عند ظهور الامارات الدالة على وقوعه من بعلها يعني من زوجها والبعل هو السيد وسمي الزوج بعلا لانه سيد المرأة نشوزا يعني بغضا وقيل هو ترك مضاجعتها وأصله من النشز وهو المرتفع من الارض والنشوز قد يكون من الزوجين وهو ان يكره كل واحد منهما صاحبه فنشوز الزوج هو ان يعرض عن المرأة وهو قوله تعالى او اعراضا يعني بوجهه عنها او يعبس في وجهها اويترك مضاجعتها اويسيء عشرتها اويشتغل بغيرها وقيل المراد من النشوز اظهار الخشونة في القول والفعل والمراد من الاعراض السكوت عن الخير والشر والايذاء بل يعرض عنها بوجهه او يشتغل بغيرها (فلا جناح عليهما) يعني فلا حرج ولااثم على الزوج والمرأة (ان يصالحا) من المصالحة وقرئ ان يصلحا بضم الياء وكسر اللام من الاصلاح (بينهما صلحا) يعني في القسمة والنفقة وهو ان يقول الزوج للمرأة انك قدكبرت ودخلت في السن وانا اريد ان اتزوّج امرأة جميلة شابة اوثرها عليك في القسمة ليلا ونهارا فان رضيت فاقيمي وان كرهت ذلك فارقتك وخليت سبيلك فان رضيت بذلك كانت هي المحسنة ولاتجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج ان يوفيها حقها من القسم والنفقة اويسرحها باحسان وان امكسها ووفاها حقها مع الكراهة لها كان هو المحسن قال ابن عباس فان صالحته على بعض حقها من القسمة والنفقة جاز وان انكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها (والصلح خير) يعني اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة عن ابن عباس قال خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لاتطلقني وامسكني واجعل يومي لعائشة ففعل فنزلت فلاجناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة (واحضرت الانفس الشح) الشح اقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وانما قال واحضرت الانفس الشح لانه كالامر اللازم للنفوس لانها مطبوعة عليه ومعنى الآية ان كل واحد من الزوجين يشح بنصيبه من الآخر فالمرأة تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح عليها بنفسه اذا كان غيرها احب اليه منها (وان تحسنوا وتتقوا) هذا خطاب للازواج يعني وان تحسنوا ايها الازواج الصحبة والعشرة وتتقوا الله في حق المرأة فانها امانة عندكم وقيل معناه وان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها والجور عليها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) يعني فيجازيكم باعمالكم ✽ قوله عز وجل

في افعالهم وصفاتهم وذواتهم عند فنائهم في التوحيد كما قال امير المؤمنين علىّ عليه السلام لااله الاالله بعد فناء الخلق (لن يستنكف المسيح ان يكون عبدالله ولاالملئكة المقرّبون) في مقام التفصيل اذ باعتبار الجمع لاوجود للمسيح ولا لغيره فلا يمكن اصلا واما باعتبار التفصيل فكلّ ماظهر بتعين فهو ممكن والممكن لاوجود له بنفسه فضلا عن شيء غيره فيكون عبدا محتاجا ذليلا مفتقرا غير مستنكف عن ذلة العبودية وان كان غنيا عن تعلق الاجسام بالتجرّد المحض والتقدّس عن دنس الطبائع كالملائكة المقرّبين الذين هم الارواح المجرّدة والانوار المحضة (ومن يستنكف عن عبادته) بظهور انيته (ويستكبر) بطغيانه في الظهور بصفاته (فسيحشرهم اليه جميعا) بظهور نور وجهه وتجليه بصفة قاهريته حتى يفنوا بالكلية في عين الجمع كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى سبعين الف حجاب

(ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء) يعنى ولن تقدروا ان تسوّوا بين النساء فى الحب وميل
القلب لان ذلك مما لاتقدرون عليه وليس من كسبكم (ولو حرصتم) يعنى على العدل والتسوية
بينهن وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك (فلا تميلوا كل الميل) يعنى الى التى تحبونها فى القسم
والنفقة والمعنى انكم لستم منهيين عن حصول التفاوت فى الميل القلبى لان ذلك خارج عن قدرتكم
ووسعكم ولكنكم منهيون عن اظهار ذلك الميل فى القول والفعل * عن ابى هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط اخرجه
الترمذى وعند ابى داود من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل عن
عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل فيقول اللهم هذا قسمى فيما املك
فلا تلمنى فيما تملك ولا املك يعنى القلب اخرجه ابوداود والترمذى والنسائى * وقوله تعالى
(فتذروها كالمعلقة) يعنى فتدعوا الاخرى التى لاتميلون اليها كالمعلقة لاايما ولاذات بعل
كالشئ المعلق لاهو فى السماء ولا على الارض * وقيل معناه فتذروها كالمسجونة لاهى مخلصة
فتزوّج ولاهى ذات بعل فيحسن اليها (وان تصلحوا) يعنى بالعدل فى القسم (وتتقوا)
يعنى الجور فى القسم (فان الله كان غفورا) يعنى لما حصل من الميل الى بعضهن دون بعض
(رحيما) يعنى بكم حيث لم يكلفكم مالاتقدرون عليه (وان يتفرقا) يعنى ان لم يصلحا واراد
الفرقة (يغن الله كلا من سعته) يعنى من فضله ورزقه والمعنى يغنى الزوج بامرأة اخرى والمرأة بزوج
آخر * وقيل معناه يعوّض الزوج بما يحب والمرأة بما تحب ويوسّع عليهما وفى هذا تسلية لكل واحد
من الزوجين بعد الطلاق (وكان الله واسعا) يعنى واسع الفضل والرحمة * وقيل واسع القدرة والعلم
والرزق * وقيل هو الغنى الذى وسع جميع مخلوقاته غناه (حكيما) يعنى فيما امر به ونهى عنه
* (فصل) * فيما يتعلق بحكم الآية وجملته ان الرجل اذا كان تحته امرأتان او اكثر يجب
عليه التسوية بينهن فى القسم فان ترك التسوية بينهن فى فعل القسم عصى الله عز وجل فى ذلك
وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط فى البيتوتة اما فى الجماع فلا لان ذلك يدور على النشاط
وميل القلب وليس ذلك اليه * ولو كان فى نكاحه حرة وامة قسم للحرة ليلتين وللامة ليلة
واحدة * واذا تزوّج جديدة على قديمات كن عنده فانه يخص الجديدة بان يبيت عندها
سبع ليال ان كانت الجديدة بكرا وان كانت ثيبا خصها بثلاث ليال ثم انه يستأنف القسم ويسوّى
بينهن ولا يجب عليه قضاء عوض هذه الليالى للقديمات ويدل على ذلك ماروى ابو قلابة عن
انس قال من السنة اذا تزوّج البكر على الثيب اقام عندها سبعا وقسم واذا تزوّج الثيب اقام
عندها ثلاثا وقسم قال ابوقلابة ولو شئت لقلت ان انسا رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم
اخرجاه فى الصحيحين واذا سافر الرجل الى سفر حاجة جاز له ان يحمل معه بعض نسائه بشرط
ان يقرع بينهن ولا يجب عليه ان يقضى للباقيات عوض مدة سفره وان طالت اذا لم يزد
مقامه فى البلد على مدة المسافرين ويدل على ذلك ماروى عن عائشة قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه اخرجه البخارى مع
زيادة فيه واذا اراد الرجل سفر نقلة وجب عليه اخذ نسائه معه * قوله تعالى (ولله
مافى السموات وما فى الارض) يعنى عبيدا وملكا قال اهل المعانى لما ذكر الله تعالى انه يغنى

من نور وظلمة لو كشفها
لأحرقت سبحات وجهه
ماانتهى اليه بصره من خلقه
فاما الذين آمنوا) بالفناء
فى عين الجمع بمحو الصفات
وطمس الذات (وعملوا
الصالحات) بالاستقامة
فى الاعمال ومراعاة تفاصيل
الصفات وتجلياتها (فيوفيهم
اجورهم) وصفاتهم من
جنات صفاته (ويزيدهم
من فضله) بالوجود
الموهوب بعد الفناء فى الذات
(واما الذين استنكفوا)
بظهور انيتهم (واستكبروا)
طغوا عند تجليات الصفات
وتوارهم بنورها
فظهروا بها ونسبوها
الى انفسهم كمن قال انا ربكم
الاعلى (فيعذبهم عذابا اليما)
باحتجابهم ببقايا ذواتهم
وصفاتهم وحرمانهم عن
مقام الجمع (ولا يجدون لهم
من دون الله) غير الله (وليا)
يواليهم برفع حجاب الذات
(ولا نصيرا) ينصرهم فى
رفع حجاب الصفات البرهانى
وهو التوحيد الذاتى والنور
المبين وهو التفصيل فى عين
الجمع اى القرآن الذى هو
علم الجمع والفرقان الذى
هو علم التفصيل (يا ايها الناس

من سعته وفضله اشار الى ماوجب الرغبة اليه فى طلب الخير منه لان من ملك السموات والارض لاتفنى خزائنه (ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى من اليهود والنصارى واصحاب الكتب القديمة (واياكم) يعنى ووصيناكم ياأهل القرآن فى كتابكم (ان اتقوا الله) اى بان تتقوا الله وهو ان توحدوه وتطيعوه وتحذروه ولا تخالفوا امره والمعنى ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة اوصى الله بها جميع الامم السالفة فى كتبهم (وان تكفروا) يعنى وان تجحدوا مااوصاكم به (فان لله مافى السموات ومافى الارض) يعنى فان لله ملائكة فى السموات والارض هم اطوع له منكم* وقيل معنـاه ان الله تعـالى خالق السموات والارض وما فيهن ومالكهن والمنعم عليهم باصـناف النعم ومن كان كذلك فحق لكل احد ان يتقيه ويرجوه (وكان الله غنيا) يعنى عن جميع خلقه غيرمحتاج اليهم ولاالى طاعتهم (حميدا) يعنى محمودا على نعمه عليهم (ولله مافى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا) قال ابن عباس يعنى شهيدا على ان له فيهن عبيدا* وقيل معناه وكفى بالله دافعا ومجيرا* فان قلت ما الفائدة فى تكرير قوله تعالى ولله مافى السموات ومافى الارض* قلت الفائدة فى ذلك ان لكل آية معنى تختص به اما الآية الاولى فمعناها فان لله مافى السموات ومافى الارض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته *وقيل لما قال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين ان له مافى السموات ومافى الارض وانه قادر على اغناء جميع الخلائق وهو المستغنى عنهم واما الآية الثانية فانه تعالى قال وان تكفروا فان لله مافى السموات وما فى الارض والمراد انه تعالى منزه عن طاعات الطائعين وعن ذنوب المذنبين وانه لايزداد جلاله بالطاعات ولاينقص بالمعاصى* وقيل لمـا بين ان له مافى السموات وما فى الارض وقال بعد ذلك وكان الله غنيا حميدا فالمراد منه انه تعالى هو الغنى وله الملك فاطلبوا منه ماتطلبون فهو يعطيكم لان له مافى السموات وما فى الارض واما الثالثة فقال تعالى ولله مافى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا اى فتوكلوا عليه ولاتتوكلوا على غيره فانه المالك لما فى السموات والارض* وقيل تكريرها تعديد لما هو موجب تقواه لتتقوه وتطيعوه ولا تعصوه لان التقوى والخشـية اصل كل خير * قوله عز وجل (ان يشأ يذهبكم ايها الناس) قال ابن عباس يريد المشركين والمنافقين (ويأت بآخرين) بغيركم هم خير منكم واطوع له ففيه تهديد للكفار والمعنى انه يهلككم ايها الكفـار كما اهلك من كان قبلكم اذ كفروا به وكذبوا رسله (وكان الله على ذلك قديرا) يعنى وكان الله على ذلك الاهلاك واعادة غيركم قادرا بليغا فى القدرة لايمتنع عليه شئ اراده لم يزل ولايزال موصوفا بالقدرة على جميع الاشياء * قوله تعالى (من كان يريد ثواب الدنيا) يعنى من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا *نزلت فى مشركى العرب وذلك انهم كانوا يقرون بان الله تعالى خالقهم ولايقرون بالبعث يوم القيامة فكانوا يتقربون الى الله ليعطيهم من خير الدنيـا ويصرف عنهم شرها* وقيل نزلت فى المنافقين لانهم كانوا لايصدقون بيوم القيامة وانما كانوا يطلبون بجهادهم مع رسـول الله صلى الله عليه وسلم عاجل الدنيا وهو ماينالونه من الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيـا والآخرة) يعنى الذين يطلبون باعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وماينالونه من الغنيمة مخطؤن قصدهم لان الله عنده ثواب الدنيا وثواب الآخرة فلو كانوا عقلاء لطلبوا ثواب الآخرة حتى يحصل لهم ذلك ويحصل

قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنـا اليكم نورامبينـا فاما الـذين آمنوا بالله) بالتوحيد الذاتى (واعتصموا به) اى فى كثرة الصفات وتفرقها وراعوا الجمـع فى التفاصيل (فسيدخلهم فى رحمة منه) من جنـات الصفـات التى لايعرف كنهها (وفضل) من جنات الذات (ويهـديهم اليـه صراطا مستقيما) بالاستقامة الى الوحدة فى تفاصيـل الكثرة اورحمة من جنات الافعال وفضل من جنات الصفـات ويهديهم اليـه صراطا مستقيما من تفاصيل الصفات الى الفناء فى الذات والاول اولى بهذا المقام ولك التطبيق على تفاصيل وجودك واحوالك فى نفسك حيث امكن من هـذه السورة على القـاعدة التى مرت فى آل عمران والله تعالى اعلم (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصـف ماترك وهو يرثها ان لم يكن لهـا ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثـان ممـا ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل

لهم ثواب الدنيا على سبيل التبعية*والمعنى ان من اراد بعمله الدنيا آتاه الله منها ما اراد وصرف عنه من شرها ما اراد وليس له ثواب في الآخرة يجزى به ومن اراد بعمله وجه الله وثواب الآخرة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة يؤتيه من الدنيا ما قدر له ويجزيه في الآخرة خير الجزاء (وكان الله سميعا) يعني لاقوالهم وما يسرونه من طلب ثواب الدنيا (بصيرا) يعني بنياتهم وما في نفوسهم*وقيل بصيرا بمن يطلب الدنيا بعمله وبمن يطلب الآخرة بعمله * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) قال السدي ان فقيرا وغنيا اختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فكان صغوه مع الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغني فأنزل الله هذه الآية وامر بالقيام بالقسط مع الغني والفقير* وقيل ان هذه الآية متعلقة بقصة طعمة ابن ابيرق فهي خطاب لقومه الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل فامرهم الله تعالى ان يكونوا قائمين بالقسط شاهدين لله على كل حال ولو على انفسهم واقاربهم فقال تعالى كونوا قوامين بالقسط *القوام مبالغة في القيام بالعدل في جميع الشهادات واجتناب الجور فيها قال ابن عباس كونوا قوامين بالعدل في جميع الشهادات على من كانت شهداء لله يعني اقيموا شهادتكم لوجه الله كما امركم فيها فيقول الحق في شهادته (ولو على انفسكم) يعني ولو كانت الشهادة على انفسكم امر الله العبد ان يشهد على نفسه بالحق وهو ان يقر على نفسه وذلك الاقرار يسمى شهادة في كونه موجبا للحق عليه (او الوالدين والاقربين) يعني ولو كانت الشهادة على الوالدين والاقربين من ذوي رحمه او اقاربه والمعنى قولوا الحق ولو على انفسكم او على الوالدين او الاقارب فأقيموا الشهادة عليهم لله تعالى ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى (ان يكن) يعني المشهود عليه (غنيا او فقيرا فالله اولى بهما) يعني منكم او المعنى كلوا امرهم الى الله تعالى فهو اعلم بهم وبمصالحهم وانما قال بهما على التثنية لان رد الضمير الى المعنى دون اللفظ يعني فالله اولى بالغني وبالفقير (فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا) يعني فلا تتبعوا الهوى واتقوا الله ان تعدلوا عن الحق في اداء الشهادة*وقيل معناه اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى (وان تلووا) قرئ بواوين ومعناه ان يلوي الشاهد لسانه الى غير الحق قال ابن عباس يلوي لسانه بغير الحق ولا يقيم الشهادة على وجهها (او تعرضوا) يعني او يعرض الشاهد عن الشهادة فيكتمها ولا يقيمها يقال لويته حقه اذا دفعته عنه ومطلته به* وقيل معناه وان تلووا عن القيام باداء الشهادة او تعرضوا عنها فتتركوها وقيل معناه التحريف والتبديل في الشهادة من قولهم لويت الشي اذا قلبته* وقيل هو خطاب مع الحكام يقول وان تلووا يعني تميلوا مع احد الخصمين دون الآخر او تعرضوا عنه بالكلية وقرئ تلوا بواو واحدة من الولاية فهو خطاب للحكام ايضا ومعناه فلا تلوا امور المسلمين وتضيعوهم او تعرضوا عنهم (فان الله كان بما تعملون خبيرا) يعني انه تعالى يجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته فيجازيكم باعمالكم * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله) قال ابن عباس نزلت في عبد الله ابن سلام واسد واسيد بني كعب وثعلبة بن قيس وسلام بن اخت عبد الله بن سلام وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنو اهل الكتاب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل

حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم)

(سورة المائدة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها الذين آمنوا) بالايمان الحقي (اوفوا بالعقود) اي العزائم التي احكمتموها في السلوك والفرق بين العهد والعقد ههنا ان العهد هو ابداع التوحيد فيهم في الازل كامنا والعقد هو احكام عزائم التكليف عليهم ليتأدى بهم الى الايفاء بما عاهدوا عليه فالعهد سابق والعقد لاحق فكل عزيمة على امر يوجب اخراج ما في الاستعداد بالقوة الى الفعل عقد بينه وبين الله يجب الوفاء به والامتناع عن نقضه بفتور او تقصير (احلت لكم بهيمة الانعام) جميع انواع التمتعات والحظوظ بالنفوس السليمة التي لا تغلب عليها السبعية والشره كالنفوس التي هي على طباع الانعام الثلاثة (الا ما يتلى عليكم) من التمتعات المنافية للفضيلة والعدالة فانها منهي عنها لحجبها عن الكمال الشخصي والنوعي (غير محلي الصيد وانتم حرم) اي لا تمتعين بالحظوظ في تجريدكم للسلوك وشروعكم

فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله وبرسوله محمد والقرآن وبكل كتاب كان قبله فأنزل الله هذه الآية ياايها الذين آمنوا يعني بمحمد والقرآن وبموسى والتوراة آمنوا بالله ورسوله اسم جنس يعني آمنوا بجميع رسله * وقيل هو خطاب لاهل الكتاب جميعا والمعنى ياايها الذين آمنوا بموسى والتوراة وبعيسى والانجيل آمنوا بمحمد والقرآن * وقيل هو خطاب للمنافقين والمعنى ياايها الذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم آمنوا بقلوبكم حتى ينفعكم الايمان لان الايمان باللسان لاينفع من غير مواطأة القلب * وقيل هو خطاب للمؤمنين والمعنى ياايها الذين آمنوا في الماضي والحال آمنوا في المستقبل ودوموا واثبتوا على الايمان (والكتاب الذى نزل على رسوله) يعني القرآن (والكتاب الذى انزل من قبل) يعني وآمنوا بالقرآن وبجميع الكتب التى انزلها على انبيائه قبل القرآن فيكون الكتاب اسم جنس لجميع الكتب (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا) قال ابن عباس نزلت في اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم آمنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن * وقيل انهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم آمنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم * وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم آمنوا ثم كفروا بعد الايمان ثم آمنوا يعني بألسنتهم وهو اظهارهم الايمان لتجرى عليهم احكام المؤمنين ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم على الكفر * وقيل بذنوب احدثوها في الكفر * وقيل هم قوم آمنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم عليه وذلك لان من تكرر منه الايمان بعد الكفر والكفر بعد الايمان مرات كثيرة يدل على انه لاوقع للايمان في قلبه ومن كان كذلك لايكون مؤمنا بالله ايمانا صحيحا وازديادهم الكفر هو استهزاؤهم وتلاعبهم بالايمان * ومثل هذا المتلاعب بالدين هل تقبل توبته ام لا حكي عن علي بن ابي طالب انه قال لاتقبل توبته بل يقتل وذهب اكثر اهل العلم الى ان توبته مقبولة * وقوله تعالى (لم يكن الله ليغفر لهم) يعني ماأقاموا على الكفر وماتوا عليه وذلك لان الله تعالى اخبر انه يغفر الكفر اذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا عن الكفر يغفر لهم ماقد سلف يعني من كفرهم (ولاليهديهم سبيلا) يعني طريق هدى * وقيل لايجعلهم بكفرهم مهتدين * قوله تعالى (بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما) يعني اخبرهم يامحمد وانما وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم * وقيل البشارة كل خبر تتغير به بشرة الوجه سارا كان ذلك الخبر او غير سار * وقيل معناه اجعل موضع بشارتك لهم العذاب لان العرب تقول تحيتك الضرب اى هذا بدل من تحيتك قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها بخيل * تحية بينهم ضرب وجيع

ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال تعالى (الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين) يعني يتخذون اليهود اولياء وانصارا وبطانة من دون المؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون ان محمدا لايتم امره فيوالون اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين (ايبتغون عندهم العزة) يعني يطلبون من اليهود العزة والمعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه (فان العزة لله جميعا) يعني فان القوة والقدرة والغلبة لله جميعا وهو الذى يعز اولياءه واهل طاعته كما

في الرياضة عند السير الى الله لطلب الوصول فانه يجب حينئذ الاقتصار على الحقوق اذ الاحرام في الظاهر صورة الاحرام الحقيقي للسالكين في طريق كعبة الوصال والقاصدين لدخول الحرم الآلهي وسرادقات صفات الجلال والكمال (ان الله يحكم مايريد) على من يريده من اوليائه (ياايها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله) من المقامات والاحوال التى يعلم بها حال السالك في سلوكه كالصبر والشكر والتوكل والرضا وامثالها اى لاترتكبوا ذنوب الاحوال ولاتخرجوا من حكم المقامات فانها شعائر دين الله الخالص وكأن المواضع المعلومة المعلمة بما يفعل فيها كالمطاف والمسعى والمنحر وغيرها والافعال المعلومة في الحج شعائر يشعر بها الحاج فهذه المقامات والمراتب والاحوال شعائر يشعر بها حال السالك وكما انه لايجوز في ظاهر الشرع تغييرها عن مواضعها والخروج عن حكمها فكذلك هذه في شرع المبين كما يحكى عن

قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (وقد نزل عليكم) يامعشر المسلمين (في الكتاب) يعني
القرآن (ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها) قال المفسرون الذي انزل عليهم في النهي
عن مجالستهم هو قوله تعالى في سورة الانعام واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم
حتى يخوضوا في حديث غيره وهذا انزل بمكة لان المشركين كانوا يخوضون في القرآن
ويستهزؤن به في مجالسهم ثم ان احبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون
يجلسون اليهم ويخوضون معهم في الاستهزاء بالقرآن فنهى الله المؤمنين عن القعود معهم بقوله
(فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) يأخذوا في حديث آخر غير الاستهزاء
بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل
مبتدع الى يوم القيامة (انكم اذا مثلهم) يعني انكم يا ايها الجالسون مع المستهزئين بآيات الله اذا
رضيتم بذلك فانتم وهم في الكفر سواء * قال العلماء وهذا يدل على ان من رضي بالكفر فهو كافر
ومن رضي بمنكر اوخالط اهله كان في الاثم بمنزلتهم اذا رضي به وان لم يباشره فان جلس اليهم
ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له وانما جلس على سبيل التقية والخوف فالامر فيه اهون من
المجالسة مع الرضا وان جلس مع صاحب بدعة اومنكر ولم يخض في بدعته اومنكره فيجوز
الجلوس معه مع الكراهة وقيل لا يجوز بحال والاول اصح (ان الله جامع المنافقين والكافرين
في جهنم جميعا) اى انهم اجتمعوا في الدنيا على الاستهزاء بآيات الله وكذلك يجمعهم في عذاب
جهنم يوم القيامة * قوله عز وجل (الذين يتربصون بكم) نزلت في المنافقين والمعنى ينتظرون
مايحدث بكم من خير اوشر (فان كان لكم فتح من الله) اى ظفر على عدوكم وغنيمة تنالونها منهم
(قالوا) يعني المنافقين لكم (ألم نكن معكم) يعني في الوقعة والفتح فاعطونا من الغنيمة * وقيل
معناه ألم نكن على دينكم وفي الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة (وان كان للكافرين
نصيب) اى دولة وظهور على المسلمين (قالوا) يعني المنافقين للكفار (ألم نستحوذ عليكم)
الاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة يقال استحوذ فلان على فلان اى غلب عليه والمعنى ألم نغلبكم
ونتمكن منكم ومن قتلكم واسركم ثم لم نفعل ذلك * وقيل معناه ألم نغلبكم على رأيكم (ونمنعكم
من المؤمنين) يعني من صلاتهم والدخول في دينهم وقيل معناه ألم ندفع المؤمنين بتخذيلهم عنكم
ومراسلتنا اياكم باخبارهم واسرارهم فهاتوا نصيبا مما اصبتم عنهم ومراد المنافقين اظهار المنة على
الكفار * فان قلت لم سمى ظفر المؤمنين فتحا وسمى ظفر الكافرين نصيبا * قلت تعظيما لشأن المؤمنين
وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المؤمنين امر عظيم تفتح له ابواب السماء حتى ينزل النصر على
المسلمين واما ظفر الكفار فما هو الا حظ دنئ ونصيب خسيس لا يبقى منه الا ما نالوه في الدنيا ولهم
في الآخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذي نالوه من المسلمين (فالله يحكم بينكم
يوم القيامة) يعني الفريقين فريق المؤمنين وفريق المنافقين والمعنى انما وضع السيف عن المنافقين
في الدنيا لالاجل كرامتهم بل اخر عذابهم الى يوم القيامة (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين
سبيلا) * فيه قولان * احدهما وهو قول علي بن ابي طالب وابن عباس ان المراد به يوم القيامة بدليل
انه عطف على قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة روى ان رجلا سأل علي ابن ابي طالب عن
هذه الآية ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وهم يقتلوننا فقال ولن يجعل الله للكافرين

احدهم انه كان يتكلم
في الصبر فدب عقرب
على ساقه واحدث تصربه
وهو على حاله لايحركها
فسئل عنه فقال استحيي
من ان اتكلم في مقام واما
اهمل مابانا فيه (ولا الشهر
الحرام) اى وقت الاحرام
بالحج الحقيقي وهو وقت
السلوك والوصول
بالخروج عن حكمه
والاشتغال بما سافيه ويصده
عن وجهته ويبطئه في سيره
(ولا الهدى) ولا النفس
المستعدة المعدة للقربان
عند الوصول الى فناء
الحضرة الالهية على ما اشير
اليه باستعمالها في شغل
يصرفها عن طريقها
اويضعفها اوحمل فوق
طاقتها من الرياضة فينقطع
دون البلوغ الى المحل
(ولا القلائد) ولا ماقلدته
النفس من شعار اهل السلوك
والدين والاعمال الظاهرة
بتركها اوتغييرها عن وضعها
(ولا آمين البيت الحرام)
ولا القاصدين المجدين
في السلوك المجتهدين بتغيرهم
ومنعهم عن الرياضة وايهان
عزائمهم بالمخالطة وتقليل
السعي وايهامهم انه لاحاجة
بهم اليه وشغلهم بما يصدهم

يوم القيامة على المؤمنين سبيلا والقول الثاني ان هذا في الدنيا والمعنى ان حجة المؤمنين ثابتة في الدنيا على الكافرين وليس لاحد ان يغلبهم بالحجة * وقيل معناه ان الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بان يمحو دولة المؤمنين بالكلية حتى يستبيحوا بيضتهم فلا يبقى احد من المؤمنين * وقيل معناه ان الله لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة * ويتفرع على ذلك مسائل من احكام الفقه * منها ان الكافر لا يرث المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه الآية ومنها ان الكافر ليس له ان يشترى عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمى بدليل هذه الآية * قوله تعالى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) يعنى يعاملون الله وهو يجازيهم على خداعهم * وقيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يظهرون له الاسلام ويبطنون له الكفر وهو خادعهم يعنى والله مجازيهم بالعقاب * وقيل انهم يعطون نورا يوم القيامة كما يعطى المؤمنون فيمضى المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور المنافقين (واذا قاموا الى الصلوة) يعنى المنافقين (قاموا كسالى) يعنى متثاقلين وسبب هذا الكسل انهم يتعبون بها لانهم لا يريدون بفعلها ثوابا ولا يريدون بها وجه الله عز وجل ولا يخافون على تركها عقابا لان الداعى الى فعلها خوف الناس فلذلك وقع فعلها على وجه الكسل والفتور (يراؤن الناس) يعنى انهم لا يقومون الى الصلاة الا لاجل الرياء والسمعة لا لاجل الدين ولا يرون انها واجبة عليهم قال قتاده والله لولا الناس ما صلى منافق (ولا يذكرون الله الا قليلا) قال ابن عباس انما قال ذلك لانهم يفعلونه رياء وسمعة ولو ارادوا بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا * وقيل لان الله لم يقبله ولو قبله لكان كثيرا * وقيل المراد بذكر الله الصلاة والمعنى انهم لا يصلون الا قليلا لانهم متى لم يكن معهم احد من المؤمنين فلا يصلون واذا كانوا مع المؤمنين يتكلفون فعلها (مذبذبين بين ذلك) يعنى متحيرين مترددين بين الكفر والايمان لانهم ليسوا مع المؤمنين حتى يجب لهم ما يجب للمؤمنين المخلصين ولا مع المشركين المصرحين بالشرك وهو قوله تعالى (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) يعنى ليسوا من المؤمنين حتى يجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) يعنى طريقا الى الهدى (ق) عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة * قوله كمثل الشاة العائرة بالعين المهملة ومعناه المتحيرة المترددة لا تدرى لاى الغنمين تتبع ومعنى تعير تتردد وتذهب يمينا وشمالا مرة الى هذه ومرة الى هذه لا تدرى الى اين تذهب وهذا مثل المنافق مرة مع المؤمنين ومرة مع الكافرين او ظاهره مع المؤمنين وباطنه مع الكافرين * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين) لما ذم الله عز وجل المنافقين بقوله مذبذبين بين ذلك نهى الله المؤمنين ان يتخلقوا باخلاق المنافقين يقول لا توالوا الكفار من دون اهل ملتكم ودينكم فتكونوا كمن اوجبت له النار من المنافقين والسبب في هذا النهى ان الانصار بالمدينة كان لهم من يهود بنى النضير وقريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يا رسول الله من نتولى فقال المهاجرين (اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) يعنى اتريدون ايها المتخذون الكفار اولياء ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة باتخاذكم الكفار اولياء

او يكسلهم (يبتغون فضلا من ربهم) بتجليات الافعال (ورضوانا) بتجليات الصفات (واذا حللتم) بالرجوع الى البقاء بعد الفناء والاستقامة (فاصطادوا) اى فلا حرج عليكم في الحظوظ بل ربما كان تمتيع النفس بالحظوظ اعانة لها في مشاهداتها ومكاشفاتها لشرفها وذكائها وشدة صفائها (ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام) اى لا يكسبنكم بغض القوى النفسانية المانعة عن سلوككم ان تقهروها بالكلية بمنعها عن الحقوق التى تقوم بها فتبطلوها او تضعفوها عن منافعها وما يحتاج اليه من افعالها بسبب صدها اياكم فان وبال ذلك عائد اليكم او عداوة قوم من اهليكم واقاربكم واصدقائكم بسبب منعهم اياكم عن التجريد والرياضة في السلوك (ان تعتدوا) عليهم باضرارهم ومقتهم وارادة الشر بهم فانه اضر بكم في السلوك من منعهم اياكم (وتعاونوا على البر والتقوى) بتدبير تلك القوى وسياستها بالاحسان

من دون المؤمنين فلتستوجبوا بذلك النار ثم بين مقر النار من المنافقين فقال تعالى (ان المنافقين
فى الدرك الاسفل من النار) يعنى فى الطبق الذى فى قعر جهنم والنار سبع دركات بعضها فوق
بعض سميت طبقات جهنم دركات لانها متداركة متتابعة وقيل الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد
فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وقيل هى توابيت من حديد مقفلة عليهم فى النار فان قلت لم كان
المنافق اشد عذابا من الكافر قلت ان المنافق مثل الكافر فى الكفر وزيادة وهو انه ضم الى كفره
نوعا آخر من الكفر اخبث منه وهو الاستهزاء بالاسلام والمسلمين وافشاء اسرار المسلمين ونقلها
الى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين اشد عذابا من الكفار والمنافق من اظهر
الايمان وابطن الكفر وقيل هو الذى يصف الاسلام بلسانه ولا يعمل بشرايعه ولا يتقيد بقيوده
ولا يدخل تحت احكامه واما تسمية من ارتكب ما يفسق به منافقا فللتغليظ ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا
وعد اخلف واذا ائتمن خان فان هذه الخصال صفات المنافقين فمن فعلها فقد تشبه بالمنافقين ❊
وقوله تعالى (ولن تجد لهم نصيرا) يعنى ولن تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم من
عذاب الله اذا نزل بهم ثم استثنى الله عز وجل من تاب من المنافقين فقال تعالى (الا الذين تابوا)
يعنى من النفاق (واصلحوا) يعنى اصلحوا الاعمال فعملوا بما امر الله به وادوا فرائضه وانتهوا عما نهاهم
عنه (واعتصموا بالله) يعنى وتمسكوا بعهد الله وتقواه (واخلصوا دينهم لله) يعنى واخلصوا
طاعتهم واعمالهم التى عملوها لله وارادوه بها ولم يريدوا رياء ولا سمعة فهذه الامور الاربعة
اذا حصلت فقد كمل الايمان فلذلك قال تعالى (فاولئك) يعنى التائبين من النفاق (مع المؤمنين)
يعنى فى الجنة وقيل مع بمعنى من اى من المؤمنين (وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما) يعنى
فى الآخرة ❊ قوله تعالى (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) هذا استفهام تقرير معناه
انه تعالى لا يعذب الشاكر المؤمن فان تعذيبه لا يزيد فى ملكه وتركه عقوبته لا ينقص من سلطانه
لانه الغنى الذى لا يحتاج الى شئ من ذلك فان عاقب احدا فانما يعاقبه لامر اوجبه العدل والحكمة
فان قمتم بشكر نعمة وآمنتم به فقد انقذتم انفسكم من عذابه قال اهل المعانى فيه تقديم وتأخير تقديره
ان آمنتم وشكرتم لان الايمان مقدم على سائر الطاعات ولان الشكر لا ينفع مع عدم الايمان ولان
الواو لا توجب الترتيب وقيل هو على اصله والمعنى ان العاقل ينظر بعين بصيرته اولا الى ما عليه
من النعمة العظيمة فى ايجاده وخلقه فيشكر على ذلك شكرا عظيما مبهما ثم اذا تم النظر ثانيا
انتهى به النظر الى معرفة المنعم عليه فآمن به ثم شكره شكرا مفصلا فكان ذلك الشكر المبهم مقدما
على الايمان فلذلك قدم الشكر على الايمان فى الذكر (وكان الله شاكرا) يعنى مثيبا عباده
المؤمنين موفيا اجورهم والشكر من الله الرضا بالقليل من اعمال عباده واضعاف الثواب
عليه وقيل لما امر الله عباده بالشكر سمى الجزاء شكرا على سبيل الاستعارة فالمراد من الشاكر
فى صفة الله تعالى كونه مثيبا على الشكر (عليما) يعنى بحق شكركم وايمانكم فيجازيكم على ذلك
❊ قوله عز وجل (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) قال اهل المعانى يعنى انه تعالى
لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به ايضا من القول يعنى من القول القبيح الا من ظلم قيل هو
استثناء متصل والمعنى الا جهر من ظلم وقيل هو استثناء منقطع ومعناه لكن المظلوم يجوز ان

اليها بحقوقها ومنعها عن
حظوظها او بمراعاة الاهلين
والاقارب والاصدقاء
بمواساتهم والاحسان اليهم
والمعروف فى حقهم مع
مخالفتهم الى ما نهاكم عنه
والاجتناب عن ذلك كما قال
تعالى فلا تطعهما وصاحبهما
فى الدنيا معروفا (ولا تعاونوا
على الاثم والعدوان واتقوا
الله) واجعلوه وقاية لكم
فى هذه الامور واحذروه
فى خلافها (ان الله شديد
العقاب) يعاقبكم بالصد
والحرمان (حرمت عليكم
الميتة) هذه هى الامور
المستلذة من انواع التمتعات
الحلالة وهى الميتة اى خمود
الشهوة التى هى رذيلة
التفريط المنافية للعفة كالخنونة
والعجز عن الاقدام على القدر
الضرورى من التمتعات
والتمتع بفقدان اعتدال
القوة الشهوانية على ما يفعله
الخنائى وبعض المغرلين
والمتقشفين والمتزهدين
بالطبع القاصرين عن السلوك
لقصان الاستعدادات
(والدم) اى التمتع بهوى
النفس فى الاهمال فان مزج
الهوى وشوبه يفسد الاعمال
كلها (ولحم الخنزير) ووجوه
التمتعات الحاصلة بالحرص

يجهر بظلم الظالم قال العلماء لايجوز اظهار احوال الناس المستورة المكتومة لان ذلك يصير سببا لوقوع الناس فى الغيبة ووقوع ذلك الشخص فى الريبة لكن من ظلم فيجوز له اظهار ظلمه فيقول سرق منى اوغصب ونحو ذلك وان شوتم جازله ان يشتم بمثله ولايزيد شيأ على ذلك ويدل على ذلك ماروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ماقالا فعلى الاول وفى رواية فعلى البادئ منهما حتى يعتدى المظلوم اخرجه مسلم قال ابن عباس لايحب الله يدعو احد على احد الاان يكون مظلوما فانه قد ارخص له ان يدعو على من ظلمه وذلك قوله الامن ظلم وان صبر فهو خير له وقال الحسن البصرى هو الرجل يظلم الرجل فلايدع عليه ولكن ليقل اللهم اعنى عليه اللهم استخرج لى حقى اللهم حل بينى وبين مايريد ونحوه من الدعاء وقيل نزلت الآية فى الضيف اذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكو ماصنع به قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلايحسن ضيافته فيخرج من عنده فيقول اساء ضيافتى وقال مقاتل نزلت فى ابى بكر الصديق وذلك ان رجلا نال منه والنبى صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه ابوبكر مرارا ثم رد عليه فقام النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابوبكر يارسول الله شتمنى فلم تقل له شيأ حتى اذا رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت ونزلت هذه الآية (وكان الله سميعا) يعنى لدعاء المظلوم (عليما) بمافى قلبه فليتق الله ولايقل الاالحق * قوله تعالى (ان تبدوا خيرا) قال ابن عباس يريد من اعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة والصلة وقيل معناه ان تبدوا خيرا بدلا من السوء (او تخفوه) يعنى تخفوا الخير فلم تظهروه وقيل معناه ان تبدوا حسنة فتعملوا بها تكتب لكم عشرا وان هم بها ولم يعملها كتبت له واحدة وقيل ان جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة فى قسمين احدهما صدق النية مع الحق والثانى التخلق مع الخلق فالذى يتعلق بالخلق ينحصر فى قسمين ايضا وهما ايصال نفع اليهم فى السر والعلانية واليه الاشارة بقوله تعالى ان تبدوا خيرا اوتخفوه اورفع ضرعنهم واليه الاشارة بقوله تعالى (اوتعفوا عن سوء) فيدخل فى هاتين الكلمتين جميع اعمال البر وجميع دفع الضرر وقيل المراد بالخير المال والمعنى ان تبدوا الصدقة فتعطوها الفقراء جهرا اوتخفوها فتعطوها سرا اوتعفوا عن مظلمة (فان الله كان عفوا قديرا) يعنى لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا انتم عن ظلمكم واقتدوا بسنة الله عز وجل يعف عنكم يوم القيامة لانه اهل للتجاوز والعفو عنكم وقيل معناه ان الله كان عفوا لمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه * قوله عز وجل (الذين يكفرون بالله ورسله) نزلت فى اليهود وذلك انهم آمنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت فى اليهود والنصارى جميعا وذلك ان اليهود آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد والنصارى امنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين (ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) يعنى ويريدون ان يفرقوا بين الايمان بالله والايمان برسله ولايصح الايمان بالله مع التكذيب ببعض رسله (ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) يعنى بين الايمان بالبعض دون البعض يتخذون مذهبا يذهبون اليه ودينا يدينون به (اولئك) يعنى من هذه صفتهم (هم الكافرون حقا) يعنى يقينا وانما قال ذلك توكيدا الكفرهم لئلا يتوهم متوهم ان الايمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم وليعلم ان الكفر ببعض

والشره فان قوة الحرص اخبث القوى واسدها لطرق الكمال والنجاة (وما اهل لغير الله به) اى الرياضات والاعمال بالرياء وكل مايفعل لغير الله فان كسر النفس وقمعها ومخالفتها لايكون فعلا جميلا وفضيلة ومعينا فى السلوك الااذا كان لله فاما اذا كان لغير الله فهو شرك والشرك اكبر الكبائر (والمنخنقة) اى حبس النفس عن الرذائل ومنعها عن القبائح بحصول صور الفضائل وصدور الافعال الحسنة صورة مع كون الهوى فيها فان الافعال النفسية انما تحسن بقمعها وقهرها لله وخروج الهوى الذى هو قوتها وحياتها عنها وقيامها بارادة القلب كخروج الدم الذى هو قوة الحيوان وحياته منه بذبحه لله (والموقوذة) اى صدور الفضائل فى الظاهر عن النفس مع كره منها واجبار عليها (والمتردية) التى تتعلق بالتفريط والنقصان والميل الى الجهة السفلية وانحطاط النفس عن الهمم العلية والدرجة القوية (والنطيحة) التى تصدر عن خوف وقهر من مثله

الانبياء كالكفر بكلهم لان الدليل الذى يدل على نبوّة البعض وهو المعجزة لزم منه انه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوّة وقد وجدت المعجزة لجميع الانبياء فلزم الايمان بجميعهم (واعتدنا) يعنى وهيأنا (للكافرين عذابا مهينا) يعنى يهانون فيه (والذين آمنوا بالله ورسله) يعنى والذين صدقوا بوحدانية الله ونبوّة جميع انبيائه وان جميع ماجاؤا به من عند الله حق وصدق (ولم يفرقوا بين احد منهم) يعنى من الرسل بل آمنوا بجميعهم وهم المؤمنون (اولئك) يعنى من هذه صفتهم (سوف يؤتيهم اجورهم) يعنى جزاء ايمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله (وكان الله غفورا رحيما) يعنى انه تعالى لما وعدهم بالثواب اخبرهم انه يتجاوز عن سيآتهم ويغفرها لهم ويرحمهم فهو كالترغيب لليهود والنصارى فى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم اذا آمنوا غفرلهم ما كان منهم فى حال الكفر * قوله تعالى (يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء) يعنى يسألك يامحمد اهل الكتاب وهم اليهود وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب جملة واحدة من السماء كما اتى موسى بالتوراة وقيل سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا مخصابهم وقيل سألوه ان ينزل عليهم كتابا الى فلان ليشهدلك بانك رسول الله وكان هذا السؤال من اليهود سؤال تعنت واقتراح لاسؤال استرشاد وانقياد والله تعالى لاينزل الآيات على اقتراح العباد ولان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكان طلب الزيادة من باب التعنت * وقوله تعالى (فقد سألوا موسى اكبر من ذلك) يعنى اعظم من الذى سألوك يامحمد ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع لليهود حيث سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال تعنت والمعنى لاتعظمن عليك يامحمد مسئلهم ذلك فانهم من فرط جهلهم واجترائهم على الله لو اتيتهم بكتاب من السماء لما آمنوا بك وانما اسند السؤال الى اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وان وجد هذا السؤال من آبائهم الذين كانوا فى ايام موسى عليه السلام لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومشاكلين لهم فى التعنت (فقالوا) يعنى اسلاف هؤلاء اليهود (ارنا الله جهرة) يعنى عيانا والمعنى ارناه نره جهرة وذلك ان سبعين من بنى اسرائيل خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام الى الجبل فقالوا ذلك وقد تقدمت القصة فى سورة البقرة (فاخذتهم الصاعقة بظلمهم) يعنى بسبب ظلمهم وسؤالهم الرؤية (ثم اتخذوا العجل) يعنى الها وهم الذين خلفهم موسى مع اخيه هرون حين خرج الى ميقات ربه (من بعد ماجاءتهم البينات) يعنى الدلالات الواضحات الدالة على صدق موسى وهى العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات الباهرة (فعفونا عن ذلك) يعنى عن ذلك الذنب العظيم فلم نستأصل عبدة العجل والمقصود من هذا تسلية النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى ان هؤلاء الذين يطلبون منك يامحمد ان تنزل عليهم كتابا من السماء انما يطلبونه عنادا وجاجا فانى قد انزلت التوراة جملة واحدة على موسى وآتيته من المعجزات الباهرات والايات البينات مافيه كفاية ثم انهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وعبدوا العجل وكل ذلك يدل على جهلهم وانهم مجبولون على اللجاج والعناد وفى قوله فعفونا عن ذلك استدعاء الى التوبة والمعنى ان اولئك الذين اجرموا لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا انتم نعف عنكم (وآتينا موسى سلطانا مبينا)

كالعفاف الحاصل بواسطة زجر المحتسب وخوف الفضيحة (وما اكل السبع) كفضائل العفة التى تحصل لشدّة القوّة الغضبية من الانفة والحمية واستيلاء الغضب فانّ الغضب اذا استولى منع الشدّة عن فعلها اولقهر من قهار كالملك والامير (الاماذكيتم) الا ماقرّنت واعتادت وانقادت لكم بعدقهر من غير فكانت تصدر عنها الفضائل بارادة قلبية من غير مزج الهوى (وماذبح على النصب) ماينفعل بناء على العادات التى يجب رفضها الالغرض عقلى اوشرعى (وان تستقسموا بالازلام) وان تطلبوا السعادات والكمالات بالرسوم والطوالع اتكالا على ماقضى الله وقدّره وتتركوا السعى والجدّ فى الاب وتجعلوا ذلك علة للتقصير بان تقولوا ليس لنانصيب فيها ولو كان لنانصيب لحصل فانه ربما كان مجرّد تعليل وقدعلق فى القدر نيله بسعيه فانه لم يطلع على ذلك (ذلكم فسق) خروج عن الدين الذى هو طريق الحق (اليوم) اى وقت حصول الكمال

يعني حجة واضحة تدل على صدقه وهي المعجزات الباهرات التي اعطاها الله عز وجل لموسى عليه السلام * قوله عز وجل (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) يعني ورفعنا فوقهم الجبل المسمى بالطور بسبب اخذ ميثاقهم وذلك ان بني اسرائيل امتنعوا من قبول التوراة والعمل بما فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى اظلهم ليخافوا فلا ينقضوا العهد والميثاق (وقلنا لهم) يعني والطور يظلهم (ادخلوا الباب سجدا) فخالفوا ودخلوا وهم يزحفون على استاههم (وقلنا لهم لا تعدوا في السبت) يعني وقلنا لهم لا تجاوزوا في يوم السبت الى ما لا يحل لكم فيه وذلك انهم نهوا ان يصطادوا السمك في يوم السبت فاعتدوا واصطادوا فيه وقيل المراد به النهي عن العمل والكسب في يوم السبت (واخذنا منهم ميثاقا غليظا) يعني واخذنا منهم عهدا مؤكدا شديدا بان يعملوا بما امرهم الله به وان ينتهوا عما نهاهم الله عنه ثم انهم نقضوا ذلك الميثاق وهو قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم) يعني فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والمعنى فبسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم وسخطنا عليهم وفعلنا بهم ما فعلنا (وكفرهم بآيات الله) يعني وبجحودهم بآيات الله الدالة على صدق انبيائه (وقتلهم الانبياء) يعني بعد قيام الحجة والدلالة على صحة نبوتهم (بغير حق) يعني بغير استحقاق لذلك القتل (وقولهم قلوبنا غلف) يعني وبقولهم على قلوبنا اغطية وغشاوة فهي لا تفقه ما تقول جمع اغلف وقيل جمع غلاف يعني قلوبنا اوعية للعلم فلا حاجة بنا الى ما تدعونا اليه فرد الله عليهم بقوله (بل طبع الله عليها بكفرهم) يعني بل ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم (فلا يؤمنون الا قليلا) يعني ايمانهم بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه من الانبياء والكتب وقيل لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وقيل المراد بالقليل هو عبد الله بن سلام واصحابه الذين آمنوا من اليهود * قوله تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما) يعني حين رموها بالزنا وذلك انهم انكروا قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير اب ومنكر قدرة الله كافر فالمراد بقوله وبكفرهم هو انكارهم قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على مريم بهتانا عظيما هو رميهم اياها بالزنا وانما سماه بهتانا عظيما لانه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات ما يدل على براءتها من ذلك فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان العظيم * قوله عز وجل (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) ادعت اليهود انهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقتهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعا ورد عليهم بقوله (وما قتلوه وما صلبوه) وفي قوله رسول الله قولان احدهما انه من قول اليهود فيكون المعنى انه رسول الله على زعمه والقول الثاني انه من قول الله لا على وجه الحكاية عنهم وذلك ان الله تعالى ابدل ذكرهم في عيسى عليه السلام القول القبيح بالقول الحسن رفعا لدرجته عما كانوا يذكرونه من القول القبيح * وقوله تعالى (ولكن شبه لهم) يعني القى شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب واختلف العلماء في صفة التشبيه الذي شبه على اليهودي في امر عيسى عليه السلام فروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه انه قال اتى اليهودي عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله تعالى كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى او لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لاصحابه من يشتري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم انا فخرج اليهم فقال انا عيسى وقد صوره الله تعالى على صورة عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا

(انهم)

تجرّد النفس بالفضائل وتثبتها في العزائم (يئس الذين كفروا) اي حجبوا من قوى نفوسكم او من ابناء جنسكم واهل جلدتكم من الطبيعيين والمتزندقين (من دينكم) اي من ان يصدوكم عن طريق الحق (فلا تخشوهم) فانهم يستولون عليكم بعد ذلك (واخشوني) بان لا تقفوا عند تجلي صفة من صفاتي وتهيبوا عظمة ذاتي حتى تصلوا الى مقام الفناء (اليوم اكملت لكم دينكم) ببيان الشعائر وكيفية السلوك (واتممت عليكم نعمتي) بالهداية الى (ورضيت لكم الاسلام) الاستسلام والانقياد بالانمحاء عند تجليات الافعال والصفات او اسلام الوجه للفناء عند تجلي الذات (فمن اضطر) الى امر من هذه الامور المحرمة التي عددناها (في مخمصة) في هيجان شديد من النفس وغلبة لظهور صفة من صفاتها (غير متجانف لاثم) غير منحرف عن الدين والوجهة الى رذيلة مانعة لقصد منه وعزيمة (فان الله غفور) يستر ذلك عنه بنور صفة

انهم قدقتلواعيسى وظنت النصارى مثل ذلك ورفع الله عزوجل عيسى عليه السلام من يومه ذلك وفى رواية اخرى عن وهب ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه ليكفرن بى احدكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعنى بدراهم يسيرة ولياكلن ثمنى فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون احد الحواريين فقالوا هذا من اصحاب عيسى فجحد وقال ماانا بصاحبه فتركوه ثم اخذوا آخر فجحد كذلك فلما اصبح اتى بعض الحواريين الى اليهود وكان منافقا فقال ماتجعلون لى ان انادلكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فدلهم عليه فالقى الله شبه عيسى على ذلك المنافق الذى دل عليه فاخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى وقال قتادة ان اعداء الله اليهود زعموا انهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكرلنا ان نبى الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهى وله الجنة فانه مقتول فقال رجل منهم انا يانبى الله فاخذ ذلك الرجل وقتل وصلب ورفع الله عزوجل عيسى الى السماء وقيل اليهود حبسوا عيسى فى بيت وجعلو عليه رقيبا يحفظه فالقى الله شبه عيسى على ذلك الرقيب فاخذ فقتل وصلب فرفع الله عزوجل عيسى فى ذلك الوقت قال الطبرى واولى الاقوال بالصواب ماذكرنا عن وهب بن منبه من ان شبه عيسى القى على جميع من كان مع عيسى فى البيت حين احيط به وبهم من غير مسئلة عيسى اياهم ذلك ولكن ليخزى الله بذلك اليهود وينقذبه نبيه عيسى عليه السلام من كل مكروه ارادوه به من قتل وغيره وليبتلى الله من اراد ابتلاءه من عباده ويحتمل ان يكون القى شبهه على بعض اصحابه بعدماتفرق عنه اصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام وبقى ذلك فاخذ وقتل وصلب وظن اصحابه واليهود ان الذى قتلوه وصلبوه هو عيسى لماراوا من شبهه به وخفى امر عيسى عليهم وكانت حقيقة ذلك الامر عندالله فلذلك قال تعالى وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم (وان الذين اختلفوا فيه) يعنى فى قتل عيسى وهم اليهود (لفى شك منه) يعنى من قتله وذلك ان اليهود قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد القى الشبه على وجه ذلك الشخص دون جسده فلما قتلوه نظروا الى جسده فوجدوه غير جسد عيسى فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد جسد غيره فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان اليهود لما حبسوا عيسى واصحابه فى البيت دخل عليه رجل منهم ليخرجه اليهم فالقى الله شبه عيسى على ذلك الرجل فاخذ وقتل ورفع الله عزوجل عيسى الى السماء وفقدوا صاحبهم فقالوا ان كنا قتلنا المسيح فاين صاحبنا وان كنا قتلنا صاحبنا فاين المسيح عيسى فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى فبعضهم يقول ان القتل وقع على ناسوت عيسى دون لاهوته وبعضهم يقول وقع القتل عليهما جميعا وبعضهم يقول رأيناه قتل وبعضهم يقول رأيناه رفع الى السماء فهذا هو اختلافهم فيه قال الله تعالى (مالهم به من علم) يعنى انهم قتلوا من قتلوا على شك منهم فيه ولم يعرفوا حقيقة ذلك المقتول هل هو عيسى اوغيره (الا اتباع الظن) يعنى لكن يتبعون الظن فى قتله ظنا منهم انه عيسى لاعن علم وحقيقة (وماقتلوه يقينا) قال ابن عباس يعنى لم يقتلوا ظنهم يقينا فعلى هذا القول تكون الهاء فى قتلوه عائدة على الظن والمعنى ماقتلوا ذلك الظن يقينا ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ماوقع لهم من الشبه فى قتله فهو كقول العرب قتله علما تاما واصل ذلك ان القتل للشئ يكون عن قهر واستيلاء وغلبة ومعنى الآية على هذا لم يكن علمهم بقتل عيسى علما تاما كلاما انما كان ظنا منهم انهم قتلوه ولم يكن لذلك حقيقة وقيل ان الهاء فى قتلوه عائدة

من صفاته تقابلها (رحيم) يرحم عباده التوفيق لاظهار الكمال ورفع موانعه (يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات) من الحقائق والمعارف الحقية والفضائل العلمية التى تحصل لكم بعقولكم وقلوبكم وارواحكم (وماعلمتم من الجوارح مكلبين) من جوارح حواسكم الظاهرة والباطنة وسائر قواكم وآلاتكم البدنية فى اكتساب الفضائل والآداب محرضين (تعلمونهن مما علمكم الله) من علوم الاخلاق والشرائع التى تبين طريق الاحتظاء من الحظوظ على وجه العدالة (فكلوا مماامسكن عليكم) مماحصلن لكم بتعليمكم على ماينبغى بنية وارادة قلبية وغرض صحيح يؤدى الى كمال الشخص اوالنوع لايصطدن ويشبن ويزن عليه بميلهن وحرصهن لطلب لذتهن وشهوتهن (واذكروا اسم الله عليه) واحضروا بقلوبكم انها الصورة الانسانية الكاملة تقصد وتراد لاغراض اخروا جعلوا الله وقاية لكم فى فعلها حتى

على عيسى والمعنى وماقتلوا المسيح يقينا كما ادعوا انهم قتلوه وقيل ان قوله يقينا يرجع الى مابعده تقديره وماقتلوه (بل رفعه الله اليه) يقينا والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه ولكن الله عز وجل رفعه اليه وطهره من الذين كفروا وخلصه ممن اراده بسوء وقد تقدم كيف كان رفعه فى سورة آل عمران بما فيه كفاية ❁ وقوله تعالى (وكان الله عزيزا) يعنى فى اقتداره على من يشاء من عباده (حكيما) يعنى فى انجاء عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عزيزا يعنى منيعا منتقما من اليهود فسلط عليهم بطيوس بن اسبسيانوس الرومى فقتل منهم مقتلة عظيما حكيما حكم باللعنة والغضب على اليهود حيث ادعوا هذه الدعوى الكاذبة ❁ قوله تعالى (وان من اهل الكتاب) يعنى وما من احد اهل الكتاب (الا ليؤمنن به) يعنى بعيسى عليه السلام وانه عبدالله ورسوله وروحه وكلمته هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وقال عكرمة فى قوله الا ليؤمنن به يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لاوجه له لانه لم يجر للنبى صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الآية حتى يرجع الضمير اليه وقول الاكثرين اولى لانه تقدم ذكر عيسى عليه السلام فكان عود الضمير اليه اولى (قبل موته) اختلف المفسرون فى هذا الضمير الى من يرجع فقال ابن عباس واكثر المفسرين ان الضمير يرجع الى الكتابى والمعنى ومامن احد من اهل الكتاب الآمن بعيسى قبل موت ذلك الكتابى ولكن يكون ذلك الايمان عند الحشرجة حين لاينفعه ايمانه قال ابن عباس معناه اذا وقع اليأس حين لاينفعه ايمانه سواء احترق او تردى من شاهق اوسقط عليه جدار او اكله سبع اومات فجأة فقيل له ارايت ان خر من فوق بيت قال يتكلم به فى الهواء فقيل له ارأيت ان ضربت عنقه قال يتلجلج به لسانه وقال شهر بن حوشب ان اليهودى اذاحضره الموت ضربت الملائكة باجنحتها وجهه ودبره وقالوا ياعدوّ الله اتاك موسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبدالله ورسوله وتقول للنصرانى اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله وابن الله فيقول آمنت انه عبدالله فأهل الكتابين يؤمنون به ولكن حيث لاينفعهم ذلك الايمان وذهب جماعة من اهل التفسير الى الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية عن ابن عباس ايضا والمعنى ومامن احد من اهل الكتاب الاليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء فى آخر الزمان فلايبق احد من اهل الكتابين الآمن بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهى ملة اسلام قال عطاء اذانزل عيسى الى الارض لايبق يهودى ولا نصرانى ولااحد يعبد غيرالله الآمن بعيسى وانه عبدالله وكلمته ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لايقبله احد زاد فى رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا ومافيها ثم يقول ابوهريرة اقرؤا ان شئتم وان من اهل الكتاب الاليؤمنن به قبل موته الآية وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن فيكم ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلايسعى عليها وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد اخرجاه فى الصحيحين ففى هذا الحديث دليل على ان عيسى ينزل فى آخر الزمان فى هذه الامة ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانه لاينزل نبيا

تكون حسنة (واتقوا الله ان الله سريع الحساب) يحاسبكم بها فى آن لا فى ازمنة لحصول هيآتها فى انفسكم بمقدار تكابها (اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين يا أيها الذين آمنوا) الايمان العلمى (اذا قمتم الى الصلاة) انبعثتم عن نوم الغفلة وقصدتم الى صلاة الحضور والمناجاه الحقيقية التوجه الى الحق (فاغسلوا وجوهكم) اى طهروا وجود قلوبكم بماء العلم النافع الطاهر المطهر من علم الشرائع والاخلاق والمعاملات التى تتعلق بازالة الموانع عن لوث صفات النفس (وايديكم) اى وقدركم من دنس تناول الشهوات بالتصرفات فى مواد الرجس (الى المرافق) الى قدر الحقوق والمنافع (وامسحوا برؤسكم)

برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل يكون حاكما من حكام هذه الامة واماما من أئمتهم لقوله صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب يعنى يكسره حقيقة ويبطل ماتزعمه النصارى من تعظيمه وكذلك قتله الخنزير وقوله ويضع الجزية يعنى لايقبلها ممن بذلها من اليهود والنصارى ولايقبل من أحد الا الاسلام أوالقتل وعلى هذا قد يقال هذا خلاف ماهو حكم الشرع اليوم فان الكتابى اذا بذل الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولا اجباره على الاسلام* والجواب ان هذا الحكم ليس مستمرا الى يوم القيامة بل هو مقيد بماقبل نزول عيسى عليه السلام وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس الناسخ هو عيسى عليه السلام بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المبين للنسخ أو أن عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فدل على أن الامتناع من قبول الجزية فى ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله أعلم قال الزجاج هذا القول بعيد يعنى قول من قال ان ايمان أهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله فى آخر الزمان قال لعموم قوله تعالى وان من أهل الكتاب الاليؤمنن به قال والذين يبقون يومئذ يعنى عند نزوله شرذمة قليلة منهم وأجاب أصحاب هذا القول يعنى الذين يقولون ان ايمان أهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله فى آخر الزمان بان هذا على العموم ولكن المراد بهذا العموم الذين يشاهدون ذلك الوقت ويدركون نزوله فيؤمنون به ويكون معنى الآية ومامن أحد من أهل الكتاب أدرك ذلك الوقت الا آمن بعيسى عند نزوله من السماء وصحح الطبرى هذا القول وقال عكرمة فى معنى الآية وان من أهل الكتاب الاليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابى فلايموت يهودى ولانصرانى حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عند الحشرجة حتى لاينفعه ايمانه . * وقوله تعالى (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) يعنى يكون عيسى عليه السلام شاهدا على اليهود انهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى انهم اتخذوه ربا وأشركوا به ويشهدوا على تصديق من صدقه منهم وآمن به قال قتادة معناه انه يكون شهيدا يوم القيامة انه قد بلغ رسالة ربه وأقر على نفسه بالعبودية * قوله عزوجل (فبظلم من الذين هادوا) يعنى فبسبب ظلم منهم (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) يعنى ماحرمنا عليهم الطيبات التى كانت حلالا لهم الابظلم عظيم ارتكبوه وذلك الظلم هو ماذكره من نقضهم الميثاق وما عدد عليهم من أنواع الكفر والكبائر العظيمة مثل قولهم اجعل لنا الهاكما لهم آلهة وكقولهم أرنا الله جهرة وكعبادتهم العجل فبسبب هذه الامور حرم الله عليهم طيبات كانت حلالا لهم وهى ماذكره فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية وقال الطبرى فى معنى الآية فحرمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذى واثقوا ربهم به وكفروا بآيات الله وقتلوا أنبياءهم وقالوا البهتان على مريم وفعلوا ماوصفهم الله به فى كتابه طيبات من المآكل وغيرها التى كانت لهم حلالا عقوبة لهم بظلمهم الذى أخبر الله عنهم فى كتابه وروى عن قتادة قال عوقب القوم بظلم ظلموه وبغى بغوه وحرمت عليهم أشياء ببغيهم وظلمهم ونقل الواحدى وابن الجوزى عن مقاتل قال كان الله حرم على أهل التوراة أن يأكلوا الربا ونهاهم أن يأكلوا أموال الناس ظلما فأكلوا الربا

بجهات ارواحكم عن قتام كدورة القلب وغبار تغيره بالتوجه الى العالم السفلى ومحبة الدنيا نور الهدى فان الروح لايتكدر بالتعلق بل يحتجب نوره عن القلب فيسود القلب ويظلم ويكفى فى انتشار نوره صقل الوجه العالى من القلب الذى اليه فان القلب ذو وجهين احدهما الى الروح والرأس ههنا اشارة اليه والثانى الى النفس وقواها فاحرى بالرجل ان تكون اشارة اليه (وارجلكم) وجهات قواكم الطبيعية البدنية بنفض غبار الانهماك فى الشهوات والافراط فى اللذات (الى الكعبين) الى حد الاعتدال الذى يقوم به البدن فعلى هذا من انهمك فى الشهوات وافرط فى اللذات احتاج الى غسلها بماء علم الاخلاق وعلم الرياضات حتى ترجع الى الصفاء الذى يستعد به القلب للحضور والمناجاة ومن قرب حوضه فيها من الاعتدال كفاه المسح ولهذا مسح من مسح وغسل من غسل (وان كنتم جنبا) بعداء عن الحق بالانجذاب الى الجهة السفلية والاعراض عن الجهة العلوية والميل

أكلوا أموال الناس ظلما بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فحرم الله عليهم عقوبة لهم ماذكر فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية قال الواحدى فأما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم اجد فيه شيأ انتهى اليه امتركته ولقد أنصف الواحدى فيما قال فان هذه الآية فى غاية الاشكال وبيانه ان الله تعالى لايعاقب على ذنب قبل وقوعه وقد ذكر المفسرون فى معنى الظلم المذكور فى الآية ماتقدم ذكره وكلها ذنوب فى المستقبل * فان قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم ماحرم من الطيبات التى كانت لهم حلالا عقوبة لهم على ماسيقع منهم * قلت جوابه ماتقدم وهو ان الله تعالى لايعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الامام فخر الدين فى تفسير هذه الآية ماذكره المفسرون بل ذكر تفسيرا اجماليا فقال اعلم أن أنواع الذنوب محصورة فى نوعين الظلم للخلق والاعراض عن الدين الحق أما ظلم الخلق فاليه الاشارة بقوله (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه) ثم انهم مع ذلك فى غاية الحرص على طلب المال فتارة يحصلونه بطريق الربا مع انهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشا وهو المراد بقوله (وأكلهم أموال الناس بالباطل) فهذه الاربعة هى الذنوب التى شدد عليهم بسببها فى الدنيا والآخرة * أما التشديد فى الدنيا فهو ماتقدم من تحريم الطيبات عليهم * واما التشديد فى الآخرة فهو المراد بقوله تعالى (واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) قال المفسرون انما قال منهم لان الله علم ان قوما منهم سيؤمنون فيأمنون من العذاب * قوله تعالى (لكن الراسخون فى العلم منهم) يعنى من اليهود وهذا استثناء استثنى الله عز وجل من آمن من اهل الكتاب ممن تقدم وصفهم وصفتهم فى الآيات التى تقدمت فبين فيما تقدم حال كفار اليهود والجهال منهم وبين فى هذه الآية حال من هداه لدينه منهم وارشده للعمل بما علم فقال لكن الراسخون فى العلم * ولكن هنا بمعنى الاستدراك والاستثناء والراسخون فى العلم الثابتون فى العلم البالغون فيه اولوا البصائر الثاقبة والعقول الصافية وهم عبدالله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اهل الكتاب لانهم رسخوا فى العلم وعرفوا حقيقته فاوصلهم ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والمؤمنون) يعنى بالله ورسله (يؤمنون بما انزل اليك) يعنى بالقرآن الذى انزل اليك (وما انزل من قبلك) يعنى ويؤمنون بسائر الكتب التى انزلها الله على انبيائه من قبلك يامحمد * وفى المراد بالمؤمنين ههنا قولان * احدهما انهم اهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون فى العلم منهم وهم المؤمنون والقول الثانى انهم المهاجرون والانصار من هذه الامة فيكون قوله والمؤمنون ابتداء كلام مستأنف يؤمنون بما انزل اليك يعنى انهم يصدقون بالقرآن الذى انزل اليك يامحمد وما انزل من قبلك (والمقيمين الصلاة) اختلف العلماء فى وجه نصبه فحكى عن عائشة وأبان بن عثمان انه غلط من الكتاب ينبغى ان يكتب والمقيمون الصلاة وقال عثمان بن عفان ان فى المصحف لحنا ستقيمه العرب بالسنتهم فقيل له افلا تغيره فقال دعوه فانه لايحل حراما ولايحرم حلالا * وذهب عامة الصحابة وسائر العلماء من بعدهم الى انه لفظ صحيح ليس فيه خطأ من كاتب ولاغيره * واجيب عما روى عن عثمان بن عفان وعن عائشة وابان بن عثمان بان هذا بعيد جدا لان الذين جمعوا القرآن هم اهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك

الكلى الى النفس (فاطهروا) بكليتكم عن تلك الهيئة المظلمة والصفة الخبيثة الموجبة للبعد والاحتجاب (وان كنتم مرضى على سفر اوجاء احد منكم من الغائط اولامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه مايريد الله ليجعل عليكم من حرج) من ضيق ومشقة بكثرة المجاهدات والمكابدات (ولكن يريد ليطهركم) ان يطهركم من الهيئات المظلمة والصفات الخبيثة (وليتم نعمته عليكم) بالتكميل (لعلكم تشكرون) نعمة الكمال بالاستقامة والقيام بحق العدالة عند البقاء بعد الفناء (واذكروا نعمت الله عليكم) بالهداية الى طريق الوصول (وميثاقه الذى واثقكم به) اى عقود عزائمه المذكورة اذ قبلتموها من معدن النبوة بصفاء الفطرة (اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجرمنكم شنآن قوم على ان تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى)

(فكيف)

فكيف يتركون فى كتاب الله لحنا يصلحه غيرهم فلاينبغى ان ينسب هذا اليهم * قال ابن الانبارى ماروى عن عثمان لايصح لانه غير متصل ومحال ان يؤخر عثمان شيأ فاسدا ليصلحه غيره ولان القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه وقال الزمخشرى فى الكشاف ولايلتفت الى مازعموا من وقوع لحن فى خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر فى الكتاب يعنى كتاب سيبويه ولم يعرف مذاهب العرب ومالهم فى النصب على الاختصاص والمدح من الافتنان وهو باب واسع قد ذكره سيبويه عن امثلة وشواهد وربما غبى عليه ان السابقين الاولين كانوا ابعد همة فى الغيرة على الاسلام وذب الطاعن عنه من ان يتركوا فى كتاب الله عز وجل ثلمة يسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم * ثم اختلف العلماء فى المقيمين الصلاة اهم الراسخون فى العلم ام غيرهم على قولين * احدهما انهم هم وانما نصب على المدح والمعنى اذكر المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة قالوا والعرب تفعل ذلك فى صفة الشئ الواحد ونعته اذا تطاولت بمدح اوذم فربما خالفوا بين اعراب اوله واوسطه احيانا ثم رجعوا بآخره الى اعراب اوله وربما اجروا اعراب آخره على اعراب اوسطه وربما اجروا ذلك على نوع واحد من الاعراب واستشهدوا على معنى الآية

لايبعدن قومى الذين هم * سم العداوة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

وهذا على معنى اذكر النازلين وهم الطيبون ومن هذا المعنى تقول جاءنى قومك المطعمين وهم المغيثون * والقول الثانى ان المقيمين الصلاة غير الراسخين فى العلم وموضع والمقيمين الصلاة خفض بالعطف على قوله تعالى بما انزل اليك فعلى هذا القول يكون معنى الآية والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالمقيمين الصلاة وهم الانبياء لانه لم يخل شرع احد منهم عن اقامة الصلاة * وقيل المراد بهم الملائكة لانهم يسبحون الليل والنهار لايفترون * وصحح الزجاج القول الاول واختاره * وصحح الطبرى القول الثانى واختاره * وقوله تعالى (والمؤتون الزكاة) عطف على والمؤمنون لانه من صفتهم (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى والمصدقون بوحدانية الله تعالى وبالبعث بعد الموت وبالثواب وبالعقاب (اولئك) يعنى من هذه الاوصاف صفته (سنؤتيهم اجرا عظيما) يعنى سنعطيهم على ما كان منهم من طاعة الله واتباع امره ثوابا عظيما وهو الجنة * قوله عز وجل (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده) قال ابن عباس قال سكين وعدى بن زيد يامحمد مانعلم ان الله انزل على بشر من شئ من بعد موسى فانزل الله هذه الايات * وقيل هو جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء جملة واحدة فاجاب الله عز وجل عن سؤالهم بهذه الآية فقال انا اوحينا اليك يامحمد كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده والمعنى انكم يامعشر اليهود تقرون بنبوة نوح وبجميع الانبياء المذكورين فى هذه الآية وهم اثنا عشر نبيا والمعنى ان الله تعالى اوحى الى هؤلاء الانبياء وانتم يامعشر اليهود معترفون بذلك وما انزل الله على كل احد من هؤلاء المذكورين كتابا جملة واحدة مثل ما انزل على موسى فلما لم يكن عدم انزال الكتاب جملة واحدة على احد هؤلاء الانبياء قادحا فى نبوته فكذلك لم يكن انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا فى نبوته بل قد انزل عليه كما

اى العقل اقرب للتجرد عن ملابس صفات النفس واتخاذ صفات الله تعالى وقاية لانه اشرف الفضائل الذى اذا حصل تبعه الجميع (واتقوا الله) واجعلوه وقاية لكم فى صدور العدل منكم فان منبع الكمالات والفضائل ذاته تعالى (ان الله خبير بما تعملون) انه من صفات نفوسكم اومنه (وعد الله الذين آمنوا) منكم بالتوحيد العلمى (وعملوا الصالحات) التى توصلهم الى التوحيد العينى وتعدهم لذلك (لهم مغفرة) من صفاتهم (واجر عظيم) من تجليات صفاته تعالى (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم) من قوى نفوسكم المحجوبة وصفاتها (ان يبسطوا اليكم ايديهم) بالاستيلاء والقهر والاستعلاء لتحصيل مآربها وملاذها فمها عنكم بما اراكم من طريق التطهير والتنزيه (فكف ايديهم عنكم واتقوا الله) واجعلوه وقاية فى قهرها ومنعها

انزل عليهم قال المفسرون وانما بدأ الله عزوجل بذكر نوح عليه السلام لانه اول نبي بعث بشريعة واول نذير على الشرك وانزل الله عز وجل عليه عشر صحائف وكان اول من عذبت امته لردهم دعوته واهلك اهل الارض بدعائه وكان ابا البشر كآدم عليهما السلام وكان اطول الانبياء عمرا عاش الف سنة لم تنقص قوته ولم يشب ولم تنقص له سن وصبر على اذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الانبياء من بعده جملة بقوله تعالى والنبيين من بعده ثم خص جماعة من الانبياء بالذكر لشرفهم وفضلهم فقال (واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) وهم اولاد يعقوب وكانوا اثني عشر (وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا) يعني وآتينا داود كتابا مزبورا يعني مكتوبا وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب الذي انزل على داود وهومائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تسبيح وتقديس وتمجيد وثناء على الله عز وجل ومواعظ وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية فيقوم ويقرأ الزبور وتقوم علماء بني اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطير على رؤس الناس وهم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها وقيل له كان ذلك انس الطاعة وهذا ذل المعصية (ق) عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتني البارحة وانا استمع لقراءتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير آل داود قال الحميدي زاد البرقاني قلت والله يارسول الله لو علمت انك تسمع لقراءتي لحبرتها لك تحبيرا التحبير تحسين الصوت بالقراءة * قال بعض العلماء انما لم يذكر موسى في هذه الآية لان الله انزل عليه التوراة جملة واحدة وكان المقصود بذكر من ذكر من الانبياء في الآية انه لم ينزل على احد كتابا جملة واحدة فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام * قوله تعالى (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل) لما نزلت هذه الآية المتقدمة قالت اليهود مالموسى لم يذكر فأنزل الله هذه الآية وفيها ذكر موسى عليه السلام والمعنى واوحينا الى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعني سميناهم في القرآن وعرفناك اخبارهم والى من بعثوا وماورد عليهم من قومهم (ورسلا لم نقصصهم عليك) اي لم نسمهم لك ولم نعرفك اخبارهم قال اهل المعاني الذي نوه الله بذكرهم من الانبياء يدل على تفضيلهم على من لم يذكر ولم يسم وقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطة لان تأكيد كلم بالمصدر يدل على تحقيق الكلام وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك لان افعال المجاز لاتؤكد بالمصادر فلا يقال اراد الحائط يسقط ارادة وهذا رد على من يقول ان الله خلق كلاما في محل فسمع موسى ذلك الكلام وقال الفراء العرب تسمي كل ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل لكن لاتحققه بالمصدر واذا حقق بالمصدر لم يكن الاحقيقة الكلام فدل قوله تعالى تكليما على ان موسى قد سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة وروى الطبري بسنده من عدة طرق عن كعب الاحبار قال لما كلم الله موسى عليه السلام كلمه بالالسنة كلها قبل كلامه يعني كلام موسى بلسانه فجعل موسى يقول يارب لاافهم حتى كلمه بلسانه آخر الالسنة فقال يارب هكذا كلامك قال لو سمعت كلامي يعني على وجهه لم تك شيأ قال موسى يارب هل في خلقك شيء يشبه كلامك قال لا واقرب خلق شبها بكلامي اشد مايسمع الناس من

(وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد اخذ الله) رؤية الافعال كلها منه (ميثاق بني اسرائيل) هو العهد المذكور والنقباء الاثنا عشر هم الحواس الحس الظاهرة والحس الباطن والقوة العاقلة النظرية والعاقلة العملية (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم) بالنصر (لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة) اي في العقد اللاحق او فقكم واعينكم لئن اقمتم بحقوق التزكية والتحلية من الاعراض عن السعادات البدنية بالعبادة وترك السعادات الخارجية بالزهد وايثار الثالثة التي هي الايمان برسل العقل والالهامات والافكار الصائبة والخواطر الصادقة من الروح والقلب وامداد الملكوت وتعزيرهم اي تعظيمهم بتسليطهم على شياطين الوهم وتقويتهم ومنعهم وساوسها والقاء الوهميات والخياليات والخواطر النفسانية (وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا) بالبراءة من الحول والقوة والعلم والقدرة الى الله بالجملة من الافعال والصفات

الصواعق * قال العلماء كما ان الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحا فى نبوة غيره من الانبياء فكذلك انزال التوراة عليه جملة واحدة لم يكن قادحا فى نبوة من انزل عليه كتابه متفرقا من الانبياء * قوله عز وجل (رسلا مبشرين ومنذرين) يعنى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ومن اولئك النبيين ارسلت رسلا الى خلق مبشرين من اطاعنى واتبع امرى وصدق رسلى بالثواب الجزيل فى الجنة ومنذرين من عصانى وخالف امرى وكذب رسلى بالعذاب الاليم فى النار * وقيل هو جواب عن سؤال اليهود انزال الكتاب جملة واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسول هو ارشاد الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايمان به والاشتغال بعبادته وانذار من خالف ذلك وهذا المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله نجوما متفرقة بل انزاله متفرقا اولى وذلك ان النفوس قبل بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم لم تكن تعرف شيأ من العبادات ولم تالفها فاذا نزل الكتاب جملة واحدة وفيه جميع التكاليف ربما حصل فى بعض نفوس العباد نفور من تلك التكاليف وثقل عليهم كما اخبر الله عن قوم موسى بقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فلم يقبلوا احكام التوراة الا بعد شدة فلهذا السبب كان انزال القرآن نجوما متفرقة اولى وقوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) يعنى بعد ارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى لئلا يحتج الناس على الله فى ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا ما ارسلت الينا رسولا وما انزلت علينا كتابا ففيه دليل على انه لو لم يبعث الرسل لكان للناس عليه حجة فى ترك التوحيد والطاعة وفيه دليل على ان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * وفيه دليل لمذهب اهل السنة على ان معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع لان قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على ان قبل بعثة الرسل تكون لهم الحجة فى ترك الطاعات والعبادات * فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل والخلق محجوجون بما نصب من الادلة التى النظر فيها موصل الى معرفته ووحدانيته كما قيل

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

* قلت الرسول منبهون من رقاد الغفلة والجهالة وباعثون الخلق الى النظر فى تلك الدلائل التى تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ومبينون لهاوهم وسائط بين الله تعالى وخلقه ومبينون احكام الله تعالى التى افترضها على عباده ومبلغون رسالته اليهم (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير منى ومن اجل غيرة الله حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدحة من الله ومن اجل ذلك وعد الجنة لفظ البخارى وفى لفظ مسلم ولا شخص احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين وقوله تعالى (وكان الله عزيزا) يعنى فى انتقامه ممن خالف امره وعصى رسله (حكيما) يعنى فى ارساله الرسل * قوله تعالى (لكن الله يشهد بما انزل اليك) قال ابن عباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم انى والله اعلم انكم لتعلمون انى رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فانزل الله هذه الآية وفى رواية عن ابن عباس ان رؤساء مكة اتوا رسول الله صلى الله

كلها ثم من الذات بالمحو والفناء واسلاءها الى الله (لاكفرن عنكم سيئاتكم) اى وجودات هذه الثلاث التى هى حجبكم وموانعكم عنكم (ولادخلنكم جنات) من افعالى وصفاتى وذاتى (تجرى من تحتها الانهار) علوم التوكل والرضا والتسليم والتوحيد وبالجملة علوم تجليات الافعال والصفات والذات فمن احتجب بعد ذلك العهد وبعث النقباء منكم (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) المستقيم بالحقيقة (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه) قست باستيلاء صفات النفس عليها وميلها الى الامور الارضية الجاسية الصلبية فحجبت عن انوار الملكوت والجبروت التى هى كلمات الله واستبدلوا قوى نفوسهم بها واستعملوا وهمياتهم وخيالياتهم بدل معارفها وحقائقها من المعانى المعقولية اوخلطوها بها وذلك هو تحريف الكلم عن مواضعه (ونسوا حظا) اى نصيبا وافرا مما اوتوه

عليه وسلم فقالوا يامحمد اناسألنا عنك اليهود وعن صفتك فى كتابهم فزعموا انهم لايعرفونك فانزل الله عزوجل لكن الله يشهد بما انزل اليك يعنى ان جحدك هؤلاء اليهود يامحمد وكفروا بما اوحينا اليك وقالوا ماانزل الله على بشر من شئ فقد كذبوا فيما ادعوا فان الله يشهد لك بالنبوة ويشهد بما انزل اليك من كتابه ووحيه * والمعنى ان اليهود وان شهدوا ان القرآن لم ينزل عليك يامحمد لكن الله يشهد بانه انزل عليك وشهادة الله انما عرفت بسبب انه انزل هذا القرآن البالغ فى الفصاحة والبلاغة الى حيث عجز الاولون والآخرون عن معارضته والاتيان بمثله فكان ذلك معجزا واظهار المعجزة شهادة بكون المدعى صادقا لاجرم قال الله تعالى لكن الله يشهد لك يامحمد بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذى انزله عليك (انزله بعلمه) يعنى انه تعالى لما قال لكن الله يشهد بما انزل اليك بين صفة ذلك الانزال وهو انه تعالى انزله بعلم تام وحكمة بالغة * وقيل معناه انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله عليك وانك مبلغه الى عباده * وقيل معناه انزله بما علم من مصالح عباده فى انزاله عليك (والملائكة يشهدون) يعنى يشهدون بان الله انزله عليك ويشهدون بتصديقك وانما عرفت شهادة الملائكة لان الله تعالى اذا شهد بشئ شهدت الملائكة بذلك الشئ وقد ثبت ان الله يشهد بانه انزله بعلمه فلذلك الملائكة يشهدون بذلك (وكفى بالله شهيدا) يعنى وحسبك يامحمد ان الله يشهد لك وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد معه احد غيره ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم عن شهادة اهل الكتاب له فان الله يشهد له وملائكته كذلك * قوله عزوجل (ان الذين كفروا) يعنى جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (وصدوا عن سبيل الله) يعنى منعوا غيرهم عن الايمان به بكتمان صفته والقاء الشبهات فى قلوب الناس وهو قولهم لوكان محمد رسولا لاتى بكتاب من السماء جملة واحدة كما اتى موسى بالتوراة (قد ضلوا ضلالا بعيدا) يعنى عن طريق الهدى (ان الذين كفروا وظلموا) يعنى كفروا بالله وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمان صفته وظلموا غيرهم بالقاء الشبهة فى قلوبهم (لم يكن الله ليغفر لهم) يعنى لمن علم منهم انهم يموتون على الكفر * وقيل معناه لم يكن الله ليستر عليهم قبائح افعالهم بل يفضحهم فى الدنيا ويعاقبهم عليها بالقتل والسبى والجلاء وفى الآخرة بالنار وهو قوله تعالى (ولا ليهديهم طريقا) يعنى ينجون فيه من النار وقيل ولا ليهديهم طريقا الى الاسلام لانه قد سبق فى علمه انهم لايؤمنون (الا طريق جهنم) يعنى لكنه تعالى يهديهم الى طريق يؤدى جهنم وهى اليهودية لما سبق فى علمه انهم اهل لذلك (خالدين فيها) يعنى فى جهنم (ابدا وكان ذلك على الله يسيرا) يعنى هينا * قوله عز وجل (ياايها الناس) هذا خطاب عام يدخل فيه جميع الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام وغيرهم * وقيل هو خطاب لمشركى العرب (قد جاءكم الرسول) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (بالحق) يعنى بدين الاسلام الذى ارتضاه الله لعباده وقيل جاء بالقرآن الذى هو الحق (من ربكم) يعنى من عند ربكم (فآمنوا خيرا لكم) يعنى فآمنوا بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم يكن الايمان بذلك خيرا لكم يعنى من الكفر الذى انتم عليه (وان تكفروا) يعنى وان تجحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من ربكم (فان لله مافى السموات والارض) يعنى فان الله هو الغنى عن ايمانكم لان له مافى السموات والارض ملكا وعبدا ومن كان كذلك لم يكن محتاجا الى شئ وانه قادر على مايشاء (وكان الله عليما)

فى العهد السابق من الكمالات الكامنة فى استعدادهم بالقوة فذكروا به فى العهد اللاحق (ولاتزال تطلع على خائنة منهم الاقليلا منهم فاعف عنهم واصفح) اى على نقض عهد ومنع امانة لاستيلاء صفات النفس والشيطان عليهم وقساوة قلوبهم (ان الله يحب المحسنين) الذين يشاهدون ابتلاء الله اياهم فلايقابلونهم بالعقاب فيستعملون معهم الصفح والعفو (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضا الى يوم القيمة وسوف) اى الزمناهم ذلك لتخالف دواعى قواهم السبعية والبهيمة والشيطانية وميلهم الى الجهة السفلية الموجب للتضاد والتعاند لاحتجابهم عن نور التوحيد وبعدهم عن العالم القدسى الذى فيه المقاصد كلية لاتقتضى التجاذب والتعاند الى وقت قيامهم بظهور نور الروح والقيامة الكبرى بظهور نور التوحيد (ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) بعقاب ماصنعوا عند الموت وظهور

يعنى بما يكون منكم لايخفى عليه شئ من اعمال عباده فيجزى كل عامل بعمله (حكيما) يعنى فى تكليفكم مع علمه بما يكون منكم * قوله عز وجل (يااهل الكتاب) نزلت هذه الآية فى النصارى وذلك ان الله تعالى لما اجاب عن شبه اليهود فيما تقدم من الآية اتبع ذلك بابطال ماتعتقده النصارى * واصناف النصارى اربعة اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقوسية فأما اليعقوبية والملكانية فقالوا فى عيسى انه الله وقالت النسطورية انه ابن الله وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة وقيل انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن عيسى وباقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه فتقديره عندهم الاله ثلاثة وقيل انهم يقولون فى عيسى ناسوتية والوهية فناسوتيته من قبل الام والوهيته من قبل الاب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا يقال ان الذى اظهر هذا للنصارى رجل من اليهود يقال له بواص تنصرودس هذا فى دين النصارى ليضلهم بذلك وستأتى قصته فى سورة التوبة ان شاء الله تعالى * وقيل يحتمل ان يكون المراد باهل الكتاب اليهود والنصارى جميعا فانهم غلوا فى امر عيسى عليه السلام فأما اليهود فانهم بالغوا فى التقصير فى امره حتى حطوه عن منزلته حيث جعلوه مولود الغير رشدة وغلت النصارى فى رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه الها فقال الله تعالى ردا عليهم جميعا يااهل الكتاب (لاتغلوا فى دينكم) واصل الغلو مجاوزة الحد وهو فى الدين حرام والمعنى لاتفرطوا فى امر عيسى ولاتحطوه عن منزلته ولاترفعوه فوق قدره ومنزلته (ولاتقولوا على الله الاالحق) يعنى لاتقولوا ان له شريكا وولدا وقيل معناه لاتصفوه بالحلول والاتحاد فى بدن الانسان ونزهوا الله تعالى عن ذلك ولما منعهم الله من الغلو فى دينهم ارشدهم الى طريق الحق فى امر عيسى عليه السلام فقال تعالى (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) يقول انما المسيح هو عيسى ابن مريم ليس له نسب غير هذا وانه رسول الله فمن زعم غير هذا فقد كفر واشرك (وكلمته) هى قوله تعالى كن فكان بشرا من غير اب ولاواسطة (القاها الى مريم) يعنى اوصلها الى مريم (وروح منه) يعنى انه كسائر الارواح التى خلقها الله تعالى وانما اضافه الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كما يقال بيت الله وناقة الله وهذه نعمة من الله يعنى انه تفضل بها وقيل الروح هو الذى نفخ فيه جبريل فى جيب درع مريم فحملت باذن الله وانما اضافه الى نفسه بقوله منه لانه وجد بأمر الله * قال بعض المفسرين ان الله تعالى لما خلق ارواح البشر جعلها فى صلب آدم عليه السلام وامسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما اراد الله ان يخلقه ارسل بروحه مع جبريل الى مريم فنفخ فى جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام * وقيل ان الروح والريح متقاربان فى كلام العرب فالروح عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام وقوله منه يعنى ان ذلك النفخ كان بأمره واذنه * وقيل ادخل التكرة فى قوله وروح على سبيل التعظيم والمعنى روح واى روح من الارواح القدسية العالية المطهرة وقوله منه اضافته تلك الروح الى نفسه لاجل التشريف والتكريم (ق) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبده ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق ادخله الله الجنة على ماكان له من العمل * وقوله تعالى (فآمنوا بالله ورسله)

الحرمان والخسران بظهور الهيئات القبيحة المؤذية الراسخة فيهم (يااهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) بان حصروا الالوهية فيه وقيدوا الاله بتعينه (قل فمن يملك من الله شيأ ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن فى الارض جميعا) بالافناء فى التوحيد والطمس فى غير الجمع كما قال كل شئ هالك الاوجهه (ولله ملك السموات) اى عالم الارواح (والارض) عالم الاجسام (ومابينهما يخلق مايشاء والله على كل شئ قدير) من الصور والاعراض كلها ظاهرة وباطنة واسمؤه وصفاته وافعاله (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم

يعني فصدقوا ياأهل الكتاب بوحدانية الله وانه لاولد له وصدقوا رسله فيما جاؤكم به من عندالله وصدقوا بان عيسى عليه السلام من رسل الله فآمنوا به ولاتجعلوه الها وقوله تعالى (ولاتقولوا ثلاثة) يعني ولا تقولوا الآلهة ثلاثة وذلك ان النصارى يقولون اب وابن وروح القدس وقيل انهم يقولون ان الله بالجوهر ثلاثة اقانيم وذلك انهم اثبتوا ذاتا موصوفة بصفات ثلاثة بدليل انهم يجوزون على تلك الذات الحلول في عيسى وفي مريم فاثبتوا ذواتا متعددة وهذا هو محض الكفر فلهذا قال الله تعالى ولا تقولوا ثلاثة (انتهوا خيرا لكم) يعني يكن الانتهاء عن هذا القول خيرا لكم من القول بالتثليث * ثم نزه الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى (انما الله آله واحد) ثم نزه نفسه عن الولد فقال (سبحانه ان يكون له ولد) يعني لا ينبغي ان يكون له ولد لان الولد جزء من الاب وتعالى الله عن التجزئة وعن صفات الحدوث (له ما في السموات وما في الارض) يعني انه تعالى له ملك السموات والارض ومافيهما عبيده وملكه وعيسى ومريم من جملة من فيهما فانهما عبيده وملكه فاذا كانا عبدين له فكيف يعقل مع هذا ان له ولدا وزوجة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا بيان لتنزيهه عما نسب اليه من الولد والمعنى ان جميع ما في السموات والارض خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزأ منه لان التجزئة انما تصح في الاجسام والله تعالى منزه عن صفات الاعراض والاجسام (وكفى بالله وكيلا) يعني انه تعالى كاف في تدبير جميع خلقه فلا حاجة له الى غيره وكل الخلق محتاجون اليه وفقراء اليه وهو غني عنهم * وقوله تعالى (لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله) وذلك ان وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبدالله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار على عيسى ان يكون عبدا لله فنزلت لن يستنكف المسيح يعني لن يأنف ولن يتعظم والاستنكاف الاستكبار مع الانفة يقال نكفت من كذا واستنكفت منه اي انفت منه واصله من نكفت الشيء نحيته ونكفت الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك والمعنى لن يقبض ولن يمتنع ولن يأنف المسيح ان يكون عبدالله (ولا الملائكة المقربون) يعني ولن يستنكف الملائكة المقربون وهم حملة العرش والكروبيون وافاضل الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ان يكونوا عبدالله لانهم في ملكه ومن جملة خلقه وقيل لما ادعت النصارى في عيسى انه ابن الله وذلك لما رأوا منه خوارق العادات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك من المعجزات اجاب الله تعالى عن هذه الشبهات التي وقعت للنصارى بان عيسى من شرف قدره وكرامته لن يستنكف ان يكون عبدالله وكذلك الملائكة المقربون فانهم مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا ان يكونوا عبيدالله * وقد يستدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر ووجه الدليل ان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الا من الادنى الى الاعلى ولا حجة لهم فيه * والجواب عندان الله تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قاله ردا على من يقول ان الملائكة بنات الله اوانهم آلهة كما رد على النصارى قولهم ان المسيح ابن الله وقاله ايضا ردا على النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملائكة يعني كان المسيح عبدا لله فكذلك الملائكة عبيدالله * وقوله تعالى (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) يعني ومن يتعظم عن عبادة الله ويأنف من التذلل لله والخضوع والطاعات من جميع خلقه (فسيحشرهم اليه جميعا) يعني نسيبعثهم يوم القيامة

بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض ومابينهما واليه المصير ياأهل الكتاب قدجاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير قدجاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمت الله عليكم اذجعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت احدا من العالمين ياقوم ادخلوا الارض المقدسة) اى حضرة القلب التي هي مقام تجلي الصفات فانه بالنسبة الى سماء الروح ارض (كتب الله لكم) عين لكم في القضاء السابق واودع في استعدادكم الوصول اليها والمقام بها (ولاترتدوا على ادباركم) في الميل الى مدينة البدن والاقبال عليه بتحصيل مآربه ولذاته وطلب موافقته وتزيين هيئاته فانه مقام خلف مقامكم وادنى واسفل من رتبتكم (فتنقلبوا خاسرين) باستبدال ظلمات البدن بانوار القلب وخبائثه بطيباته (قالوا ياموسى

(لم عدهم)

لموعدهم الذي وعدهم حيث لايملكون لانفسهم شيأ (فاماالذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم) يعني يوفيهم جزاءاعمالهم الصالحة (ويزيدهم من فضله) يعني ويزيدهم على مااعطاهم من الثواب على اعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك مالاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (واماالذين استنكفوا واستكبروا) يعني الذين انفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى (فيعذبهم عذابا اليما ولايجدون لهم من دون الله) يعني من سوى الله لانفسهم (وليا) يعني يجيرهم من عذابه (ولا نصيرا) يعني ولاناصرا ينصرهم منه ويدفع عنهم عقوبته* ان في الآية سؤال وهوان التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على ذكر فريقين وهو قوله فاماالذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم واماالذين استنكفوا واستكبروا والمفصل اشتمل على ذكر فريق واحد وهوقوله ومن يستنكف من عبادته ويستكبر* والجواب انه لااشكال فيه فهومثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به* وصحة ذلك لوجهين* احدهما انه حذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني* والوجه الثاني ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكأنه قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيعذبهم بالحسرة والغم اذارأوا اجور المطيعين العاملين لله تعالى * قوله عزوجل (ياايها الناس) خطاب للكافة (قدجاءكم برهان من ربكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وماجاء به من البينات من ربه عزوجل وانما سماه برهانا لمامعه من المعجزات الباهرة التي تشهد بصدقه ولان البرهان دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك ولانه تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عذرجميع الخلائق (وانزلنا اليكم نورا مبينا) يعني القرآن وانما سماه نورا لان به تتبين الاحكام كماتتبين الاشياء بالنور بعدالظلام ولانه سبب لوقوع نورالايمان في القلب فسماه نورا لهذا المعنى (فاماالذين آمنوا بالله) يعني صدقوا بوحدانية الله وبما ارسل من رسول وانزل من كتاب (واعتصموا به) يعني بالله في ان يثبتهم على الايمان ويصونهم من زيغ الشيطان وقيل في معنى واعتصموا به اي وتمسكوا بالنور وهو القرآن الذي انزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فسيدخلهم في رحمة منه) يعني فسيدخلهم في رحمته التي ينجيهم بها من اليم عذابه قال ابن عباس الرحمة الجنة (وفضل) يعني مايتفضل به عليهم بعد ادخالهم الجنة ممالاعين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ويهديهم اليه صراطا مستقيما) يعني ويوفقهم لاصابة فضله الذي تفضل به عليهم ويسددهم لسلوك منهج من انعم عليه من اهل طاعته ويرشدهم لدينه الذي ارتضاه لعباده وهو دين الاسلام * قوله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) نزلت في جابر بن عبدالله الانصاري (ق) عن جابر بن عبدالله قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر يعوداني ماشيين فاغمي علي فوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب علي من وضوئه فأفقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله كيف اصنع في مالي كيف اقضي في مالي فلم يرد علي شيأ حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وفي رواية فقلت يارسول الله انما يرثني كلالة فنزلت آية الميراث قال شعبة فقلت لمحمد بن المنكدر يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة قال هكذا نزلت وفي رواية للترمذي

ان فيها قوما جبارين) من سلطان الوهم وامراء الهوى والغضب والشهوة وسائر صفات النفس الفرعونية اخذوها عنوة وقهرا واستولوا عليها مستعلين يجبرون كلا على هواهم مالنا بهم يدان ولانقدر على مقاومتهم قالوا ذلك لاعتيادهم باللذات الطبيعية والشهوات الجسمانية وغلبة الهوى عليهم فلم يقدروا على الرياضة وقمع الهوى وكسر صفات النفس بالمجاهدة (وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون) اي يصرفهم الله عنها بلا رياضة منا ومجاهدة اوينصرفوا بالطبع مع اماتته اويضعفوا عن الاستيلاء كما في الشيخوخة مع امتناع دخولهم فيها حينئذ (قال رجلان من الذين يخافون) كانامن النقباء الاثني عشر وهم العقل النظري والعقل العملي يخافون سوء عاقبة ملازمة الجسم ووبال العقوبة بهيئاته المظلمة (انعم الله عليهما) بالهداية الى الطريق المستقيم والدين

وكان لى تسع اخوات حين نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ولابى داود قال اشتكيت وعندى سبع اخوات فدخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفخ فى وجهى فافقت فقلت يارسول الله الا اوصى لاخواتى بالثلثين قال احسن قلت بالشطر قال احسن ثم خرج وتركنى فقال ياجابر لااراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد انزل فبين الذى لاخواتك فجعل لهن الثلثين قال فكان جابر يقول انزلت هذه الآية فى يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة * وروى الطبرى عن قتادة ان الصحابة اهمهم شان الكلالة فسألوا عنها نبى الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية * وروى عن ابن سيرين قال نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة والنبى صلى الله عليه وسلم فى مسيرله والى جنبه حذيفة بن اليمان فبلغها النبى صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر سأل حذيفة عنها ورجا ان يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله انك لعاجز ان ظننت ان امارتك تحملنى ان احدثك فيها مالم احدثك يومئذ فقال عمر لم ارد هذا رحمك الله واما التفسير فقوله تعالى يستفتونك يعنى يسألونك ويستخبرونك عن معنى الكلالة يامحمد قل الله يفتيكم فى الكلالة يعنى ان الله هو يخبركم عما سألتم عنه من امر الكلالة وقد تقدم فى اوّل السورة الكلام على معنى الكلالة من حيث الاشتقاق وغيره وان اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى المورث فان وقع على الوارث فهم من سوى الوالد والولد وان وقع على المورث فهو من مات ولا يرثه احد الابوين ولا احد الاولاد * وقوله تعالى (ان امرؤ هلك) يعنى مات سمى الموت هلاكا لانه اعدام فى الحقيقة (ليس له ولد) يعنى ولا والد فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر ويدل على المحذوف ان السؤال فى الفتيا انما كان فى الكلالة وقد تقدم ان الكلالة من ليس له ولد ولا والد (وله اخت) يعنى ولذلك الهالك اخت واراد بالاخت من ابيه وامه او من ابيه (فهانصف ماترك) يعنى فللاخت الميت نصف تركته وهو فرضها اذا انفردت وباقى المال لبيت المال اذا لم يكن للميت عصبة وهذا مذهب زيد بن ثابت وبه قال الشافعى وعند ابى حنيفة واهل العراق يرد الباقى عليها فاذا كان للميت بنت اخذت النصف بالفرض وتأخذ الاخت النصف الباقى بالتعصيب لا بالفرض لان الاخوات مع البنات عصبة * وقوله تعالى (وهو يرثها ان لم يكن لها ولد) يعنى ان الاخت اذا ماتت وتركت اخا من الاب والام او من الاب فانه يستغرق جميع ميراث الاخت اذا انفرد ولم يكن للاخت ولد وهذا اصل فى جميع العصبات واستغراقهم جميع المال فاما الاخ من الام فانه صاحب فرض لا يستغرق جميع المال وقد تقدم بيانه (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) اراد بنتين فصاعدا وهو ان من مات وترك اختين او اخوات فلهن الثلثان مما ترك الميت (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين) يعنى وان كان المتروكون من الاخوة رجالا ونساء فللذكر منهم نصيب اثنتين من اخواته الاناث (يبين الله لكم ان تضلوا) يعنى يبين الله لكم هذه الفرائض والاحكام لئلا تضلوا وقيل معناه كراهية ان تضلوا وقيل يبين الله الضلالة لتجتنبوها (والله بكل شئ عليم) يعنى من مصالح عباده التى حكم بها من قسمة المواريث وبيان الاحكام وغير ذلك لان علمه محيط بكل شئ (ق) عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال ان آخر سورة نزلت تامة سورة التوبة وان آخر آية نزلت آية الكلالة وفى رواية لمسلم قال آخر آية نزلت يستفتونك وروى عن ابن عباس ان آخر آية نزلت آية الربا وآخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروى عنه ان آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وروى ان النبى صلى الله

القوم (ادخلوا عليهم الباب) باب قرية القلب وهو التوكل بتجلى الافعال كما انّ باب قرية الروح هو الرضا (فاذا دخلتموه) دخلتم مقام التوكل الذى هو باب القرية (فانكم غالبون) بخروجكم عن افعالكم وعن احوالكم وبكونكم فاعلين بالله واذا كان الحول والقوّة بالله يهرب شيطان الوهم والتخيل والهوى والغضب منكم فغلبتم عليهم ويدلّ على انّ الباب هو التوكل قوله (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) بالحقيقة اذ الايمان بالغيبة عن المؤمن به اقل درجات حضور تجلى الافعال (قالوا ياموسى) اى اصروا على ابائهم وامتناعهم عن الدخول (انا لن ندخلها ابدا ماداموا فيها فاذهب انت وربك) اى ان كنت نبيا فادفعهم عنا بقوّة نفسك واقمع الهوى وتلك القوى فينا بلا رياضة ومجاهدة منا وسل ربك يدفعها عنا كما يقول الشطار والوغود عند موعظتك اياهم وزجرك وتهديدك لهم ادفع بهمتك

عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة ونزلت بعدها سورة براءة وهي آخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها ستة اشهر هكذا ذكره البغوي وفيه نظر لانه قد ثبت في الصحيحين من حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه في الحجة التي امره عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر الالا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب فامره ان يؤذن ببراءة قال ابو هريرة فاذن معنا في اهل منى ببراءة الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكانت حجة ابي بكر هذه سنة تسع قبل حجة الوداع بسنة قال البغوي ثم نزلت في طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة فسميت آية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم فعاش بعدها احدا وثمانين يوما ثم نزلت آية الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وهذا آخر تفسير سورة النساء والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة المائدة)

نزلت بالمدينة الا قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقراها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته وقال يا ايها الناس ان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها * فان قلت لم خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور القرآن بقوله فأحلوا حلالها وحرموا حرامها وكل سور القرآن يجب ان يحل حلالها ويحرم حرامها * قلت هو كذلك وانما خص هذه السورة لزيادة الاعتناء بها فهو كقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم فأكد اجتناب الظلم في هذه الاربعة اشهر وان كان لا يجوز الظلم في شيء من جميع اشهر السنة وانما افرد هذه الاربعة الاشهر بالذكر لزيادة الاعتناء بها * وقيل انما خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان فيها ثمانية عشر حكما لم تنزل في غيرها من سور القرآن قال البغوي روى عن ميسرة قال ان الله تعالى انزل في هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها في غيرها وهي قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وتمام بيان الطهر في قوله اذا قمتم الى الصلاة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) يعني العهود قاله الجماعة * واختلفوا في المراد بهذه العقود التي امر الله تعالى بوفائها * فقال ابن جريج هذا خطاب لاهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة اوفوا بالعقود التي عهدتها اليكم في شأن محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به * وقيل هو خطاب للمؤمنين امرهم بالوفاء بالعقود قال ابن عباس هي عهود الايمان وما اخذه على عباده في القرآن فيما احل وحرم وقيل هي العقود التي كانت في الجاهلية كان يعاقد بعضهم بعضا على النصرة والمؤازرة على من حاول ظلمه او بغاه بسوء وذلك هو معنى الحلف الذي كانوا يتعاقدونه بينهم قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا

عنا هذه الشقاوة وانما استهزاء وعنادا وانما جدا واعتقادا (فقاتلا انا ههنا قاعدون) ملازمون مكاننا في مقام النفس معتكفون على هوى نفوسنا ولذات ابداننا كما قالوا حطا سمعنا (قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض) هي مدة بقائهم في مقام النفس اي بقوا في تيه الطبيعة يتحيرون اربعين سنة الى قرية القلب فان دخول مقام القلب مع استيلاء جبابرة صفات النفس عليه حرام ممتنع ولهذا قال بلغ اشده وبلغ اربعين سنة فانه وقت البلوغ الحقيقي وقيل في قصة التيه انهم كانوا يسيرون جادين طول النهار في ستة فراسخ فاذا امسوا كانوا على المقام الذي ارتحلوا عنه اي كان سيرهم

في الاسلام*وقيل بل هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم ومايعقده الانسان على نفسه* والعقود خمس عقد اليمين وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الشركة زاد بعضهم وعقد الحلف *قال الطبري واولى الاقوال عندنا بالصواب ماقاله ابن عباس ان معنـاه اوفوايا ايها المؤمنون بعقود الله التي اوجبها عليكم وعقدها فيما احل وحرم عليكم والزمكم فرضه وبين لكم حدوده وانما قلنا ان هذا القول اولى بالصواب لان الله تعالى اتبعه بالبيان عما احل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى (احلت لكم بهيمة الانعام)وهو خطاب للمؤمنين خاصة* والبهيمة اسم لكل ذي اربع من الحيوان لكن خص في التعارف بماعدا السباع والضواري من الوحوش وانما سميت بهيمة لانها ابهمت عن العقل والتميز قال الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة والانعام جمع ا لم وهي الابل والبقر والغنم ولا يدخل فيها ذوات الحافر في قول جميع اهل اللغة* واختلفوا في معنى الآية*فقال الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم والمعزو على هذا القول انما اضاف البهيمة الى الانعام على جهة التوكيد*وقال الكلبي بهيمة الانعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وعلى هذا انما اضاف البهيمة الى الانعام ليعرف جنس الانعام وما احل منها لانه لو افردها فقال البهيمة لدخل فيه مايحل ويحرم من البهائم فلهذا قال تعالى أحلت لكم بهيمة الانعام وقال ابن عباس هي الاجنة التي توجد ميتة في بطون امهاتها اذا ذبحت اونحرت ذهب اكثر العلماء الى تحليلها وهو مذهب الشافعي ويدل عليه ماروى عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الجنين ذكاته ذكاة امه اخرجه الترمذي وابن ماجه وفي رواية ابي داود قال قلنا يارسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة ونجد في بطنها الجنين انلقيه ام نأكله قال كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة امه وروى الطبري عن ابن عمر في قوله احلت لكم بهيمة انعام قال مافي بطنها قال عطية العوفي قلت ان خرج ميتاآكله قال نعم هو بمنزلة رئتها وكبدها وعن ابن عباس قال الجنين من بهيمة الانعام وعنه ان بقرة نحرت فوجد في بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنب الجنين وقال هذا من بهيمة الانعام وشرط بعضهم الاشعار وتمام الخلق قال ابن عمر ذكاة مافي بطنها اذا كانها اذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب*وقال ابو حنيفة لا يحل اكل الجنين اذا خرج ميتا بعد ذكاة الام*وقوله تعالى (الامايتلى عليكم) يعني في القرآن تحريمه واراد به قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الى آخر الآية فهذا من المتلو علينا وهو مااستثنى الله عزوجل من بهيمة الانعام (غير محلى الصيد وانتم حرم) يعني احلت لكم الانعام كلها والوحشية ايضا من الظباء والبقر والحمر غير محلى صيدها وانتم محرمون في حال الاحرام فلايجوز للمحرم ان يقتل صيدا في حال احرامه (ان الله يحكم مايريد) يعني ان الله يقضي في خلقه مايشاء من تحليل ماارادتحليله وتحريم ماارادتحريمه وفرض مايشاء ان يفرضه عليهم من احكامه وفرائضه مما فيه مصلحة لعباده* قوله تعالى(ياايها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله) نزلت في الحطم واسمه شريح بن هند بن ضبيعة البكري اتى المدينة وحده وخلف خيله خارج المدينة ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم الام تدعو الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فقال حسن الا ان لي امراء لااقطع امرا دونهم ولعلي اسلم وآتي بهم فخرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما خرج شريح قال النبي صلى الله

في تحصيل المناجح الجسمانية والمباغي البدنية المحصورة في الجهات الست ولم يخرجوا عن الجهات بالتجرد فكانوا على المقام الاول لعدم توجههم الى سمت القلب بطلب التجرد والتنزه عن الهيئات البدنية والصفات النفسانية وكان ينزل من السماء بالليل عمود من نار يسيرون وينتفعون بضوئه اي ينزل عليهم نور عقل المعاش من سماء الروح فيهتدون به الى مصالحهم وقيل من نار لانه عقل مشوب بالوهم ليس عقلا صرفا والالاهتدوا به الى طريق القلب واما الغمام والمن والسلوى فقدمر ذكرها وتأويلها وقيل كان على كل مولود ولد في التيه قيص بقدر قامته يزيد بزيادته يعنون به لباس البدن والله اعلم وان شئت ان تطبق القصة على حالك اولت موسى بالقلب وهرون بالروح

عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول

قد لفها بالليل سواق حطم * ليس براعى ابل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم * باتوا نياما وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم * خدلج الساقين ممسوح القدم

فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام القابل خرج شريح حاجا مع حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدى فقال المسلمون يارسول الله هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه قد قلد الهدى فقالوا يارسول الله هذا شئ كنا نفعله فى الجاهلية فابى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله ياايها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله * قال ابن عباس هى المناسك كان المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك * وقيل الشعائر الهدايا المشعرة واشعارها ان يطعن فى صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك علامة انها هدى وهو سنة فى الابل والبقر دون الغنم ويدل عليه ماروى عن عائشة قالت فتلت قلائد بدن النبي صلى الله علية وسلم ثم اشعرها وقلدها ثم بعثها الى البيت فاحرم عليه شئ كان له حلالا اخرجاه فى الصحيحين (م) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذى الحليفة ثم دعا بناقته فأشعرها فى صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين ثم ركب راحلته فلما استوت به على البيداء اهل بالحج * وعند ابى حنيفة لايجوز اشعار الهدى بل قال يكره ذلك وقال ابن عباس فى معنى الآية لاتحلوا شعائر الله هى ان تصيد وانت محرم وقيل شعائر الله شرائع الله ومعالم دينه والمعنى لاتحلوا شيأ من فرائضه التى افترض عليكم واجتنبوا نواهيه التى نهى عنها (ولا الشهر الحرام) اى ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذى كانت العرب تعظمه وتحرم القتال فى الجاهلية فيه فلما جاء الاسلام لم ينقض هذا الحكم بل اكده والمراد بالشهر الحرام هنا ذو القعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد باحلال الشهر الحرام النسئ قال مقاتل كان جنادة بن عوف يقوم فى سوق عكاظ فيقول انى قد احللت كذا وحرمت كذا يعنى به الاشهر فنهى الله عن ذلك وسيأتى تفسير النسئ فى سورة براءة (ولا الهدى ولا القلائد) الهدى مايهدى الى بيت الله من بعير او بقرة او شاة اوغير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالى والقلائد جمع قلادة وهى التى تشد فى عنق البعير وغيره والمعنى ولا الهدى ذوات القلائد قال الشاعر

حلفت برب مكة والمصلى * واعناق هدين مقلدات

فعلى هذا القول انما عطف القلائد على الهدى مبالغة فى التوصية بها لانها من اشرف البدن المهداة والمعنى ولاتستحلوا الهدى خصوصا المقلدات منها وقيل اراد اصحاب القلائد وذلك ان العرب فى الجاهلية كانوا اذا ارادوا الخروج من الحرم قلدوا انفسهم وابلهم من لحاء شجر الحرم فكانوا يأمنون بذلك فلايتعرض لهم احد فنهى الله المؤمنين عن ذلك الفعل ونهاهم عن استحلال نزع شئ من شجر الحرم (ولا آمين البيت الحرام) يعنى ولاتستحلوا القاصدين الى البيت الحرام وهو الكعبة شرفها الله وعظمها (يبتغون) يعنى يطلبون (فضلا من ربهم) يعنى الرزق والارباح

فانه كان اخاه الا كبر ولهذا قال هو افصح منى لسانا وبنى اسرائيل بالقوة الروحانية والارض المقدسة بالنفس المطمئنة ثم اجريت القصة بحالها الى آخرها (فلا تأس على القوم الفاسقين) اى لاتهتم بهدايتهم ولا تغتم على عقوبتهم فانهم فسقوا وخرجوا عن طريق القلب بهواهم وطغيانهم (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق) القلب للذين هما هابيل القلب وقابيل الوهم اذ كان لكل منهما توأمة اما توأمة العقل فالعاقلة العلمية المدبرة لامور المعاش والمعاد بالآراء الصلاحية المقتضية للاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة المستنبطة لانواع الصناعات والسياسات واما توامة الوهم فالقوة المتخيلة المتصرفة فى المحسوسات والمعانى الجزئية لتحصيل الآراء الشيطانية فأمر آدم القلب بتزويج الوهم توامة العقل التى

فى التجارة (ورضوانا) يعنى ويطلبون رضا الله عنهم بزعمهم لان الكافر لاحظ له فى الرضوان لكن يظن ان فعله ذلك طلب الرضوان فيجوز ان يوصف به بناء على ظنه وقيل ان المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وان كانوا لاينالونه فلايبعد ان يحصل لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الامن على انفسهم وقيل كان المشركون يلتمسون فى حجهم مايصلح لهم دنياهم ومعاشهم وقيل ابتغاء الفضل هو للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة وذلك انهم كانوا يحجون جميعا

(فصل) اختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة الى ههنا لان قوله تعالى لاتحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام يقتضى حرمة القتل فى الشهر الحرام وفى الحرم وذلك منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا آمين البيت الحرام يقتضى حرمة منع المشركين عن البيت الحرام وذلك منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلايجوز ان يحج مشرك ولايأمن بالهدى والقلائد كافر وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة واكثر المفسرين قال الشعبى لم ينسخ من سورة المائدة الا هذه الآية وقيل المنسوخ منها قوله ولاآمين البيت الحرام نسختها آية براءة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فلايقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال ابن عباس كان المؤمنون والمشركون يحجون البيت جميعا فنهى الله المؤمنين ان يمنعوا احدا ان يحج البيت اويتعرضوا له من مؤمن اوكافر ثم انزل الله بعد هذا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال آخرون لم ينسخ من ذلك شئ سوى القلائد التى كانت فى الجاهلية يتقلدونها من لحاء شجر الحرم قال الواحدى وذهب جماعة الى انه لامنسوخ فى هذه السورة وان هذه الآية محكمة قالوا ماندبنا الى ان نخيف من يقصد بيته من اهل شريعتنا فى الشهر الحرام ولا فى غيره وفصل الشهر الحرام عن غيره بالذكر تعظيما وتفضيلا وحرم علينا اخذ الهدى من المهدين وصرفه عن بلوغ محله وحرم علينا القلائد التى كانوا يفعلونها فى الجاهلية وهذا غير مقبول والظاهر ما عليه جمهور العلماء من نسخ هذه الآية لاجماع العلماء على ان الله عز وجل قد احل قتال اهل الشرك فى الاشهر الحرم وغيرها وكذلك اجمعوا على ان المشرك لوقلد عنقه وذراعيه جميع لحاء الشجر لم يكن ذلك له امانا من القتل اذا لم يكن قد تقدم له عقد ذمة اوامان وكذلك اجمعوا على منع من قصد البيت بحج اوعمرة من المشركين لقوله تعالى انما المشركون نجس فلايقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والله اعلم

❊وقوله تعالى (واذا حللتم) يعنى من احرامكم (فاصطادوا)هذا امر اباحة لان الله حرم الصيد على المحرم حالة احرامه بقوله تعالى غير محلى الصيد وانتم حرم واباحه له اذا حل من احرامه بقوله واذا حللتم فاصطادوا وانما قلنا انه امر اباحة لانه ليس واجبا على المحرم اذا حل من احرامه ان يصطاد ومثله قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض معناه انه قد ابيح لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة (ولايجرمنكم) قال ابن عباس لايحملنكم وقيل معناه لايكسبنكم ولايدعونكم (شنآن قوم) يعنى بغض قوم وعداوتهم (ان صدوكم) يعنى لان صدوكم (عن المسجد الحرام)والمعنى لايحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لان صدوكم عن المسجد الحرام لان هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية فكان الصد قد تقدم (ان تعتدوا) عليهم يعنى بالقتل واخذ المال (وتعاونوا على البر والتقوى)

هى العاقلة العلية لتتسلط عليه بالقياسات العلية البرهانية وتدربه بالرياضات الاذعانية والسياسات الروحانية وتسخره للعقل فيطيع اب القلب ويحسن اليه ويبره بانواع الرجاء الصادقة ويعينه فى الاعمال الصالحة ويمتنع من عقوقه بالتسويلات والتزيينات الشيطانية الفاسدة واغراء النفس عليها بالهيئات الفاسقة والافعال السيئة وتزويج العقل توأمة الوهم ليجعلها صالحة ويمنعها عن شهوات التخيلات الفاسدة وتهيج احاديث النفس الكاذبة فيستريح ابوها منها ويستعملها فى المعقولات والمحسوسات والمعانى الكلية والجزئية فتصير مفكرة عاملة فى تحصيل العلوم فينتفع ابوها فحسد قابيل الوهم هابيل العقل

يعني ليعن بعضكم بعضا على مايكسب البر والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) يعني ولا يعن بعضكم بعضا على الاثم وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل الاثم المعاصي والعدوان البدعة (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ماحاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس (واتقوا الله) اي واحذروا الله ان تعتدوا ما امركم به او تجاوزوا الى مانهاكم عنه (ان الله شديد العقاب) يعني لمن خالف امره ففيه وعيد وتهديد عظيم ❊ قوله عز وجل (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) بين الله تعالى في اول السورة ما احل لنا من بهيمة الانعام بقوله احلت لكم بهيمة الانعام ثم انه تعالى استثنى من ذلك بقوله الا مايتلى عليكم فذكر ذلك المستثنى بقوله حرمت عليكم الميتة فكل ما فارقته الروح مما ذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة ان الدم لطيف جدا فاذا مات الحيوان حتف انفه احتبس ذلك الدم وبقي في العروق فيفسد ويحصل منه ضرر عظيم والدم هو المسفوح الجاري وكانت العرب في الجاهلية تجعل الدم في المصارين وتشويه وتأكله فحرم الله ذلك كله ولحم الخنزير اراد به جميع اجزائه واعضائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود بالاكل وقد تقدم في سورة البقرة احكام هذه الثلاثة الاشياء وما استثنى الشارع من الميتة والدم وهو السمك والجراد والكبد والطحال وذكرنا الدليل على اباحة ذلك واختلاف العلماء في ذلك ❊ قوله تعالى (وما اهل لغير الله به) يعني ماذكر على ذبحه غير اسم الله وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يذكرون اسماء اصنامهم عند الذبح فحرم الله ذلك بهذه الآية وبقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (والمنخنقة) قال ابن عباس كان اهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها فحرم الله ذلك والمنخنقة من جنس الميتة لانها لما ماتت لم يسل دمها والفرق بينهما ان الميتة تموت بلا سبب احد والمنخنقة تموت بسبب الخنق (والموقوذة) يعني المقتولة بالخشب وكانت العرب في الجاهلية يضربون الشاة بالعصا حتى تموت ويأكلونها فحرم الله ذلك (والمتردية) يعني التي تتردى من مكان عال فتموت او في بئر فتموت ❊ والتردي هو السقوط من سطح او من جبل ونحوه وهذه المتردية تلحق بالميتة فيحرم اكلها ❊ ويدخل في هذا الحكم اذا رمى بسهمه صيدا فتردى ذلك الصيد من جبل او من مكان عال فمات فانه يحرم اكله لانه لا يعلم هل مات بالتردي او بالسهم (والنطيحة) يعني التي تنطحها شاة اخرى حتى تموت وكانت العرب في الجاهلية تأكل ذلك فحرمها الله تعالى لانها في حكم الميتة ❊ فاما الهاء في هذه الكلمات التي تقدمت اعني المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فانما دخلت عليها لانها صفات لموصوف مؤنث وهو الشاة كانه قال حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية وخصت الشاة لانها من اعم مايأكله الناس والكلام انما يخرج على الاعم الاغلب ثم يلحق به غيره ❊ فان قلت لم اثبت الهاء في النطيحة مع انها في الاصل منطوحة فعدلوا بها الى النطيحة وفي مثل هذا الوضع تكون الهاء محذوفة تقول كف خضيب وعين كحيل يعني كف مخضوبة وعين مكحولة ❊ قلت انما تحذف الهاء من الفعيلة اذا كانت صفة لموصوف يتقدمها فاذا لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة وضعتها موضع الموصوف تقول رأيت قبيلة بني فلان بالهاء لانك ان لم تدخل الهاء لم يعرف ارجل هو ام امرأة فعلى هذا انما دخلت الهاء في النطيحة لانها صفة لموصوف

لكون توأمته اجل عنده واحب لنا سبتها اياه فامر ابوهما القلب بان يقرب كل واحد منهما قربانا اي نسكا يتقرب به الى الله باقاضة النتيجة وافناء صورة القياس وقبول الصورة المعقولة الكلية المطابقة لما في نفس الامر التي هي نسيكته التي يتقرب بها الى الله منه وعدم قبول قربان الوهم الذي هو صورة المغالطة او الصورة الموهومة الجزئية امتناع اتصال العقل به باقاضة النتيجة اذ لا نتيجة لها وامتناع قبول الصورة الوهمية اذ لا تطابق ما في نفس الامر فزاد حسده عليه (اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك) اي لما زاد قرب العقل من الله وبعده عن

غير مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت قد تأتي فعيله بالهاء وهي في تأويل مفعول بها تخرج مخرج الاسماء ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة والذبيحة والفريسة واكيلة السبع ومررت بقبيلة بني فلان * وقوله تعالى (وما اكل السبع) قال قتادة كان اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيأ فقتله او اكل منه اكلوا مابقي منه فحرمه الله تعالى والسبع اسم يقع على كل حيوان له ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترس بنابه كالاسد والذئب والنمر والفهد ونحوه وفي الآية محذوف تقديره وما اكل السبع منه لان ما اكله السبع فقد فقد فلا حكم له انما الحكم للباقي منه (الا ما ذكيتم) يعني الا ما ادركتموه وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الاشياء المذكورة والظاهر ان هذا الاستثناء يرجع الى جميع المحرمات المذكورة في الآية من قوله تعالى والمنخنقة الى وما اكل السبع وهذا قول علي ابن ابي طالب وابن عباس والحسن وقتادة قال ابن عباس يقول الله تعالى ما ادركتم من هذا كله وفيه روح فاذبحوه فهو حلال وقال الكلبي هذا الاستثناء مما اكل السبع خاصة والقول هو الاول * واما كيفية ادراكها . فقال اكثر اهل العلم من المفسرين ان ادركت ذكاته بان توجد له عين تطرف او ذنب يتحرك فاكله جائز . قال ابن عباس اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها او تحركت فاذبح فهو حلال . وذهب بعض اهل العلم الى ان السبع اذا جرح فأخرج الحشوة او قطع الجوف قطعا تيأس معه الحياة فلا ذكاة لان ذلك وان كان به حركة ورمق الا انه قد صار الى حالة لا يؤثر في حياته الذبح وهو مذهب مالك واختاره الزجاج وابن الانباري لان معنى التذكية ان يلحقها وفيها بقية تشخب معها الاوداج وتضطرب اضطراب المذبوح لوجود الحياة فيه قبل ذلك والا فهو كالميتة واصل الذكاة في اللغة تمام الشيء فالمراد من التذكية تمام قطع الاوداج وانهار الدم ويدل عليه ماروى عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك اما السن فعظم واما الظفر فمدى الحبشة اخرجاه في الصحيحين * واقل الذبح في الحيوان المقدور عليه قطع المرئ والحلقوم واكمله قطع الودجين مع ذلك والحلقوم بعد الفم وهو موضع النفس والمرئ مجرى الطعام والودجان عرقان يقطعان عند الذبح واما آلة الذبح فكل ما انهر الدم وفرى الاوداج من حديد وغيره الا السن والظفر لما تقدم من نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك * وقوله تعالى (وما ذبح على النصب) يعني وحرم ماذبح على النصب والنصب يحتمل ان يكون جمعا واحده نصاب وان يكون واحدا وجمعه انصاب وهو الشيء المنصوب قيل كان حول الكعبة ثلثمائة وستون حجرا منصوبة كان اهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هذه الحجارة باصنام انما الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس هي الاصنام المنصوبة والمعنى وماذبح على اسم النصب اولاجل النصب فهو حرام (وان تستقسموا بالازلام) يعني وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهو طلب القسم والحكم من الازلام وهي القداح وكانت ازلامهم سبع قداح مستوية مكتوب على واحد منها امرني ربي وعلى واحد نهاني وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل اي ليس عليه شيء وكانت العرب في الجاهلية اذا ارادوا سفرا او تجارة او نكاحا او اختلفوا في نسب او امر قتيل او تحمل عقل او غير ذلك من الامور العظام جاؤا الى هبل وكانت اعظم صنم لقريش بمكة وجاؤا بمائة درهم واعطوها صاحب القداح حتى

(يجيلها)

رتبة الوهم في مدركاته وتصرفاته كان الوهم احرص على ابطال عمله ومنعه عن فعله كما ترى في التشكيكات الوهمية ومعارضاته العقل في تحصيل المطالب النظرية العميقة الغور وقتله عبارة عن منعه عن فعله وقطع مدد الروح ونور الهداية الذي به حياة العقل عنه (قال انما يتقبل الله من المتقين) الذين يتخذون الله وقاية في صدور الخيرات منهم او يحذرون اثام الهيئات المظلمة البدنية والاكاذيب الباطلة والاضاليل المغوية والاهواء المردية والتسويلات المهلكة (لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك) لاني لا ابطل اعمالك التي هي شديدة

يجيلها لهم فان خرج امرنى ربى فعلوا ذلك الامر وان خرج نهانى ربى لم يفعلوه وان اجالوا على نسب فان خرج منكم كان وسطا فيهم وان خرج من غيركم كان حلفا فيهم وان خرج ملصق كان على حاله وان اختلفوا فى العقل وهو الدية فمن خرج عليه قدح العقل تحمله وان خرج الغفل أجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب عليه فنهاهم الله عن ذلك وحرمه وسماه فسقا * وقيل الازلام كعاب فارس والروم التى كانوا يتقامرون بها * وقيل كانت الازلام للعرب والكعاب للعجم وهى النرد وكلها حرام لا يجوز اللعب بشئ منها * عن قطن بن قبيصة عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط * وقيل العيافة زجر الطير والطرق الضرب بالحصى والجبت كل ما عبد من دون الله عز وجل * وقيل الجبت الكاهن وروى البغوى بسند الثعلبى عن ابى الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن اواستقسم بالازلام اوتطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى يوم القيامة * وقوله تعالى (ذلكم فسق) يعنى ما ذكر من هذه المحرمات فى هذه الآية لان المعنى حرم عليكم تناول كذا وكذا فانه فسق والفسق ما يخرج من الحلال الى الحرام وقيل ان الاشارة عائدة على الاستقسام بالازلام والاول اصح (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) يعنى يئسوا ان ترجعوا عن دينكم الى دينهم كفارا وذلك ان الكفار كانوا يطمعون فى ان يعود المسلمون الى دينهم فلما قوى الاسلام ايسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة الوداع فعند ذلك يئس الكفار من بطلان دين الاسلام وقيل ان ذلك هو يوم عرفة فنزلت هذه الآية والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقيل لم يرد يوما بعينه وانما المعنى الآن يئس الذين كفروا من دينكم فهو كما تقول اليوم قد كبرت تريد الآن قد كبرت وتقول فلان كان يزورنا وهو اليوم يجفونا ولم تردبوما بعينه يعنى وهو الآن يجفونا ولم تقصد به اليوم قال الشاعر فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

اراد فزمان علينا وزمان لنا ولم يقصد ليوم واحد معين (فلا تخشوهم) فلا تخافوا الكفار ايها المؤمنون الذين آمنوا ان يظهروا على دينكم فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم (واخشون) اى وخافوا مخالفة امرى واخلصوا الخشية لى * قوله عز وجل (اليوم اكملت لكم) نزلت هذه الآية فى يوم الجمعة بعد العصر فى يوم عرفة والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق وبركت لثقل الوحى وذلك فى حجة الوداع سنة عشر من الهجرة (ق) عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال يا امير المؤمنين آية فى كتابكم تقرؤنها لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال فأى آية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فقال عمر انى لاعلم اليوم الذى نزلت فيه والمكان الذى نزلت فيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات فى يوم الجمعة اشار عمر الى ان ذلك اليوم يوم عيد لنا وعن ابن عباس انه قرأ اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا وعنده يهودى فقال لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذناها عيدا فقال ابن عباس فانها نزلت فى يوم عيدين فى يوم جمعة ويوم عرفة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال ابن عباس كان فى ذلك اليوم خمسة اعياد يوم جمعة ويوم عرفة وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المجوس ولم تجتمع

فى مواضعها من المحسوسات ولا اقطع عنك حياتك التى هى مدد النفس والهوى ولا امنعك عن فعلك الخاص بك اذ العقل يعلم ان المصالح الجزئية واحكام المحسوسات والمعانى الجزئية المعلقة بها وترتيب اسباب المعاش كلها لا تحصل ولا تتيسر الا بالوهم ولولا الرجاء وحصول الامانى والآمال الصادرة عن الوهم لم يتيسر لاحد ما يعش به (انى اخاف الله رب العالمين) لانى اعرفه وقال انما يخشى الله من عباده العلماء واعلم بانه انما خلقك لشأن واوجدك لحكمة فلا اتعرض له فى ذلك (انى اريد ان تبوء باثمى واثمك) باثم قتلى واثم قتلك من الآراء الباطلة

اعياد لاهل الملل فى يوم واحد قبله ولا بعده وروى انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكانى انا كنا فى زيادة من ديننا فاما اذ كمل فانه لم يكمل شئ الا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها احدا وثمانين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول وقيل لاثنتى عشرة ليلة وهو الاصح سنة احدى عشرة من الهجرة واما تفسير الآية فقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم يعنى بالفرائض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام ولم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شئ من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس * وقال سعيد بن جبير وقتادة معنى اكملت لكم دينكم اى حيث لم يحج معكم مشرك وخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين * وقيل معناه انى اظهرت دينكم على الاديان وامنتكم من عدوكم بان كفيتكم ما كنتم تخافونه * وقيل اكمال الدين لهذه الامة انه لا يزول ولا ينسخ وان شريعتهم باقية الى يوم القيامة * وقيل اكمال الدين لهذه الامة انهم آمنوا بكل نبي وكل كتاب ولم يكن هذا لغير هذه الامة وقال ابن الانبارى اليوم اكملت شرائع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت وذلك ان الله تعالى كان يتعبد خلقه بالشئ فى وقت ثم يزيد عليه فى وقت آخر فيكون الوقت الاول تاما فى وقته وكذلك الوقت الثانى تاما فى وقته فهو كما يقول القائل عندى عشرة كاملة ومعلوم ان العشرين اكمل منها والشرائع التى تعبد الله عز وجل بها عباده فى الاوقات المختلفة مختلفة وكل شريعة منها كاملة فى وقت التعبد بها فكمل الله عز وجل الشرائع فى اليوم الذى ذكره وهو يوم عرفة ولم يوجب ذلك ان الدين كان ناقصا فى وقت من الاوقات ونقل الامام فخر الدين الرازى عن القفال واختاره ان الدين ما كان ناقصا البتة بل كان ابدا كاملا كانت الشرائع النازلة من عند الله كافية فى ذلك الوقت الا انه تعالى كان عالما فى اول وقت البعثة بان ما هو كامل فى هذا اليوم ليس بكامل فى الغد ولا بصالح فيه لا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد العدم واما فى آخر زمان البعثة فانزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيامة فالشرع ابدا كان كاملا الا ان الاول كمال الى يوم مخصوص والثانى كمال الى يوم القيامة فلاجل هذا المعنى قال اليوم اكملت لكم دينكم ثم قال تعالى (واتممت عليكم نعمتى) يعنى باكمال الدين والشريعة لانه لا نعمة اتم من الاسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه انه تعالى انجز لهم ما وعدهم فى قوله ولاتم نعمتى عليكم فكان من تمام النعمة ان دخلوا مكة آمنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم احد من المشركين (ورضيت لكم الاسلام دينا) يعنى واخترت لكم الاسلام دينا من بين الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاسلام لامرى والانقياد لطاعتى فيما شرعت لكم من الفرائض والاحكام والحدود ومعالم الدين الذى اكملته لكم وانما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا يوم نزلت هذه الآية وان كان الله تعالى لم يزل راضيا بدين الاسلام فيما مضى قبل نزول هذه الآية لانه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين من حال الى حال وينقلهم من مرتبة الى مرتبة اعلى منها حتى اكمل لهم شرائع الدين ومعالمه وبلغ بهم اقصى درجاته ومراتبه ثم انزل عليهم هذه الآية ورضيت لكم الاسلام دينا يعنى بالصفة التى هو اليوم بها وهى نهاية الكمال وانتم الآن عليه فالزموه ولا تفارقوه وروى البغوى بسنده عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسى

والتصوّرات الفاسدة التى لم يتقبل قربانك لاجلها (فتكون من اصحاب النار) نار الجبة والحرمان (وذلك جزاء الظالمين) الواضعين الاشياء فى غير موضعها كوضعك الاحكام الحسية فى المعقولات (فطوّعت) فسهلت وسوّلت (له نفسه قتل اخيه فقتله) بمنعه عن افاضة الخاصة وحجبه عن نور الهداية (فاصبح من الخاسرين) لتضرره باستيلائه على العقل واستبدال ضلالته وخطائه بهداية العقل وصوابه فانّ الوهم اذا انقطع عن معاضدة العقل حمل النفس بانواع التسويلات والتزيينات على اقدام امور يتضرّر به النفس والبدن جميعا

ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه وروى الطبري عن قتادة قال ذكر لنا انه يمثل لكل اهل دين دينهم يوم القيامة فاما الايمان فيبشر اصحابه واهله ويعدهم في الخير حتى يجيء الاسلام فيقول يارب انت السلام وانا الاسلام فيقول اياك اليوم اقبل وبك اليوم اجزى * وقوله تعالى (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم) هذه الآية من تمام ما تقدم ذكره في المطاعم التي حرمها الله تعالى ومتصلة بها والمعنى ان المحرمات وان كانت محرمة الا انها قد تحل في حالة الاضطرار اليها ومن قوله تعالى ذلكم فسق الى هنا اعتراض وقع بين الكلامين والغرض منه تأكيد ما تقدم ذكره من معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام الذي هو المرضى عند الله ومعنى الآية فمن اضطر اى اجهد واصيب بالضر الذي لا يمكنه معه الامتناع من اكل الميتة وهو قوله تعالى في مخمصة يعني في مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء عند الجوع غير متجانف لاثم يعني غير مائل الى اثم او منحرف اليه والمعنى فمن اضطر الى اكل الميتة او الى غيرها في المجاعة فليأكل غير متجانف لاثم وهو ان يأكل فوق الشبع وهو قول فقهاء العراق وقيل معناه غير متعرض لمعصية في مقصد وهو قول فقهاء الحجاز (فان الله غفور رحيم) يعني لمن اكل من الميتة في حال الجوع والاضطرار * قوله عز وجل (يسئلونك ماذا احل لهم) روى الطبري بسنده عن ابي رافع قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذن عليه فاذن له فلم يدخل فقال قد اذنا لك يارسول الله قال اجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب قال ابو رافع فامرني ان اقتل كل كلب بالمدينة ففعلت حتى انتهيت الى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فامرني بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله ما يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وروى عن عكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا رافع في قتل الكلاب فقتل حتى بلغ العوالي فدخل عاصم وسعد بن ابي خيثمة وعويمر بن ساعدة على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا احل لنا فنزلت يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين قال ابن الجوزي واخرج حديث ابي رافع الحاكم في صحيحه قال البغوي فلما نزلت هذه الآية اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيه منها (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه من امسك كلبا فانه ينقص كل يوم من عمله قيراط الا كلب حرث او ماشية ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا ارض فانه ينقص من اجره قيراطان كل يوم وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يارسول الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فماذا يحل لنا فنزلت هذه الآية قال البغوي وهذا القول اصح في سبب نزولها واما التفسير فقوله تعالى يسئلونك يعني يسألك اصحابك يا محمد ما الذي احل لهم اكله من المطاعم والمآكل كانهم لما تلا عليهم من خبائث المآكل ما تلا سألوا عما احل لهم (قل احل لكم الطيبات) يعني قل لهم يا محمد احل لكم الطيبات يعني ما ذبح على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات كل ما تستطيبه العرب وتستلذه من غير ان ورد بتحريمه نص

كالاسرافات المذمومة من باب اللذات البهيمية والسبعية مثل شدة الحرص في طلب المال والجاه والافراط فيضعف الوهم ايضا او يبطل (فبعث الله غرابا) غراب الحرص (يبحث في الارض) ارض النفس (ليريه كيف يوارى سوأة اخيه) اى الوهم اذ انقطع العقل عن نور الهداية وحجبها عن السير في العالم العلوي لتحصيل الكمال وطلب سعادة المآل تحير في امره فانبعث الحرص فهداه في تيه الضلالة واراه كيف يوارى ويدفن عورته اى جثته المقتولة التي حملها الوهم على ظهره حتى انتنت فصار عقل المعاش في تراب الارض وهو صورة العقل المقطع عن حياة الروح المشوب بالوهم والهوى المحجوب عن عالمه في ظلمات ارض النفس المدفون فيها

من كتاب اوسنة * واعلم ان العبرة فى الاستطابة والاستلذاذ بأهل المروءة والاخلاق الجميلة من
العرب فان اهل البادية منهم يستطيبون اكل جميع الحيوانات فلا عبرة بهم لقوله تعالى ويحل لهم
الطيبات ويحرم عليهم الخبائث فان الخبيث غير مستطاب فصارت هذه الآية الكريمة نصا فيما
يحل ويحرم من الاطعمة * وقوله تعالى (وما علمتم من الجوارح مكلبين) يعنى واحل صيد
ما علمتم من الجوارح فحذف ذكر الصيد وهو مراد فى الكلام لدلالة الباقى عليه ولانهم سألوا
عن الصيد وقيل ان قوله وما علمتم من الجوارح ابتداء كلام خبره فكلوا مما امسكن عليكم وعلى
هذا القول يصح معنى الكلام من غير اضمار * والجوارح جمع جارحة وهى الكواسب من
السباع والطير كالفهد والنمر والكلب والبازى والصقر والعقاب والشاهين والباشق من الطير مما
يقبل التعليم سميت جوارح من الجرح لانها تجرح الصيد عند امساكه وقيل سميت جوارح لانها
تكسب والجوارح الكواسب من جرح واجترح اذا اكتسب ومنه قوله تعالى والذين
اجترحوا السيئات يعنى اكتسبوا وقوله ويعلم ما جرحتم بالنهار أى اكتسبتم * مكلبين يعنى معلمين
والمكلب هو الذى يغرى الكلاب على الصيد وقيل هو مؤدب الجوارح ومعلمها وانما اشتق له
هذا الاسم من الكلب لانه اكثر احتياجا الى التعليم من غيره من الجوارح (تعلمونهن) يعنى
تعلمون الجوارح الاصطياد (مما علمكم الله) يعنى من العلم الذى علمكم الله ففى الآية دليل على انه
لا يجوز صيد جارحة ما لم تكن معلمة وصفة التعليم هو ان الرجل يعلم جارحة الصيد وذلك
بان يوجد فيها امور منها انه اذا اشليت على الصيد استشلت واذا زجرت انزجرت واذا اخذت
الصيد امسكت ولم تأكل منه شيأ ومنها ان لا ينفر منه اذا اراده وان يجيبه اذا دعاه فهذا هو تعليم
جميع الجوارح فاذا وجد ذلك منها مرارا كانت معلمة واقلها ثلاث مرات فانه يحل قتلها اذا جرحت
بارسال صاحبها (ق) عن عدى بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انا قوم نصيد
بهذه الكلاب فقال اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل مما امسك عليك الا ان يأكل
الكلب فلا تأكل فانى اخاف ان يكون انما امسك على نفسه وان خالط كلابا لم يذكر اسم الله عليها
فامسكن وقتلن فلا تأكل فانما سميت على كلبك ولم تسم على غيره وفى رواية فانك لا تدرى ايها قتل
وسألته عن صيد المعراض فقال اذا اصبت بحده فكل واذا اصبت بعرضه فقتل فانه وقيذ فلا
تأكل واذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم او يومين ليس به الا اثر سهمك فكل فان وقع فى الماء
فلا تأكل واختلف العلماء فيما اذا اخذت الكلاب الصيد واكلت منه شيأ فذهب اكثر اهل العلم
الى تحريمه ويروى ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء وطاوس والشعبى وبه قال الثورى وابن
المبارك واصحاب الرأى وهو اصح قولى الشافعى ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وان اكل
فلا تأكل فانما امسك على نفسه ورخص بعضهم فى اكله روى ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسى
وسعد بن ابى وقاص وبه قال مالك لما روى عن ابى ثعلبة الخشنى قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى صيد الكلب اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وان اكل منه اخرجه ابو داود
اما غير المعلم من الجوارح اذا اخذت صيدا او المعلم اذا خرج بغير ارسال صاحبه فاخذ وقتل فانه
لا يحل الا ان يدركه حيا فيذبحه فصل (ق) عن ابى ثعلبة الخشنى قال قلت يا رسول الله انا بارض
قوم اهل كتاب افنأكل فى آنيتهم وبارض صيد اصيد بقوسى وبكلبى الذى ليس بمعلم وبكلبى المعلم فما يصلح لى

تأكله ديدان القوى
الطبيعة باستعمالها فى تحصيل
لذاتها ومطالبها (قال يا ويلتى
اعجزت ان اكون مثل
هذا الغراب) الذى دفن
فرخه اى داعيته اوكاله
فى ارض النفس بافناء
ما يحصل له وكتمانه فيها
(فاوارى سوأة اخى)
باخفائها فى ظلمة النفس
فانقمع بها (فاصبح من النادمين)
عند الخسران وحصول
الحرمان (من اجل ذلك
كتبنا على بنى اسرائيل
انه من قتل نفسا بغير نفس
او فساد فى الارض فكأنما
قتل الناس جميعا ومن احياها
فكأنما احيى الناس جميعا)
لان كل شخص يشتمل على
ما اشتمل عليه جميع افراد
النوع وقيام النوع بالواحد
كقيامه بالجمع فى الخارج
والاعتبار بالعدد فان النوع
لا يزيد بحسب الحقيقة
بتعدد الافراد ولا ينقص

قال اما ماذكرت من آنية اهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وان لم تجدوا غيرها فاغسلوها وكلوا فيها وماصدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل وماصدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل وماصدت بكلبك غير المعلم فادركت ذكاته فكل * وقوله تعالى (فكلوا مما امسكن عليكم) دخلت من في قوله مما للتبعيض لانه انما احل اكل بعض الصيد وهو اللحم دون الفرث والدم وقيل من زائدة فهو كقوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر (واذكروا اسم الله عليه) قال ابن عباس يعني اذا ارسلت جارحك فقل بسم الله وان نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعدي اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فكل فعلى هذا يكون الضمير في عليه عائدا الى ماعلمتم من الجوارح اي سموا الله عليه عند ارساله وقيل الضمير عائد الى ماامسكن عليكم والمعنى سموا الله عليه اذا ادركتم ذكاته وقيل يحتمل ان يكون الضمير عائدا الى الاكل يعني واذكروا اسم الله عليه عند الاكل فعلى هذا تكون التسمية شرطا عند ارسال الجوارح وعند الذبيحة وعند الاكل وسيأتي بيان هذه المسئلة في سورة الانعام عند قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (واتقوا الله) يعني واحذروا مخالفة الله يعني فيما احل لكم وحرم عليكم (ان الله سريع الحساب) يعني اذا حاسب عباده يوم القيامة ففيه تخويف لمن خالف امره وفعل مانهاه عنه * قوله عز وجل (اليوم احل لكم الطيبات) انما كررا حلال الطيبات للتأكيد كأنه قال اليوم احل لكم الطيبات التي سألتم عنها ويحتمل ان يراد باليوم اليوم الذي انزلت فيه هذه الآية او اليوم الذي تقدم ذكره في قوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم اليوم اكملت لكم دينكم ويكون الغرض من ذكر هذا الحكم انه تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فبين انه كما اكمل الدين واتم النعمة فكذلك اتم النعمة باحلال الطيبات وقيل ليس المراد باليوم يوما معينا وقد تقدم الكلام في ذلك اليوم وفي معنى الطيبات في الآية المتقدمة * وقوله تعالى (وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم) يعني وذبائح اهل الكتاب حل لكم وهم اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر الامم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فاما من دخل في دينهم بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهم متنصر والعرب من بني تغلب فلا تحل ذبيحته روى عن علي بن ابي طالب قال لا تأكل من ذبائح نصارى العرب بني تغلب فانهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية الا بشرب الخمر وبه قال ابن مسعود ومذهب الشافعي ان من دخل في دين اهل الكتاب بعد نزول القرآن فانه لا تحل ذبيحته سئل ابن عباس عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس به ثم قرأ ومن يتولهم منكم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطاء بن ابي رباح والشعبي وعكرمة وقتادة والزهري والحكم وحماد وهو مذهب ابي حنيفة ومالك واحدى الروايتين عن احمد والرواية الاخرى مثل مذهب الشافعي واجمعوا على تحريم ذبائح المجوس وسائر اهل الشرك من مشركي العرب وعبدة الاصنام ومن لا كتاب له واجمعوا على ان المراد بطعام الذين اوتوا الكتاب ذبائحهم خاصة لان ماسوى الذبائح فهي محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد ان صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فائدة ولان ماقبل هذه الآية في بيان حكم الصيد والذبائح فحمل هذه الآية عليه اولى ولان سائر الطعام لا يختلف من تولاه من كتابي او غيره وانما تختلف الذكاة فلما خص اهل الكتاب بالذكر دل على ان المراد بطعامهم ذبائحهم واختلف العلماء فيما لو ذبح يهودي

بانحصاره في شخص (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) بالتزكية (وابتغوا اليه الوسيلة) بالتحلية وجاهدوا في سبيله) بمحو الصفات والفناء بالذات (لعلكم تفلحون من ظهور) بقايا الصفات والذات (ان الذين كفروا لو ان لهم مافي الارض جميعا) اي مافي الجهة السفلية لانها اسباب زيادة الحجاب والبعد ولا يجمع ثمة الا في

اونصرانى على غير اسم الله فقال ابن عمر لايحل ذلك وهو قول ربيعة وذهب اكثر اهل العلم الى انه
يحل سئل الشعبي وعطاء عن النصرانى يذبح باسم المسيح فقال يحل فان الله قد احل ذبائحهم
وهو يعلم مايقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودى او النصرانى وذكر غير اسم الله وانت تسمع
فلا تأكل واذا غاب عنك فكل فقد احله الله لك وقد زعم قوم ان هذه الآية اقتضت اباحة ذبائح
اهل الكتاب مطلقا وان ذكروا غير اسم الله فيكون هذا ناسخا لقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه وليس الامر كذلك ولا نسخ لان الاصل انهم يذكرون الله عند الذبح فيحمل امرهم
على هذا فان تيقنا انهم ذبحوا على غير اسم الله لم نأكل ولا وجه للنسخ * وقوله تعالى (وطعامكم
حل لهم) يعنى ان ذبائحنا لهم حلال وهذا يدل على انهم مخاطبون بشريعتنا وقال الزجاج معناه
ويحل لكم ان تطعموهم من طعامكم فجعل الخطاب للمؤمنين على معنى ان التحليل يعود الى اطعامنا
اياهم لا اليهم لانه لا يمتنع ان يحرم الله تعالى ان نطعمهم من ذبائحنا وقيل ان الفائدة فى ذكر ذلك
ان اباحة المناكحة غير حاصلة من الجانبين واباحة الذبائح كانت حاصلة من الجانبين لاجرم
ذكر الله تعالى ذلك تنبيها على التمييز بين النوعين * ثم قال تعالى (والمحصنات من المؤمنات)
قال مجاهد هن الحرائر فعلى هذا القول لاتدخل الامة المؤمنة فى هذا التحليل ومن اجاز نكاحهن
اجازه بشرطين خوف العنت وعدم طول الحرة وقال ابن عباس المحصنات العفائف فعلى هذا القول
لايحل نكاح الزانية لانها لم تدخل فى هذا التحليل واباح العلماء نكاحها اذا تابت وحسنت توبتها روى
طارق بن شهاب ان رجلا اراد ان يزوج اخته فقالت انى اخشى ان افضحك انى قد بغيت فاتى عمر فذكر
ذلك له منها فقال اليس قد تابت قال بلى قال فزوجها وقيل انما خص المحصنات بالذكر وهن الحرائر او
العفائف ليحث المؤمنين على تخير النساء ليكون الولد كريم الاصل من الطرفين * وقوله تعالى
(والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى واحل لكم المحصنات من اهل الكتاب
اليهود والنصارى قال ابن عباس يعنى الحرائر من اهل الكتاب وقال الحسن والشعبي والنخعى
والضحاك يريد العفائف من اهل الكتاب فعلى قول ابن عباس لايجوز التزوج بالامة الكتابية
وهو مذهب الشافعى قال لانه اجتمع فى حقها نوعان من النقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن
ومن وافقه يجوز التزويج بالامة الكتابية وهو مذهب ابى حنيفة لعموم هذه الآية * واختلف العلماء
فى حكم هذه المسئلة * فذهب جمهور الفقهاء الى جواز التزويج بالذميات من اليهود والنصارى
روى ان عثمان بن عفان تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهى نصرانية وان طلحة بن عبيد الله
تزوج يهودية وروى عن ابن عمر كراهية ذلك ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
وكان يقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى واجاب الجمهور عن قوله ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن بانه عام خص بهذه الآية فاباح الله تعالى المحصنات من اهل الكتاب وحرم من سواهن
من اهل الشرك وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزويج بالذميات والحربيات من اهل
الكتاب لعموم قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واجاب جمهور العلماء
بان ذلك مخصوص بالذميات دون الحربيات من اهل الكتاب قال ابن عباس من نساء اهل الكتاب
من تحل لنا ومنهن من لاتحل لنا وقرأ قاتلوا الذين لايؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن
يد وهم صاغرون والمراد بهم اهل الذمة دون اهل الحرب من اهل الكتاب * وقوله تعالى

الجهة العلوية من المعارف
والحقائق النورية (ومثله
معه ليفتدوا به من عذاب
يوم القيامة ماتقبل منهم ولهم
عذاب اليم يريدون ان
يخرجوا من النار وماهم
بخارجين منها ولهم عذاب
مقيم والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما جزاء بما
كسبا نكالا من الله والله
عزيز حكيم فمن تاب من
بعد ظلمه واصلح فان الله
يتوب عليه ان الله غفور
رحيم الم تعلم ان الله له ملك
السموات والارض يعذب
من يشاء ويغفر لمن يشاء والله
على كل شئ قدير يا ايها
الرسول لايحزنك الذين
يسارعون فى الكفر من الذين
قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن
قلوبهم ومن الذين هادوا
سماعون للكذب سماعون
لقوم آخرين لم يأتوك
يحرفون الكلم من بعد
مواضعه يقولون ان اوتيتم

(اذا آتيتموهن اجورهن) يعني مهورهن وهو العوض الذي يبذله الزوج للمرأة (محصنين
غير مسافحين) يعني متعففين بالتزوج غير زانين (ولا متخذي اخدان) يعني ولا منفردين ببغي
واحدة قد خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وحده حرم الله الجماع على جهة السفاح
وهو الزنا واتخاذ الصديق وهو الخدن واحله على جهة الاحصان وهو التزويج بعقد صحيح (ومن
يكفر بالايمان) يعني ومن يجحد ما امر الله به من توحيده ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به
من عند الله (فقد حبط عمله) يعني فقد بطل ثواب عمله الذي كان عمله في الدنيا وخاب وخسر
في الدنيا والآخرة وقيل في معنى الآية ومن يكفر بشرائع الايمان وتكاليفه فقد خاب وخسر
قال قتادة ذكر لنا ان ناسا من المسلمين قالوا كيف نتزوج نساءهم يعني نساء اهل الكتاب وهم
على غير ديننا فانزل الله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين
وقيل لما اباح الله تعالى نكاح الكتابيات قلن فيما بينهن لولا ان الله قد رضي اعمالنا لم يبح للمؤمنين
تزويجنا فانزل الله هذه الآية والمعنى ان تزويج المسلمين اياهن ليس بالذي يخرجهن من الكفر
وقيل ان اهل الكتاب وان حصلت لهم في الدنيا فضيلة باباحة ذبائحهم ونكاح نسائهم الا ان
ذلك غير حاصل لهم في الآخرة لان كل من كفر بالله وجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط
عمله وهو في الآخرة من الخاسرين وقيل ان من احل ما حرم الله او حرم ما احل الله او جحد بشيء
مما انزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم (وهو في الآخرة من الخاسرين) اذا مات على ذلك
وهذا الشرط لا بد منه لانه اذا تاب وآمن قبل الموت قبلت توبته وصح ايمانه * قوله عز وجل
(يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة) يعني اذا اردتم القيام الى الصلاة ومثله قوله تعالى فاذا
قرأت القرآن فاستعذ بالله اي اذا اردت قراءة القرآن فاستعذ بالله ومثله من الكلام اذا اتجرت
فاتجر في البر اي اذا اردت التجارة وهذا القول يقتضي وجوب الوضوء عند كل صلاة وهو
ظاهر الآية ومذهب داود الظاهري وذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم الى انه يجزئ
عدة صلوات بوضوء واحد واجيب عن ظاهر الآية بان المعنى اذا قمتم الى الصلاة وانتم على غير
طهر فحذف ذلك لدلالة المعنى عليه وهذا احد اختصارات القرآن وهو كثير جدا ولان النبي
صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق بين اربع صلوات بوضوء واحد وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضأ اخرجاه في الصحيحين
وقيل في معنى الآية اذا قمتم الى الصلاة من النوم وقيل هو امر ندب ندب من قام الى الصلاة
ان يجدد لها الطهارة وان كان على طهر ويدل عليه ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات اخرجه الترمذي وقيل هذا اعلام من الله الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا وضوء عليه الا اذا قام الى الصلاة دون غيرها من الاعمال ويدل
عليه ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما من الخلاء فقدم اليه طعام
فقالوا الا نأتيك بوضوء فقال انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة اخرجه مسلم والقول الاول هو
المختار في معنى الآية * وفروض الوضوء المذكورة في هذه الآية اربعة * الاول غسل الوجه وهو
قوله تعالى (فاغسلوا وجوهكم) واستدل الشافعي على وجوب النية عند غسل الوجه بهذه الآية
ووجهه ان الوضوء مأمور به وكل مأمور به يجب ان يكون منويا ولما روي في الصحيحين من حديث

هذا فخذوه وان لم تؤتوه
فاحذروا ومن يرد الله
فتنته فلن تملك له من الله
شيأ اولئك الذين لم يرد الله
ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا
خزي ولهم في الآخرة
عذاب عظيم سماعون
للكذب اكالون للسحت
فان جاؤك فاحكم بينهم
او اعرض عنهم وان تعرض
عنهم فلن يضروك شيأ
وان حكمت فاحكم بينهم
بالقسط ان الله يحب المقسطين
وكيف يحكمونك وعندهم
التوراة فيها حكم الله ثم
يتولون من بعد ذلك وما
اولئك بالمؤمنين انا انزلنا
التوراة فيها هدى ونور
يحكم بها النبيون الذين اسلموا
للذين هادوا والربانيون
والاحبار بما استحفظوا من
كتاب الله وكانوا عليه شهداء
فلا تخشوا الناس واخشون
ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا
ومن لم يحكم بما انزل الله

عمر بن الخطاب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى والوضوء من الاعمال فيجب ان يكون منويا وانما قلنا ان الوضوء مأمور به وانه من اعمال الدين لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص عبارة عن النية الخالصة ومتى كانت النية الخالصة معتبرة كان اصل النية في جميع الاعمال التي يتقرب بها الى الله تعالى معتبرا واستدل ابو حنيفة لعدم وجوب النية في الوضوء بهذه الآية قال ان النية ليست شرطا لصحة الوضوء لان الله تعالى اوجب غسل الاعضاء الاربعة في هذه الآية ولم يوجب النية فيها فايجاب النية زيادة على النص والزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن بخبر الواحد وبالقياس غير جائز واجيب عنه بأنا انما اوجبنا النية في الوضوء بدلالة القرآن وهو قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين واما حد الوجه فمن منابت شعر الراس الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا لانه مأخوذ من المواجهة فيجب غسل جميع الوجه في الوضوء ويجب ايصال الماء الى ماتحت الحاجبين واهداب العينين والعذارين والشارب والعنفقة وان كانت كثة واما اللحية فان كان كثة لاترى البشرة من تحتها لايجب غسل ماتحتها ويجب غسل ماتحت اللحية الخفيفة وهل يجب امرار الماء على ظاهر مانزل من اللحية عن الذقن فيه قولان احدهما وبه قال ابو حنيفة لايجب لان الشعر النازل عن حد الراس لايكون حكمه حكم الراس في المسح فكذلك حكم الشعر النازل عن حد الوجه لايجب غسله والقول الثاني يجب امرار الماء على ظاهره لان الوجه مأخوذ من المواجهة فتدخل جميع اللحية في حكم الوجه ۞ الفرض الثاني قوله تعالى (وايديكم الى المرافق) يعني واغسلوا ايديكم الى المرافق والمرفق بالكسر هو من الانسان اعلى الذراع واسفل العضد وذهب جمهور العلماء الى وجوب ادخال المرفقين في الغسل ونقل عن مالك والشعبي وزفر وابي بكر بن داود الظاهري انه لايجب ادخال المرفقين في الغسل واختاره ابن جرير الطبري ونقل عن مالك وقد سئل عن قول الله عز وجل فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق فقال الذي آمر به ان يبلغ المرفقين في الغسل لايجاوزهما وحجة اصحاب هذا القول ان كلمة الى لانتهاء الغاية ومايجعل غاية للحكم يكون خارجا عنه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل ولان الحد لايدخل في المحدود فوجب ان لايجب غسل المرفقين في الوضوء وحجة الجمهور ان كلمة الى هنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم اي مع اموالكم ويعضده من السنة ماصح من حديث ابي هريرة انه توضأ فغسل وجهه فاسبغ الوضوء ثم غسل اليمنى حتى اشرع في العضد ثم يده اليسرى حتى اشرع في العضد ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ والجواب عن الحجة المتقدمة ان الحد اذا كان من جنس المحدود دخل فيه كما في هذه الآية لان المرفق من جنس اليد واذا لم يكن من جنس المحدود لم يدخل فيه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل لان النهار من غير جنس الليل فلا يدخل فيه ۞ الفرض الثالث قوله تعالى (وامسحوا برؤسكم) اختلف العلماء في القدر الذي يجب مسحه من الرأس فقال مالك يجب مسح جميعه وهو احدى الروايتين عن احمد والرواية الاخرى عنه انه يجب مسح اكثره وقال ابو حنيفة يجب مسح ربعه وفي رواية اخرى عنه يجب مسح قدر ثلاثة اصابع منه وقال الشافعي الواجب مسح ماينطلق عليه اسم المسح والمراد الصاق المسح بالرأس وماسح

فاولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون وانزلنا اليك الكتاب) علم الفرقان الذي هو ظهور تفاصيل كالك (بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب) اي علم القرآن وهو العلم الاجمالي الثابت في استعدادك وحافظا عليه

بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق لمسح بالرأس فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب
واخذ الشافعى باليقين فأوجب مسح مايقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة ببيان السنة وهو
ماروى عن المغيرة بن شعبة ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بناصيته وعلى العمامة والخفين
متفق عليه وقدر الناصية بربع الرأس * الفرض الرابع قوله تعالى (وارجلكم الى الكعبين)
اختلف العلماء فى هذا الحكم وهل فرض الرجلين المسح او الغسل فروى عن ابن عباس انه قال
الوضوء غسلتان ومسحتان وروى ذلك عن قتادة ايضا وروى عن انس انه قال نزل القرآن بالمسح
والسنة بالغسل وعن عكرمة قال ليس فى الرجلين غسل انما نزل فيهما المسح وعن الشعبى انه قال
انما هو المسح على الرجلين الا ترى ان ما كان عليه الغسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح اهمل
ومذهب الامامية من الشيعة ان الواجب فى الرجلين المسح وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين
فمن بعدهم والائمة الاربعة واصحابهم ان فرض الرجلين هو الغسل وقال داود الظاهرى يجب
الجمع بينهما وقال الحسن البصرى ومحمد بن جرير الطبرى المكلف مخير بين الغسل والمسح وسبب
هذا الاختلاف اختلاف القراء فى هذا الحرف فقرأ نافع وابن عامر والكسائى وحفص عن عاصم
وارجلكم بفتح اللام عطفا على الغسل فيكون من المؤخر الذى معناه التقديم ويكون المعنى
فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وارجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم وقال اصحاب
هذه القراءة انما امر الله عباده بغسل الارجل دون مسحها ويدل عليه ايضا فعل النبى صلى الله
عليه وسلم واصحابه والتابعين فمن بعدهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم وارجلكم
بكسر اللام عطفا على المسح اما قراءة النصب فالمعنى فيها ظاهر لانه عطف على المغسول لوجوب غسل
الرجلين على مذهب الجمهور ولا يقدح فيه قول من خالف واما قراءة الكسر فقد اختلفوا فى معناها
والجواب عنها فقال ابو حاتم وابن الانبارى وابو على الكسر عطف على الممسوح غير ان المراد بالمسح
فى الارجل الغسل وقال ابو زيد المسح خفيف الغسل لقول العرب تمسحت للصلاة بمعنى توضأت
لهاو هات ما تمسح به للصلاة يعنى اتوضأ قال ابو حاتم وذلك ان المتوضئ لا يرضى بصب الماء
على اعضائه حتى يمسحها مع الغسل فسمى الغسل مسحا بهذا الاعتبار فعلى هذا الرأس والرجل
ممسوحان الا ان مسح الرأس اخف والذى يدل على ان المراد بالمسح فى الرجل الغسل ذكر
التحديد وهو قوله تعالى الى الكعبين لان التحديد انما جاء فى المغسول ولم يجئ فى الممسوح فلما وقع
التحديد مع المسح علم انه فى حكم الغسل وقال جماعة من العلماء ان الارجل معطوفة على الرؤس
فى الظاهر والمراد فيها الغسل لانه قد ينسق بالشئ على غيره والحكم فيهما مختلف كما قال الشاعر

يا ليت بعلك قد غدا * متقلدا سيفا ورمحا

والمعنى وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلد به وكذلك قول الآخر * علفتها تبنا وماء باردا * يعنى
وسقيتها ماء باردا وكذلك المعنى فى الآية وامسحوا برؤسكم واغسلوا ارجلكم فلما لم يذكر الغسل
وعطفت الارجل على الرؤس فى الظاهر اكتفى بقيام الدليل على ان الارجل مغسولة من مفهوم
الآية والاحاديث الصحيحة الواردة بغسل الرجلين فى الوضوء واما من جعل كسر اللام فى الارجل
على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم جحر ضب خرب وقال الخرب نعت للجحر
لا للضب وانما اخذ اعراب الضب للمجاورة فليس بجيد لان الكسر على المجاورة انما يحمل

بالاظهار اولما بين يديه
العلوم النازلة على الانبياء
السابقين زمانا فان الغالب
على موسى عند الرجوع
الى البقاء بعد الفناء بالوجود
الموهوب قوة النفس وسلطا
نها ولهذا ابطش باخيه كما قال
تعالى واخذ برأس اخيه
يجره اليه وقال عند طلب
التجلى ارنى انظر اليك فكان
اكثر التوراة علم الاحكام
الذى يتعلق باحوال النفس
وتهذيبها ودعوته الى الظاهر
والغالب على عيسى قوة
القلب ونوره ولهذا تجرد
من ملابس الدنيا وامر
بالزهد وقال لبعض اصحابه
اذا لطمت فى خدك فادر
الخد الآخر لمن لطمك وكان
اكثر الانجيل علم تجليات
الصفات والاخلاق والمواعظ
والنصائح التى تتعلق
باحوال القلب وتصفية
وتنوره ودعوته الى
الباطن والغالب على محمد

لاجل الضرورة فى الشعر اويصار اليه حيث يحصل الامن من الالتباس لان الحرب لايكون نعتا للضب بل للجحر ولان الكسر بالجوار انما يكون بدون حرف العطف اما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب وقوله تعالى الى الكعبين فيه دليل قاطع على وجوب غسل الكعبين كما فى وجوب غسل الرجلين كما فى قوله تعالى وايديكم الى المرافق والمعنى واغسلوا ارجلكم مع الكعبين وقد تقدم اختلاف العلماء فى ذلك عند قوله الى المرافق * والكعبان هما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم هذا قول جمهور العلماء من اهل الفقه واللغة وشذت الشيعة ومن قال بمسح الرجلين فقال الكعب عبارة عن عظم مستدير على ظهر القدم * ويدل على بطلان هذا القول ان الكعب لو كان على ماذكروه لكان فى كل رجل كعب واحد فكان ينبغى ان يقال وارجلكم الى الكعاب كما فى قوله تعالى وايديكم الى المرافق فلما قال الى الكعبين علم ان لكل رجل كعبين فبطل ماقالوه وثبت قول الجمهور

* (فصل) * قد تقدم ان الفروض المذكورة فى هذه الآية اربعة وهى غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين وقد تقدم استدلال الشافعى بهذه الآية على وجوب النية فى الوضوء فصارت فرضا خامسا وذهب الشافعى ومالك واحمد الى وجوب الترتيب فى الوضوء وهو ان يغسل الاعضاء فى الوضوء على الولاء كما ذكره الله فى هذه الآية فيغسل اولا وجهه ثم يديه ثم يمسح رأسه ثم يغسل رجليه فصار الترتيب فرضا سادسا * وذهب ابوحنيفة الى ان الترتيب فى الوضوء غير واجب * احتج الشافعى على وجوب الترتيب بهذه الآية وذلك ان الله تعالى امر بغسل الوجه ثم بغسل اليدين ثم بمسح الرأس ثم بغسل الرجلين فوجب ان يقع الفعل مرتبا كما امر الله تعالى وا لقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث حجة الوداع ابدأ بما بدأ الله به وهذا الحديث وان ورد فى قصة السعى بين الصفا والمروة فان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب ولان افعال النبى صلى الله عليه وسلم فى الوضوء ماوردت الا مرتبة كما ورد فى نص الآية ولم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة انه توضأ منكسا او غير مرتب فثبت ان ترتيب افعال الوضوء كما امر الله تعالى ونص عليه فى هذه الآية واجب * واحتج ابوحنيفة لمذهبه بهذه الآية ايضا وذلك ان الواو لاتوجب الترتيب فاذا قلنا بوجوب الترتيب صار ذلك زيادة على النص وذلك غير جائز واجيب عنه بانه لم ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم انه توضأ الا مرتبا كما ذكر وبيان الكتاب انما يؤخذ من السنة

* (فصل فى ذكر الاحاديث التى وردت فى صفة الوضوء وفضله) * (ق) عن حمران مولى عثمان بن عفان ان عثمان دعا باناء فافرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم ادخل يمينه فى الاناء فمضمض واستنشق واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى المرفقين ثلاثا ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئى هذا ثم قال من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لايحدث فيهما نفسه غفر له ماتقدم من ذنبه (ق) عن عبدالله بن زيد بن عاصم الانصارى قيل له توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فأفرغ منه على يديه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحد فعل ذلك ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل يديه الى

عليه الصلاة والسلام سلطان الروح ونوره فكان جامع المكارم الاخلاق متمما لها عادلا فى الاحكام متوسطا فيها وكان القرآن شاملا لما فى الكتابين من العلوم والاحكام والمعارف مصدقا له حافظا عليه مع زيادات فى التوحيد والمحبة ودعوته الى التوحيد (فاحكم بينهم بما انزل الله) من العدل الذى هو ظل المحبة التى هى ظل الوحدة التى انكشفت عليك (ولا تتبع اهواءهم) فى تغليب احد الجانبين اما الظاهر واما الباطن (عما جاءك من الحق) من التوحيد والمحبة والعدل فان التوحيد يقتضى المحبة والمحبة العدل ويقع ظله من سماء الروح على القلب بالمحبة وعلى النفس بالعدالة (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) موردا كورد النفس ومورد القلب

المرفقين مرتين مرتين ثم ادخل يده فاستخرجها فمسح برأسه فاقبل بيديه وادبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد فى رواية بعد قوله فاقبل بيديه وادبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذى بدأ منه عن عبد خير قال اتانا على كرم الله وجهه وقد صلى فدعا بطهور فقلنا مايصنع بالطهور وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فأتى باناء فيه ماء وطست فأفرغ من الاناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثلاثا فمضمض ونثر من كف يأخذ منه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل الشمال ثلاثا ثم جعل يده فى الاناء فمسح رأسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمين ثلاثا ورجله الشمال ثلاثا ثم قال من سره ان يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا اخرجه ابو داود * عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف الطهور فدعا بماء فى اناء فغسل كفيه ثلاثا ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل ذراعيه ثلاثا ثم مسح برأسه فأدخل اصبعيه السباحتين فى اذنيه ومسح بابهاميه على ظاهر اذنيه ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا الوضوء فمن زاد على هذا او نقص فقد ساء وظلم او قال ظلم واساء اخرجه ابوداود وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح برأسه واذنيه ظاهرهما وباطنهما اخرجه الترمذى وصححه (ق) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم راى رجلا لم يغسل عقبه فقال ويل للاعقاب من النار (م) عن جابر قال اخبرنى عمر بن الخطاب ان رجلا توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فابصره النبى صلى الله عليه وسلم فقال ارجع واحسن وضوءك قال فرجع فتوضأ ثم صلى اخرجه مسلم * عن خالد عن بعض اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم راى رجلا يصلى وفى قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فامره النبى صلى الله عليه وسلم ان يعيد الوضوء والصلاة اخرجه ابوداود (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفرة سافرناها فادركنا وقد ارهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على ارجلنا فنادانا أعلى صوته ويل للاعقاب من النار مرتين او ثلاثا * عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ مرة مرة اخرجه البخارى عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين مرتين اخرجه ابوداود والترمذى وقال وقد روى عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا (م) عن عقبة بن عامر قال كانت علينا رعاية الابل فجاءت نوبتى فروحتها بعشى فادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يحدث الناس فأدركت من قوله مامن مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما اجود هذا فاذا قائل بين يدى يقول التى قبلها اجود فنظرت فاذا عمر قال انى قد رايتك جئت آنفا قال مامنكم من احد يتوضأ فيبلغ او فيسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا توضأ العبد المسلم او المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء او مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء او مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء او مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب (ق) عن نعيم بن عبد الله المجمر عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان امتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع

ومورد الروح وطريقها كعلم الاحكام والمعاملات التى تتعلق بالقلب وسلوك طريق الباطن الموصل الى جنة الصفات وعلم التوحيد والمشاهدة الذى يتعلق بالروح وسلوك طريق الفناء الذى يوصل الى جنة الذات (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) موحدين على الفطرة الاولى متفقين على دين واحد (ولكن ليبلوكم فيما آتاكم) ليظهر عليكم ما آتاكم بحسب استعداداتكم على قدر قبول كل واحد منكم فتنوع الكمالات (فاستبقوا الخيرات) اى الامور الموصلة الى كمالكم الذى قدر لكم بحسب استعدادكم المقربة اياكم اليه باخراجه الى الفعل (الى الله مرجعكم جميعا) فى عين جمع الوجود على حسب المراتب لا عين جمع الذات (فينبئكم بما

منكم ان يطيل غرته فليفعل وفى رواية قال رايت اباهريرة يتوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده
اليمنى حتى اشرع فى العضد ثم غسل يده اليسرى حتى اشرع فى العضد ثم مسح راسه ثم غسل
رجله اليمنى حتى اشرع فى الساق ثم غسل رجله اليسرى حتى اشرع فى الساق ثم قال هكذا رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم الغر المحجلون يوم
القيامة من اسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله وفى رواية لمسلم قال سمعت
خليلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء * عن ابن
عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات اخرجه
الترمذى * عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصلاة لمن لاوضوء له ولاوضوء
لمن لم يذكر اسم الله عليه اخرجه ابوداود وابن ماجه * وقوله تعالى (وان كنتم جنبا فاطهروا) اى
اغتسلوا امر الله بالاغتسال من الجنابة وذلك يجب على الرجل والمرأة باحد شيئين اما بخروج المنى على
اى صفة كان من احتلام او غيره او بالتقاء الختانين وان لم يكن معه انزال فاذا حصل وجب الغسل (ق)
عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم يفرغ بيمينه على
شماله فيغسل فرجه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ثم يدخل اصابعه فى الماء يخلل بهما اصول شعره ثم يصب
على راسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على سائر جسده واما قوله تعالى (وان كنتم مرضى او على
سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم منه) فقد تقدم تفسيره واحكامه فى تفسير سورة النساء وفى قوله تعالى منه دليل على انه
يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب * وقوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج)
يعنى من ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم عند عدم الماء (ولكن يريد ليطهركم) يعنى
من الاحداث والذنوب والخطايا لان الوضوء تكفير للذنوب (وليتم نعمته عليكم) يعنى ببيان الشرائع
والاحكام وما تحتاجون اليه من امر دينكم (لعلكم تشكرون) يعنى تشكرون نعمة الله عليكم بان
طهركم من الاحداث والذنوب وما جعل عليكم فى الدين من حرج * قوله تعالى (واذكروا نعمة الله
عليكم) يعنى ما انعم به عليكم من النعم كلها لان كثرة النعم وذكرها يوجب مزيد الشكر من المنعم عليه
والاشتغال بطاعة المنعم بها والانقياد لامره وهو الله تعالى (وميثاقه الذى واثقكم به) يعنى واذكروا
عهده الذى عاهدكم به ايها المؤمنون (اذ قلتم سمعنا واطعنا) وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم على السمع والطاعة فيما احبوا او كرهوا وقيل الميثاق هو الذى اخذه عليهم فى يوم الست
بربكم قالوا بلى (واتقوا الله) يعنى فيما اخذه عليكم من الميثاق فلا تنقضوه (ان الله عليم بذات الصدور)
يعنى ان الله تعالى عالم بما فى قلوب عباده من خير وشر * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا كونوا
قوامين لله) قال ابن عباس يريد انهم يقومون لله بحقه ومعنى ذلك هو ان يقوم لله بالحق فى كل ما يلزمه
القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه (شهداء بالقسط) يعنى وتشهدون بالعدل يقول لا تحاب
فى شهادتك اهل ودك وقرابتك ولا تمنع شهادتك اهل بغضك واعدائك اقم شهادتك لهم وعليهم
بالصدق والعدل (ولا يجرمنكم شنآن قوم) ولا يحملنكم بغض قوم (على الا تعدلوا) على ترك
العدل فيهم لعداوتهم (اعدلوا) امر الله بالعدل فى كل احد القريب والبعيد والصديق والعدو (هو
اقرب للتقوى) اى العدل اقرب للتقوى (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) يعنى ان الله تعالى
خبير بجميع اعمالكم مطلع عليها وخبير بمن عدل ومن لم يعدل * (وعد الله الذين آمنوا وعملوا

كنتم فيه تختلفون) اى
يظهر عليكم ما اختلفتم فيه
بحسب اختلاف استعداداتكم
من طلب احدى الجنان
الثلاث والوصول اليها
والحرمان بموانعها التى
احتجبتم بها عما فى استعداداتكم
من الكمال (وان احكم
بينهم بما انزل الله ولا تتبع
اهواءهم واحذرهم ان
يفتنوك عن بعض ما انزل الله
اليك فان تولوا فاعلم انما
يريد الله ان يصيبهم ببعض
ذنوبهم وان كثيرا
من الناس لفاسقون)
ذنوب اليهود حجب الافعال
وذنوب النصارى حجب
الصفات ففسق اليهود
هو الخروج عن حكم
تجليات الافعال الالهية
برؤية النفس افعالها وفسق
النصارى خروجهم عن
حكم تجليات الصفات الحقانية
برؤية النفس صفاتها
واحتجابها بها كان فسق

الصالحات) يعني عملوا بما واثقهم الله به واوفوا بالعهود التي عاهدهم عليها (لهم مغفرة واجر عظيم) هذا بيان للوعد كانه لما تقدم ذكر الوعد فقيل اى شئ هذا الوعد فقال لهم مغفرة واجر عظيم واذا وعدهم انجز لهم الوعد فانه تعالى لا يخلف الميعاد (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) يعني والذين جحدوا وحدانية الله ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بما جاءت به الرسل من عنده (اولئك) يعني من هذه صفته (اصحاب الجحيم) هذه الآية نص قاطع في ان الخلود في النار ليس الا للكفار لان المصاحبة تقتضي الملازمة كما يقال فلان صاحب فلان يعني الملازم له * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم) يعني اذكروا انعمة الله عليكم بالدفع عنكم مع سائر نعمه التي انعم بها عليكم ثم وصف تلك النعمة التي ذكرهم بها وامرهم بالشكر عليها فقال تعالى (اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم) يعني بالقتل والبطش بكم فصرفهم عنكم وحال بينكم وبين ما ارادوه بكم * اختلف اهل التفسير في سبب نزول هذه الآية وفي صفة هذه النعمة التي امر الله تعالى اصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم بذكرها والشكر عليها فقال قتادة نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة حين اراد بنو ثعلبة وبنو محارب ان يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه اذا اشتغلوا بالصلاة فاطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل صلاة الخوف وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصرا غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم ان اقتل محمدا قالوا وكيف تقتله قال افتك به قالوا ودد نا انك فعلت ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم متقلد سيفه فقال يا محمد ارني سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر اليه مرة والى النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال من يمنعك مني يا محمد قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغمد السيف ومضى فانزل الله هذه الآية وقال مجاهد وعكرمة والكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمر الساعدي وهو احد النقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بئر معونة وهي من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر واصحابه الا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم احدهم عمرو بن امية الضمري لم يرعهم الا الطير تحوم في السماء يسقط من بين مناقيرها علق الدم فقال احد النفر الثلاثة قتل اصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقي رجلا من المشركين فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع راسه الى السماء وفتح عينيه فقال الله اكبر الجنة ورب العالمين ورجع صاحباه فلقيا رجلين من بني سليم وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومهما موادعة فانتسبا الى بني عامر فقتلاهما وقدم قومهما الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الاشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ترك القتال وعلى ان يعينوه في الديات وقيل اراد ان يستقرض منهم دية رجلين فقالوا نعم يا ابا القاسم قد آن لك ان تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي سألت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فخلا بعض اليهود ببعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا اقرب منه الآن فمن يظهر منكم على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش انا فعمد الى رحى عظيمة ليطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم فامسك الله يده ونزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة قال وخرج معه علي بن ابي طالب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي

الجدين هو الالتفات الى ذواتهم والخروج عن حكم الوحدة الذاتية (افحكم الجاهلية يبغون) اى ما يطلبون بجهلهم الاحكام صادرا عن مقام النفس بالجهل لا صادرا عن علم الهي (ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتي بالفتح اوامر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين يا ايها الذين آمنوا

لاتبرح مكانك حتى يخرج اليك اصحابى فمن خرج اليك منهم وسألك عنى فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك حتى تناهوا اليه ثم تبعوه الى المدينة وانزل الله عزوجل هذه الآية ياايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذهم قوم يعنى اليهود ان يبسطوا اليكم ايديهم يقال بسط يده اليه اذابطش وهواذا مدها الى المبطوش به ليقتله (فكف ايديهم عنكم) يعنى انه تعالى منعهم مما ارادوه بكم (واتقوا الله) يعنى فيما امركم به ونهاكم عنه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) امر الله تعالى المؤمنين بالتوكل عليه لانه هو الكافى جميع عباده امورهم فاذا فعلوا ذلك وتوكلوا عليه حفظهم ورعاهم ممن ارادهم بسوء كما كف ايدى اليهود عنهم لما ارادوا ان يفتكوا بهم وهذه القصة اولى بالصواب لانه عقب الآية بذم اليهود وذكر قبيح افعالهم وخياناتهم وذلك قوله تعالى (ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل) لما ذكر الله فى الآية المتقدمة بعض غدرات اليهود وما ارادوه من كيد رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اتبعه بذكر اسلافهم وما نقضوه من المواثيق والعهود ومعنى الآية ان الله اخذ ميثاقهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وان يعملوا بما فى التوراة من الاحكام والتكاليف (وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) اختلف العلماء فى معنى النقيب فقال ابن عباس النقيب الضمين وقال قتادة هو الشهيد على قومه وقيل هو الامين الكفيل وقيل هو الباحث عن القوم وعن احوالهم * (ذكر القصة فى ذلك) * قال اصحاب الاخبار والسير ان الله عزوجل وعد موسى عليه السلام ان يورثه وقومه الارض المقدسة وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون فأمر الله موسى ان يسير ببنى اسرائيل الى الارض المقدسة وقال انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فانى ناصرك عليهم وخذ من قومك اثنى عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما امروا به فاختار موسى النقباء وسار ببنى اسرائيل حتى قربوا من اريحاء وهى مدينة الجبارين فبعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق وعنق امه وهى احدى بنات آدم عليه السلام وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع هكذا نقله البغوى وفيه نظر لان آدم عليه السلام كان طوله على ماورد فى الاحاديث الصحيحة ستين ذراعا قال وكان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب من مائه ويتناول الحوت من قعر البحر ويشويه فى عين الشمس وروى ان الماء لما طبق على الارض من جبل وغيره مابلغ ركبتى عوج وقال لنوح عليه السلام احملنى معك فى السفينة فقال نوح عليه السلام اخرج عنى ياعدو الله فانى لم اومر بك وعاش عوج ثلاثة آلاف سنة حتى اهلكه الله تعالى على يد موسى عليه السلام وذلك انه قد اقتلع صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا فى فرسخ وحملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فنقب الصخرة وقورها بمنقاره فوقعت فى عنقه فصرعته واقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله قال فلما لقى عوج النقباء اخذهم وجعلهم فى حجزته وكان على راسه حزمة حطب وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظرى الى هؤلاء الذين يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلى فقالت امرأته بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا منك وقيل انه جعلهم فى كمه واتى بهم الى الملك فنثرهم بين يديه فقال لهم الملك ارجعوا الى قومكم فأخبروهم بما رايتم وكان مما راوا ان العنقود العنب لايحمله الا خمسة انفس منهم بينهم فى خشبة ويدخل فى شطر الرمانة اذا نزع منها حبها خمسة نفس فرجع النقباء وقال بعضهم لبعض ياقوم انكم اذا اخبرتم بنى اسرائيل خبر القوم رجعوا عن نبى الله موسى ولاكنا تلونهم معه

(اكتموا)

من يرتد منكم عن دينه)
من رجع من طريق الحق
لى الاحتجاب ببعض الحجب
ى حجاب كان وخرج عنه
فهو من المرد ودين لامن
هل المحبة ولا ينثلم ولا ينقض
ين الحق بارتداده فان الله
سوف يأتى بقوم يحبهم
بحسب العناية الاولى لا لعلة
ل لذواتهم ويحبون ذاته
لا لصفة من صفاته ككونه
طيفا اورحيما او منعما فان
محبة الصفات تتغير باختلاف
تجلياتها ومن يحب اللطيف
لم تبق محبته اذا تجلى بصفة
القهر ومن يحب المنعم انمحت
محبته اذا تجلى بصفة المنتقم
واما محبة الذات فهى باقية
بقائها لاتتغير باختلاف
التجليات فيحب محبا القهار
عند القهر كما يحب اللطيف
عند اللطف ويحب المنتقم
حالة الانتقام كما يحب المنعم
حالة الانعام فلا تتفاوت
فى الرضا وعدمه ولا تختلف

اكتموا عن بني اسرائيل خبر القوم واخبروا موسى وهرون بما رايتم فيريان رايهما واخذ بعض النقباء على بعض الميثاق بذلك فلما رجعوا الى بني اسرائيل نكثوا العهد والميثاق واخبر كل رجل سبطه بما راى الا رجلان منهم وهم يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فانهما اوفيا بالعهد ولم ينكثا الميثاق فذلك قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا (وقال الله اني معكم) فيه حذف تقديره قال للنقباء اني معكم يعني بالنصر والمعونة وقيل هو خطاب لعامة بني اسرائيل والقول الاول اولى لان الضمير يعود الى اقرب مذكور فكان عوده الى النقباء اولى ثم ابتدا الكلام فقال مخاطبا لبني اسرائيل (لئن اقمتم الصلوة) هذه جملة شرطية والشرط مركب من خمسة امور وهي قوله لئن اقمتم الصلوة (وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا) وجزاء الشرط قوله تعالى (لاكفرن عنكم سيآتكم) وذلك اشارة الى ازالة العذاب وقوله تعالى (ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار) اشارة الى ايصال الثواب ومعنى الآية لئن اقمتم الصلاة المكتوبة وآتيتم الزكاة المفروضة وآمنتم برسلي يعني جميع رسلي وانما اخر ذكر الايمان بالرسل لان اليهود كانوا مقرين باقام الصلاة وايتاء الزكاة والايمان ببعض الرسل فقال الله لهم انه لكم ذلك ولا يحصل المقصود الا بالايمان بجميع الرسل وقوله تعالى وعزرتموهم يعني ونصرتموهم واصل التعزير في اللغة الردع فمعنى وعزرتموهم نصرتموهم بان تردوا اعداءهم عنهم وقيل معناه ووقرتموهم وعظمتموهم والقول هو الاول واقرضتم الله قرضا حسنا يعني به الصدقات المندوبة لان الزكاة تقدم ذكرها فلا فائدة في تفسير هذا القرض بالزكاة فان قلت كيف قال واقرضتم الله قرضا حسنا ولم يقل اقراضا حسنا لان مصدر اقرضتم الاقراض قلت ان قوله قرضا اخرج مصدرا من معناه لا من لفظه وذلك ان اقرض بمعنى قرض فكان معنى الكلام واقرضتم الله فقرضتم قرضا حسنا ونظير ذلك قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا اذ كان معناه فنبتم نباتا وقوله لاكفرن عنكم سيآتكم يعني اذا فعلتم سائر ما امرتكم به لامحون عنكم سيآتكم واغفرها لكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار (فمن كفر بعد ذلك منكم) يعني بعد اخذ العهد والميثاق (فقد ضل سواء السبيل) يعني فقد اخطأ الطريق المستقيم وهو طريق الدين الذي شرعه والهدى الذي امر باتباعه * قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم) اي بسبب نقضهم الميثاق وذلك ان بني اسرائيل نقضوا ميثاق الله وعهده بان كذبوا الرسل الذين جاؤا من بعد موسى وقتلوا انبياء الله نبذوا كتابه وضيعوا فرائضه (لعناهم) يعني جازيناهم على ذلك بان ابعدناهم وطردناهم عن رحمتنا واصل اللعنة الابعاد عن الرحمة (وجعلنا قلوبهم قاسية) يعني غليظة يابسة لا تلين لان القسوة خلاف اللين والرقة وقيل معناه ان قلوبهم ليست خالصة الايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر والنفاق (يحرفون الكلم عن مواضعه) يعني يغيرون حدود التوراة واحكامها وقيل هو تبديلهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته من التوراة وقيل هو تحريفهم معاني الالفاظ بسوء التأويل (ونسوا حظا مما ذكروا به) يعني وتركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته وصفته (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) قال ابن عباس يعني على معصية منهم وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسمه ونحوها من خياناتهم التي ظهرت (الا قليلا منهم) يعني انهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام واصحابه

محبته في احواله ويشكر عند البلاء كما يشكر عند النعماء واما من يحب النعم فلا يشكر عند البلاء بل يصبر ومثل هذه المحبة يلزم الاولى التي هي لله لاوليائه فيحبونه بحبه اياهم والا فمن اين لهم المحبة لله بالتراب ورب الارباب (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين) لينين حانين عليهم عطوفين في تواضعهم لهم لمكان الجنسية الذاتية ورابطة المحبة الازلية والمناسبة الفطرية بينهم (اعزة) اشداء غلاظ (على الكافرين) المحجوبين لاضداد ما ذكر (يجاهدون في سبيل الله) بمحو صفاتهم وافناء ذواتهم التي هي حجب مشاهداتهم (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) من نسبتهم الى الاباحة والزندقة والكفر وعذلهم بترك الدنيا ولذاتها

الذين اسلموا من اهل الكتاب (فاعف عنهم واصفح) اى فاعف عن زلاتهم يا محمد واصفح عن جرمهم ومؤاخذتهم وهذا الامر بالعفو والصفح عن اهل الكتاب منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية التى نزلت فى سورة براءة قاله قتادة وقيل انها غير منسوخة بل نزلت فى قوم كان بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم عهد فغدروا ونقضوا ذلك العهد فاظهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل هذه الآية ولم تنسخ وذلك انه يجوز ان يعفو عن غدرة فعلوها مالم ينصبوا حربا ولم يمتنعوا من اداء الجزية والصغار وعلى هذا القول بانها غير منسوخة يكون معنى الآية فاعف عن مؤمنهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه فاعف عن صغائر زلاتهم مادموا باقين على العهد (ان الله يحب المحسنين) يعنى اذا عفوت عنهم فانك محسن والله يحب المحسنين * قوله عز وجل (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم) لما ذكر نقض اليهود الميثاق اتبعه بذكر نقض النصارى الميثاق وان سبيل النصارى مثل سبيل اليهود فى نقض العهد والميثاق وانما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى لانهم الذين ابتدعوا هذا الاسم وسموا به انفسهم لا ان الله تعالى سماهم به اخذنا ميثاقهم يعنى كتبنا عليهم فى الانجيل ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (فنسوا حظا مما ذكروا به) يعنى فتركوا ما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (فأغرينا) يعنى فالقينا واوقعنا (بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرائضه وعطلوا حدوده القى الله العداوة والبغضاء بينهم وقيل العداوة والبغضاء هى الاهواء المختلفة وفى الهاء والميم من قوله تعالى بينهم قولان احدهما ان المراد بهم اليهود والنصارى فان العداوة والبغضاء حاصلة بينهم الى يوم القيامة والقول الثانى ان المراد بهم فرق النصارى فان كل فرقة منهم تكفر الاخرى (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) يعنى ان الله تعالى يخبرهم فى الآخرة باعمالهم التى عملوها فى الدنيا ففيه وعيد وتهديد لهم * قوله تعالى (يا اهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (قد جاءكم رسولنا) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) يعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر كثيرا مما اخفوا وكتموا من احكام التوراة والانجيل وذلك انهم اخفوا آية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذلك واظهره وهذا معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ كتابهم ولم يعلم ما فيه فكان اظهار ذلك معجزة له (ويعفوا عن كثير) يعنى مما يكتمونه فلا يتعرض له ولا يؤاخذهم به لانه لا حاجة الى اظهاره والفائدة فى ذلك انهم يعلمون كون النبى صلى الله عليه وسلم عالما بما يخفونه وهو معجزة له ايضا فيكون ذلك داعيا لهم الى الايمان به (قد جاءكم من الله نور) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم انما سماه الله نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور فى الظلام وقيل النور هو الاسلام (وكتاب مبين) يعنى القرآن (يهدى به الله) يعنى يهدى الله بالكتاب المبين (من اتبع رضوانه) اى اتبع ما رضيه الله وهو دين الاسلام لانه مدحه واثنى عليه (سبل السلام) قال ابن عباس يريد دين الله وهو الاسلام فسبله دينه الذى شرع لعباده وبعث به رسله وامر عباده باتباعه وقيل سبل السلام طرق السلامة وقيل سبل السلام دار السلام فيكون من باب حذف المضاف (ويخرجهم من الظلمات الى النور) يعنى من ظلمات الكفر الى نور الايمان (باذنه) يعنى بتوفيقه وهدايته (ويهديهم الى صراط مستقيم) يعنى دين الاسلام * قوله عز وجل (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) قال ابن عباس

بل بترك الآخرة ونعيمها كما قال امير المؤمنين عليه السلام اعبدوا الله لا رغبة ولا رهبة فهم من الفتيان الذين قيل فيهم واذا الفتى عرف الرشاد لنفسه * هانت عليه ملامة العذال (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) والمؤمنون لاهم للتنافى الحقيق بينكم وبينهم اى يتولى الله ورسوله والمؤمنون اياكم اولا يتولى الله واولياءه من الرسول والمؤمنين المحبوبين للتضاد الحقيق بينهم انما يتولون الله ورسوله والذين آمنوا انتم جمع اولا فى ثبات ولايتهم لله مطلقا ثم فصلها بحسب الظاهر فقال ورسوله والذين آمنوا كما فصل فى الشهادة فى قوله شهد الله انه لا اله الا هو (الذين)

هؤلاء نصارى نجران فانهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم يقولون فى المسيح انه الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة لانهم يقولون بالحلول وان الله قد حلّ فى بدن عيسى فلما كان اعتقادهم ذلك لاجرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر الله مايدل على فساد مذهبهم فقال تعالى (قل) يعنى يامحمد لهؤلاء النصارى الذين يقولون هذه المقالة (فمن يملك) يعنى يقدر ان يدفع (من الله شيأ) يعنى من امر الله شيأ (ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه) يعنى يعدم المسيح وامه (ومن فى الارض جميعا) ووجه الاحتجاج على النصارى بهذا ان المسيح لو كان الها كما يقولون لقدر على دفع امر الله اذا اراد اهلاكه واهلاك امه وغيرها (ولله ملك السموات والارض ومابينهما) انما قال ومابينهما ولم يقل ومابينهن لانه اراد مابين هذين النوعين او الصنفين من الاشياء فانها ملكه واهلها عبيده وعيسى وامه من جملة عبيده (يخلق مايشاء) يعنى من غير اعتراض عليه فيما يخلق لانه خلق آدم من غير اب وام وخلق عيسى من ام بلا اب وخلق سائر الخلق من اب وام (والله على كل شئ قدير) يعنى ان الله تعالى لايعجزه شئ اراده ولا اعتراض لاحد من خلقه عليه * قوله تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه) قال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان وابن اصار وبحرى بن عمرو وشاس بن عدى فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته فقالوا ماتخوفنا يامحمد نحن ابناء الله واحباؤه كقول النصارى فانزل الله عزوجل فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الآية * وسبب هذه المقالة ماحكاه السدى قال اما اليهود فانهم قالوا ان الله اوحى الى اسرائيل انى ادخل من ولدك النار فيكونون فيها اربعين يوما حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادى مناد ان اخرجوا كل مختون من ولد اسرائيل فيخرجون فذلك قوله تعالى لن تمسنا النار الا اياما معدودات واما النصارى فان فريقا منهم يقولون المسيح ابن الله وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى فاما وجه قول اليهود فانهم يعنون انه من عطفه عليهم كالاب الشفيق على الولد واما وجه قول النصارى فانهم لما قالوا فى المسيح انه ابن الله وادعوا انه منهم فكانهم قالوا نحن ابناء الله لهذا السبب وقيل ان اليهود انما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف والمعنى نحن ابناء رسول الله واما النصارى فانهم تأولوا قول المسيح اذهب الى ابى وابيكم وقوله اذا صليتم فقولوا ياابانا الذى فى السماء ليقدس اسمك فذهبوا الى ظاهر هذه المقالة ولم يعلموا ما اراد المسيح عليه السلام ان صحت هذه المقالة عنه فان تأويلها انه فى برّه ورحمته وعطفه على عباده الصالحين كالاب الرحيم لولده * وجملة الكلام فى ذلك ان اليهود والنصارى كانوا يرون لانفسهم فضلا على من سواهم بسبب اسلافهم الافاضل حتى انتهوا فى تعظيم انفسهم الى ان قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فابطل الله عزوجل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) معناه اذا كان الامر كما تزعمون فلم يعذبكم الله وانتم قد اقررتم على انفسكم انه يعذبكم اربعين يوما وهل رايتم والدا يعذب ولده بالنار وهل تطيب نفس محب ان يعذب حبيبه فى النار (بل انتم بشر ممن خلق) يعنى بل انتم يامعشر اليهود والنصارى كسائر بنى آدم مجزيون بالاساءة والاحسان * قوله تعالى (يغفر لمن يشاء) يعنى لمن تاب من اليهودية والنصرانية (ويعذب من يشاء) يعنى من مات على اليهودية والنصرانية وقيل معناه يهدى من يشاء فيغفر له ويميت من يشاء على كفره فيعذبه (ولله ملك السموات والارض

آمنوا (يقيمون الصلاة) صلاة الشهود والحضور الذاتى (ويؤتون الزكوة) زكاة البقايا (وهم راكعون) خاضعون فى البقاء بالله بنسبة كمالاتهم وصفاتهم الى الله كامير المؤمنين عليه السلام النازل فى حقه هذا القائل لااله الا الله بعد فناء الخلق لامتصبون فى مقام الطغيان بنسبتها الى انفسهم (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله) فهو من اهل الله وان اهل الله (هم الغالبون) بالله (يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لايعقلون قل يااهل الكتاب هل تنقمون

وما بينهما) يعني انه تعالى يملك ذلك لاشريك له فى ذلك فيعارضه وهوالذى يملك المغفرة لمن يشاء والتعذيب لمن يشاء وفيه دليل على انه تعالى لاولد له لان من يملك السموات والارض يستحيل ان يكون له شبيه من خلقه اوشريك فى ملكه (واليه المصير) يعنى والى الله مرجع العباد فى الآخرة فيجازيهم باعمالهم * قوله تعالى (ياأهل الكتاب قدجاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل) قال ابن عباس قال معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود يامعشر اليهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله لقدكنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهودا ماقلنا ذلك لكم وما انزل الله من كتاب بعد موسى ولاارسل بشيرا ولانذيرا بعده فأنزل الله هذه الآية ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم يعنى احكام الدين والشرائع على فترة من الرسل قال ابن عباس يعنى على انقطاع من الرسل * واختلف العلماء فى قدر مدة الفترة فروى عن سلمان قال فترة مابين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة اخرجه البخارى وقال قتادة كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وماشاء الله من ذلك وعنه انها خمسمائة سنة وستون سنة وقال ابن السائب خمسمائة واربعون سنة وقال الضحاك انها اربعمائة وبضع وثلاثون سنة ونقل ابن الجوزى عن ابن عباس على فترة من الرسل قال على انقطاع منهم قال وكان بين ميلاد عيسى و ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسعة وستون سنة وهى الفترة وكان بين عيسى و محمد اربعة من الرسل فذلك قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قال والرابع لاادرى من هو فكانت تلك السنون مائة واربعا وثلاثين سنة نبوة وسائرها فترة قال ابوسليمان الدمشقى والرابع والله اعلم خالد بن سنان الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نبى ضيعه قومه قال الامام فخر الدين الرازى والفائدة فى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة الرسل هى ان التحريف والتغيير كان قد تطرق الى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عذرا ظاهرا فى اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا الهنا عرفنا انه لابد من عبادتك ولكنا ماعرفنا كيف نعبدك فبعث الله فى هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر فذلك قوله عزوجل (ان تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير) يعنى لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير فى هذا الوقت (فقدجاءكم بشير ونذير) يعنى فقد ارسلت اليكم محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر (والله على كل شئ قدير) يعنى انه تعالى قادر على بعثة الرسل فى وقت الحاجة اليهم * قوله عزوجل (واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم) قال ابن عباس اذكروا عافية الله وقيل معناه اذكروا ايادى الله عندكم وايامه التى انعم فيها عليكم قال الطبرى هذا تعريف من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بتمادى هؤلاء اليهود فى الغى وبعدهم عن الحق وسوء اختيارهم لانفسهم وشدة مخالفتهم لانبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع اياديه لديهم وآلائه لديهم سلى بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما نزل به من مقاساتهم ومعالجتهم فى ذات الله عزوجل (اذجعل فيكم انبياء) يعنى ان موسى عليه السلام ذكر قومه بنى اسرائيل بأيام الله عندهم وبما انعم به عليهم فقال اذكروا نعمة الله عليكم اذفضلكم بأن جعل فيكم انبياء قال الكلبى

منا الاان آمنا بالله وماانزل الينا وماانزل من قبل وان اكثركم فاسقون قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عندالله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل واذاجاءكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم والعدوان) اى يقدمون على جميع الرذائل بالسرعة لاعتيادهم بها وتدربهم فيها وكونها ملكات لنفوسهم فالاثم رذيلة القوة النطقية لانه الكذب والعدوان رذيلة القوة الشهوية (واكلهم السحت لبئس ماكانوا يعملون لولاينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس

هم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه وانطلق بهم الى الجبل وايضا كان انبياء بنى اسرائيل من اولاد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وهؤلاء لاشك انهم من اكابر الانبياء واولاد يعقوب وهم الاسباط انبياء على قول الاكثرين وموسى وهرون عليهما السلام وايضا فان الله تعالى اعلم موسى انه يبعث من بعده فى بنى اسرائيل انبياء فانه لم يبعث فى امة مابعث فى بنى اسرائيل من الانبياء فكان هذا شرفا عظيما لهم ونعمة ظاهرة عليهم (وجعلكم ملوكا) يعنى وجعلكم احرارا تملكون انفسكم بعد ان كنتم عبيدا فى ايدى القبط قال ابن عباس يعنى جعلكم اصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا اول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروى عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكا ذكره البغوى بغير سند وسأل رجل عبدالله بن عمرو بن العاص فقال السنا من فقراء المهاجرين فقال له عبدالله الك امرأة تأوى اليها قال نعم قال الك مسكن تسكنه قال نعم قال انت من الاغنياء قال فان لى خادما قال فأنت من الملوك وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه واسعا وفيه ماء جار فهو ملك (وآتاكم مالم يؤت احدا من العالمين) يعنى من عالمى زمانكم يذكرهم ماانعم الله به عليهم من فلق البحر لهم واهلاك عدوهم وانزال المن والسلوى عليهم واخراج الماء من الحجر لهم وتظليل الغمام فوقهم الى غير ذلك من النعم التى انعم الله بها عليهم * قوله تعالى (ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم) لما ذكر موسى قومه ماانعم الله به عليهم امرهم الخروج الى جهاد عدوهم فقال ياقوم ادخلوا الارض المقدسة يعنى المطهرة سميت مقدسة لانها طهرت من الشرك وصارت مسكنا للانبياء والمؤمنين وقيل المقدسة المباركة قال الكلبى صعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جبل لبنان فقيل له انظر فما ادرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك والارض هى الطور وما حوله وقيل هى اريحاء وفلسطين وبعض الاردن وقيل هى دمشق وقيل هى الشام كلها قال كعب الاحبار ووجدت فى كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله فى ارضه وبها اكثر عباده التى كتب الله لكم يعنى كتب الله فى اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقيل فرض الله عليكم دخولها وامركم بسكناها وقيل وهبها لكم * فان قلت كيف قال الله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم وقال فانها محرمة عليهم وكيف الجمع بينهما * قلت فيه وجوه احدها انها كانت هبة من الله ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم الوجه الثانى ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الخصوص فصار كانه مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم فان يوشع بن نون وكالب بن يوقنا دخلاها وكانا ممن خوطب بهذا الخطاب الوجه الثالث ان هذا الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط الوجه الرابع انه قال انها محرمة عليهم اربعين سنة فلما مضت الاربعون دخلوها وكانت مساكن لهم كما وعدهم الله تعالى وقوله تعالى (ولا ترتدوا على ادباركم) يعنى ولا ترجعوا القهقرى مرتدين على اعقابكم الى ورائكم ولكن امضوا لامر الله الذى امركم به وان فعلتم خلاف ماامركم الله به (فتنقلبوا خاسرين) يعنى فترجعوا خائبين لانكم رددتم امر الله * قوله عز وجل (قالوا) يعنى قوم موسى (ياموسى ان فيها) يعنى فى الارض المقدسة (قوما جبارين) يعنى قوما عاتين لاطاقة لنا بهم ولاقوة لنا بقتالهم وسموا اولئك القوم جبارين

ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ماانزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ويسعون فى الارض فسادا والله لايحب المفسدين ولو ان اهل الكتاب آمنوا) آمنوا الايمان التوحيدى الحقيقى (واتقوا) واجتنبوا عن

لشدة بطشهم وعظم خلقهم وكانوا ذوى اجسام عظيمة واشكال هائلة وهم العمالقة بقية قوم عاد واصل الجبار فى صفة الانسان فعال من جبره على الامر يعنى اجبره عليه وهو العاتى الذى يجبر الناس على ما يريد وقيل انه مأخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لاتصل الايدى اليها ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها بالجبار من النخل (وانا لن ندخلها) يعنى ارض الجبارين التى امرهم الله بدخولها (حتى يخرجوا منها) حتى يخرج الجبارون من الارض المقدسة وانما قالوا ذلك استبعادا لخروج الجبارين من ارضهم (فان يخرجوا منها فانا داخلون) يعنى اليها قال العلماء بالاخبار ان النقباء لما خرجوا يتجسسون الاخبار لموسى عليه السلام ورجعوا اليه واخبروه خبر القوم وما عاينوه منهم قال لهم موسى لاتخبروا بنى اسرائيل بهذا فيجبنوا ويضعفوا عن قتالهم * وقيل ان النقباء الاثنى عشر لما خرجوا من ارض الجبارين قال بعضهم لبعض لاتخبروا بنى اسرائيل بما رأيتم فلما رجعوا واخبروا موسى امرهم ان لايخبروا بنى اسرائيل بذلك فخالفوا امره ونقضوا العهد واخبر كل رجل من النقباء سبطه بما رأى الا يوشع بن نون وكالب فانهما كتما ووفيا بالعهد فلما علم بنواسرائيل بذلك وفشا ذلك فيهم رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا فى ارض مصر ولا يدخلنا الله ارضهم فتكون نساؤنا واولادنا واموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل من بنى اسرائيل يقول لصاحبه تعالوا نجعل لنا رأسا وننصرف الى مصر فلما قال بنو اسرائيل ذلك وهموا بالانصراف الى مصر خر موسى وهارون ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان اخبر الله عنهما بقوله (قال رجلان من الذين يخافون) يعنى يخافون الله ويراقبونه (انعم الله عليهما) يعنى بالهداية والوفاء بالعهد (ادخلوا عليهم الباب) يعنى قال الرجلان وهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا لبنى اسرائيل ادخلوا على الجبارين باب مدينتهم (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) لان الله وعدكم بالنصر وان الله ينجز لكم وعده (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) يعنى يقول الرجلان لقوم موسى تقوا بالله فانه معكم وناصركم ان كنتم مصدقين بان الله ناصركم ولايهولكم عظم اجسامهم فانا قد رايناهم فكانت اجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلما قالا ذلك اراد بنو اسرائيل ان يرجوهما بالحجارة وعصوا امرهما وقالوا ما اخبر الله عنهم بقوله تعالى (قالوا ياموسى انا لن ندخلها ابدا) يعنى قال قوم موسى لموسى انا لن ندخل مدينة الجبارين ابدا يعنى مدة حياتنا (ماداموا فيها) يعنى مقيمين فيها (فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) انما قالوا هذه المقالة لان مذهب اليهود التجسيم فكانوا يجوّزون الذهاب والمجئ على الله تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا قال بعض العلماء ان كانوا قالوا هذا على وجه الذهاب من مكان الى مكان فهو كفر وان كانوا قالوه على وجه الخلاف لامر الله وامر نبيه موسى فهو فسق وقال بعضهم انما قالوه على وجه المجاز والمعنى اذهب انت وربك معين لك لكن قوله فقاتلا يفسد هذا التأويل وقال بعضهم انما ارادوا بقولهم وربك اخاه هرون لانه كان اكبر من موسى والاصح انهم انما قالوا ذلك جهلا منهم بالله تعالى وصفاته ومنه قوله تعالى وماقدروا الله حق قدره (خ) عن ابن مسعود قال شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لان اكون انا صاحبه احب الى مما عدل به اتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين يوم بدر فقال يارسول الله انا لانقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى

شرك افعالهم وصفاتهم وذاتهم (لكفرنا عنهم سيئاتهم) من بقاياهم (ولادخلناهم جنات النعيم) الجنات الثلاث (ولو انهم اقاموا التوراة) بتحقق علوم الظاهر والقيام بحقوق تجليات الافعال والمحافظات على احكامها فى المعاملات (والانجيل) بتحقق علوم الباطن والقيام بحقوق تجليات الصفات والمحافظة على احكامها (و) احكموا (ماانزل اليهم من ربهم) من علم المبدا والمعاد وتوحيد

اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن امض ونحن معك فكانه سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرق وجهه وسر * قوله تعالى (قال) يعني موسى عليه السلام (رب) اي يارب (اني لااملك الا نفسي واخي) يعني اني لااملك الانفسي واخي لايملك الانفسه وقيل معناه لااملك الا نفسي ونفس اخي لانه كان يطيعه واذا كان كذلك فقد ملكه وانما قال موسى لااملك الا نفسي واخي وان كان معه في طاعته يوشع بن نون وكالب بن يوقنا لاختصاص هرون به ولمزيد الاعتناء باخيه ويحتمل ان يكون معناه واخي في الدين ومن كان على دينه وطاعته فهو اخوه في الدين فعلى هذا الاحتمال يدخل الرجلان في قوله واخي ثم قال (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) اي افصل وقيل احكم بيننا وبين القوم الفاسقين يعني الخارجين عن طاعتك وانما قال موسى ذلك لانه لما رأى بني اسرائيل وما فعلوه من مخالفة امر الله وهمهم بيوشع وكالب غضب لذلك ودعا عليهم فاجاب الله تعالى دعاء موسى عليه السلام (قال) الله عز وجل (فانها محرمة عليهم) يعني فان الارض المقدسة محرمة عليهم ومعناه ان تلك البلدة محرمة عليهم ابدا ولم يرد تحريم تعبد وانما اراد تحريم منع فأوحى الله تعالى الى موسى بي حلفت لأحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب ولأتيهنهم في هذه البرية اربعين سنة مكان كل يوم من الايام التي كانوا يتجسسون فيها سنة ولالقين جيفهم في هذه القفار واما ابناؤهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها فذلك قوله تعالى فانها يعني الارض المقدسة محرمة عليهم قال اكثر اهل العلم هذا تحريم منع لا تحريم تعبد وقيل يحتمل ان يكون تحريم تعبد فيجوز ان يكون الله تعالى امرهم بان يمكثوا في تلك المفازة في الشدة والبلية عقابا لهم على سوء صنيعهم (اربعين سنة) فمن قال ان الكلام تم عند قوله فانها محرمة عليهم قال اربعين سنة يتيهون في الارض فاما الحرمة فانها مؤبدة حتى يموتوا ويدخلها ابناؤهم وقيل معناه ان الارض المقدسة محرمة عليهم اربعين سنة ثم يدخلونها وتفتح لهم * وقوله تعالى (يتيهون في الارض) يعني يتحيرون فيها يقال تاه يتيه اذا تحير * واختلفوا في مقدار الارض التي تاهوا فيها فقيل مقدار ستة فراسخ وقيل ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا وقيل تسع فراسخ في ثلاثين فرسخا وكان القوم ستمائة الف مقاتل وكانوا يرحلون ويسيرون يومهم اجمع فاذا امسوا اذا هم في الموضع الذي رحلوا منه وكان ذلك التيه عقوبة لبني اسرائيل ماخلا موسى وهرون ويوشع وكالب فان الله تعالى سهله عليهم واعانهم عليه كما سهل على ابراهيم النار وجعلها بردا وسلاما فان قلت كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم في هذا المقدار الصغير من الارض اربعين سنة بحيث لم يخرج منه احد * قلت هذا من باب خوارق العادات وخوارق العادات في ازمان الانبياء غير مستبعد فان الله على كل شيء قدير * وقيل ان فسرنا ذلك التحريم بتحريم التعبد زال هذا الاشكال لاحتمال ان الله ماحرم عليهم الخروج من تلك الارض بل امر بالمكث اربعين سنة في المشقة والمحنة جزاء لهم على سوء صنيعهم ومخالفتهم امر الله ولما حصل بنو اسرائيل في التيه شكوا الى موسى عليه السلام حالهم فانزل الله عليهم المن والسلوى واعطوا من الكسوة ماهي قائمة لهم فينشأ الناشئ منهم فتكون معه على مقداره وهيئته وسأل موسى ربه ان يسقيهم فأتي بحجر ابيض من جبل الطور فكان اذا نزل ضربه بعصاه فيخرج منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط منهم عين وارسل الله عليهم

الملك والملكوت من عالم لربوبية الذي هو عالم الاسماء (لأكلوا من فوقهم) اي لرزقوا من العالم العلوي الروحاني العلوم الآلهية والحقائق العقلية اليقينية والمعارف الحقانية التي بها اهتدوا الى معرفة الله ومعرفة الملكوت والجبروت (ومن تحت ارجلهم) اي من العالم السفلي الجسماني العلوم الطبيعية والمدركات الحسية التي اهتدوا بها الى معرفة عالم الملك فعرفوا الله باسمه الظاهر والباطن بل

الغمام يظلهم في التيه ومات في التيه كل من دخله ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوقنا ولم يدخل اريحاء ممن قال انا لن ندخلها ابدا واختلفوا في ان موسى عليه السلام مات في التيه ام خرج منه فقيل ان موسى وهرون ماتا في التيه جميعا

(قصة وفاة موسى وهرون عليهما السلام)

فاما هارون فانه كان اكبر من موسى بسنة قال السدى اوحى الله عز وجل الى موسى انى متوفى هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فاذا بشجرة لم ير مثلها واذا بيت مبنى وفيه سرير عليه فراش وفيه رائحة طيبة فلما رأى هرون ذلك البيت اعجبه وقال ياموسى انى احب ان انام على هذا السرير قال ثم قال انى اخاف ان يأتى رب هذا البيت فيغضب علىّ قال لاتخف انى اكفيك رب هذا البيت فنم قال ياموسى فنم انت معى فان جاء رب هذا البيت غضب علىّ وعليك جميعا فلما ناما اخذ هرون الموت فلما وجد مسه قال ياموسى خدعتنى فلما قبض هرون رفع البيت والسرير الى السماء وهرون عليه وذهبت الشجرة فرجع موسى الى بنى اسرائيل وليس هرون معه فقال بنو اسرائيل حسد موسى هرون فقتله لحبنا اياه قال موسى ويحكم ان هرون كان اخى افترونى اقتله فلما اكثروا عليه قام موسى فصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل فنزل السرير وعليه هرون فنظروا اليه وهو بين السماء والارض فصدقوه ثم رفع وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه صعد موسى عليه السلام وهرون الى الجبل فمات هرون وبقى موسى فقال بنو اسرائيل لموسى انت قتلته وآذوه فامر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بنى اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته فصدقت بنو اسرائيل انه مات وبرا الله موسى مما قالوه ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه ولم يطلع على موضع قبره احد الا الرخم فجعله الله اصم ابكم * واما وفاة موسى عليه السلام فقال ابن اسحق كان صفى الله موسى عليه السلام قد كره الموت واعظمه فاراد الله ان يحبب اليه الموت فنبأ يوشع بن نون فكان موسى يغدو ويروح اليه ويقول له يانبى الله مااحدث الله اليك فيقول له يوشع يانبى الله الم اصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت اسألك عن شئ مما احدث الله اليك حتى كنت انت تبتدئ به وتذكره لى ولايذكر له شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة واحب الموت (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع الى ربه فقال ارسلتنى الى عبد لايريد الموت فرد الله اليه عينه وقال ارجع اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ماغطت يده من شعرة سنة قال اى رب ثم مه قال ثم الموت قال فالان فسأل الله ان يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر (وفى رواية لمسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال اجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها ثم ذكر معنى ماتقدم قال الشيخ محيى الدين النووى قال المازرى وقد انكر بعض الملاحدة هذا الحديث وانكر تصوّره قالوا كيف يجوز على موسى فق‌ء عين ملك الموت واجاب عنه العلماء باجوبة احدها انه لايمتنع ان يكون الله قد اذن لموسى فى هذه اللطمة ويكون ذلك امتحانا للملطوم والله تعالى يفعل فى خلقه مايشاء ويمتحنهم بما اراد والثانى ان موسى لم يعلم انه ملك من عند الله وظن انه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فادّت المدافعة الى فق‌ء عينه لاانه قصدها بالفق‌ء وتؤيده رواية صكه وهذا

بجميع الاسماء والصفات ووصلوا الى مقام التوحيدين المذكورين (منهم امة مقتصدة) عادلة واصلة الى توحيد الاسماء والصفات (وكثير منهم ساء مايعملون) لم يصلوا الى توحيد الافعال بعد فضلا عن توحيد الصفات فساء عملهم لانه من صفات نفوسهم فهو حجابهم الاكثف (ياايها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك وان لم تفعل فمابلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لايهدى القوم الكافرين قل يااهل

جواب الامام ابي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازري والقاضي عياض قالوا وليس في الحديث تصريح بانه قصد فقأ عينه * فان قيل فقد اعترف موسى حين جاءه ثانيا بانه ملك الموت فالجواب انه اتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها انه ملك الموت فاستسلم له بخلاف المرة الاولى * واما سؤال موسى الادناء من الارض المقدسة فلشرفها وفضلها وفضل من بها من المدفونين من الانبياء وغيرهم * وفيه دليل على استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين * قال بعض العلماء وانما سأل موسى الادناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لانه خاف ان يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن به الناس والله اعلم * قال وهب بن منبه خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيأ احسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد من الله بمنزلة ما رأيت كاليوم قط فقالت الملائكة يا صفي الله تحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك فنزل واضطجع وتوجه الى ربه عز وجل ثم تنفس اسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل ان ملك الموت اتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمر موسى عليه السلام مائة سنة وعشرين سنة فلما مات موسى عليه السلام انقضت الاربعون سنة وبعث الله يوشع الى بني اسرائيل فاخبرهم ان الله قد امره بقتال الجبارين فصدقوه وتابعوه فتوجه ببني اسرائيل الى اريحاء وهي مدينة الجبارين ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة اريحاء ستة اشهر فلما كان في السابع نفخوا في القرون وضجوا في الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم فكانت العصابة من بني اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل من الجبابرة يضربونها حتى يقطعونها وكان القتال والفتح يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس ان تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد علي الشمس وقال للشمس انك في طاعة الله وانا في طاعة الله وسأل الشمس ان تقف والقمر ان يقف حتى ينتقم من اعداء الله قبل دخول السبت فرد الله عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم اجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم احدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام وصارت كلها لبني اسرائيل وفرق عماله نواحيها وجمع الغنائم فجاءت النار لتأكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل ففعلوا فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت والجوهر قد غله رجل منهم فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فاكلت الرجل والقربان وفي الحديث الصحيح ما يدل على صحة هذا وهو ما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الانبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد ان يبني بها ولم يبن بها ولا احد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا رجل اشترى غنما او خلفات وهو ينتظر اولادها فغزا فدنا من القرية صلاة العصر او قريبا من ذلك فقال للشمس انك مأمورة وانا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم فجاءت يعني النار لتأكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعها فجاءت النار فأكلتها زاد في رواية فلم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم احل الله لنا الغنائم لما رأى ضعفنا

الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا) على حسب مراتبهم فلما كانوا محجوبين من جميع الوجوه

وعجزنا فأحلها لنا اخرجه البخاري ومسلم * شرح غريب هذا الحديث * قوله لايتبعني رجل
ملك بضع امرأة البضع بضم الباء كناية عن فرج المرأة ولم يبن بها اى لم يدخل عليها والخلفات
النوق الحوامل وقوله للشمس انك مأمورة وانا مأمور اللهم احبسها علينا قال الشيخ محيي الدين
قال القاضي عياض اختلف الناس في حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت الى ورائها وقيل وقفت
ولم ترد وقيل بطء حركتها وكل ذلك من معجزات النبوة قال ويقال ان الذي حبست عليه الشمس
يوشع بن نون قال القاضي وقد روى ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حبست له الشمس مرتين
احداهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى
العصر ذكر ذلك الطحاوي وقال رواته ثقات والثانية صبيحة ليلة الاسراء حين انتظر العير لما
اخبر بوصولها مع شروق الشمس ذكره يونس بن بكير في زياداته عن سيرة ابن اسحق وقال
وهب ثم مات يوشع بن نون ودفن في جبل افرائيم وكان عمره مائة سنة وستا وعشرين سنة
وكان تدبيره امر بني اسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة * وقيل ان الذي فتح اريحاء هو
موسى عليه السلام وكان يوشع بن نون على مقدمته فسار اليهم بمن بقي من بني اسرائيل فدخلها
يوشع وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى واقام بها ماشاء الله تعالى ثم قبضه الله اليه ولا يعلم احد قبره
وهذا اصح الاقاويل لاتفاق العلماء ان موسى عليه السلام هو الذي قتل عوج بن عنق وهذا القول
هو اختيار الطبري ونقل عن السدي قال غضب موسى على قومه فدعا عليهم فقال رب انى
لا املك الا نفسي واخي الآية فقال الله عز وجل فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض
فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى واتاه قومه الذين كانوا يطيعونه فقالوا له ماصنعت بنا ياموسى
فمكثوا في التيه فلما خرجوا منه رفع المن والسلوى والبقول والتقى موسى وعوج فنزا موسى
في السماء عشرة اذرع وكانت عصاه عشرة اذرع وكان طوله عشرة اذرع فاصاب كعب عوج فقتله
قال الطبري ولو كان قتل موسى اياه قبل مصيره في التيه لم يجزع بنو اسرائيل لانه كان من
اعظم الجبارين وروى عن نوف قال كان سرير عوج ثمانمائة ذراع وقال وان اهل العلم باخبار
الاولين مجمعون على ان بلعم بن باعوراء كان ممن اعان الجبارين بالدعاء على موسى لانه كان يعلم
الاسم الاعظم فدعا عليه موسى وسترد قصته في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى * قوله تعالى
(فلا تأس على القوم الفاسقين) يعني لا تحزن عليهم لانهم اهل مخالفة وخروج عن الطاعة وقيل
لما ندم موسى على مادعا على قومه اوحى الله اليه فلا تأس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجائز
ان يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم اى لاتحزن يامحمد على قوم لم يزل شأنهم المعاصي ومخالفة
الرسل * قوله عز وجل (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق) يعني اذكر لقومك واخبرهم
خبر ابني آدم وهما هابيل وقابيل في قول جمهور المفسرين ونقل عن الحسن والضحاك ان
ابني آدم اللذين قربا القربان ماكانا ابني آدم لصلبه وانما كانا رجلين من بني اسرائيل ويدل عليه
قوله تعالى في آخر القصة من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس الآية
والصحيح ماذهب اليه جمهور المفسرين لان الله تعالى قال في اخر الآية فبعث الله غرابا يبحث
في الارض لان القاتل جهل مايصنع بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب بالحق اى اخبرهم خبرا
ملتبسا بالحق والصدق لانه من عند الله وموافقا لما في الكتب المتقدمة وهم يعلمون صحته * ومقصود

ارسلنا موسى لرفع حجاب الافعال والدعوة الى توحيد الملك فاهوته انفسهم لان دعوته كانت مخالفة لهواها لضراوتها بافعالها وتبجحها بها وبلذاتها وشهواتها فكذبوه وعبدوا عجل النفس واعتدوا في السبت وفعلوا مافعلوا حتى اذا آمن به من آمن وبرز من حجاب الافعال حسب انه الكمال المطلق فارسلنا عيسى برفع حجاب الصفات والدعوة الى الباطن وتوحيد الملكوت فاهوته انفسهم لمخالفة

هذا الخبر هو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذ قربا قربانا) القربان اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة او ذبيحة اونسك اوغير ذلك مما يتقرب به

* (ذكر قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل هابيل) *

ذكر اهل العلم بالاخبار والسير ان حوّاء كانت تلد لآدم في كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ما ولدته اربعين ولدا في عشرين بطنا اولهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم عبدالمغيث وتوأمته ام المغيث ثم بارك الله في نسل آدم قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين الفا واختلفوا في مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي آدم حوّاء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما في بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا في بطن وقال محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حوّاء في الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت بقابيل واخته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا ولم ترد ماوقت الولادة فلما هبطا الى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان اذا كبر اولاده زوج غلام هذا البطن جارية بطن اخرى وكان الرجل منهم يتزوّج اية اخواته شاء غير توأمته التي ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نساء الا اخواتهم فكبر قابيل واخوه هابيل وكان بينهما سنتان فلما بلغوا امر الله آدم ان يزوّج قابيل لبودا اخت هابيل ويزوّج هابيل اقليما اخت قابيل وكانت اقليما احسن من لبودا فذكر آدم ذلك لهما فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي اختي وانا احق بها ونحن من اولاد الجنة وهما من اولاد الارض فقال ابوه آدم انها لا تحل لك فأبى ان يقبل ذلك وقال ان الله لم يأمرك بهذا وانما هو من رأيك فقال لهما آدم فربا لله قربانا فايكما تقبل قربانه فهو احق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار بيضاء فاكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل تأكلها الطير والسباع فخرجا من عند آدم ليقربا القربان وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام رديء واضمر في نفسه لا ابالي ايتقبل مني ام لا لا يتزوج اختي احد غيري وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى احسن كبش في غنمه فقربه واضمر في نفسه رضا الله فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا آدم فنزلت النار من السماء فأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى (فتقبل من احدهما) يعني هابيل (ولم يتقبل من الآخر) يعني قابيل فغضب قابيل اذ لم يتقبل قربانه فاضمر لاخيه الحسد الى ان اتى آدم مكة لزيارة البيت وغاب عنهم فأتى قابيل هابيل وهو في غنمه (قال لاقتلنك قال) قال هابيل ولم تقتلني قال قابيل لان الله تقبل قربانك وردّ قرباني وتريد ان تنكح اختي الحسناء وانكح اختك الدميمة فيتحدث الناس بانك خير مني ويفخر ولدك على ولدي فقال هابيل وماذنبي (انما يتقبل الله من المتقين) يعني ان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال فلذلك كان احد القربانين مقبولا دون الآخر ولان التقوى من اعمال القلوب وكان قد اضمر في قلبه الحسد لاخيه على تقبل قربانه وتوعده بالقتل فقال له انما اوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وانما يتقبل الله من المتقين فاجابه بجواب مختصر وقيل يحتمل ان يكون خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى بين للنبي صلى الله عليه وسلم انه انما لم يتقبل قربانه لانه لم يكن متقيا وانما يتقبل الله من المتقين ثم قال تعالى اخبارا عن هابيل (لئن بسطت الىّ يدك) يعني لئن مددت

دعوته هواها من حسبان الكمال فكذبوه وفعلوا مافعلوا حتى اذا آمن به من آمن وبرز عن حجاب الصفات بقي على حاله حاسبا لنفسه الكمال المطلق فارسلنا محمدا بدفع حجاب الصفات والدعوة الى توحيد الذات فدعوته انفسهم فكذبوه (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا ان لا تكون فتنة) شرك عند توحيد الافعال وظهور الدعوة العيسوية (فعموا) عن

الىّ يدك (لتقتلنى ما انا باسط يدى اليك لاقتلك) يعنى ما انا بمنتصر لنفسى بل استسلم لامر الله وقيل معناه ما كنت بمبتدئك بالقتل وذلك ان الله كان قد حرم عليهم قتل نفس بغير نفس ظلما وقال مجاهد كان قد كتب عليهم اذا اراد الرجل ان يقتل رجلا تركه ولا يمتنع منه وقيل ان المقتول كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج من قتل اخيه فاستسلم له خوفا من الله فذلك قوله (انى اخاف الله رب العالمين) والمعنى انى اخاف الله فى بسط يدى اليك ان بسطتها لقتلك ان يعاقبنى على ذلك * قوله عز وجل اخبارا عن هابيل (انى اريد ان تبوء باثمى واثمك) يعنى ترجع باثم قتلى الى اثم معاصيك التى عملتها من قبل فان قلت كيف قال هابيل انى اريد وارادة القتل والمعصية من الغير لا تجوزه قلت اجاب ابن الانبارى عن هذا بان قال ان قابيل لما قال لاخيه هابيل لاقتلنك وعظه هابيل وذكره الله واستعطفه وقال لئن بسطت الىّ يدك الآية فلم يرجع فلما رآه هابيل قد صمم على القتل واخذ له الحجارة ليرميه بها قال له هابيل عند ذلك انى اريد ان تبوء باثمى واثمك اى اذا قتلتنى ولم يندفع قتلك اياى الا بقتلى اياك فحينئذ يلزمك اثم قتلى اذا قتلتنى فكان هذا عدلا من هابيل واليه اشار الزجاج فقال معناه ان قتلتنى فما انا مريد ذلك فهذه الارادة منه بشرط ان يكون قاتلا له والانسان اذا تمنى ان يكون اثم دمه على قاتله لم يلم على ذلك وعلى هذا التأويل قال بعضهم معناه انى اريد ان تبوء بعقاب اثمى واثمك فحذف المضاف ومن باء باثم باء بعقاب ذلك الاثم ذكره الواحدى وقال الزمخشرى ليس ذلك بحقيقة الارادة لكنه لما علم انه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للثواب فكانه صار مريدا لقتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة (فتكون من اصحاب النار) يعنى الملازمين لها (وذلك جزاء الظالمين) يعنى جهنم جزاء من قتل اخاه ظلما * قوله تعالى (فطوعت له نفسه قتل اخيه) يعنى زينت له وسهلت عليه القتل وذلك ان الانسان اذا تصور ان قتل النفس من اكبر الكبائر صار ذلك صارفا له عن القتل فلا يقدم عليه فاذا سهلت عليه نفسه هذا الفعل فعله بغير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه (فقتله) قال ابن جريج لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له ابليس وقد اخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم رضخه بحجر آخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو نائم فقتله واختلف فى موضع قتله فقال ابن عباس على جبل نود وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند مسجدها الاعظم وكان عمر هابيل يوم قتل عشرين سنة * وقوله تعالى (فأصبح من الخاسرين) قال ابن عباس خسر دنياه وآخرته اما دنياه فاسخط والديه وبقى بلا اخ واما آخرته فاسخط ربه وصار الى النار (ق) عن عبد الله ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل * قوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة اخيه) قال اصحاب الاخبار لما قتل قابيل هابيل تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لانه اول ميت من بنى آدم على وجه الارض فقصدته السباع لتأكله فحمله قابيل على ظهره فى جراب اربعين يوما وقال ابن عباس سنة حتى اروح وانتن فاراد الله ان يرى قابيل سنته فى موتى بنى آدم فى الدفن فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفيرة ثم القاه فيها وواراه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث

تجليات رؤية الصفات (وصموا) عن سماع علمها (ثم تاب الله عليهم) بفتح اسماع قلوبهم وابصارها فتابوا فقبل توبتهم (ثم عموا وصموا) عند الدعوة المحمدية عن مشاهدة الوجه الباقى وسماع علم توحيد الجمع المطلق (كثير منهم والله بصير بما يعملون) بعملهم فى المقامات الثلاث ورد الدعوات وانكار الانبياء فجازيهم على حسب حالهم (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح

فى الارض يعنى يحفرها ويثير ترابها ليريه كيف يوارى سوأة اخيه يعنى ليرى الله او يرى الغراب قابيل كيف يوارى ويستر جيفة اخيه فلما رأى ذلك قابيل من فعل الغراب (قال ياويلتا) اى لزمه الويل وحضره وهى كلمة تحسر و تلهف وتستعمل عند وقوع الداهية العظيمة وذلك انه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب علم ان الغراب اكثر علما منه وعلم انه اما اقدم على قتل اخيه بسبب جهله وعدم معرفته فعند ذلك تلهف وتحسر على ما فعله فقال ياويلتا وفيه اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب (اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب) يعنى مثل هذا الغراب الذى وارى الغراب الآخر (فأوارى سوأة اخى) يعنى فأستر جيفته وعورته عن الاعين (فاصبح من النادمين) يعنى على حمله على ظهره مدة سنة لا على قتله وقيل انه ندم على قتل اخيه لانه لم ينتفع بقتله وسخط عليه ابواه واخوته فندم لاجل ذلك لا لاجل انه جنى جناية واقترف ذنبا عظيما بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة وخوف واشفاق من فعله فلاجل ذلك لم ينفعه الندم قال المطلب بن عبدالله بن حنطب لما قتل ابن آدم اخاه رجفت الارض بمن عليها سبعة ايام وشربت دم المقتول كما تشرب الماء فناداه الله تعالى اين اخوك هابيل فقال ما ادرى ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم اخيك ليناديني من الارض فلم قتلت اخاك قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ ان تشرب دما بعده ابدا وروى عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل كان آدم بمكة فاشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه واغبرت الارض فقال آدم قد حدث فى الارض حدث فاتى الهند فوجد قابيل قد قتل هابيل وقيل لما رجع آدم سأل قابيل عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جلدك وقيل ان آدم مكث بعد قتل هابيل مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح

وروى عن ابن عباس انه قال من قال ان آدم قال شعرا فقد كذب وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم فى النهى سواء ولكن لما قتل هابيل رثاه آدم وهو سريانى فلما قال آدم مرثيته قال لشيث يابنى انت وصيى احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو اول من خط العربية وكان يقول الشعر فنظر فى المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزاد فيه ابياتا منها

ومالى لا اجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
ارى طول الحياة على غما * فهل انا من حياتى مستريح

قال الزمخشرى وروى انه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر قال الامام فخر الدين الرازى ولقد صدق صاحب الكشاف فيما قال فان ذلك الشعر فى غاية الركاكة لا يليق الا بالحمق من المعلمين فكيف ينسب الى من جعل الله علمه حجة على الملائكة قال اصحاب الاخبار فلما مضى من عمر ادم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت له حواء شيثا وتفسيره هبة الله يعنى انه خلف من هابيل وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الخلق فى كل ساعة وانزل عليه خمسين صحيفة وصار وصى آدم وولى

يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله) اى خصصوا عبادتكم بالذات الموصوفة بجميع الصفات والاسماء التى هى الوجود المطلق ولا تعينوه باسم وصفة فان نسبة ربوبيته الى الكل سواء ومن حصر الوهية فى صورة وخصصها باسم معين وكلمة معينة وصفة معينة فقد اثبت غير ضرورة وجود ماسواه من الاسماء والتصور والصفات ومن اثبت غيره فقد اشرك به

عهده واما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تأمن من تراه فأخذ بيد اخته اقليما وهرب بها الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس وقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبدها فانصب انت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو اول من عبد النار وكان قابيل لا يمر به احد الا رماه بالحجارة فأقبل ابن لقابيل اعمى ومعه ابنه فقال ابن الاعمى لابيه هذا ابوك قابيل فرماه بحجارة فقتله فقال ابن الاعمى لابيه قتلت اباك قابيل فرفع الاعمى يده ولطم ابنه فات فقال الاعمى ويل لى قتلت ابى برميتى وقتلت ابنى بلطمتى فلما مات قابيل عقلت احدى رجليه بفخذه وعلق بها فهو معلق بها الى يوم القيامة ووجهه الى الشمس حيث دارت وعليه حظيرة من نار فى الصيف وحظيرة من ثلج فى الشتاء فهو يعذب بذلك الى يوم القيامة قالوا واتخذ اولاد قابيل آلات اللهو من الطبول والزمور والعيدان والطنابير وانهمكوا فى اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والفواحش حتى اغرقهم الله تعالى جميعا بالطوفان فى زمن نوح عليه السلام فلم يبق من ذرية قابيل احد وابقى الله ذرية شيث ونسله الى يوم القيامة * قوله تعالى (من اجل ذلك) يعنى بسبب ذلك القتل الذى حصل وقيل الاجل فى اللغة الجناية يقال اجل عليهم شرا اى جنى عليهم شرا (كتبنا) اى فرضنا واوجبنا (على بنى اسرائيل) فان قلت من اجل ذلك معناه من اجل مامر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بنى اسرائيل وهذا مشكل لانه لا مناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بنى اسرائيل * قلت قال بعضهم هو من تمام الكلام الذى قبله والمعنى فاصبح من النادمين من اجل ذلك اى من اجل انه قتل هابيل ولم يواره * ويروى عن نافع انه كان يقف على قوله من اجل ذلك ويجعله تمام الكلام الاول فعلى هذا يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين واصحاب المعانى على ان قوله من اجل ذلك ابتداء كلام وليس بوقف عليه فعلى هذا قال بعضهم ان قوله من اجل ذلك ليس هو اشارة الى قصة قابيل وهابيل بل هو اشارة الى مامر ذكره فى هذه القصة من انواع المفاسد الحاصلة بسبب هذا القتل الحرام منها قوله فاصبح من الخاسرين وفيه اشارة الى انه حصلت له خسارة فى الدين والدنيا والآخرة ومنها قوله فاصبح من النادمين وفيه اشارة الى انه حظر فى انواع الندم والحسرة والحزن مع انه لا دافع لذلك البتة فقوله من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل اى من اجل ذلك الذى ذكرنا فى اثناء القصة من انواع المفاسد المتولدة من القتل العمد الحرم شرعنا القصاص على القاتل * فان قلت فعلى هذا تكون شريعة القصاص حكما ثابتا فى جميع الامم فما الفائدة بتخصيصه ببنى اسرائيل * قلت ان وجوب القصاص وان كان عاما فى جميع الاديان والملل الا ان التشديد المذكور ههنا فى حق بنى اسرائيل غير ثابت فى جميع الاديان والملل لانه تعالى حكم فى هذه الآية بان من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ولا يشك ان المقصود منه المبالغة فى عقاب قاتل النفس عدوانا وان اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة اقدموا على قتل الانبياء والرسل وذلك يدل على قساوة قلوبهم وبعدهم عن الله عز وجل ولما كان الغرض من ذكر هذه القصة تسلية النبى صلى الله عليه وسلم على ما اقدم عليه اليهود بالفتك بالنبى صلى الله عليه وسلم وباصحابه فتخصيص بنى اسرائيل فى هذه القصة بهذه المبالغة مناسب للكلام وتوكيد للمقصود والله اعلم بمراده * قوله عز وجل (انه من قتل نفسا) يعنى قتل نفسا ظلما (بغير نفس) يعنى بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص فيقاد من قاتل النفس على وجه العدوان المحرم (او فساد فى الارض) هو عطف على بغير نفس يعنى وبغير فساد فى الارض فيستحق به القتل لان القتل على اسباب كثيرة

ومن اشرك به (فقد حرّم الله عليه الجنة) جنة شهوده بذاته وصفاته وافعاله اى الجنة المطلقة الشاملة يعنى فقد حجبه مطلقا (ومأواه النار) نار الحرمان لظلمه بالشرك (وما للظالمين من انصار) ينصرونهم فينقذونهم من العذاب (لقد كفر) حجب (الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) واحد من جملة ثلاثة اشياء الفعل الذى هو ظاهر عالم الملك والصفة التى هى باطن عالم الملكوت والذات

منها القصاص وهو المراد من قوله قتل نفسا بغير نفس ومنها الشرك والكفر بعد الايمان ومنها قطع الطريق ونحو ذلك وهو المراد من قوله او فساد في الارض (فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا) قال مجاهد من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها بقتل الناس جميعا ومن سلم من قتلها فكانما سلم من قتل الناس جميعا وقال ابن عباس من قتل نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا ومن شد عضد نبي او امام عدل فكانما احيى الناس جميعا وقيل معناه ان من قتل نفسا محرمة يجب عليه من القصاص مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن احياها يعني من غرق او حرق او وقوع في هلكة فكانما احيا الناس جميعا يعني ان له من الثواب مثل ثواب من احيا الناس جميعا وقيل معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكانما استحل قتل الناس جميعا لانهم لا يسلمون منه ومن تورع عن قتل مسلم فكانما تورع عن قتل جميع الناس فقد سلموا منه قال اهل المعاني قوله ومن احياها على المجاز لان المحيي هو الله تعالى في الحقيقة فيكون المعنى ومن نجاها من الهلاك فكانما نجى جميع الناس منه سئل الحسن عن هذه الآية اهي لنا كما كانت لبني اسرائيل فقال اي والذي لا اله غيره ما كانت دماء بني اسرائيل اكرم على الله من دمائنا وقوله تعالى (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات) يعني ولقد جاءت بني اسرائيل رسلنا ببيان الاحكام والشرائع والدلالات الواضحات (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك) يعني بعد مجيء الرسل وبعد ما كتبنا عليهم تحريم القتل (في الارض لمسرفون) يعني بالقتل لا ينتهون عنه وقيل معناه لمجاوزون حد الحق وانما قال تعالى وان كثيرا منهم لانه تعالى علم ان منهم من يؤمن بالله ورسوله وهم قليل من كثير * قوله عز وجل (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) قال ابن عباس نزلت في قوم من اهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فنقضوا العهد وافسدوا في الارض فخير الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يشاء يقتل وان يشاء يصلب وان يشاء يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وهذا قول الضحاك ايضا وقال الكلبي نزلت في قوم هلال بن عويمر وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر وهو ابو بردة الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال الى النبي صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بقوم هلال ولم يكن هلال شاهدا فشدوا عليهم فقتلوهم واخذوا اموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضاء فيهم بهذه الآية وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في قوم من عرينة وعكل اتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وهم كذبة فاستوخموا المدينة فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الابل (ق) عن انس بن مالك ان ناسا من عكل وعرينة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبي الله انا كنا اهل ضرع ولم نكن اهل ريف واستوخموا المدينة فامر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بذود وراع وامرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من البانها وابوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد الاسلام وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في آثارهم فامر بهم فسمروا اعينهم وقطعوا ايديهم وارجلهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم قال قتادة بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى عن المثلة زاد في رواية قال قتادة فحدثني ابن سيرين ان ذلك قبل ان تنزل الحدود وفي رواية للبخاري ان ناسا من عرينة اجتووا المدينة فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتوا ابل الصدقة فيشربوا

التي تقوم بها الصفة ويصدر عنها الفعل اذ ليس هو ذلك الواحد الذي توهموه بل الفعل والصفة في الحقيقة عين الذات ولا فرق الا بالاعتبار وما الله الا الواحد المطلق والا لكان بحسب كل اسم من اسمائه اله آخر فتتعدد الآلهة سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا (وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون) من كون الصفة والفعل غير الذات (ليمسن الذين كفروا)

من البانها وابوا لها فقتلوا الراعى واستاقوا الذود فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى بهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم وتركهم فى الحرة يعضون الحجارة زاد فى رواية قال ابو قلابة واى شئ اشد مما صنع هؤلاء ارتدوا عن الاسلام وقتلوا وسرقوا وفى رواية ابى داود ان قوما من عكل او قال من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فأمر لهم النبى صلى الله عليه وسلم بلقاح وامرهم ان يشربوا من ابوالها والبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم من اول النهار فارسل فى آثارهم فما ارتفع النهار حتى جئ بهم فامر بهم فقطعت ايديهم وارجلهم وسمرت اعينهم والقوا فى الحرة يستسقون فلا يسقون قال ابو قلابة فهؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله زاد فى رواية له وانزل الله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا الآية * شرح غريب هذا الحديث وحكمه * قوله انا كنا اهل ضرع يعنى اهل ماشية وبادية نعيش بالابن ولسنا من اهل المدن * والريف هو الارض التى فيها زرع وخصب والجمع ارياف * قوله استوخموا المدينة يعنى انها لم توافق مزاجهم وكذا قوله فاجتووا المدينة وهو معناه * والذود من الابل ما بين الثلاثة الى العشرة * والحرة هى ارض ذات حجارة سود وهى هنا اسم لارض بظاهر المدينة معروفة * وقوله فسمر اعينهم معناه انه حمى مسامير الحديد وكحل بها اعينهم حتى ذهب بصرها * وقوله وينهى عن المثلة المثلة ان تقطع اطراف الحيوان وتشوه خلقته ومثلة القتيل ان يقطع انفه واذنيه ومذاكيره ونحو ذلك * واختلف العلماء فى حكم هذا الحديث فقيل هو منسوخ لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن المثلة وقيل حكمه ثابت غير السمل والمثلة وقيل ان هذه الآية نا[illegible] قال بعضهم ان [illegible] صلى الله عليه وسلم بهم وقيل كان ذلك قبل ان تنزل الحدود فلما نزلت الحدود وجب الاخذ بها والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الآية معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليما من الله تعالى اياه عقوبتهم وما يجب عليهم فقال تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله * واعلم ان المحاربة لله غير ممكنة وفى معناها للعلماء قولان احدهما ان المحاربين لله هم المخالفون امره الخارجون عن طاعته لان كل من خالف امر انسان فهو حرب له فيكون المعنى يخالفون الله ورسوله ويعصون امرهما والقول الثانى معناه يحاربون اولياء الله واولياء رسوله فهو من باب حذف المضاف (ويسعون فى الارض فسادا) يعنى بحمل السلاح والخروج على الناس وقتل النفس واخذ الاموال وقطع الطريق واختلفوا فى حكم هؤلاء المحاربين الذين يستحقون هذا الحد فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون فى البلد وهذا قول الاوزاعى ومالك والليث بن سعد والشافعى وقال ابو حنيفة المكابرون فى الامصار ليس لهم حكم المحاربين فى استحقاق هذا الحد * ثم ذكر الله تعالى عقوبة هؤلاء المحاربين وما يستحقونه فقال تعالى (ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض) وللعلماء فى لفظة او المذكورة فى هذه الآية قولان احدهما انها للتخيير وهو قول ابن عباس فى رواية عنه وبه قال الحسن وسعيد بن المسيب والنخعى ومجاهد وهو ان الامام مخير فى امر المحاربين فان شاء قتل وان شاء صلب وان شاء قطع وان شاء نفى من الارض كما هو ظاهر الآية والقول الثانى ان لفظة او للبيان وليست للتخيير وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وهو قول اكثر العلماء لان الاحكام تختلف فترتبت هذه العقوبات

المحجوبين (منهم عذاب اليم) مؤلم لقصورهم فى العرفان مع كونهم مستعدين (افلا يتوبون الى الله) بالرجوع عن اثبات التعدد فى الله الى عين الجمع المطلق (ويستغفرونه) عن ذنب رؤية وجودهم ووجود غيرهم (والله غفور) يسترهم [illegible] (رحيم) [illegible] العذاب بكمال العرفان والتوحيد (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين

على ترتيب الجرائم وهذا كما روى عن ابن عباس فى قطاع الطريق قال اذا قتلوا واخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا واذا اخذوا المال ولم يقتلوا قطعت ايديهم وارجلهم من خلاف واذا اخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم يأخذوا مالا نفوا من الارض وهـذا قول قتادة والاوزاعى والشافعى واصحاب الرأى واختلفوا فى كيفية الصلب فقيل يصلب حيا ثم يطعن فى بطنه برمح حتى يموت قال الشافعى يقتل اولا ويصلى عليه ثم يصلب وانما يجمع بين القتل والصلب اذا قتل واخذ المال ويصلب على الطريق فى ممر الناس ليكون ذلك زاجرا لغيره عن الاقدام على مثل هذه المعصية واختلفوا فى تفسير النفى من الارض المذكور فى الآية فقيل ان الامام يطلبهم فى كل بلد وجدوا نفوا عنه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون حتى تقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث بن سعد والشافعى وقال ابو حنيفة واهل الكوفة النفى هو الحبس لانه نفى من الارض لان المحبوس لا يرى احدا من احبابه ولا ينتفع بلذات الدنيا وطيباتها فهو منفى من الارض فى الحقيقة الا من تلك البقعة الضيقة التى هو فيها قال مكحول ان عمر بن الخطاب اول من حبس فى السجون يعنى من هذه الامة وقال احبسه حتى اعلم منه التوبة ولا انفيه الى بلد آخر فيؤذيهم ثم قال تعالى (ذلك) يعنى الذى ذكر فى هذه الآية من الحدود (لهم) يعنى للمحاربين (خزى فى الدنيا) اى عذاب وهوان وفضيحة (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) هذا الوعيد فى حق الكفار الذين نزلت الآية فيهم فأما من اجرى حكم الآية على المحاربين من المسلمين فينفى العذاب العظيم عنهم فى الآخرة لان المسلم اذا عوقب بجناية فى الدنيا كانت عقوبته كفارة له وان لم يعاقب فى الدنيا فهو فى خطر المشيئة ان شاء عذبه بجنايته ثم يدخله الجنة وان شاء عفا عنه وادخله الجنة هذا مذهب اهل السنة ❊ وقوله تعالى (الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم) يعنى لكن الذين تابوا من شركهم وحربهم لله ورسوله ومن السعى فى الارض بالفساد من قبل ان تقدروا عليهم يعنى فلا سبيل لكم عليهم بشئ من العقوبات المذكورة فى الآية المتقدمة (فاعلموا ان الله غفور) يعنى لمن تاب من الشرك (رحيم) يعنى به اذا رجع عما سخط الله عز وجل وهذا قول معظم اهل التفسير ان المراد بهذا الاستثناء المشرك المحارب اذا آمن واصلح قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود التى ذكرها الله تعالى فى هذه الآية وانه لا يطالب بشئ مما اصاب من مال او دم قال ابو اسحق جعل الله التوبة للكفار تدرأ عنهم الحدود التى وجبت عليهم فى كفرهم ليكون ذلك داعيا لهم الى الدخول فى الاسلام فهذا حكم المشرك المحارب اذا آمن واصلح وكذلك لو آمن بعد القدرة عليه لم يطالب بشئ بالاجماع واما المسلم المحارب اذا تاب واستأمن قبل القدرة عليه فقال السدى هو كالكافر اذا آمن لم يطالب بشئ الا اذا اصيب عنده مال بعينه فانه يرد على اهله وهذا مذهب مالك والاوزاعى غير ان مالكا قال يؤخذ بالدم اذا طلب به وليه فأما ما اصاب من الدماء والاموال ولم يطلبها اولياؤها فلا يتبعه الامام بشئ من ذلك وهذا حكم على بن ابى طالب فى حارثة بن زيد وكان قد خرج محاربا فتاب قبل ان يقدر عليه فامنه على على نفسه وكذلك جاء رجل من مراد الى ابى موسى الاشعرى وهو على الكوفة فى خلافة عثمان بعد ما صلى المكتوبة فقال يا ابا موسى هذا مقام العائذ بك انا فلان بن فلان المرادى كنت قد حاربت الله ورسوله وسعيت فى الارض بالفساد وانى قد تبت من قبل ان يقدر على فقام ابو موسى فقال هذا فلان المرادى وانه كان حارب الله ورسوله وسعى فى الارض فسادا وانه قد تاب من قبل ان يقدر عليه فلا يتعرض له احد الا بخير وقال الشافعى يسقط

لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) اذ لا فعل له فيضر او ينفع بل لا وجود اصلا من الفعل وقال ما لا يملك دون من وان كان المراد عيسى للتنبيه على انه شئ يعتبر اعتبارا من حيث نفسه ولا وجود له حقيقة (والله هو السميع العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل) بالاحتجاب عن

عنه توبته قبل القدرة عليه حد الله ولا يسقط عنهما ما كان من حقوق بني آدم من قصاص او مظلمة من مال اوغيره واما اذا تاب بعد القدرة عليه فظاهر الآية ان التوبة لا تنفعه وتقام عليه الحدود وقال الشافعي ويحتمل ان يسقط كل حد لله عز وجل بالتوبة * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) اى خافوا الله بترك المنهيات (وابتغوا اليه الوسيلة) يعني واطلبوا اليه القرب بطاعته والعمل بما يرضى وانما قلنا ذلك لان مجامع التكاليف محصورة في نوعين لا ثالث لهما احد النوعين ترك المنهيات واليه الاشارة بقوله اتقوا الله والثاني التقرب الى الله تعالى بالطاعات واليه الاشارة بقوله وابتغوا اليه الوسيلة والوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب اليه ومنه قول الشاعر * ان الرجال لهم اليك وسيلة * اى قربة وقيل معنى الوسيلة المحبة اى تحببوا الى الله عز وجل (وجاهدوا في سبيله) اى وجاهدوا العدو في طاعته وابتغاء مرضاته (لعلكم تفلحون) يعني لكي تسعدوا بالخلود في جنته لان الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه والفوز بكل محبوب * قوله عز وجل (ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم) يعني ان الكافر لو ملك الدنيا ودنيا اخرى مثلها معها ثم فدى نفسه من العذاب يوم القيامة لم يقبل منه ذلك الفداء (ولهم عذاب اليم) المقصود من هذا ان العذاب لازم للكفار وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه بوجه من الوجوه (ق) عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى لاهون اهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا كلها اكنت مفتديا بها فيقول نعم فيقول قد اردت منك ايسر من هذا وانت في صلب آدم ان لا تشرك بي ولا ادخلك النار وادخلك الجنة فابيت الا الشرك هذا لفظ مسلم وفي رواية البخاري قال يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له ارايت لو كان لك مل ء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد كنت سئلت ما هو ايسر من ذلك ان لا تشرك بي (يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) فيه وجهان احدهما انهم يقصدون الخروج من النار ويطلبونه ولكن لا يستطيعون ذلك قيل اذا حملهم لهب النار الى فوق طلبوا الخروج منها فلا يقدرون عليه والوجه الثاني انهم يتمنون الخروج من النار بقلوبهم (ولهم عذاب مقيم) يعني ولهم عذاب دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل ابدا * قوله عز وجل (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) قال ابن السائب نزلت في طعمة بن ابيرق وقدمنا قصته في سورة النساء وانما سمي السارق سارقا لانه يأخذ الشيء الذي ليس له اخذه في خفاء ومنه استرق السمع مستخفيا والسارق ها مرفوع بالابتداء لانه لم يقصد واحدا بعينه انما هو كقولك من سرق فاقطع يده والمراد باليد المذكورة هنا اليمين قاله الحسن والشعبي والسدي وكذلك هو في قراءة عبد الله بن مسعود فاقطعوا ايمانهما وانما قال ايديهما ولم يقل يديهما لانه اراد يمينا من هذا ويمينا من هذه فجمع فانه ليس للانسان الا يمين واحدة وكل شيء موحد من اعضاء الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا جمع والمراد باليد هنا الجارحة وحدها عند جمهور اهل اللغة من رؤس الاصابع الى الكوع فيجب قطعها في حد السرقة من الكوع * وقوله تعالى (جزاء بما كسبا) يعني ذلك القطع جزاء على فعلهم (نكالا من الله) يعني عقوبة من الله (والله عزيز) في انتقامه ممن عصاه (حكيم) يعني فيما اوجبه من قطع يد السارق

* (فصل في بيان حكم الآية) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) * اقتضت هذه وجوب

انوار الصفات (واضلوا كثيرا وضلوا) الآن (عن سواء السبيل) طريق الوحدة الذاتية التي هي الاستقامة الى الله (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون

القطع على كل سارق وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرقة (ق) عن عائشة ان قريشا اهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ومن يجترئ عليه الا اسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه اسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال انما هلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها * وعن عائشة قالت اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسارق فقطعه فقالوا ما كنا نراك تبلغ به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعتها اخرجه النسائي (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده قال الاعمش يرون انه بيض الحديد وان من الحبال ما يساوي دراهم اخرجه البخاري ومسلم اما السارق الذي يجب عليه القطع فهو البالغ العاقل العالم بتحريم السرقة فلو كان حديث عهد بالاسلام ولا يعلم ان السرقة حرام فلا قطع عليه * (المسئلة الثانية) * اختلف العلماء في قدر النصاب الذي يقطع به فذهب اكثر العلماء الى انه ربع دينار فان سرق ربع دينار او متاعا قيمته ربع دينار يقطع وهذا قول ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وبه قال عمر بن عبد العزيز والاوزاعي والشافعي ويدل عليه ما روى عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا اخرجاه في الصحيحين وذهب مالك واحمد واسحق الى انه ثلاثة دراهم او قيمتها لما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم اخرجه الجماعة المجن الترس ويروى عن ابي هريرة ان قدر النصاب الذي تقطع به اليد خمسة دراهم وبه قال ابن ابي ليلى لما روى عن انس قال قطع ابو بكر في مجن قيمته خمسة دراهم وفي رواية قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه النسائي وقال الرواية الاولى اصح وذهب قوم الى انه لا قطع في اقل من دينار او عشرة دراهم يروى ذلك عن ابن مسعود واليه ذهب سفيان الثوري وابو حنيفة لما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من قطع في مجن قيمته دينار او عشرة دراهم اخرجه ابو داود فاذا سرق نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه قطعت يده اليمنى من الكوع ولا يجب القطع بسرقة ما دون النصاب وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن القدر غير معتبر فيجب القطع في القليل والكثير وكذا الحرز غير معتبر ايضا عندهم واليه ذهب داود الظاهري واحتجوا بعموم الآية فان قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما يتناول القليل والكثير وسواء سرقه من حرز او غير حرز * (المسئلة الثالثة) * الحرز هو ما جعل للسكنى وحفظ الاموال كالدور والمضارب والخيم التي يسكنها الناس ويحفظون امتعتهم فيها فكل حرز وان لم يكن فيه حافظ ولا عنده وسواء سرق من ذلك وهو مفتوح الباب او مغلق فاما ما كان في غير بناء ولا خيمة فانه ليس بحرز الا ان يكون عنده من يحفظه اما نباش القبور فانه يقطع وهو قول مالك والشافعي واحمد وقال ابن ابي ليلى والثوري والاوزاعي وابو حنيفة لا قطع عليه فان سرق شيأ من غير حرز كثمر من بستان لا حارس له او حيوان في برية ولا راعي له او متاع في بيت منقطع عن البيوت فلا قطع عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الثمر المعلق فقال من اصاب بفيه منه من ذي حاجة غير متخذ خبنة

ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول) الموالاة والمعاداة انما يكونان بحسب المناسبة والمخالفة فكل من والى احدا دل على رابطة جنسية بينهما وكل

ولاشئ عليه اخرجه الترمذي وابوداود والنسائي وزاد فيه ومن خرج بشئ منه فعليه غرامة
مثله والعقوبة ومن سرق منه شيأ بعد ان يؤويه الجرين فبلغ ثمن المجن فعليه القطع ومن سرق
دون ذلك فعليه غرامة مثله والعقوبة قوله غير متخذ خبنة الخبنة بالخاء المعجمة وبعدها باء موحدة من
تحت ثم نون وهو ما يحمله الانسان في حضنه وقيل هو ما يأخذه في خبنة ثوبه وهو ذيله واسفله
والجرين موضع التمر الذي يجفف فيه مثل البيدر للحنطة وروى مالك في الموطأ عن ابي حسين
المكي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاقطع في ثمر معلق ولا في حريسة الجبل فاذا آواه المراح
او الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن هكذا رواه مالك منقطعا وهو رواية من حديث عبدالله
بن عمرو المتقدم فان هذه الرواية عن ابي حسين عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وجده هو
عبدالله بن عمرو بن العاص قوله ولا في حريسة الجبل من العلماء من يجعل الحريسة السرقة نفسها
يقال حرس يحرس حرسا اذا سرق ومنهم من يجعلها المحروسة ومعنى الحديث انه ليس فيما يحرس
في الجبل اذا سرق قطع لانه ليس بحرز وقيل حريسة الجبل هي الشاة التي يدركها الليل قبل ان
تصل مأواها والمراح بضم الميم هو الموضع الذي تأوي اليه الماشية بالليل عن جابر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع اخرجه الترمذي والنسائي * (المسئلة
الرابعة) * اذا سرق مالا له فيه شبهة كالولد يسرق من مال والده او الوالد يسرق من مال ابنه
او العبد يسرق من مال سيده او الشريك يسرق من مال شريكه فلا قطع على احد من هؤلاء فيه
* (المسئلة الخامسة) * اذا سرق اول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع واذا سرق ثانية قطعت
رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما اذا سرق مرة ثالثة فذهب اكثرهم الى انه تقطع
يده اليسرى فان سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم اذا سرق بعد ذلك يعزر ويحبس
حتى تظهر توبته يروى هذا عن ابي بكر وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعي لما روى عن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السارق ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق
فاقطعوا رجله ذكره البغوي بغير سند وذهب قوم الى انه ان سرق بعدما قطعت يده ورجله
فلا قطع عليه بل يحبس وروى عن علي انه قال اني استحي ان لا ادع له يدا يستنجي بها ولا رجلا
يمشي بها وهذا قول الشعبي والنخعي والاوزاعي وبه قال احمد واصحاب الرأي * قوله تعالى
(فمن تاب من بعد ظلمه) يعني من بعد ما ظلم نفسه بالسرقة (واصلح) يعني واصلح العمل في المستقبل
(فان الله يتوب عليه) يعني فان الله يغفر له ويتجاوز عنه (ان الله غفور) يعني لمن تاب (رحيم) به
* (فصل) * وهذه التوبة مقبولة فيما بينه وبين الله فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند
اكثر العلماء لان الحد جزاء على الجناية ولابد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على ما مضى
والعزم على تركه في المستقبل عن ابي امية المخزومي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بلص
قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخالك سرقت
فقال بلى فاعاد عليه مرتين او ثلاثا كل ذلك يعترف فامر به فقطع ثم جئ به فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب اليه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم تب عليه اخرجه ابوداود والنسائي بمعناه واذا قطع السارق يجب عليه غرم
ما سرق من المال عند اكثر اهل العلم وقال الثوري واصحاب الرأي لا غرم عليه فلو كان المسروق باقيا

من عاداه دل على مباينة ومضادة بينهما ولما كان اليهود محجوبين عن الذات والصفات ولم يكن لهم الا توحيد الافعال كانت مناسبتهم مع المحجوبين المشركين مطلقا اقوى من مناسبتهم مع المؤمنين الموحدين مطلقا ولما كان النصارى برزوا من حجاب الصفات ولم يبق لهم الا حجاب الذات كانت مناسبتهم مع المؤمنين اقوى فلذلك كانوا اقرب مودة لهم من غيرهم والمشركون

عنده يجب عليه ان يرده الى صاحبه وتقطع يده لان القطع حق الله والغرم حق الآدمي فلا يمتنع احدهما بالآخر والله اعلم * قوله عز وجل (الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وقيل معناه الم تعلم ايها الانسان فيكون الخطاب لكل فرد من الناس ان الله له ملك السموات والارض يعني ان الله مدبر امر ما في السموات والارض ومصرفه وخالق من فيهما ومالكه لا يمتنع عليه شيء مما اراده فيهما لان ذلك كله في ملكه واليه امره (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء) قال ابن عباس يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء الكبيرة وقيل يعذب من يشاء على معصيته وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك في الدنيا ويغفر لمن يشاء بالتوبة عليه فينقذه من الهلكة والعذاب وانما قدم التعذيب على المغفرة لانه في مقابلة قطع السرقة على التوبة وهذه الآية فاضحة للقدرية والمعتزلة في قولهم بوجوب الرحمة للمطيع والعذاب للعاصي لان الآية دالة على ان التعذيب والرحمة مفوضان الى المشيئة والوجوب ينافي ذلك وجواب آخر وهو انه تعالى اخبر ان له ملك السموات والارض والمالك له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء واراد لا اعتراض لاحد عليه في ملكه ويؤكد ذلك قوله (والله على كل شيء قدير) يعني انه تعالى قادر على تعذيب من اراد تعذيبه من خلقه وغفران ذنوب من اراد اسعاده وانقاذه من الهلكة من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه * قوله تعالى (يا ايها الرسول) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب تشريف وتكريم وتعظيم وقد خاطبه الله عز وجل بيا ايها النبي في مواضع من كتابه ويا ايها الرسول في موضعين هذا احدهما والآخر قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وقوله (لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) يعني لا تهتم بموالاتهم الكفار ولا تبال بهم فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم (من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) يعني المنافقين لانهم اظهروا الايمان بالقول وكتموا الكفر وهذه صفة المنافقين (ومن الذين هادوا) اي وطائفة من اليهود قال الزجاج وهذا يحتمل وجهين احدهما ان الكلام تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدأ الكلام بقوله (سماعون للكذب) ويكون تقدير الكلام لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعين للكذب والوجه الثاني ان الكلام تم عند قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدأ فقال تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب اي ومن الذين هادوا قوم سماعون للكذب والمعنى انهم قائلون الكذب اي يسمعون الكذب من رؤسائهم ويقبلونه منهم والسمع يستعمل والمراد منه القبول كما تقول لا تسمع من فلان اي لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لاجل ان يكذبوا عليك وذلك انهم كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون من عنده ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا ذلك منه بل كذبوا عليه * وقوله تعالى (سماعون) يعني بني قريظة يعني انهم جواسيس وعيون (لقوم آخرين) وهم اهل خيبر (لم يأتوك) يعني اهل خيبر لم يأتوك ولم يحضروا عندك يا محمد * (ذكر القصة في ذلك) * قال علماء التفسير ان رجلا وامرأة من اشراف يهود خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم عندهم في حكم التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا ان هذا الرجل بيثرب يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وليس في كتابه الرجم ولكن الضرب فارسلوا الى اخوانكم بني قريظة فانهم جيرانه وصلح معه فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسألوا محمدا عن الزانيين اذا احصنا ما حدهما فان امركم بالحد فاقبلوا منه وان امركم بالرجم فاحذروه

والبهود اشد عداوة لقوة حجابهم اما ترى كيف علل قربهم في المودة بعلمهم وعبادتهم وعدم استكبارهم فان العبادة توصل الى جنة الافعال لتجردهم فيها عن افعال نفوسهم فاعلين ما امر الله والعلم يوصل الى جنة الصفات لتنزههم به عن جنة النفوس والوصول الى مقام القلب الذي هو محل المكاشفة وقبول العلم الآلهي وعدم الاستكبار يدل على انهم ما رأوا نفوسهم

ولاتقبلوا منه وارسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بنى قريظة والنضير وقالوا لهم انكم
جيران هذا الرجل ومعه فى بلده وقد حدث فينا حدث وذلك ان فلانا وفلانة قد زنيا وقد احصنا فنحب
ان تسألوه عن قضائه فى ذلك فقالت لهم بنو قريظة والنضير اذا واللّه يأمركم بما تكرهون ثم انطلق
قوم منهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن ابى
الحقيق وغيرهم الى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وقالوا يا محمد اخبرنا عن الزانى والزانية اذا
احصنا ما حدهما فى كتابك فقال هل ترضون بقضائى قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بآية
الرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان يأخذوا به فقال جبريل للنبى صلى اللّه عليه وسلم اجعل بينك و بينهم ابن
صوريا ووصفه له فقال لهم النبى صلى اللّه عليه وسلم هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك
يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فأى رجل هو فيكم فقالوا هو اعلم يهودى بقى على وجه الارض بما
انزل اللّه على موسى عليه السلام فى التوراة قال فأرسلوا اليه ففعلوا فلما جاء قال له النبى صلى اللّه عليه وسلم
انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم يهودى قال كذلك يقولون فقال النبى صلى اللّه عليه وسلم لليهود
تجعلونه بينى وبينكم قالوا نعم فقال النبى صلى اللّه عليه وسلم لابن صوريا ناشدتك باللّه الذى لا اله
الا هو الذى انزل التوراة على موسى واخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وانجاكم واغرق
آل فرعون وبالذى ظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى وانزل عليكم كتابه فيه حلاله
وحرامه هل تجدون فى كتابكم الرجم على المحصن فقال ابن صوريا اللهم نعم والذى ذكرتنى به
لولا خشيت ان ينزل علينا العذاب ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هى فى كتابكم
يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخله فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليهما الرجم
فقال ابن صوريا والذى انزل التوراة على موسى هكذا انزل اللّه فى التوراة على موسى فقال له النبى
صلى اللّه عليه وسلم فما كان اول ما ترخصتم به فى امر اللّه تعالى فقال ابن صوريا كنا اذا اخذنا
الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنا فى اشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم
نرجمه ثم زنى رجل آخر فى امرأة من قومه فأراد الملك رجمه فقام قومه دونه وقالوا واللّه لا ترجمه
حتى ترجم فلانا لابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيأ دون الرجم يكون على الشريف والوضيع
فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد اربعين جلدة بحبل مطلى بقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على
حمارين ووجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا ذلك مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا
ما اسرع ما اخبرته وما كنت لما اثنينا عليك بأهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك فقال لهم ابن صوريا
انه قد ناشدنى بالتوارة ولولا خشيت ان ينزل علينا العذاب ما اخبرته فأمر النبى صلى اللّه عليه وسلم
بهما فرجما عند باب المسجد وقال اللهم انى اول من احيا امرك اذا اماتوه فانزل اللّه هذه الآية (ق) عن
ابن عمر قال ان اليهود جاؤا الى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فذكروا له ان امرأة منهم ورجلا زنيا
فقال لهم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم فقالوا نفضحهم
ويجلدون فقال عبد اللّه بن سلام كذبتم ان فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع احدهم
يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد اللّه بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم
فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فامر بهما النبى صلى اللّه عليه وسلم فرجما قال فرايت الرجل يحنى
على المرأة يقيها الحجارة وفى رواية اخرى لهما قال اتى النبى صلى اللّه عليه وسلم برجل وامرأة من اليهود

موصوفة بصفات العبادة
والعلم ولا انسبوا فعلهم
وعلمهم اليها بل الى اللّه والا
استكبروا واظهروا العجب
(ترى اعينهم تفيض
من الدمع) شوقا الى
ما عرفوا من توحيد الذات
لانهم كانوا اهل رياضة
وذوق فهاجت نفوسهم
بسماع الوحى وذكروا
الوحدة (مما عرفوا من الحق)
بصفاته اوسمعوا من الحق
كلامه فبكوا اشتياقا كما قال
ويبكى ان نأوا شوقا اليهم
ويبكى ان دنوا خوف

قد زنيا فقال اليهود ماتصنعون بهما قالوا نفحم وجوههما ونخزيهما قال فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فجاؤا بها فقال لرجل ممن يرضون اعور اقرأ فقرأ حتى انتهى الى موضع منها فوضع يده عليها فقال ارفع يدك فرفع يده فاذا آية الرجم تلوح فقال يا محمد ان فيها الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا فأمر بهما فرجما فرايته يجنى زاد فى رواية أخرى فرجما قريبا من موضع الجنائز قرب المسجد (م) عن البراء بن عازب قال مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودى محمم مجلود فدعاهم فقال هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال انشدك بالله الذى انزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم قال لا ولولا انك نشدتنى بهذا لم اخبرك بحد الرجم ولكنه كثر فى اشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فلنجتمع على شئ نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انى اول من احيا امرك اذا اماتوه فامر به فرجم فانزل الله يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر الى قوله ان اوتيتم هذا فخذوه يقول ائتوا محمدا فان امركم بالتحميم والجلد فخذوه وان امركم بالرجم فاحذروه فانزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون فى الكفار كلها التحميم هو تسويد الوجه بالحمم وهو الفحم وقوله ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم قال العلماء هذا السؤال من النبى صلى الله عليه وسلم ليس بتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم وانما هو لالزامهم بما يعتقدونه فى كتابهم ولعله صلى الله عليه وسلم كان قد اوحى اليه ان الرجم فى التوراة الموجودة فى ايديهم لم يغيروه كما غيروا اشياء منها اواخبره بذلك من اسلم من اهل الكتاب وهو عبد الله بن سلام كما فى حديث ابن عمر المتفق عليه ولذلك لم يخف عليه صلى الله عليه وسلم حين كتموه * قوله تعالى (يحرفون الكلم) يعنى يغيرون حدود الله التى اوجبها عليهم فى التوراة وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم وقال الحسن انهم يغيرون ما يسمعون من النبى صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وقال ابن جرير الطبرى يحرفون حكم الكلم فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين به (من بعد مواضعه) يعنى من بعد ان وضعه الله مواضعه وفرض فروضه واحل حلاله وحرم حرامه * فان قلت قد قال الله عز وجل هنا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقال فى موضع آخر يحرفون الكلم عن مواضعه فهل من فرق بينهما * قلت نعم بينهما فرق وذلك انا اذا فسرنا يحرفون الكلم عن مواضعه بالتأويلات الباطلة فيكون معنى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه انهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان انهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب واما قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه ففيه دلالة على انهم جمعوا بين الامرين يعنى انهم كانوا يذكرون التأويلات الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظة من الكتاب ففى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه اشارة الى التأويل الباطل وفى قوله من بعد مواضعه اشارة الى اخراجه من الكتاب بالكلية * وقوله تعالى (يقولون) يعنى اليهود (ان اوتيتم هذا فخذوه) يعنى ان افتاكم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا منه (وان لم تؤتوه فاحذروا) يعنى وان لم يفتكم بذلك وافتاكم بالرجم فاحذروا ان تقبلوه (ومن يرد الله فتنته) يعنى كفره وضلالته (فلن تملك له من الله شيأ) يعنى فلن تقدر على دفع امر الله فيه (اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم)

الفراق (يقولون ربنا آمنا) بالتوحيد الذاتى ايمانا عينيا فاجعلنا (فاكتبنا من الشاهدين) الحاضرين الذين مقامهم الشهود الذاتى واليقين الحقى وايمانا علميا يقينيا فاجعلنا مع المعاينين (ومالنا لانؤمن بالله) ايمانا حقيقيا بذاته وماجاءنا من كلامه اولانؤمن بالله جمعا (وماجاءنا من الحق) تفصيلا (ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) الذين استقاموا بالبقاء بعد فنائهم بالله بما قالوا (جنات تجرى

قال ابن عباس معناه ان يخلص نياتهم وقيل معناه لم يرد الله ان يهديهم وفى هذه الآية دلالة على ان الله تعالى لم يرد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل ذلك لآمن وهذه الآية من اشد الآيات على القدرية (لهم فى الدنيا خزى) يعنى للمنافقين واليهود اما خزى المنافقين فبالفضيحة وهتك استارهم باظهار نفاقهم وكفرهم واما خزى اليهود فبأخذ الجزية والقتل والسبي والاجلاء من ارض الحجاز الى غيرها (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) يعنى الخلود فى النار للمنافقين واليهود * قوله عز وجل (سماعون للكذب اكالون للسحت) نزلت فى حكام اليهود مثل كعب بن الاشرف ونظرائه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم منهم اذا اتاه احدهم برشوة جعلها فى كمه ثم يريها اياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب ويأكل الرشوة وهى السحت واصل السحت الاستئصال يقال سحته اذا استأصله وسميت الرشوة فى الحكم سحتا لانها تستأصل دين المرتشى والسحت كله حرام تحمل عليه شدة الشره وهو يرجع الى الحرام الخسيس الذى لا تكون له بركة ولا لآخذه مروءة ويكون فى حصوله عار بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم ان حال الرشوة كذلك فلذلك حرمت الرشوة على الحاكم * عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشى والمرتشى فى الحكم اخرجه الترمذى واخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الحسن انما ذلك فى الحاكم اذا رشوته ليحق لك باطلا او يبطل عنك حقا وقال ابن مسعود الرشوة فى كل شئ فمن شفع شفاعة ليرد بها حقا او يدفع بها ظلما فاهدى بها اليه فقبل فهو سحت فقيل له يا ابا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم فقال الاخذ على الحكم كفر قال تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون * قوله عز وجل (فان جاؤك) يعنى اليهود (فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ) خير الله رسوله صلى الله عليه وسلم فى الحكم بينهم فان شاء حكم وان شاء ترك قال الحسن ومجاهد والسدى نزلت فى اليهوديين اللذين زنيا وقال قتادة نزلت فى رجلين من قريظة والنضير قتل احدهما الآخر قال ابن زيد كان حيي بن اخطب قد جعل للنضيرى ديتين وللقرظى دية واحدة لانه كان من بنى النضير فقالت قريظة لا نرضى بحكم حيي ونتحاكم الى محمد فانزل الله هذه الآية يخير نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فى الحكم بينهم

* (فصل) * اختلف علماء التفسير فى حكم هذه الآية على قولين احدهما انها منسوخة وذلك ان اهل الكتاب كانوا اذا ترافعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم كان مخيرا فان شاء حكم بينهم وان شاء اعرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله فلزمه الحكم بينهم وزال التخيير وهذا القول مروى عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدى والقول الثانى انها محكمة وحكام المسلمين بالخيار اذا ترافعوا اليهم فان شاؤا حكموا بينهم وان شاؤا اعرضوا عنهم وهذا القول مروى عن الحسن والشعبى والنخعى والزهرى وبه قال احمد لانه لا منافاة بين الآيتين اما قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم ففيه التخيير بين الحكم والاعراض واما قوله وان احكم بينهم بما انزل الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام فخر الدين الرازى ومذهب الشافعى انه يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين اهل الكتاب اذا تحاكموا اليه لان فى امضاء حكم الاسلام صغارا لهم فاما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم ان يحكم

من تحتها الانهار خالدين فيها) من التجليات الثلاث مع ومها (وذلك جزاء المحسنين) المشاهدين للوحدة فى عين الكثرة بالاستقامة فى الله (والذين كفروا) حجبوا عن الذات (وكذبوا بآياتنا) بآيات الصفات (اولئك اصحاب) الحرمان الكلى فى جميع صفات النفوس (يا ايها الذين آمنوا) ايمانا عليا (لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم) من مكاشفات الاحوال وتجليات الصفات بتقصيركم فى السلوك .

بينهم بل يخير فى ذلك وهذا التخيير المذكور فى هذه الآية مخصوص بالمعاهدين واما اذا تحاكم مسلم وذمى وجب على الحاكم الحكم بينهم لايختلف القول فيه لانه لايجوز للمسلم الانقياد لحكم اهل الذمة والله اعلم * وقوله تعالى (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) يعنى بالعدل والاحتياط (ان الله يحب المقسطين) يعنى العادلين فيما ولوا وحكموا فيه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم واهليهم وما ولوا هذا من احاديث الصفات فمن العلماء من قال فيه وفى امثاله نؤمن بها ولا نتكلم فى تأويلها ولا نعرف معناها لكن نعتقد ان ظاهرها غير مراد وان لها معنى يليق بالله هذا مذهب جماهير السلف وطوائف من المتكلمين ومنهم من قال انها تؤول بتأويل يليق بها وهذا قول اكثر المتكلمين فعلى هذا قال القاضى عياض المراد بكونهم عن اليمين الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة والعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان الى اليمين وضده الى اليسار قالوا واليمين مأخوذة من اليمن وقوله وكلتا يديه يمين مبنى على انه ليس المراد باليمين الجارحة تعالى الله عن ذلك فانها مستحيلة فى حقه تعالى وقوله وما ولوا بفتح الواو وضم اللام المخففة هكذا ذكره الشيخ محيى الدين فى شرح مسلم قال ومعناه وما كانت لهم عليه ولاية وهذا الفضل لمن عدل فيما تقلده من الاحكام والله اعلم * قوله تعالى (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة) هذا تعجيب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى تحكيم اليهود اياه مع علمهم بما فى التوراة وتركهم قبول ذلك الحكم مع اعتقادهم صحته وعدولهم الى حكم من يجحدون نبوته طلبا للرخصة لاجرم ان الله تعالى اظهر جهلهم وعنادهم لانهم حكموا النبى صلى الله عليه وسلم فى امر الزانيين ثم اعرضوا عن حكمه وفى الآية تقريع لليهود والمعنى وكيف يجعلونك حكما بينهم ويرضون بحكمك وعندهم التوراة (فيها حكم الله) يعنى الرجم الذى تحاكموا اليك من اجله (ثم يتولون من بعد ذلك) يعنى ثم يعرضون عن حكمك الموافق لما فى كتابهم (وما اولئك) يعنى اليهود (بالمؤمنين) يعنى بكتابهم كما يزعمون وقيل معناه وما اولئك بالمصدقين لك * قوله عز وجل (انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور) سبب نزول هذه الآية استفتاء اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امر الزانيين وقد سبق بيانه والهدى هو البيان لان التوراة مبينة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومبينة ما تحاكموا فيه والنور هو الكاشف للشبهات الموضح للمشكلات والتوراة كذلك وقيل الفرق بين الهدى والنور ان الهدى محمول على بيان الاحكام والشرائع والنور محمول على بيان احكام التوحيد والنبوات والمعاد (يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا) اراد بالنبيين الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام وذلك ان الله بعث فى بنى اسرائيل الوفا من الانبياء وليس معهم كتاب انما بعثوا باقامة التوراة واحكامها ومعنى اسلموا اى انقادوا لامر الله تعالى والعمل بكتابه وهذا على سبيل المدح لهم وفيه تعريض باليهود لانهم بعدوا عن الاسلام الذى هو دين الانبياء عليهم السلام وقال الحسن والزهرى وعكرمة وقتادة والسدى يحتمل ان يكون المراد بالنبيين الذين اسلموا هو محمد صلى الله عليه وسلم وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما وتشريفا له صلى الله عليه وسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجم وكان هذا الحكم فى التوراة قال ابن الانبارى هذا رد على اليهود والنصارى لان الانبياء عليهم السلام ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين لله تعالى منقادين لامره ونهيه للذين هادوا

(ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) بطغيان النفس وظهورها بصفاتها واجعلوا ما رزقكم الله من علوم التجليات ومواهب الاحوال والمقامات غذاء قلوبكم سائغا طيبا واجعلوا الله وقاية لكم فى حصول تلك الكمالات بان تروها منه وله لا منكم ولكم فتطغوا (واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان

يعني اليهود يعني يحكم بالتوراة لهم وفيما بينهم ويحملهم على احكامها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم كما هو في التوراة ولم يوافقهم على ما ارادوه من الجلد وقال الزجاج وجائز ان يكون المعنى على التقديم والتأخير على معنى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين اسلموا (والربانيون والاحبار) اما الربانيون فتقدم تفسيره في سورة آل عمران واما الاحبار فقال ابن عباس هم الفقهاء وقيل هم العلماء الاحبار واحده حبر بفتح الحاء وكسرها لغتان وقال الفراء انما هو حبر بكسر الحاء وانما سمي به لمكان الحبر الذي يكتب به وذلك لانه صاحب كتاب وقال ابوعبيد انما هو حبر بفتح الحاء والحبر العالم لما يبقى من اثر علومه في قلوب الناس وافعاله الحسنة التي يقتدى بها وجمعه احبار ومنه كعب الاحبار وقيل الحبر الاثر المستحسن ومنه الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره اي جماله وبهاؤه وانما سمي العالم حبرا لما عليه من اثر جمال العلم * وهل فرق بين الربانيين والاحبار ام لا فيه خلاف فقيل لا فرق والربانيون والاحبار بمعنى واحد وهم العلماء والفقهاء وقيل الربانيون اعلى درجة من الاحبار لان الله تعالى قدمهم في الذكر على الاحبار وقيل الربانيون هم الولاة والحكام والاحبار هم العلماء وقيل الربانيون علماء النصارى والاحبار علماء اليهود ومعنى الآية يحكم باحكام التوراة النبيون وكذلك يحكم بها الربانيون والاحبار * وقوله تعالى (بما استحفظوا من كتاب الله) يعني بما استودعوا من كتاب الله وقيل هو ان يحفظوا كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو ان يحفظوه فلا يضيعوا احكامه وشرائعه وقد اخذ الله على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين معا وذلك بان يحفظوا كتاب الله في صدورهم ويدرسوه بالسنتهم لئلا ينسوه وان لا يضيعوا احكامه ولا يهملوا شرائعه فاذا فعلوا ذلك كانوا قائمين بحفظه (وكانوا عليه شهداء) يعني ان هؤلاء النبيين والربانيين والاحبار كانوا شهداء على كتاب الله تعالى ويعلمون انه حق وصدق وانه من عند الله (فلا تخشوا الناس واخشون) هذا خطاب لحكام اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لا تخافوا احدا من الناس في اظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالرجم واخشون يعني في كتمان ذلك (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) يعني ولا تستبدلوا بآيات الله واحكامه ثمنا قليلا يعني الرشوة في الاحكام والجاه عند الناس ورضاهم والمعنى كما نهيتكم عن تغيير الاحكام لاجل خوف الناس كذلك انهاكم عن التغيير والتبديل لاجل الطمع في المال والجاه واخذ الرشوة فان كل متاع الدنيا قليل (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) يعني ان اليهود لما انكروا حكم الله تعالى المنصوص عليه في التوراة وقالوا انه غير واجب عليهم فهم كافرون على الاطلاق بموسى والتوراة وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن * واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآيات الثلاث وهي قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون فقال جماعة من المفسرين ان الآيات الثلاث نزلت في الكفار ومن غير حكم الله من اليهود لان المسلم وان ارتكب كبيرة لا يقال انه كافر وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا القول ما روى عن البراء بن عازب قال انزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون في الكفار كلها اخرجه مسلم

فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن

وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون الى قوله الفاسقون هذه الآيات الثلاث فى اليهود خاصة قريظة والنضير اخرجه ابو داود وقال مجاهد فى هذه الآيات الثلاث من ترك الحكم بما انزل الله ردا لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق وقال عكرمة ومن لم يحكم بما انزل الله جاحدا به فقد كفر ومن اقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس ايضا واختيار الزجاج لانه قال من زعم ان حكما من احكام الله تعالى التى اتت بها الانبياء باطل فهو كافر وقال طاوس قلت لابن عباس اكافر من لم يحكم بما انزل الله فقال به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونحو هذا روى عن عطاء قال هو كفر دون الكفر وقال ابن مسعود والحسن والنخعى هذه الآيات الثلاث عامة فى اليهود وفى هذه الامة فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق واليه ذهب السدى لانه ظاهر الخطاب وقيل هذا فيمن علم نص حكم الله ثم رده عيانا عمدا وحكم بغيره واما من خفى عليه النص اواخطأ فى التأويل فلا يدخل فى هذا الوعيد والله اعلم بمراده * قوله تعالى (وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس) يعنى وفرضنا على بنى اسرائيل فى التوراة ان نفس القاتل بنفس المقتول وفاقا فيقتل به وذلك ان الله تعالى حكم فى التوراة ان على الزانى المحصن الرجم واخبران اليهود بدلوه وغيروه واخبر ايضا ان فى التوراة ان النفس بالنفس وان هؤلاء اليهود غيروا هذا الحكم وبدلوه ففضلوا بنى النضير على بنى قريظة فكان بنو النضير اذا قتلوا من قريظة ادّوا اليهم نصف الدية واذا قتل بنو قريظة من بنى النضير ادّوا اليهم الدية كاملة فغيروا حكم الله الذى انزله فى التوراة قال ابن عباس اخبر الله بحكمه فى التوراة وهو ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص قال فمالهم يخالفون فيقتلون النفسين بالنفس ويفقؤن العينين بالعين ومعنى الآية ان قاتل النفس يقتل بها اذا تكافأ الدمان ومذهب الشافعى انه لا يقتل مسلم بكافر لما صح من حديث علىّ بن ابى طالب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر الحديث اخرجاه فى الصحيحين * وقوله تعالى (والعين بالعين) يعنى تفقأ بها (والانف بالانف) يعنى يجدع به (والاذن بالاذن) يعنى تقطع بها (والسن بالسن) يعنى تقلع بها واما سائر الاطراف والاعضاء فيجرى فيها القصاص كذلك * وقوله تعالى (والجروح قصاص) يعنى فيما يمكن ان يقتص منه وهذا تعميم بعد التخصيص لان الله تعالى ذكر النفس والعين والانف والاذن فخص هذه الاربعة بالذكر ثم قال تعالى والجروح قصاص على سبيل العموم فيما يمكن ان يقتص منه كاليد والرجل والذكر والانثيين وغيرها واما ما لا يمكن القصاص فيه كرض فى لحم اوكسر فى عظم اوجراحة فى بطن يخاف منها التلف فلا قصاص فى ذلك وفيه الارش والحكومة * واعلم ان هذه الآية دالة على ان هذا الحكم كان شرعا فى التوراة فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا الا ما نسخ منه بالتفصيل قال هذه الآية حجة فى شرعنا ومن انكره قال انها ليست بحجة علينا واصل هذه المسئلة ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم وامته بعد البعثة هل هم متعبدون بشرع من تقدم من الانبياء عليهم السلام فنقل عن اصحاب ابى حنيفة وبعض اصحاب الشافعى وعن احمد فى احدى الروايتين عنه انه كان متعبدا بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحى اليه لا من جهة كتبهم المبدلة ونقل اربابها واختار ابن الحاجب من المتأخرين هذا المذهب وهو انه صلى الله عليه وسلم كان بعد البعثة متعبدا بشرع

ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون) موحدين (واطيعوا الله) بالفناء فيه فتنقادوا فيما يستعملكم فيه كالميت (واطيعوا الرسول) بالبقاء بعد الفناء فتستقيموا فيه مراعين للتفصيل احياء بحياته (واحذروا) ظهور البقاء حالة الاستقامة (فان توليتم فاعلموا) انّ التقصير منكم نما على رسولنا وما على الرسول الا البلاغ لا الالزام (ليس على الذين آمنوا) الايمان العيانىّ بتوحيد الافعال (وعملوا) بمقتضى ايمانهم

من قبله فيما لم ينسخ من الاحكام الباقية قبل شريعته لكنه لم يعتبر فيه قيد الوحى وهو الحق والاليق للنزاع بمعنى اذلا ينكر احد كون النبي صلى الله عليه وسلم متعبدا بعد البعثة بما اوحى اليه سواء كان من شريعة من قبله ام لا وذهبت الاشاعرة والمعتزلة الى المنع من ذلك وهو اختيار الآمدى من المتأخرين واحتج الاولون لصحة مذهبهم بأن الاجماع منعقد على صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الآية مع انه من شريعة من تقدم لانه مذكور فى التوراة ومكتوب على بنى اسرائيل ولولا انا متعبدون بشريعة من قبلنا لما صح هذا الاستدلال * قوله تعالى (فمن تصدق به) يعنى بالقصاص فلم يقتص من الجانى (فهو كفارة له) فى هاء له قولان احدهما ان الهاء فى له كناية عن المجروح وولى المقتول وذلك ان المجروح اوولى المقتول اذا تصدق بالقصاص كان ذلك كفارة لذنوبه وهذا قول ابن مسعود وعبدالله بن عمرو بن العاص والحسن ويدل عليه ماروى عن ابى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن رجل يصاب بشئ من جسده فيتصدق به الا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة اخرجه الترمذى وعن انس قال مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه شئ فيه قصاص الا امر فيه بالعفو اخرجه ابوداود والنسائى والقول الثانى ان الضمير فى قوله له يعود الى الجارح والقاتل يعنى ان المجنى عليه اذا عفا عن الجانى كان ذلك العفو كفارة لذنب الجانى لايؤاخذ به فى الآخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل كما ان القصاص كفارة له فاما اجر العافى فعلى الله تعالى * وقوله تعالى (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون) يعنى لانفسهم حيث لم يحكموا بما انزل الله عز وجل * قوله عز وجل (وقفينا على آثارهم) يعنى وعقبنا على آثار النبيين الذين اسلموا (بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة) يعنى ان عيسى عليه السلام كان مصدقا بان التوراة منزلة من عندالله عز وجل وكان العمل بها واجبا قبل ورود النسخ عليها فان عيسى عليه السلام نسخ بعض احكام التوراة وخالفها (وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور) يعنى فيه هدى من الجهالة وضياء من عمى البصيرة (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) هذا ليس بتكرار الاول لان فى الاول الاخبار بأن عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة وفى الثانى الاخبار بأن الانجيل مصدق للتوراة فظهر الفرق بين اللفظين وانه ليس بتكرار (وهدى وموعظة للمتقين) انما قال وهدى مرة اخرى لان الانجيل يتضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون سببا لاهتداء الناس الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واما كون الانجيل موعظة فلما فيه من المواعظ البليغة والزواجر والامثال وانما خص المتقين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بالمواعظ * قوله تعالى (وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه) قال اهل المعانى قوله وليحكم يحتمل وجهين احدهما ان يكون المعنى وقلنا ليحكم اهل الانجيل فيكون هذا اخبارا عما فرض عليهم فى وقت انزاله عليهم من الحكم بما تضمنه الانجيل ثم حذف القول لان ماقبله من قوله وكتبنا وقفينا يدل عليه وحذف القول كثير والوجه الثانى ان يكون قوله وليحكم ابتداء وفيه امر للنصارى بالحكم بما فى كتابهم وهو الانجيل * فان قلت فعلى هذا الوجه كيف جاز ان يؤمروا بالحكم بما فى الانجيل بعد نزول القرآن * قلت ان المراد بهذا الحكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لان ذكره فى الانجيل ووجوب التصديق بنبوته موجود فاذا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد حكموا بما فى الانجيل وقوله (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون) يعنى فأولئك هم الخارجون من طاعة الله عز وجل * قوله عز وجل (وانزلنا اليك الكتاب)

اعمالا تخرجهم من حجب الافعال وتصلحهم لرؤية افعال الحق حرج وضيق فيما تمتعوا به من انواع الحظوظ اذا ما اجتنبوا بقايا افعالهم واتخذوا الله وقاية فى صدور الافعال منهم (وآمنوا) بتوحيد الصفات (وعملوا) مايخرجهم عن حجب الصفات ويصلحهم لمشاهدة التجليات الآلهية بالصوفيها (ثم اتقوا) بقايا صفاتهم واتخذوا الله وقاية فى صدور صفاته عليهم (وآمنوا) بتوحيد الذات

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وانزلنا اليك يا محمد القرآن (بالحق) يعني بالصدق الذي لاشك فيه انه من عند الله (مصدقا لما بين يديه من الكتاب) يعني انه يصدق جميع الكتب التي انزلها الله على انبيائه (ومهيمنا عليه) قال ابن عباس يعني شاهدا على الكتب التي قبله ومنه قول حسان

ان الكتاب مهيمن لنبينا والحق يعرفه ذووا الالباب

يريد انه شاهد ومصدق لنبينا صلى الله عليه وسلم وانما كان القرآن مهيمنا على الكتب التي قبله لانه الكتاب الذي لاينسخ ولا يغير ولا يبدل واذا كان القرآن كذلك كانت شهادته على التوراة والانجيل والزبور وجميع الكتب المنزلة حقا وصدقا وقيل المهيمن الامين وانما كان القرآن امينا على الكتب التي قبله فيما اخبر اهل الكتب عن كتبهم فان قالوا ذلك في القرآن فقد صدقوا والافلا (فاحكم بينهم بما انزل الله) يعني اذا ترافع اهل الكتاب اليك يا محمد فاحكم بينهم بالقرآن الذي انزله الله اليك (ولا تتبع اهواءهم) يعني ولا تتبع اهواء هؤلاء اليهود في الحكم وقال ابن عباس لاتأخذ باهوائهم في جلد المحصن (عما جاءك من الحق) يعني ولا تنحرف عن الحق الذي جاءك من عند الله متبعا اهواءهم وقوله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق وان كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يتبع اهواءهم قط* وقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) الخطاب في قوله منكم للامم الثلاث امة موسى وامة عيسى وامة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين بدليل ان الله عز وجل قال قبل هذا انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور ثم قال بعد ذلك وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ثم قال وانزلنا اليك الكتاب ثم جمع فقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة يعني لكل امة شريعة فللتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة والدين واحد وهو التوحيد واصل الشريعة من الشرع وهو البيان والاظهار فمعنى شرع بين واوضح وقيل هو من الشروع في الشئ والشريعة في كلام العرب المشرعة التي يشرعها الناس فيشربون ويسقون منها وقيل الشريعة الطريقة ثم استعير ذلك للطريقة الالهية المؤدية الى الدين والمنهاج الطريق الواضح وقال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد والتكرير للتأكيد والمراد بهما الدين وقال آخرون بينهما فرق لطيف وهو ان الشريعة هي التي امر الله بها عباده والمنهاج الطريق الواضح المؤدي الى الشريعة قال ابن عباس في قوله شرعة ومنهاجا سنة وسبيلا وقال قتادة سبيلا وسنة فالسنن مختلفة للتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة يحل الله عز وجل فيها مايشاء ويحرم مايشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذي لايقبل غيره هو التوحيد والاخلاص لله الذي جاءت به جميع الرسل عليهم السلام وقال علي بن ابي طالب الايمان منذ بعث آدم عليه السلام شهادة ان لااله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله ولكل قوم شريعة ومنهاج قال العلماء وردت آيات دالة على عدم التباين في طريقة الانبياء والرسل منها قوله شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا الى قوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومنها قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ووردت آيات دالة على حصول التباين بينهم منها هذه الآية وهي قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق الجمع بين هذه الآيات ان كل آية دلت على عدم التباين فهي دالة على اصول الدين من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكل ذلك جاءت به الرسل من عند الله ولم يختلفوا فيه واما الآيات الدالة على حصول التباين بينهم فمحمولة على الفروع

(ثم اتقوا) بقية ذواتهم واتخذوا الله وقاية في وجودهم بالفناء المحض والاستهلاك في عين الذات واحسنوا بشهود التفصيل في عين الجمع والاستقامة في البقاء بعد الفناء (والله يحب المحسنين) المشاهدين للوحدة في عين الكثرة المراعين لحقوق التفاصيل في عين الجمع بالوجود الحقاني (يا ايها الذين آمنوا) بالغيب (ليبلونكم الله) حال سلوككم واحرامكم لزيارة كعبة الوصول (بشئ من الصيد تناله ايديكم ورماحكم)

وما يتعلق بظواهر العبادات فجائز ان يتعبد الله عباده فى كل وقت بما يشاء فهذه طريق الجمع بين هذه الآيات والله اعلم باسرار كتابه *واحتج بهذه من قال ان شرع من قبلنا لا يلزمنا لان قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يدل على ان كل رسول جاء بشريعة خاصة فلا يلزم امة رسول الاقتداء بشريعة رسول آخر ثم قال تعالى (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) يعنى جماعة متفقة على شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه (ولكن ليبلوكم) يعنى ولكن اراد ان يختبركم (فيما آتاكم) يعنى من الشرائع المختلفة هل تعملون بها ام لا فيتبين بذلك المطيع من العاصى والموافق من المخالف (فاستبقوا الخيرات) هذا خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم يعنى فبادروا يا امة محمد بالاعمال الصالحات التى تقربكم الى الله تعالى (الى الله مرجعكم جميعا) يعنى المطيع والعاصى والموافق والمخالف (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) يعنى فيخبركم فى الآخرة بما كنتم فيه تختلفون من امر الدين والدنيا والمعنى فيخبركم فى الآخرة بما لا تشكون معه فيفصل بين المحق والمبطل والطائع والعاصى بالثواب والعقاب *قوله تعالى (وان احكم بينهم بما انزل الله) قال ابن عباس ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم وساداتهم وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك ونصدقك فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم . نزل الله هذه الآية وان احكم بينهم بما انزل الله يعنى احكم بينهم يا محمد بالحكم الذى انزله الله فى كتابه (ولا تتبع اهواءهم) يعنى فيما امروك به قال العلماء ليس فى هذه الآية تكرار لما تقدم وانما نزلت فى حكمين مختلفين اما الآية الاولى فنزلت فى شأن رجم المحصن وان اليهود طلبوا منه ان يجلده وهذه الآية نزلت فى شأن الدماء والديات حين تحاكموا اليه فى امر قتيل كان بينهم قال بعض العلماء هذه الآية ناسخة للتخيير فى قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم *وقوله تعالى (واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك) يعنى واحذر يا محمد هؤلاء اليهود الذين جاؤا اليك ان يصرفوك ويصدوك بمكرهم وكيدهم فيحملوك على ترك العمل ببعض ما انزل الله اليك فى كتابه واتباع اهوائهم (فان تولوا) يعنى فان اعرضوا عن الايمان بك والرضا بالحكم بما انزل الله عليك (فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم) يعنى فاعلم يا محمد ان الله يريد ان يعجل لهم العقوبة فى الدنيا ببعض ذنوبهم وانما خص بعض الذنوب لان الله جازاهم فى الدنيا على بعض ذنوبهم بالقتل والسبى والجلاء وآخر مجازاتهم على باقى ذنوبهم الى الآخرة (وان كثيرا من الناس لفاسقون) يعنى اليهود لانهم ردوا احكم الله تعالى (افحكم الجاهلية يبغون) يعنى افحكم الجاهلية يطلب هؤلاء اليهود قال ابن عباس يعنى بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلال والجور فى الاحكام وتحريفهم اياها عما امر الله به وقال مقاتل كانت بين بنى النضير وقريظة دماء وهما حيان من اليهود وذلك قبل ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فلما بعث وهاجر الى المدينة تحاكموا اليه فقالت بنو قريظة بنو النضير اخواننا ابونا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد فان قتل بنو النضير منا قتيلا اعطونا سبعين وسقا من تمر وان قتلنا منهم قتيلا اخذوا منا مائة واربعين وسقا وارش جراحتنا على النصف من جراحتهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى احكم ان دم القرظى وفاء من دم النضيرى ودم النضيرى وفاء من دم القرظى ليس لاحدهما فضل على الآخر فى دم ولا عقل ولا جراحة فغضبت بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك

من المحظوظ بتيسر لكم وتهيأ ما يتوصل به اليها (ليعلم الله) العلم التفصيلى التابع للوقوع الذى يترتب عليه جزاء (من يخافه) فى حالة الغيبة فان الخوف لا يكون الا للمؤمنين بالغيب لتعلقه بالخطاب الذى هو من باب الافعال واما فى حالة الحضور فاما الخشية فتجلى الربوبية والعظمة واما الهيبة فتجلى الذات فالخوف من صفات النفس والخشية من صفات القلب والهيبة من صفات الروح

فانك لناعدو وانك ماتألوف وضعنا وتصغيرنا فأنزل الله افحكم الجاهلية يبغون وقرئ بالتاء على الخطاب والمعنى قل لهم يا محمد افحكم الجاهلية يبغون (ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون) يعنى اى حكم احسن من حكم الله ان كنتم موقنين ان لكم ربا وانه عدل فى احكامه * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء) اختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الآية وان كان حكمها عاما لجميع المؤمنين لان خصوص السبب لا يمنع من عموم الحكم فقال قوم نزلت هذه الآية فى عبادة بن الصامت رضى الله عنه وعبدالله ابن ابى بن سلول رأس المنافقين وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لى اولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم وانى ابرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم ولا مولى لى الا الله ورسوله فقال عبدالله بن ابى لكنى لا ابرأ من ولاية اليهود فانى اخاف الدوائر ولا بدلى منهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا ابا الحباب مانفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه فقال اذن اقبل فأنزل الله هذه الآية وقال السدى لما كانت وقعة احد اشتد الامر على طائفة من الناس وتخوفوا ان يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين انا الحق بفلان اليهودى وآخذ منه امانا انى اخاف ان يدال علينا اليهود وقال رجل آخر انا الحق بفلان النصرانى من اهل الشام وآخذ منه امانا فأنزل الله هذه الآية ينهاهم عن موالاة اليهود والنصارى وقال عكرمة نزلت فى ابى لبابة بن عبد المنذر لما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة حين حاصرهم فاستشاروه فى النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل اصبعه فى حلقه اشارة الى انه الذبح وانه يقتلكم فأنزل الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فنهى الله المؤمنين جميعا ان يتخذوا اليهود والنصارى انصارا واعوانا على اهل الايمان بالله ورسوله واخبر انه من اتخذهم انصارا واعوانا وحلفاء من دون الله ورسوله والمؤمنين فانه منهم وان الله ورسوله والمؤمنين منه براء (بعضهم اولياء بعض) يعنى ان بعض اليهود انصار لبعض على المؤمنين وان النصارى كذلك يد واحدة على من خالفهم فى دينهم وملتهم (ومن يتولهم منكم فانه منهم) يعنى ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فينصرهم على المؤمنين فهو من اهل دينهم وملتهم لانه لا يتولى مولى احد الا وهو راض به وبدينه واذا رضيه ورضى دينه صار منهم وهذا تعليم من الله تعالى وتشديد عظيم فى مجانبة اليهود والنصارى وكل من خالف دين الاسلام (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) يعنى ان الله لا يوفق من وضع الولاية فى غير موضعها فتولى اليهود والنصارى مع علمه بعداوتهم لله ولرسوله وللمؤمنين روى ان ابا موسى الاشعرى قال قلت لعمر بن الخطاب ان لى كاتبا نصرانيا فقال مالك وله قاتلك الله الا اتخذت حنيفا يعنى مسلما اما سمعت قول الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض قلت له دينه ولى كتابته فقال لا اكرمهم اذا اهانهم الله ولا اعزهم اذا اذلهم الله ولا ادنيهم اذا ابعدهم الله قلت انه لا يتم امر البصرة الا به فقال مات النصرانى والسلام يعنى هب انه مات فما تصنع بعده فما تعمله بعد موته فاعمله الآن واستغن عنه بغيره من المسلمين * قوله تعالى (فترى الذين فى قلوبهم مرض) يعنى فترى يا محمد الذين فى قلوبهم شك ونفاق (يسارعون فيهم) يعنى يسارعون فى مودة اليهود وموالاتهم ومناصحتهم لانهم كانوا اهل ثروة ويسار فكانوا يغشونهم ويخالطونهم لاجل ذلك نزلت فى عبدالله بن ابى المنافق وفى اصحابه من المنافقين (يقولون) يعنى المنافقين (نخشى ان تصيبنا دائرة) الدائرة من دوائر الدهر كالدولة التى تدول والمعنى يقول المنافقون انما نخالط اليهود لاننا نخشى ان يدور

(فمن اعتدى بعد ذلك) بارتكاب الحظوظ بعد الابتلاء (فله عذاب اليم) مؤلم للاحتجاب بفعله عن الشوق (يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا) لا ترتكبوا الحظوظ النفسانية فى حالة الاحرام الحقيقى ومن ارتكبه قصدا منه ونية بميل قوى من النفس وانجذاب اليه لا لامر اتفاق اورعاية حظر ضعيف اوصاحب (فجزاء مثل ما قتل من النعم) اى فحكمه جزاء فهر تلك القوة التى ارتكب بها الحظ الحيوانى من قوى

علينا الدهر بمكروه ويعنون بذلك المكروه الهزيمة في الحرب والقحط والجدب والحوادث المخوفة قال ابن عباس معناه نخشى ان لايتم امر محمد فيدور علينا الامر كما كان قبل محمد (فعسى الله ان يأتي بالفتح او امر من عنده) قال المفسرون عسى من الله واجب لان الكريم اذا اطمع في خير فعله وهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به ورجائها له والمعنى فعسى الله ان يأتي بالفتح لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على اعدائه واظهار دينه على الاديان كلها واظهار المسلمين على اعدائهم من الكفار واليهود والنصارى وقد فعل الله ذلك بمنه وكرمه فاظهر دينه ونصر عبده وقيل اراد بالفتح فتح مكة وقيل فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك ونحوهما من بلادهم او امر من عنده يعني انه تعالى يقطع اصل اليهود من ارض الحجاز ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة وتعب ولايكون للناس فيه فعل البتة كما التي في قلوبهم الرعب فأخلوا ديارهم وخربوها بايديهم ورحلوا الى الشام * وقوله تعالى (فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين) يعني فيصبح المنافقون الذين كانوا يوالون اليهود نادمين على ما حدثوا به انفسهم ان امر محمد لايتم وقيل ندموا على دس الاخبار الى اليهود (ويقول الذين آمنوا) يعني ويقول الذين آمنوا في وقت اظهار الله تعالى نفاق المنافقين (اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم) وذلك ان المؤمنين كانوا يتعجبون من حال المنافقين عندما اظهروا الميل الى موالاة اليهود والنصارى ويقولون ان المنافقين حلفوا بالله جهد ايمانهم انهم لمعنا ومن انصارنا والآن كيف صاروا موالين لاعدائنا من اليهود محبين للاختلاط بهم فبان كذب المنافقين في ايمانهم الباطلة (حبطت اعمالهم) اى بطل كل خير عملوه لاجل ما اظهروا من النفاق وموالاة اليهود (فاصبحوا خاسرين) يعني انهم خسروا في الدنيا بافتضاحهم وخسروا في الآخرة باحباط ثواب اعمالهم وحصلوا بالعذاب الدائم المقيم * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) يعني من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه وهو دين الاسلام فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر بعد الايمان فيختار اما اليهودية او النصرانية او غير ذلك من اصناف الكفر فلن يضر الله شيأ وانما ضر نفسه برجوعه عن الدين الصحيح الذي هو دين الاسلام قال الحسن علم الله تعالى ان قوما سيرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فاخبر انه سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه وذكر صاحب الكشاف ان احدى عشرة فرقة من العرب ارتدت ثلاث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا فتنبأ باليمن واستولى على بلاده واخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي بيته وقتله فاخبر صلى الله عليه وسلم المسلمين بقتله ليلة قتل فسر المسلمون بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد واتى خبر قتله في آخر ربيع الاول * وبنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين * وستأتي قصة قتله فيما بعد * وبنو أسد وهم قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه * وارتد سبع فرق في خلافة ابي بكر الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزاري وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو

النفس البهيمية بامر يوازي ذلك الحظ (يحكم به ذوا عدل) من العاقلتين النظرية والعملية (منكم) اى من انفسكم او من شيوخكم او من اصحابكم المقدمين السابقين بعينان كيفيته وكميته (هديا بالغ الكعبة) الحقيقية اى في حال كون تلك القوة البهيمية هديا بافنائها في الله ان كان صاحبها من الاقوياء مليا قادرا (او كفارة) اى ستر بصدقة او صيام يزيل ذلك الميل ويستر تلك الهيئة عن

(سليم)

سليم قوم الفجاءة بن عبدياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة اليربوعي وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوّجت نفسها من مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس الكندي وبنو بكر بن وائل قوم الحطم بن زيد فكفى الله امرهم على يد ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفرقة واحدة ارتدت في خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الايهم واختلف العلماء في المعني بقوله تعالى (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) فقال علي بن ابي طالب والحسن وقتادة هم ابوبكر واصحابه الذين قاتلوا اهل الردة ومانعي الزكاة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب كما تقدم تفصيله الا اهل المدينة واهل مكة واهل البحرين من بني عبد القيس فانهم ثبتوا على الاسلام ونصر الله بهم الدين ولما ارتد من ارتد من العرب ومنعوا الزكاة همّ ابوبكر بقتالهم وكره ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ودمه الا بحقه وحسابه على الله فقال ابوبكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا او قال عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها وقال انس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا هم اهل القبلة فتقلد ابوبكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره فقال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء وقال ابوبكر بن عياش سمعت اباحصين يقول ماولد بعد النبيين افضل من ابي بكر الصديق لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال اهل الردة وقالت عائشة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد العرب واشرأب النفاق ونزل بابي بكر مالو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وبعث ابوبكر الصديق خالد بن الوليد في جيش كبير الى بني حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فاهلك الله مسيلمة على يد وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة فكان وحشي يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد بذلك وحشي انه في حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس وفي حال اسلامه قتل مسيلمة الكذاب وهو شر الناس وقال قوم المراد بقوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الاشعريون قوم ابي موسى الاشعري روى عن عياض بن غنم الاشعري قال لما نزلت هذه الآية فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا يعني اباموسى الاشعري اخرجه الحاكم في المستدرك وقيل هم اهل اليمن (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم ارق افئدة والين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وقال السدي نزلت في الانصار لانهم هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانوه على اظهار الدين وقيل هم احياء من اهل اليمن الفان من النخع وخمسة آلاف من اهل كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من اخلاط الناس جاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في خلافة عمر وعلى هذا التقدير تكون هذه الآية اخبارا عن الغيب وقد وقع الخبر على وفقه بحمد الله تعالى فتكون هذه الآية معجزة واما معنى المحبة فيقال احببت فلانا بمعنى جعلت قلبي معرضا بان يحبه والمحبة ارادة ماتراه اوتظنه خيرا ومحبة الله تعالى العبد انعامه عليه وتوفيقه وهدايته الى طاعته والعمل بما يرضى به عنه وان يثيبه احسن الثواب على طاعته وان يثني عليه ويرضى عنه ومحبة العبد لله عزوجل ان يسارع الى طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعل

نفسه اوباشاء حق تلك القوّة والاقتصار عليه دون الحظ فانها مسكينة اوامساك عن افضال تلك القوّة بقدر ذلك الحظ كما يزول عنها الميل (ليذوق وبال امره عفى الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه) بالحجب والحرمان (والله عزيز) لا يمكن الوصول الى جنات عزه مع كدورات صفات النفس (ذوانتقام) بحجب بهيئة مظلمة وظهور صفة ووجود بقية كما قال تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام انذر الصديقين

ماوجب سخطه وعقوبته وان يتحبب اليه بما يوجب له الزلفى لديه جعلنا الله ممن يحبهم ويحبونه بمنه وكرمه * وقوله تعالى (اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين) هذه من صفات الذين اصطفاهم الله تعالى ووصفهم بقوله يحبهم ويحبونه يعني انهم ارقاء رحماء لاهل دينهم واخوانهم من المؤمنين ولم يرد ذل الهوان بل اراد لين جانبهم لاخوانهم المؤمنين وهم مع رفقهم ورحمتهم ولين جانبهم اشداء اقوياء غلظاء على اعدائهم الكافرين قال على بن ابي طالب اذلة على المؤمنين يعني اهل رقة على اهل دينهم اعزة على الكافرين اهل غلظة على من خالفهم في دينهم وقال ابن عباس تراهم كالولد لوالده وكالعبد لسيده وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته وقال ابن الانباري اثنى الله على المؤمنين بانهم يتواضعون للمؤمنين اذا لقوهم ويعنفون الكافرين اذا لقوهم وقيل ان الذل هنا بمعنى الشفقة والرحمة كانه قال راحمين للمؤمنين مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع وانما اتى بلفظة على حتى يدل على علوّ منصبهم وفضلهم وشرفهم لا لاجل كونهم ذليلين في انفسهم بل ذلك التذلل لاجل انهم ضموا الى علوّ منصبهم فضيلة التواضع ويدل على صحة هذا سياق الآية وهو قوله اعزة على الكافرين يعني انهم اشداء اقوياء في انفسهم وعلى اعدائهم (يجاهدون في سبيل الله) يعني انهم ينصرون دين الله (ولا يخافون لومة لائم) يعني لا يخافون عذل عاذل في نصرهم الدين وذلك ان المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم فبين الله تعالى في هذه الآية ان من كان قويا في الدين فانه لا يخاف في نصره لدين الله بيده او بلسانه لومة لائم وهذه صفة المؤمنين المخلصين ايمانهم لله تعالى (ق) عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى ان لا ننازع الامر اهله وعلى ان نقول بالحق اينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من وصفهم بمحبة الله ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين وانهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم كل ذلك من فضل الله تعالى تفضل به عليهم ومن احسانه اليهم (والله واسع عليم) يعني انه تعالى واسع الفضل عليم بمن يستحقه * قوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت حين تبرأ من موالاة اليهود وقال اوالى الله ورسوله والمؤمنين يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن سلام وذلك انه جاء الى محمد صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا واقسموا ان لا يجالسونا فنزلت هذه الآية فقرأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن سلام رضينا بالله ربا وبرسوله نبيا وبالمؤمنين اولياء وقيل الآية عامة في حق جميع المؤمنين لان المؤمنين بعضهم اولياء بعض فعلى هذا يكون قوله تعالى (الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون) صفة لكل مؤمن ويكون المراد بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين لان المنافقين كانوا يدعون انهم مؤمنون الا انهم لم يكونوا يداومون على فعل الصلاة والزكاة فوصف الله تعالى المؤمنين بانهم يقيمون الصلاة يعني باتمام ركوعها وسجودها في مواقيتها ويؤتون الزكاة يعني ويؤدون زكاة اموالهم اذا وجبت عليهم اما قوله تعالى وهم راكعون فعلى هذا التفسير فيه وجوه احدها ان المراد من الركوع هنا الخضوع والمعنى

باني غيور (احل لكم صيد البحر) بحر العالم الروحانيّ من المعارف والمعقولات والحظوظ العلية في احرام الحضرة الآلهية (وطعامه ناما) من العلم النافع الذي هو حق واجب تعلمه في المعاملات والاخلاق تمتيعا (لكم) بها السالكون لطريق الحق (وللسيارة) المسافرين سفر الآخرة المحرزين لارباح النعيم الباقي (وحرم عليكم صيد البر) بر العالم الجسمانيّ من المحسوسات والحظوظ النفسانية *

ان المؤمنين يصلون ويزكون وهم منقادون خاضعون لاوامر الله ونواهيه الوجه الثانى ان يكون المراد منه ان من شأنهم اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وانما خص الركوع بالذكر تشريفاله الوجه الثالث قيل ان هذه الآية نزلت وهم ركوع ونزلت فى شخص معين وهو على بن ابى طالب قال السدى مرّ بعلىّ سائل وهو راكع فى المسجد فأعطاه خاتمه فعلى هذا قال العلماء العمل القليل فى الصلاة لايفسدها والقول بالعموم اولى وان كان قد وافق وقت نزولها صدقة على بن ابى طالب وهو راكع ويدل على ذلك ماروى عن عبد الملك بن سليمان قال سألت اباجعفر محمد بن على الباقر عن هذه الآية انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا من هم فقال المؤمنون فقلت ان ناسا يقولون هو علىّ فقال علىّ من الذين آمنوا * وقوله تعالى (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) يعنى ومن يتول القيام بطاعة الله ونصر رسوله والمؤمنين قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار ومن يأتى بعدهم (فان حزب الله) يعنى انصار دين الله (هم الغالبون) لان الله ناصرهم على عدوّهم والحزب فى اللغة اصحاب الرجل الذين يكونون معه على رأيه وهم القوم الذين يجتمعون لامر حزبه يعنى اهمه * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) قال ابن عباس كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحرث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعنى اتخذوا دينكم هزوا ولعبا هو اظهارهم الاسلام بالسنتهم قولا وهم مع ذلك يبطنون الكفر ويسرونه (من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى اليهود (والكفار) يعنى عبدة الاصنام وانما فصل بين اهل الكتاب والكفار وان كان اهل الكتاب من الكفار لان كفر المشركين من عبدة الاصنام اغلظ وافحش من كفر اهل الكتاب (اولياء) يعنى لاتتخذوهم اولياء والمعنى ان اهل الكتاب والكفار اتخذوا دينكم يامعشر المؤمنين هزوا وسخرية فلا تتخذوهم انتم اولياء وانصارا (واتقوا الله ان كنتم مؤمنين) يعنى مؤمنين حقا لان المؤمن يأبى موالاة اعداء الله عز وجل * قوله تعالى (واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا) قال الكلبى كان منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلوة وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا لاقاموا وصلوا لاصلوا ويضحكون على طريق الاستهزاء فأنزل الله هذه الآية وقال السدى نزلت هذه الآية فى رجل من النصارى كان بالمدينة فكان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان لااله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله يقول حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو واهله نيام فطارت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو واهله وقيل ان الكفار والمنافقين كانوا اذا سمعوا الاذان حسدوا المسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يامحمد لقد ابدعت شيأ لم يسمع بمثله فيما مضى من الامم قبلك فان كنت تدعى النبوّة فقد خالفت الانبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان اولى الناس به الانبياء فمن اين لك صياح كصياح العير فاقبح هذا الصوت وما اسمج هذا الامر فأنزل الله عز وجل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الآية وانزل واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا (ذلك بانهم قوم لايعقلون) يعنى ان هزوهم ولعبهم من افعال السفهاء والجهال الذين لاعقل لهم * قوله تعالى (قل ياهل الكتاب) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى قل يامحمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا دينك هزوا ولعبا (هل تنقمون منا) يعنى هل تكرهون منا او تعيبون علينا (الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل) وهذا على سبيل التعجب من فعل اهل الكتاب والمعنى هل تجدون علينا فى الدين الا الايمان بالله وبما انزل الينا وبما

واجعلوا الله وقاية لكم فى سيركم لتسيروا به واجعلوا نفوسكم وقاية الله فى صدور الشرور المانعة منها وتيقنوا انكم (اليه تحشرون) بالفناء فى الذات فاجتهدوا فى السلوك ولاتقفوا مع الموانع وراء الحجاب (جعل الله) الكعبة حضرة الجمع (البيت الحرام) المحرّم من دخول الغير فيه كما قيل جل جناب الحق من ان يكون شريعة لكل وارد (قياما للناس) من موتهم الحقيقىّ وانتعاشا لهم به وبحياته

انزل على جميع الانبياء من قبل وهذا ليس مما ينكر او ينقم منه وهذا كما قال بعضهم
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب
يعني انه ليس فيهم عيب الاذلك وهذا ليس بعيب بل هو مدح عظيم لهم قال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم ابو ياسر بن اخطب ورافع بن ابي رافع وعازوراء وزيد خالد وازار بن ابي ازار واشيع فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الى قوله ونحن له مسلمون الآية فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله لانؤمن بمن آمن به فانزل الله هذه الآية وقيل انهم قالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فانزل الله هذه الآية قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وهذا هو ديننا الحق وطريقنا المستقيم فلم تنقمونه علينا (وان اكثركم فاسقون) يعني انما كرهتم ايماننا وتقمتموه علينا مع علمكم باناعلى الحق بسبب فسقكم واقامتكم على الدين الباطل لحب الرياسة واخذ الاموال بالباطل وانما قال اكثركم لان الله علم ان من اهل الكتاب من يؤمن بالله ورسوله * قوله عز وجل (قل هل انبئكم بشر من ذلك) هذا جواب لليهود لما قالوا مانعرف دينا شرا من دينكم والمعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل اخبركم بشر من ذلك الذي ذكرتم ونقمتم علينا من ايماننا بالله وبما انزل علينا (مثوبة عندالله) يعني جزاء فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان لانها في معنى الثواب فكيف جاءت في الاساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ومنه قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم والمعنى قل هل انبئكم بشر من اهل ذلك الدين مثوبة فان قلت هذا يقتضى ان الموصوفين بذلك الدين محكوم عليهم بالشر لانه تعالى قال بشر من ذلك ومعلوم ان الامر ليس كذلك فاجوابه ان الكلام خرج على حسب قولهم واعتقادهم فان اليهود حكموا باعتقاد ذلك الدين شر فقال لهم هب ان الامر كذلك لكن من لعنه الله وغضب عليه ومسخ صورته شر من ذلك * وقوله تعالى (من لعنه الله) معناه هل انبئكم بمن لعنه الله او هو من لعنه الله ومعنى لعنه الله ابعده وطرده عن رحمته (وغضب عليه) يعني وانتقم منه لان الغضب ارادة الانتقام من العصاة (وجعل منهم القردة والخنازير) يعني من اليهود من لعنه الله وغضب عليه ومنهم من جعلهم قردة وخنازير قال ابن عباس ان الممسوخين كلاهما اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وقيل ان مسخ القردة كان في اصحاب السبت من اليهود ومسخ الخنازير كان في الذين كفروا بعد نزول المائدة في زمن عيسى عليه السلام ولما نزلت هذه الآية عير المسلمون اليهود وقالوا لهم يا اخوان القردة والخنازير وافتضحوا بذلك (وعبد الطاغوت) يعني وجعل منهم عبد الطاغوت يعني من اطاع الشيطان فيما سوّل له والطاغوت هو الشيطان وقيل هو العجل وقيل هو الكهان والاحبار وجملته ان كل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت (اولئك) يعني الملعونين والمغضوب عليهم والممسوخين (شر مكانا) يعني من غيرهم ونسب الشر الى المكان والمراد به اهله فهو من باب الكناية وقيل اراد ان مكانهم سقر ولا مكان اشد شرا منه (واضل عن سواء السبيل) يعني واخطأ عن قصد طريق الحق * قوله تعالى (واذا جاؤكم قالوا

وقدرته وسائر صفاته (والشهر الحرام) اى زمان الوصول وهو زمان الحج الحقيقيّ الذي يحرم ظهور صفات النفس فيه (والهدى) اى النفس المذبوحة بفناء تلك الكعبة (والقلائد) وخصوصا النفس القوية الشريفة الطيعة المنقادة فانّ التقرّب بها افضل وشأنها عند البقاء والقيام بالوجود الثاني والحياة الحقيقية ارفع (ذلك) اى جعل تلك الحضرة قياما لكم (لتعلموا) بعلمه عند القيام به

آمنا) قال قتادة نزلت فى اناس من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم مؤمنون راضون بالذى جاءبه وهم متمسكون بضلالتهم وكفرهم فكان هؤلاء يظهرون الايمان وهم فى ذلك منافقون فاخبرالله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بحالهم وشأنهم (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) يعنى انهم دخلوا كافرين وخرجوا كما دخلوا كافرين لم يتعلق بقلوبهم شئ من الايمان فهم كافرون فى حالتى الدخول والخروج (والله اعلم بما كانوا يكتمون) يعنى من الكفرالذى فى قلوبهم * قوله عزوجل (وترى كثيرا منهم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى وترى يامحمد كثيرا من اليهود وكلمة من يحتمل ان تكون للتبعيض ولعل ان هذه الافعال المذكورة فى هذه الآية ما كان يفعلها كل اليهود فلذا قال تعالى وترى كثيرا منهم (يسارعون) المسارعة فى الشئ المبادرة اليه بسرعة لكن لفظة المسارعة انما تستعمل فى الخير ومنه قوله تعالى يسارعون فى الخيرات وضدها العجلة وتقال فى الشر فى الاغلب وانما ذكرت لفظة المسارعة فى قوله يسارعون (فى الاثم والعدوان واكلهم السحت) لفائدة وهى انهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات كأنهم محقون فيها والاثم اسم جامع لجميع المعاصى والمنهيات فيدخل تحته العدوان واكل السحت فلهذا ذكرالله العدوان واكل السحت بعد الاثم والمعاصى وقيل الاثم ما كتموه من التوراة والعدوان مازادوا فيها والسحت هو الرشا وما كانوا يأكلونه من غير وجهه (لبئس ما كانوا يعملون) يعنى لبئس العمل الذى كان هؤلاء اليهود يعملون وهو مسارعتهم الى الاثم والعدوان واكلهم السحت * قوله تعالى (لولا) يعنى هلا وهى هنا بمعنى التحضيض والتوبيخ (ينهاهم الربانيون والاحبار) قال الحسن الربانيون علماء اهل الانجيل والاحبار علماء اهل التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لانه متصل بذكرهم (عن قولهم الاثم) يعنى الكذب (واكلهم السحت) والمعنى هلا نهى الاحبار والرهبان اليهود عن قولهم الاثم واكلهم السحت (لبئس ما كانوا يصنعون) يعنى الاحبار والرهبان اذلم ينهوا غيرهم عن المعاصى وهذا يدل على ان تارك النهى عن المنكر بمنزلة مرتكبه لان الله تعالى ذم الفريقين فى هذه الآية قال ابن عباس مافى القرآن اشد توبيخا من هذه الآية وقال الضحاك مافى القرآن آية اخوف عندى منها * قوله عزوجل (وقالت اليهود يدالله مغلولة) نزلت هذه الآية فى فنحاص اليهودى قال ابن عباس ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا اكثر الناس اموالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله ومحمدا صلى الله عليه وسلم وكذبوابه كف عنهم مابسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص يدالله مغلولة يعنى محبوسة مقبوضة عن الرزق والبذل والعطاء فنسبوا الله تعالى الى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولما قال هذه المقالة الخبيثة فنحاص ولم ينهه بقية اليهود ورضوا بقوله لاجرم ان الله تعالى اشركهم معه فى هذه المقالة فقال تعالى اخبارا عنهم وقالت اليهود يدالله مغلولة يعنى نعمته مقبوضة عنا وقيل معناه يدالله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بقدر مايبربه قسمه وذلك قدر ماعبد آباؤنا العجل والقول الاول اصح لقوله تعالى ينفق كيف يشاء واعلم ان غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود بدليل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولاتبسطها كل البسط والسبب ان اليد آلة لكل الاعمال لاسيما لدفع المال وانفاقه وامساكه فأطلقوا اسم السبب على المسبب واسندوا الجود والبخل الى

(ان الله يعلم مافى السموات ومافى الارض وان الله بكل شئ عليم) حقائق الاشياء فى عالم الغيب والشهادة وعلمه محيط بكل شئ اذلايمكن احاطة علمكم بعلمه (اعلموا ان الله شديدالعقاب) بالحجب لمن ظهر بصفة اوبقية حال الوصول اوضرب بحظ اواشتغل بغير حال السلوك

اليد مجازا فقيل للجواد الكريم فياض اليد ومبسوط اليد وقيل للبخيل مقبوض اليد ❊ وقوله تعالى (غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا) يعني امسكت ايديهم عن كل خير وطردوا عن رحمة الله قال الزجاج رد الله عليهم فقال انا الجواد الكريم وهم البخلاء وايديهم هي المغلولة الممسوكة وقيل هذا دعاء على اليهود علمنا الله كيف ندعو عليهم فقال غلت ايديهم اي في نار جهنم فعلى هذا هو من الغل حقيقة اي شدت ايديهم الى اعناقهم وطرحوا في النار جزاء لهم على هذا القول ومعنى لعنوا بما قالوا عذبوا بسبب ما قالوا فمن لعنتهم انهم مسخوا في الدنيا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية وفي الآخرة لهم عذاب النار ❊ وقوله تعالى (بل يداه مبسوطتان) يعني انه تعالى جواد كريم ينفق كيف يشاء وهذا جواب لليهود ورد عليهم ما افتروه واختلقوه على الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وانما اجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم واما الكلام في اليد فقد اختلف العلماء في معناها على قولين احدهما وهو مذهب جمهور السلف وعلماء اهل السنة وبعض المتكلمين ان يد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه فيجب علينا الايمان بها والتسليم ونمرها كما جاءت في الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله تعالى لما خلقت بيدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين والقول الثاني قول جمهور المتكلمين واهل التأويل فانهم قالوا اليد تذكر في اللغة على وجوه احدها الجارحة وهي معلومة وثانيها النعمة يقال لفلان عندي يد اشكره عليها وثالثها القدرة قال الله تعالى اولي الايدي والابصار فسروه بذوي القوى والعقول ويقال لا يدلك بهذا الامر والمعنى سلب كمال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيعة في يد فلان اي في ملكه ومنه قوله تعالى الذي بيده عقدة النكاح اي يملك ذلك اما الجارحة فمنفية في صفة الله عز وجل لان العقل دل على انه يمتنع ان تكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الاجزاء والابعاض تعالى الله عن الجسمية والكيفية والتشبيه علوا كبيرا فامتنع بذلك ان تكون يد الله بمعنى الجارحة واما سائر المعاني التي فسرت اليد بها فحاصلة لان اكثر العلماء من المتكلمين زعموا ان اليد في حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن النعمة وههنا اشكالان احدهما ان اليد اذا فسرت بمعنى القدرة فقدرة الله واحدة ونص القرآن ناطق باثبات اليدين في قوله تعالى بل يداه مبسوطتان واجيب عن هذا الاشكال بان اليهود لما جعلوا قولهم يد الله مغلولة كناية عن البخل اجيبوا على وفق كلامهم فقال بل يداه مبسوطتان اي ليس الامر على ما وصفتموه من البخل بل هو جواد كريم على سبيل الكمال فان من اعطى بيديه فقد اعطى على اكمل الوجوه والاشكال الثاني ان اليد اذا فسرت بالنعمة فنص القرآن ناطق بتثنية اليد ونعم الله غير محصورة ولا معدودة ومنه قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واجيب عن هذا الاشكال بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة لا نهاية لها مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن ونعمة النفع ونعمة الدفع فالمراد بالتثنية المبالغة في وصف النعمة ❊ اجاب اصحاب القول الاول عن هذا بان قالوا ان الله تعالى اخبر عن آدم انه خلقه بيديه ولو كان معنى خلقه لآدم بقدرته او بنعمته او بملكه لم يكن لخصوصية آدم بذلك وجه مفهوم لان جميع خلقه مخلوقون بقدرته وجميعهم في ملكه ومتقلبون في نعمه فلما خص الله آدم عليه السلام بقوله تعالى لما خلقت

وانتهك حرمة من حرماته (وان الله غفور) للتلوينات والفترات (رحيم) بهبة الكمالات والسعادات التي لا يعلم قدرها الا هو (ما على الرسول الا البلاغ) التبليغ لا الايصال (والله يعلم) سركم وعلانيتكم (ما تبدون) من الاعمال والاخلاق (وما تكتمون) من النيات والعلوم والاحوال هل

بيدى دون خلقه علم بذلك اختصاصه وتشريفه على غيره ونقل الامام فخر الدين الرازى عن ابى الحسن الاشعرى قولا ان اليد صفة قائمة بذات الله وهى صفة سوى القدرة من شأنها التكوين على سبيل الاصطفاء قال والذى يدل عليه انه تعالى جعل وقوع خلق آدم بيديه على سبيل الكرامة لآدم واصطفائه له فلو كانت اليد عبارة عن القدرة امتنع كون آدم مصطفى بذلك لان ذلك حاصل فى جميع المخلوقات فلا بد من اثبات صفة اخرى وراء القدرة يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفاء هذا آخر كلامه واجيب عن قولهم ان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة بان الاسم اذا ثنى لا يؤدى فى كلام العرب الاعن اثنين باعيانهما دون الجمع ولا يؤدى عن الجنس ايضا قالوا وخطأ فى كلام العرب ان يقال ما اكثر الدرهمين فى ايدى الناس بمعنى ما اكثر الدراهم فى ايديهم لان الدرهم اذا ثنى لا يؤدى فى كلام العرب الاعن اثنين باعيانهما ولكن الواحد يؤدى عن جنسه كما تقول العرب ما اكثر الدراهم فى ايدى الناس بمعنى ما اكثر الدراهم فى ايديهم لان الواحد يؤدى عن الجمع فثبت بهذا البيان قول من قال ان اليد صفة لله تعالى تليق بجلاله وانها ليست بجارحة كما تقول المجسمة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا (ينفق كيف يشاء) يعنى انه تعالى يرزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء لا اعتراض عليه فى ملكه ولا فيما يفعله (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق انفق عليك وقال يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ارايتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما بيده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يرفع ويخفض هذا الحديث ايضا احد احاديث الصفات فيجب الايمان به وامراره كما جاء من غير تشبيه ولا تكييف ❊ وقوله تعالى (وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) يعنى كلما نزلت عليك آية من القرآن كفروا بها فازدادوا شدة فى كفرهم وطغيانا مع طغيانهم والمراد بالكثير علماء اليهود وقيل اقامتهم على كفرهم زيادة منهم فيه (والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) يعنى القينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وقيل القى ذلك بين طوائف اليهود فجعلهم مختلفين فى دينهم متعادين متباغضين الى يوم القيامة فان بعض اليهود جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى فرق كالملكانية والنسطورية واليعقوبية والمارونية فان قلت فهذا المعنى ايضا حاصل بين فرق المسلمين فكيف يكون ذلك عيبا على اليهود والنصارى حتى يذموا به قلت هذه البدع التى حصلت فى المسلمين انما حدثت بعد عصر النبى صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين اما فى الصدر الاول فلم يكن شئ من ذلك حاصلا بينهم فحسن جعل ذلك عيبا على اليهود والنصارى فى ذلك العصر الذى نزل فيه القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله) يعنى كلما افسد اليهود وخالفوا حكم الله بعث الله عليهم من يهلكهم افسدوا فبعث الله عليهم بختنصر البابلى ثم افسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومى ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس وهم الفرس ثم افسدوا وقالوا يد الله مغلولة فبعث الله المسلمين فلا تزال اليهود فى ذلة ابدا وقال مجاهد معنى الآية كلما مكروا مكرا فى حرب محمد صلى الله عليه وسلم اطفأه الله تعالى وقال السدى كلما اجمعوا امرهم على شئ ليفسدوا به امر محمد صلى الله عليه وسلم فرقه الله تعالى وكلما اوقدوا نارا فى حرب محمد صلى الله عليه وسلم اطفأها الله واخمد نارهم وقذف فى قلوبهم الرعب وقمعهم ونصر نبيه ودينه (ويسعون فى الارض فسادا)

تصلح للتقرب بها اليه وهل تستعدون بها للقائه ام لا (قل لا يستوى الخبيث) من النفوس والاعمال والاخلاق والاموال (والطيب) منها عند الله تعالى فان الطيب مقبول موجب للقرب والوصول والخبيث منها مردود موجب للبعد والطرد

يعني ويجتهدون في دفع الاسلام ومحو ذكر محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم وقيل انهم يسعون بالمكر والكيد والحيل وليس يقدرون على غير ذلك (والله لا يحب المفسدين) يعني ان الله لا يحب من كانت هذه صفته قال قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس فيها وهم ابغض خلق الله اليه * قوله تعالى (ولو ان اهل الكتاب آمنوا) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه فيما جاء به (واتقوا) يعني اليهودية والنصرانية (لكفرنا عنهم سيآتهم) يعني لمحونا عنهم ذنوبهم التي عملوها قبل الاسلام لان الاسلام يجب ماقبله (ولادخلناهم جنات النعيم) يعني مع المسلمين يوم القيامة (ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل) يعني اقاموا احكامهما بحدودهما وعملوا بما فيهما من الوفاء بالعهود والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم لان نعته وصفته موجودان فيهما فان قلت كيف يأمر اهل الكتاب باقامة التوراة والانجيل مع انهما نسخا وبدلا قلت انما امرهم الله تعالى باقامة مافيهما من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته وهذا غير منسوخ لانه موافق لما في القرآن * وقوله تعالى (وما انزل اليهم من ربهم) فيه قولان احدهما ان المراد به كتب انبيائهم القديمة مثل كتاب شعياء وكتاب ارمياء وزبور داود وفي هذه الكتب ايضا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد باقامة هذه الكتب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقول الثاني ان المراد بما انزل اليهم من ربهم هو القرآن لانهم مأمورون بالايمان به فكانه نزل اليهم من ربهم (لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم) يعني ان اليهود لما اصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على كفرهم ويهوديتهم اصابهم الله بالقحط والشدة حتى بلغوا الى حيث قالوا يد الله مغلولة فأخبر الله انهم لو تركوا اليهودية والكفر الذي هم عليه لانقلبت تلك الشدة بالخصب والسعة وهو قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم قال ابن عباس معناه لانزلت عليهم المطر واخرجت لهم النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم (منهم امة مقتصدة) اى عادلة والاقتصاد الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير واصله من القصد لان من عرف مقصودا طلبه من غير اعوجاج عنه والمراد بالامة المقتصدة من آمن من اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه والنجاشي واصحابه الذين اسلموا (وكثير منهم) يعني من اهل الكتاب الذين اقاموا على كفرهم مثل كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود (ساء مايعملون) يعني بئس مايعملون من اقامتهم على كفرهم قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم * قوله عز وجل (ياايها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك) الآية روي عن الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله صلى الله عليه وسلم ضاق ذرعا وعرف ان من الناس من يكذبه فانزل هذه الآية وقيل نزلت في عيب اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا اسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤن به ويقولون تريد ان نتخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم سكت فأنزل الله هذه الآية وامره بان يقول لهم ياأهل الكتاب لستم على شئ الآية وقيل نزلت هذه الآية في امر الجهاد وذلك ان المنافقين كرهوه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمسك في بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما علم من كراهية بعضهم له فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في قصة الرجم والقصاص وماسأل عنه اليهود ومعنى الآية ياايها الرسول بلغ جميع ماانزل اليك من ربك مجاهرا به ولا تراقبن احدا ولا تتركن شيأ مما انزل اليك من ربك وان اخفيت شيأ من ذلك

والحرمان (ولو اعجبك كثرة الخبيث واتقوا الله ياولي الالباب) الخبيث بكثرته ووفوره لمناسبته للنفس وللامته لصفاتها فاجعلوا الله وقاية لكم في الاجتناب عن الخبيث واختيار الطيب * يا كل من له لب اى عقل خالص عن شوب الوهم ومزج هوى النفس (لعلكم تفلحون) بالخلاص عن نفوسكم

في وقت من الاوقات فما بلغت رسالته وهو قوله تعالى (وان لم تفعل فما بلغت رسالته) وقرئ رسالاته قال ابن عباس يعني ان كتمت آية مما انزل اليك من ربك لم تبلغ رسالتي يعني انه صلى الله عليه وسلم لو ترك ابلاغ البعض كان كمن لم يبلغ شيأ مما انزل الله اليه وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكتم شيأ مما اوحي اليه روى مسروق عن عائشة قالت من حدثك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيأ مما انزل اليه فقد كذب ثم قرأت يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك اخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه وقوله تعالى (والله يعصمك من الناس) يعني يحفظك يا محمد و يمنعك منهم والمراد بالناس هنا الكفار فان قلت اليس قد شج رأسه وكسرت رباعيته يوم احد وقد اوذي بضروب من الاذى فكيف يجمع بين ذلك وبين قوله والله يعصمك من الناس قلت المراد منه انه يعصمه من القتل فلا يقدر عليه احد اراده بالقتل ويدل على صحة ذلك ما روى عن جابر انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه فادركتهم القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق بها سيفه ونمنا معه نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا واذا عنده اعرابي فقال ان هذا اخترط على سيفي وانا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني فقلت الله ثلاثا ولم يعاقبه وجلس وفي رواية اخرى قال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال من يمنعك مني قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين وزاد البخاري في رواية له ان اسم ذلك الرجل غورث بن الحرث (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمة المدينة ليلة فقال ليت رجلا صالحا من اصحابي يحرسني الليلة قال فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة السلاح فقال من هذا قال سعد بن ابي وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك فقال وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت احرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم ايها الناس انصرفوا فقد عصمني الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل في الجواب عن هذا ان هذه الآية نزلت بعد ما شج رأسه في يوم احد لان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وقوله (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) قال ابن عباس معناه لا يرشد من كذبك واعرض عنك وقال ابن جرير الطبري معناه ان الله لا يوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجحد ما جئت به من عند الله ولم ينته الى امر الله وطاعته فيما فرض عليه واوجبه * قوله تعالى (قل يا اهل الكتاب لستم على شئ) يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى لستم على شئ من الدين الحق المرتضى عند الله ولستم على شئ مما تدعون انكم عليه مما جاءكم به موسى عليه السلام يا معشر اليهود ولا مما جاءكم به عيسى يا معشر النصارى فانكم احدثتم وغيرتم قال ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة وقالوا يا محمد الست تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد انها

وصفاتها وخباثتها والوصو الى الله بالقنا فيه (يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفى الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ما جعل الله بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون واذا قيل لهم تعالوا الى

حق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ولكنكم احدثتم وجحدتم مافيها مما اخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ماامرتم ان تبينوه للناس فانا برئ من احداثكم قالوا فانا نأخذ بما في ايدينا فانا على الحق والهدى ولا نؤمن لك ولا نتبعك فانزل الله قل ياهل الكتاب لستم على شئ (حتى تقيموا التوراة والانجيل وماانزل اليكم من ربكم) الآية وقد تقدم معنى اقامة التوراة والانجيل وانه يلزمهم العمل بما فيهما وهو الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم تفسير ما انزل اليكم من ربكم (وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) وقوله تعالى (فلا تأس على القوم الكافرين) يعني فلا تحزن يامحمد على هؤلاء الذين جحدوا نبوتك ولم يؤمنوا بك فانما يعود ضرر ذلك الكفر عليهم ❊ قوله عز وجل (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) لما بين الله عز وجل ان اهل الكتاب ليسوا على شئ مالم يؤمنوا بين في هذه الآية ان هذا الحكم عام في كل اهل الملل وانه لا يحصل لاحد منهم فضيلة ولا منقبة الا اذا آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا رضاء الله ومن العمل الصالح الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه لا يتم الايمان الابه وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون ظاهر الاعراب يقتضي ان يقال والصابئين وكذا قراءة ابي ابن كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة وقرأ الجمهور بالرفع ومذهب الخليل وسيبويه انه ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التأخير كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك فحذف خبره والحكمة في عطف الصابئين على من قبلهم هي ان الصابئين اشد الفرق المذكورة في هذه الآية ضلالا فكانه قال كل هؤلاء الفرق اذا آمنوا واتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابئون فانهم اذا آمنوا كانوا ايضا كذلك وانما سموا صابئين لانهم صبؤا عن الاديان كلها يعني خرجوا لانهم صبؤا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ماجاء به الرسل من عند الله فان قلت قد قال الله تعالى في اول الآية ان الذين آمنوا ثم قال في آخر الآية من آمن فما فائدة هذا التكرار قلت فائدته ان المنافقين كانوا يظهرون الاسلام ويزعمون انهم مؤمنون ففي هذا التكرار اخراجهم من قبيل المؤمنين فيكون معنى ان الذين آمنوا اي بالسنتهم لا بقلوبهم ثم قال من آمن يعني من ثبت على ايمانه ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه فائدة اخرى وهي ان الايمان يدخل تحته اقسام كثيرة واشرفها الايمان بالله واليوم الآخر ففائدة التكرار التنبيه على ان اشرف اقسام الايمان هذان القسمان وفي قوله (من آمن بالله) حذف تقديره من آمن بالله (واليوم الآخر) منهم وانما حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامعين (وعمل صالحا) يعني وضم الى ايمانه العمل الصالح وهو الذي يراد به وجه الله تعالى (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعني في الآخرة ❊ قوله عز وجل (لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل) يعني اخذنا العهود عليهم في التوراة بان يعملوا بما فيها من التوحيد والعمل بما امرناهم به والانتهاء عما نهيناهم عنه (وارسلنا اليهم رسلا) يعني لبيان الشرائع والاحكام (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم) يعني بما يخالف اهواءهم ويضاد شهواتهم من ميثاق التكليف والعمل بالشرائع (فريقا كذبوا) يعني من الرسل الذين جاءتهم (وفريقا يقتلون) يعني من الرسل فكان فيمن كذبوا عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وكان فيمن قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام وانما فعلوا ذلك نقضا للميثاق وجراءة على الله عز وجل ومخالفة لامره ❊ قوله تعالى (وحسبوا)

ما نزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيأ ولا يهتدون يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر

يعني وظن هؤلاء الذين كذبوا الرسل وقتلوا الانبياء (ان لا تكون فتنة) يعني ان لا يعذبهم الله ولا يبتليهم بذلك الفعل الذي فعلوه وانما حملهم على هذا الظن الفاسد انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله فلهذا السبب حسبوا ان لا يكون فعلهم ذلك فتنة يبتلون بها وقيل انما قدموا على ذلك لاعتقادهم ان آباءهم واسلافهم يدفعون عنهم العذاب في الآخرة (فعموا وصموا) يعني انهم عموا عن الحق فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه وهذا العمى هو كناية عن عمى البصيرة لا البصر وكذلك الصمم هو كناية عن منع نفوذ الحق الى قلوبهم وسبب ذلك شدة جهلهم وقوة كفرهم واعراضهم عن قبول الحق قال بعض المفسرين سبب هذا العمى والصمم عبادتهم العجل في زمن موسى عليه السلام (ثم تاب الله عليهم) يعني انهم لما تابوا من عبادتهم العجل تاب الله عليهم (ثم عموا وصموا) يعني في زمان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام لانهم كذبوا عيسى وقتلوا زكريا ويحيى وقيل ان العمى والصمم الاول كان بعد موسى ثم تاب الله عليهم يعني ببعثة عيسى عليه السلام ثم عموا وصموا يعني بسبب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (كثير منهم) من اليهود لان بعضهم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل عبدالله بن سلام واصحابه (والله بصير بما يعملون) يعني من قتل الانبياء وتكذيب الرسل ✻ قوله عز وجل (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) لما حكى الله عن اليهود ما حكاه من نقضهم الميثاق وقتلهم الانبياء وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع في الاخبار عن كفر النصارى وما هم عليه من فساد الاعتقاد فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم يقولون ان مريم ولدت الها ولانهم يقولون ان الاله حل وعلا حل في ذات عيسى واتحد به فصار الها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) يعني وقد كان المسيح قال هذا لبني اسرائيل عند مبعثه اليهم وهذا تنبيه على ما هو الحجة القاطعة على فساد قول النصارى ذلك لانه عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره في العبودية والاقرار لله بالربوبية وان دلائل الحدوث ظاهرة عليه (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) يعني انه من يجعل له شريكا من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة يعني اذا مات على شركه (ومأواه النار) يعني انه يصير الى النار في الآخرة (وما للظالمين) يعني وما للمشركين الذين ظلموا انفسهم بالشرك (من انصار) يعني ما لهم من انصار ينصرونهم ويمنعونهم من العذاب يوم القيامة ✻ قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) وهذا قول المرقوسية والنسطورية من النصارى ولتفسير قول النصارى طريقان احدهما هو قول اكثر المفسرين انهم ارادوا بهذه المقالة ان الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة وان الالهية مشتركة بينهم وان كل واحد منهم اله ويبين ذلك قوله تعالى للمسيح أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه اضمار تقديره ان الله احد ثلاثة آلهة او واحد من ثلاثة آلهة قال الواحدي ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة ولم يرد به انه ثالث ثلاثة آلهة لانه ما من اثنين الا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله تعالى في سورة المجادلة ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والطريق الثاني ان المتكلمين حكوا عن النصارى انهم يقولون انه جوهر واحد ثلاثة اقانيم اب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة اله واحد كما ان الشمس

احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم اوآخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين فان عثر على انهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما

اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة واثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء باللبن وزعموا ان الاب اله والابن اله والروح اله والكل اله واحد واعلم ان هذا الكلام معلوم البطلان ببديهة العقل فان الثلاثة لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة ولا ترى فى الدنيا مقالة اشد فسادا ولا اظهر بطلانا من مقالة النصارى وعلى هذا اخبر الله عنهم فى قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فهذا معنى مذهبهم وان لم يصرحوا بانه واحد من ثلاثة آلهة فذلك لازم لهم وانما يمتنعون من هذه العبارة لانهم اذا قالوا ان كل واحد من الاقانيم اله فقد جعلوه ثالث ثلاثة وقولهم بعد هذا هو اله واحد فيه مناقضة لما قالوا اولا فهذا بيان فساد قول النصارى ثم رد الله عليهم فقال تعالى (وما من اله الا اله واحد) يعنى انه ليس فى الوجود اله واحد موصوف بالوحدانية لا ثانى له ولا شريك له ولا والد له ولا ولد له ولا صاحبة له الا الله تعالى (وان لم ينتهوا عما يقولون) يعنى وان لم ينته النصارى عن هذه المقالة الخبيثة (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم) يعنى ليصيبن الذين اقاموا على هذا القول الخبيث وهذا الدين الذى ليس بمرضى عذاب وجيع فى الآخرة وانما قال تعالى منهم لعلمه السابق ان من النصارى من سيؤمن ويخلص ويترك هذا القول ويعلم انه فاسد ثم ندب سائر النصارى الى التوبة من هذه المقالة الخبيثة فقال تعالى (افلا يتوبون الى الله) يعنى من قولهم بالتثليث (ويستغفرونه) وهذا استفهام بمعنى الامر اى توبوا الى الله واستغفروه من هذا الذنب العظيم فانه تعالى يغفر الذنوب (والله غفور) يعنى لمن استغفره وتاب اليه (رحيم) به وبسائر خلقه * قوله عز وجل (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) يعنى المسيح رسول من الله عز وجل ليس باله كما ان الرسل الذين كانوا من قبله لم يكونوا آلهة وقد اتى عيسى عليه السلام بالمعجزات الدالة على صدقه كما ان الذين من قبله اتوا بالمعجزات الدالة على صدقهم (وامه صديقة) يعنى انها كثيرة الصدق وقيل سميت مريم صديقة لانها صدقت بآيات ربها وكتبه * وقوله تعالى (كانا يأكلان الطعام) فيه احتجاج على فساد قول النصارى بالهية المسيح يعنى ان المسيح وامه مريم كانا بشرين يأكلان الطعام ويعيشان به كسائر بنى آدم فكيف يكون الها من يحتاج الى الطعام ولا يعيش الا به وقيل معناه انه لو كان الها كما يزعمون لدفع عن نفسه الم الجوع والم العطش ولم يوجد ذلك فكيف يكون الها وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك ان كل من اكل وشرب لابد له من الغائط والبول ومن كانت هذه صفته فكيف يكون الها وبالجملة فان فساد قول النصارى اظهر من ان يحتاج الى اقامة دليل عليه ثم قال تعالى (انظر) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى انظر يا محمد (كيف نبين لهم الايات) يعنى الدالة على بطلان قولهم (ثم انظر انى يؤفكون) اى كيف يصرفون عن استماع الحق وقبوله * قوله تعالى (قل اتعبدون من دون الله) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى قل يا محمد لهؤلاء النصارى أتعبدون من دون الله (ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) يعنى لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم الله به من البلايا والمصائب فى الانفس والاموال ولا يقدر ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الابدان وسعة الارزاق فان الضار والنافع هو الله تعالى لا من تعبدون من دونه ومن لا يقدر على النفع والضر لا يكون الها (والله هو السميع العليم) يعنى انه تعالى سميع لاقوالكم وكفركم عليم بما فى ضمائركم * قوله عز وجل

من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدى القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل) فى عين

(قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم) الغلو مجاوزة الحد وذلك ان الحق بين طرفى الافراط والتفريط
فمجاوزة الحد والتقصير مذمومان فى الدين (غير الحق) يعنى لا تغلوا فى دينكم غلوا باطلا غير الحق
وذلك انهم خالفوا الحق فى دينهم ثم غلوا فى الاصرار عليه وكلا الفريقين من اليهود والنصارى
غلوا فى عيسى عليه السلام اما غلو اليهود فالتقصير فى حقه حتى نسبوه الى غير رشدة واما
غلو النصارى فمجاوزة الحد فى حقه حتى جعلوه الهم وكلا الغلوين مذموم (ولا تتبعوا اهواء
قوم قد ضلوا من قبل) الاهواء جمع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس اليه قال الشعبى ما ذكر الله
تعالى الهوى فى القرآن الا وذمه وقال ابو عبيدة لم نجد الهوى يوضع الا موضع الشر لانه لا يقال فلان
يهوى الخير انما يقال فلان يحب الخير ويريده والخطاب فى قوله ولا تتبعوا اهواء قوم لليهود والنصارى
الذين كانوا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهوا عن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه من الضلالة
باهوائهم وهو المراد بقوله اهواء قوم قد ضلوا من قبل فبين الله تعالى انهم كانوا على ضلالة (واضلوا
كثيرا) يعنى من اتبعهم على ضلالتهم واهوائهم (وضلوا عن سواء السبيل) يعنى واخطؤا عن قصد
طريق الحق * قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود) قال اكثر المفسرين
هم اصحاب السبت لما اعتدوا فى السبت واصطادوا الحيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم
واجعلهم قردة فمسخوا قردة وستأتى قصتهم فى سورة الاعراف (وعيسى ابن مريم) يعنى وعلى لسان
عيسى ابن مريم وهم كفار اصحاب المائدة لما اكلوا منها وادخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم
العنهم واجعلهم خنازير فمسخوا خنازير وستأتى قصتهم وقال بعض العلماء ان اليهود كانوا يفتخرون
بآبائهم ويقولون نحن من اولاد الانبياء عليهم السلام فأخبر الله تعالى بأنهم ملعونون على السنة الانبياء
عليهم السلام وقيل ان داود وعيسى بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعنا من يكفر به (ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون) يعنى ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر الاعتداء والمعصية فقال تعالى (كانوا
لا يتناهون عن منكر فعلوه) اى لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر وقيل معناه لا ينتاهون عن معاودة منكر
فعلوه ولا عن الاصرار عليه (لبئس ما كانوا يفعلون) اللام فى لبئس لام القسم اى اقسم لبئس ما كانوا
يفعلون يعنى من ارتكاب المعاصى والعدوان عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اول ما دخل النقص على بنى اسرائيل انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق
الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله وشريبه
وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على
لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس
ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم الى قوله
فاسقون ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ثم لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه
على الحق اطرا ولتقصرنه على الحق قصرا زاد فى رواية اوليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم
يلعنكم كما لعنهم اخرجه ابو داود واخرجه الترمذى عنه فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما وقعت بنو اسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وآكلوهم
وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال لا والذى

الجمع المطلق او صيغ جمع
الذات (فيقول ماذا اجبتم)
اجابكم الامم حين دعوتموهم
الى اى هل تطلعون على
مراتبهم فى كانهم التى
توجهوا اليها فى متابعتكم
(قالوا لا علم لنا) اى العلم
كله لك جمعا وتفصيلا ليس
لغيرك علم الفناء صفاتنا
فى صفاتك (انك انت علام

نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق اطرا قال الترمذي هذا الحديث حسن غريب قوله اكيله وشريبه وقعيده هو المؤاكل والمشارب والمقاعد فعيل بمعنى فاعل وقوله لتأطرنه الاطر العطف يعني لتعطفنه ولتردنه الى الحق الذى خالفه والقصر القهر على الشئ * قوله عزوجل (ترى كثيرا منهم) يعني من اليهود مثل كعب بن الاشرف واصحابه (يتولون الذين كفروا) يعني يوالون المشركين من اهل مكة وذلك حين خرجوا اليهم ليجيشوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس معناه ترى كثيرا من المنافقين يتولون اليهود (لبئس ماقدمت لهم انفسهم) يعني بئس ماقدموا من العمل لمعادهم في الآخرة (ان سخط الله عليهم) يعني بمافعلوا من موالاة الكفار (وفي العذاب هم خالدون) يعني في الآخرة (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي) يعني ولو كان هؤلاء الذين يتولون الكفار يؤمنون بالله ويصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم وانه نبي مبعوث الى كافة الخلق (وما انزل اليه) يعني ويؤمنون بالقرآن الذى انزل اليه من ربه (ما اتخذوهم اولياء) يعني مااتخذوا الكفار انصارا واعوانا من دون المؤمنين (ولكن كثيرا منهم فاسقون) يعني ولكن اكثرهم خارجون عن طاعة الله وامره وانما قال كثيرا لانه علم ان منهم من سيؤمن مثل عبدالله بن سلام واصحابه * قوله تعالى (لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا) اللام في قوله لتجدن لام القسم تقديره والله يامحمد انك لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا بك وصدقوك اليهود والذين اشركوا وصف الله شدة عداوة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق وجعلهم قرناء المشركين عبدة الاصنام في العداوة للمؤمنين وذلك حسدا منه للمؤمنين (ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) ووصف لين عريكة النصارى وسهولة قبولهم الحق قال بعضهم مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر والاذى الى من خالفهم في الدين بأى طريق كان مثل القتل ونهب المال اوبانواع المكر والكيد والحيل ومذهب النصارى خلاف اليهود فان الايذاء في مذهبهم حرام فحصل الفرق بين اليهود والنصارى وقيل ان اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا وطلب الرياسة ومن كان كذلك كان شديد العداوة لغيره واما النصارى فان فيهم من هو معرض عن الدنيا ولذاتها وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك فانه لايحسد احدا ولايعاديه بل يكون لين العريكة في طلب الحق فلهذا قال تعالى (ذلك بان منهم) يعني من النصارى (قسيسين ورهبانا وانهم لايستكبرون) ولم يرد به كل النصارى فان معظم النصارى في عداوة المسلمين كاليهود بل الآية نزلت فيمن آمن من النصارى مثل النجاشي واصحابه والقس والقسيس اسم رئيس النصارى والجمع قسيسون وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مماوقع الوفاق به بين اللغتين يعني العربية والرومية واما الرهبان فهو جمع راهب وقيل الرهبان واحد وجمعه رهابين وهم سكان الصوامع فان قلت كيف مدحهم الله بذلك مع قوله رهبانية ابتدعوها قلت انما مدحهم الله في مقابلة ذم اليهود ووصفهم بشدة العداوة للمؤمنين ولايلزم من هذا القدر ان يكون مدحا على الاطلاق وقيل انما مدح من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فوصفه بالتمسك بدين عيسى الى ان بعث رسول الله صلى الله وسلم فآمنوا به وتبعوه فان قلت كفر النصارى اشد واغلظ من كفر اليهود واقبح فان النصارى ينازعون في الالهيات فيدعون ان لله ولدا واليهود انما ينازعون في النبوات فيقرون ببعض الدين وينكرون بعضهم والاول اقبح فلم ذم اليهود ومدح النصارى

النيوب) فنيوب بوالمتنا وبوالمنهم كلها علك (اذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك) بالهداية الخاصة ومقام النبوة والولاية (وعلى والدتك) بالتطهير والتزكية والاصطفاء (اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد) في مهد البدن

قلت انما هو مدح فى مقابلة ذم وليس بمدح على الاطلاق وقد تقدم الفرق بين شدة عداوة اليهود ولين النصارى فذلك ذم اليهود ومدح النصارى الذين آمنوا منهم واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت فى النجاشى ملك الحبشة واسمه اصحمة واصحابه الذين اسلموا معه * (ذكر قصة الهجرة الاولى وسبب نزول هذه الآية) * قال ابن عباس وغيره من المفسرين فى قوله ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ان قريشا ائتمرت ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من آمن منهم فآذوهم وعذبوهم فافتتن من افتتن منهم وعصم الله من شاء منهم ومنع الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعمه ابى طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل باصحابه ولم يقدر ان يمنعهم من المشركين ولم يؤمر بعد بالجهاد امر اصحابه بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فخرج اليها احد عشر رجلا واربع نسوة سرا وهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عقبة وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وابو سلمة بن عبد الاسد وزوجته ام سلمة بنت امية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت ابى خيثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة بنصف دينار الى ارض الحبشة وذلك فى رجب فى السنة الخامسة من مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج بعدهم جعفر بن ابى طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر الى ارض الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وجماعة بهدايا الى النجاشى وبطارقته ليردهم اليهم فدخل اليه عمرو وقال له ايها الملك انه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش واحلامها وزعم انه نبى وانه قد بعث اليك برهط من اصحابه ليفسدوا عليك قومك فاحببنا ان نأتيك ونخبرك خبرهم وان قومهم يسألونك ان تردهم اليهم فقال حتى نسألهم فامر بهم فاحضروا فلما اتوا باب النجاشى قالوا يستأذن اولياء الله فقال ائذنوا لهم فمرحبا باولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين ايها الملك الا ترى انا صدقناك انهم لم يحيوك بتحيتك التى تحيا بها فقال لهم الملك ما منعكم ان تحيونى بتحيتى فقالوا له انا حييناك بتحية اهل الجنة وتحية الملائكة فقال لهم النجاشى ما يقول صاحبكم فى عيسى وامه فقال جعفر بن ابى طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه القاها الى مريم العذراء ويقول فى مريم انها العذراء البتول قال فاخذ النجاشى عودا من الارض وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيأ مما انزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرؤا فقرأ جعفر سورة مريم وهنالك قسيسون ورهبان وسائر النصارى فعرفوا ما قرأ فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق فانزل الله فيهم ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون الى آخر الآيتين فقال النجاشى لجعفر واصحابه اذهبوا فانتم سيوم بارضى يعنى انكم آمنون فرجع عمرو واصحابه خائبين واقام المسلمون عند النجاشى بخير دار وخير جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلا امره وقهر اعداءه وذلك فى سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشى على يد عمرو بن امية الضمرى ان يزوجه ام حبيبة بنت ابى سفيان وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات عنها فارسل

(وكهلا) بالغا الى نور شيب الكمال بالتجرد عن البدن وملابسه (واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) كتاب الحقائق والمعارف الثابتة فى اللوح المحفوظ بتأييد روح القدس وحكمة السلوك فى الله بتحصيل الاخلاق والاحوال والمقامات والتجريد والتفريد * وتوراة العلوم الظاهرة والاحكام المتعلقة بالافعال واحوال النفس وصفاتها وانجيل العلوم

النجاشي جارية يقال لها ابرهة الى ام حبيبة يخبرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطبها فسرت
بذلك واعطت الجارية اوضاحا كانت لها واذنت لخالد بن سعيد في نكاحها فانكحها رسول الله
صلى الله عليه وسلم على صداق مبلغه اربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
النجاشي فارسل اليها بجميع الصداق على يد جاريته ابرهة فلما جاءتها بالدنانير وهبتها منها خمسين
دينارا فلم تأخذها وقالت ان الملك امرني ان لا آخذ منك شيأ وقالت انا صاحبة دهن الملك وثيابه
وقد صدقت بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنت به وحاجتي اليك ان تقرئيه مني السلام قالت نعم فقالت قد
امر الملك نساءه ان يبعثن اليك بما عندهن من دهن وعود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عندها
فلا ينكره قالت ام حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمحاصر خيبر فخرج
من خرج اليه ممن قدم من الحبشة واقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت
عليه فكان يسألني عن النجاشي وقرأت عليه السلام من ابرهة جارية الملك فرد رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليها السلام و انزل الله عز وجل عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين
عاديتم منهم مودة يعني اباسفيان وذلك بتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة ولما بلغ
اباسفيان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ام حبيبة قال ذلك الفحل لا يجدع انفه وبعث
النجاشي بعد خروج جعفر واصحابه الى النبي صلى الله عليه وسلم ابنه ازهى في ستين رجلا
من اصحابه وكتب اليه يارسول الله اني اشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت
ابن عمك جعفر واسلمت لله رب العالمين وقد بعثت اليك ابني ازهى وان شئت ان آتيك بنفسي
فعلت والسلام عليك يارسول الله فركبوا في سفينة في اثر جعفر حتى اذا كانوا في وسط البحر
غرقوا ووافى جعفر واصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ووافى مع جعفر سبعون
رجلا عليهم الثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية من الشام فقرأ عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى آخرها فبكى القوم حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا
ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله هذه الآية فيهم وهي قوله ولتجدن اقربهم
مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون
وكانوا من اصحاب الصوامع وقيل نزلت في ثمانين رجلا اربعين من نصارى نجران من بني الحرث
بن كعب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية روميين من اهل الشام وقال قتادة نزلت في ناس
من اهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم
آمنوا به وصدقوه فاثنى الله عليهم بقوله ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى
ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون يعني لا يتعظمون عن الايمان والاذعان للحق
* قوله عز وجل (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول) يعني واذا سمعوا القرآن الذي انزل الى
الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (ترى اعينهم تفيض من الدمع) يقال فاض الاناء اذا امتلأ
حتى يخرج منه ما فيه وصفهم الله تعالى بسيل الدمع عند البكاء ورقة القلب عند سماع القرآن قال
ابن عباس يريد النجاشي واصحابه لما قرأ عليهم جعفر بن ابي طالب سورة مريم قال فما زالوا يبكون
حتى فرغ جعفر من القراءة (مما عرفوا من الحق) يعني الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم
وهو الحق (يقولون) يعني القسيسين والرهبان الذين سمعوا القرآن من جعفر عند النجاشي

الباطنة من علوم تجليات
الصفات واحكامها واحكام
احوال القلب وصفاته
واعماله (واذ تخلق
من الطين) من طين العقل
الهيولاني الذي هو الاستعداد
المحض بيد التربية والحكمة
العملية (كهيئة الطير)
طير القلوب الطائرة الى
حضرة القدس لتجردها
من عالمها وكالها (باذني)
اي بعلمي وقدرتي وتيسيري
عند تجلي صفات حياتي

(ربنا آمنا) يعني بالقرآن وشهدنا انه حق وصدق (فاكتبنا مع الشاهدين) يعني مع امة
محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق (ومالنا لانؤمن بالله وماجاءنا من الحق) قال ابن
عباس لما رجع الوفد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهم قومهم على ترك دينهم وقيل
ان اليهود عيروهم وقالوا تركتم دينكم فاجابوهم بهذا الجواب ومعنى الآية ومالنا لانؤمن
بوحدانية الله وماجاءنا من الحق من عنده على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (ونطمع)
يعني ونرجو بذلك الايمان (ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) يعني مع امة محمد صلى الله
عليه وسلم * قوله تعالى (فاثابهم الله بما قالوا) يعني بالتوحيد الذى قالوه وانما علق الثواب
وهو قوله تعالى (جنات تجرى من تحتها الانهار) بمجرد القول لانه قد سبق وصفهم بما يدل
على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة والبكاء المؤذنان بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب لان
القول اذا اقترن بالمعرفة فهو ايمان الحقيقى الموعود عليه بالثواب وقال ابن عباس بما قالوا يريد
بما سالوا يعني قولهم فاكتبنا مع الشاهدين (خالدين فيها) يعني في الجنات (وذلك جزاء المحسنين)
يعني المؤمنين الموحدين المخلصين في ايمانهم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) لما ذكر الله
عزوجل الوعد لمؤمني اهل الكتاب وماأعد لهم من الجنات ذكر الوعيد لمن اقام منهم على كفره
وتكذيبه واطلق القول بذلك ليكون هذا الوعيد لهم ولمن جرى مجراهم في الكفر والتكذيب
فقال والذين كفروا وكذبوا بآياتنا (اولئك اصحاب الجحيم) * قوله عزوجل (يا ايها
الذين آمنوا لاتحرموا طيبات مااحل الله لكم) قال علماء التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم
ذكر الناس يوما ووصف القيامة فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان
بن مظعون الجمحى وهم ابوبكر وعلي بن ابي طالب وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمرو وابوذر
الغفارى وسالم مولى ابي حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن
وتشاوروا واتفقوا على انهم يترهبون ويلبسون المسوح ويجبون مذاكيرهم ويصومون
الدهر ويقومون الليل ولاينامون على الفرش ولايأكلون اللحم والودك ولايقربون النساء
ولاالطيب ويسيحون في الارض فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتى دار عثمان بن مظعون
فلم يصادفه فقال لامرأته احق مابلغني عن زوجك واصحابه فكرهت ان تكذب وكرهت
ان تبدى سر زوجها فقالت يارسول الله ان كان قد اخبرك عثمان فقد صدق فانصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء عثمان اخبرته بذلك فاتى هو واصحابه العشرة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الم انبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا
بلى يارسول الله ومااردنا الا الخير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لم اومر بذلك ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى
اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ثم
جمع الناس وخطبهم فقال مابال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا
فاني لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولااتخاذ
الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولاتشركوا به شيأ وحجوا
واعتمروا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان

وعلى وقدرتى لك واتصافك
واستنبائى اياك (فتنفخ
فيها) من روح الكمال
حياة العلم الحقيقى بالتكميل
والاضافة (فتكون طيرا
باذنى) نفسا مجردة كاملة تطير
الى جناب القدس بجناح
العشق (وتبرئ الاكمه)
المحجوب عن نور الحق

قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم فى الديار والصوامع فانزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم يعنى الطيبات اللذيذات التى تشتهيها الانفس وتميل اليها القلوب من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة فاعلم الله عز وجل بهذه الآية ان شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم غير ماعزموا عليه من ترك الطيبات وانه لاينبغى ان تجتنبوا الطيبات المباحات ومعنى لاتحرموا لاتعتقدوا تحريم الطيبات المباحات فان من اعتقد تحريم شئ احله الله فقد كفر ماترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع الى الله والفرغ لعبادته من غير اضرار بالنفس ولاتفويت حق الغير ففضيلة لامنع منها بل مأمور بها * وقوله تعالى (ولاتعتدوا) يعنى ولاتجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل معناه ولاتجبوا انفسكم فسمى جب المذاكير اعتداء وقيل معناه ولاتعتدوا بالاسراف فى الطيبات (ان الله لايحب المعتدين) يعنى المجاوزين الحلال الى الحرام * وقوله تعالى (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) يعنى وكلوا ايها المؤمنون من رزق الله الذى رزقكم واحله لكم من المطاعم والمشارب قال عبدالله بن المبارك الحلال ما اخذته من وجهه والطيب ماغذى وانمى فاما الجامد كالطين والتراب ومالايغذى فمكروه الاعلى وجه التداوى وعن ابن عباس ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى اذا اصبت اللحم انتشرت للنساء واخذتنى شهوتى فحرمت على اللحم فانزل الله ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وله عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وله عن ابى هريرة قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها قالت عائشة ماكان الذراع احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن كان لايجد اللحم الاغبا وكان يعجل اليه الذراع لانه اعجلها نضجا اخرجه الترمذى * وقوله تعالى (واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون) هذا تأكيد للوصية بما امر الله تعالى به وزاد التأكيد بقوله الذى انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى فى الانتهاء الى ما امر الله به وعما نهى عنه وفى الآية دليل على ان الله عز وجل قد تكفل برزق كل احد من عباده فانه تعالى لولم يتكفل بذلك لما قال وكلوا مما رزقكم الله واذا تكفل برزق العبد وجب ان لايبالغ فى الطلب والحرص على الدنيا وان يعول على ماوعده الله وتكفل به فانه تعالى اكرم من ان يخلف الوعد * قوله تعالى (لايؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم) قال ابن عباس لما نزلت ياايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا يارسول الله كيف نصنع بأيماننا التى حلفنا عليها وكانوا قد حلفوا على ما اتفقوا عليه فانزل الله عز وجل هذه الآية لايؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم وقد تقدم تفسير اللغو فى الايمان فى سورة البقرة * وقوله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) يعنى ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم وقصدتم به اليمين ومنه قول الفرزدق

ولست بمأخوذ بلغو تقوله * اذا لم تعمد عاقدات العزائم

وفى الآية حذف تقديره ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذفه لانه معلوم عند السامع (فكفارته) يعنى فكفارة ايمانكم التى عقدتموها اذا حنثتم (اطعام عشرة مساكين من اوسط ماتطعمون اهليكم) يعنى من اقصد ذلك لان من الناس من يسرف فى اطعام اهله ومنهم من يقتر عليهم فامر الله بالعدل فى اداء الكفارة وقيل اراد بالاوسط فى القيمة فلايكون غاليا من اعلى

(والابرص باذنى) المعيب برض محبة الدنيا وغلبة الهوى (واذ تخرج الموتى) موتى الجهل من قبور البدن وارض النفس (باذنى واذ كففت بنى اسرائيل) المحجوبين عن نور تجليات

الموجود ولاخسيس أثمن من اردأ الموجود بل الوسط فى القيمة وقيل اراد بالاوسط الافضل قال ابن عباس كل شئ فى كتاب الله اوسط فهو افضل فعلى هذا يكون المعنى من خير ما تطعمون اهليكم وافضله (اوكسوتهم) هو معطوف على محل اوسط اى كما تطعمون المساكين من اوسط ماتطعمون اهليكم فكذلك فاكسوهم من اوسط الكسوة (اوتحرير رقبة) يعنى عتق رقبة والمراد جملة الشخص

* (فصل فى حكم الآية) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) * فى بيان الكفارة وهى اربعة انواع * النوع الاول من الكفارة الاطعام فيجب اطعام عشرة مساكين واختلفوا فى قدر مايطعم لكل مسكين فذهب قوم الى انه يطعم لكل مسكين مدمن الطعام بمد النبى صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث بالبغدادى من غالب قوت البلد وكذلك سائر الكفارات وهذا قول ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار وعطاء والحسن واليه ذهب مالك والشافعى ويروى عن عمر وعلى وعائشة انه يطعم لكل مسكين مدان من بر وهو نصف صاع وبه قال اهل العراق وقال ابو حنيفة ان اطعم من الحنطة فنصف صاع وان اطعم من غيرها فصاع وهو قول الشعبى والنخعى وسعيد بن جبير ومجاهد وقال احمد بن حنبل يطعم لكل مسكين مدمن البر اونصف صاع من غيرها مثل التمر والشعير ومن شرط الاطعام تمليك الطعام للمساكين فلو عشاهم وغداهم لم يجزه وقال ابو حنيفة يجزيه ذلك ولا يجوز اخراج القيمة فى الكفارة كالدراهم والدنانير وقال ابو حنيفة يجوز ذلك ولا اخراج الدقيق والخبز فى الكفارة بل يجب اخراج الحب وجوزه ابو حنيفة ولا يجوز صرف الكل الى مسكين واحد فى عشرة ايام * النوع الثانى من الكفارات الكسوة واختلف العلماء فى قدرها فذهب قوم الى انه يكسو كل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة ازارا ورداء اوقميص اوعمامة اوسراويل اوكساء ونحو ذلك وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاوس واليه ذهب الشافعى وقال مالك يجب ان يكسو كل مسكين ماتجوز به الصلاة فيكسو الرجل ثوبا والمراة ثوبين درعا وخمارا وقال احمد للرجل ثوبا وللمراة ثوبين درعا وخمارا وهو ادنى مايجزى فى الصلاة وقال ابن عمر يجب قميص وازار ورداء وقال ابو موسى الاشعرى يجب ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين وقال ابراهيم النخعى يجب ثوب جامع كالملحفة * النوع الثالث من الكفارات العتق فيجب اعتاق رقبة مؤمنة وكذلك يجب فى جميع الكفارات واجاز ابو حنيفة والثورى اعتاق الرقبة الكافرة فى جميع الكفارات الا كفارة القتل فان الله قيد الرقبة بالايمان فى كفارة القتل ومذهب الشافعى ان المطلق يحمل على المقيد ولا يجوز اعتاق المرتد فى الكفارة بالاجماع ويشترط ان تكون الرقبة سليمة الرق حتى لو اعتق فى الكفارة مكاتبا اوام ولد اوعبدا اشتراه بشرط العتق اواشترى قريبه الذى يعتق عليه فكل هؤلاء لايجزى فى اعتاق الكفارة وجوز اصحاب الراى عتق المكاتب فى الكفارة اذا لم يؤد من نجوم الكتابة شيأ وجوز واعتق القريب فى الكفارة ويشترط ان تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل فلا يجزى مقطوع اليد اوالرجل ولا الاعمى ولا الزمن ولا المجنون المطبق ويجوز عتق الاعور والاصم ومقطوع الاذنين والانف لان هذه العيوب كلها لاتضر بالعمل وعند ابى حنيفة كل عيب يفوت جنسا من المنفعة يمنع الجواز فيجوز عتق مقطوع احدى اليدين ولا يجوز

الصفات الجاهلين المضادين لك لجهلهم بحالك ومقامك (عنك اذ جئتهم بالبينات) بالحجج والدلائل الواضحة (فقال الذين كفروا) جبوا (منهم) عن دين الحق (ان هذا الا سحر مبين) لحيرتهم فيه (واذ اوحيت الى الحواريين) اى الهمت فى قلوبهم النورانيين الذين طهروا نفوسهم بماء المنافع

عتق مقطوع الاذنين في الكفارة * النوع الرابع من الكفارات الصوم وهو قوله تعالى (فمن لم يجد) يعني الكفارة (فصيام ثلاثة ايام) يعني فاذا عجز من لزمته كفارة اليمين من الاطعام او الكسوة او العتق وجب عليه صيام ثلاثة ايام وهو قوله تعالى فصيام ثلاثة ايام يعني فعليه صيام ثلاثة ايام قال الشافعي اذا كان عنده قوته وقوت عياله يومه وليلته وفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده هذا القدر جاز له الصيام وقال ابو حنيفة يجوز له الصيام اذا لم يكن عنده من المال ما تجب فيه الزكاة فجعل من لا زكاة عليه عادما وقال الحسن اذا لم يجد درهمين صام وقال سعيد بن جبير ثلاثة دراهم واختلفوا في وجوب التتابع في الصيام من كفارة اليمين على قولين احدهما انه يجب التتابع فيه قياسا على كفارة الظهار والقتل وهو قول ابن عباس ومجاهد وطاوس وعطاء وقتادة وهو مذهب ابي حنيفة واحد قولي الشافعي والقول الثاني لا يجب التتابع في كفارة اليمين فان شاء تابع وان شاء فرق والتتابع افضل وبه قال الحسن ومالك وهذا القول الثاني للشافعي * (المسئلة الثانية) * كلمة او للتخيير بين الاطعام والكسوة والعتق فان شاء اطعم وان شاء كسا وان شاء اعتق فبأيها اخذ المكفر فقد اصاب وخرج عن العهدة * (المسئلة الثالثة) * لا يجوز صرف شئ من الكفارات الا الى مسلم حر محتاج فلو صرف الى ذمي او عبد او غني لا يجزيه وجوز ابو حنيفة صرفها الى اهل الذمة واتفقوا على ان صرف الزكاة الى اهل الذمة لا يجوز * (المسئلة الرابعة) * اختلفوا في تقديم الكفارة على الحنث فذهب قوم الى جوازه لما روى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير اخرجه الترمذي (ق) عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانها ان اتتك عن مسئلة وكلت اليها وان اتتك من غير مسئلة اعنت عليها واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر وابن عباس وعائشة وعامة الفقهاء وبه قال الحسن وابن سيرين واليه ذهب مالك والاوزاعي والشافعي الا ان الشافعي قال ان كفر بالصوم قبل الحنث لا يجوز لانه بدني انما يجوز بالطعام او الكسوة او العتق وقال ابو حنيفة لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث * وقوله (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من الاطعام او الكسوة او العتق او الصوم عند العجز (كفارة ايمانكم اذا حلفتم) يعني وحنثتم لان الكفارة لا تجب بمجرد اليمين انما تجب بالحنث بعد اليمين وفيه اشارة الى ان تقديم الكفارة على اليمين لا يجوز بل اليمين وقبل الحنث كما تقدم (واحفظوا ايمانكم) يعني قللوا ايمانكم ففيه النهي عن كثرة الحلف ومنه قول الشاعر قليل الالايا حافظ ليمينه * وصفه بانه لا يحلف وقيل في معنى الآية واحفظوا ايمانكم عن الحنث اذا حلفتم لئلا تحتاجوا الى التكفير وهذا اذا لم يحلف على ترك مندوب او فعل مكروه فان حلف على ذلك فالافضل بل الاولى ان يحنث نفسه ويكفر لما روي عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني والله ان شاء الله لا احلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يميني واتيت الذي هو خير اخرجاه في الصحيحين * قوله تعالى (كذلك يبين الله لكم آياته) يعني كما بين لكم كفارة ايمانكم اذا حنثتم كذلك يبين لكم جميع ما تحتاجون اليه في امر دينكم (لعلكم تشكرون) يعني نعمه التي انعم بها عليكم ان بين لكم آياته ومعالم شريعته * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس) لما انزل الله تعالى

والاعمال المزكية حتى قبلوا دعوتك لصفاء نفوسهم واحبوك بالارادة التامة لمناسبتهم اياك بنور الفطرة وصفاء الاستعداد (ان آمنوا بي) ايمانا حقيقيا بتوحيد الصفات والصو (وبرسولي) برعاية حقوق تجلياتها على التفصيل (قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) يا الهنا بعلمك الشامل المحيط بالكل انا منقادون لك مسلمين

يا ايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم وقوله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم بين الله فى هذه الآية ان الخمر والميسر غير داخلين فى جملة الطيبات المحللات بل هما من جملة المحرمات والخمر كل ما خامر العقل وغطاه والميسر القمار وقد تقدم تفسيرهما فى سورة البقرة والانصاب هى الحجارة التى كانوا ينصبونها لهم ويذبحون عندها والازلام هى القداح التى كانوا يستقسمون بها وتقدم تفسير ذلك والرجس فى اللغة الشئ الخبيث المستقذر (من عمل الشيطان) يعنى من تزيينه واغوائه ودعائه اياكم اليها وليس المراد انها من عمل يديه (فاجتنبوه) يعنى كونوا جانبا منه والضمير فى قوله فاجتنبوه عائد الى الرجس لانه اسم جامع للكل كأنه قال ان هذه الاربعة الاشياء كلها رجس فاجتنبوه (لعلكم تفلحون) يعنى لكى تدركوا الفلاح اذا اجتنبتم هذه المحرمات التى هى رجس * قوله تعالى (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فروى ابو ميسرة ان عمر بن الخطاب قال اللهم بين لنا فى الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التى فى سورة البقرة يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير الآية فدعى عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا فى الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التى فى سورة النساء يا ايها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى فدعى عمر فقرئت عليه ثم قال اللهم بين لنا فى الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التى فى المائدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فدعى عمر فقرئت عليه فقال انتهينا انتهينا اخرجه الترمذى من طريقين وقال رواية ابى ميسرة هذه اصح واخرجه ابو داود والنسائى وروى مصعب بن سعيد عن ابيه قال صنع رجل من الانصار طعاما فدعانا فشربنا وذلك قبل ان تحرم زاد حتى انتشينا فتفاخرت الانصار وقريش فقالت الانصار نحن افضل منكم فقال سعد بن ابى وقاص المهاجرون خير منكم فاخذ رجل من الانصار لحى جمل فضرب به انف سعد ففزره فاتى سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فنزلت هذه الآية يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون وقال ابن عباس نزل تحريم الخمر فى قبيلتين من قبائل الانصار شربوا حتى ثملوا وعبث بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الاثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بى هذا فلان اخى وكانوا اخوة ليس فى قلوبهم ضغائن فانزل الله تعالى تحريم الخمر فى هذه الآية يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون واما تفسير الآية فقوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر يعنى انما زين لكم الشيطان شرب الخمر والقمار بالقداح وهو الميسر ويحسن ذلك لكم ارادة ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء بسبب شرب الخمر لانها تزيل عقل شاربها فيتكلم بالفحش وربما افضى ذلك الى المقاتلة وذلك سبب ايقاع العداوة والبغضاء بين شاربيها واما الميسر فقال قتادة كان الرجل فى الجاهلية يقامر على اهله وماله فيقمر فيقعد حزينا سليبا ينظر الى ماله فى يد غيره فيورثه ذلك العداوة والبغضاء فنهى الله عن ذلك وتقدم ما فيه والله اعلم بما يصلح خلقه فظهر بذلك ان الخمر والميسر سببان عظيمان فى ايقاع العداوة والبغضاء بين الناس وهذا فيما يتعلق بامر الدنيا وفيهما مفاسد تتعلق بامر الدين وهى قوله تعالى (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة) لان شرب الخمر يشغل عن ذكر الله وعن فعل الصلاة وكذلك القمار يشغل صاحبه

وجودات صفاتنا اليك (اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم) اذ اقترح عليك اصحابك فقالوا (هل يستطيع ربك) اى شاهدك من عالم الربوبية فان رب كل واحد هو الاسم الذى يربه ويكمله ولا يعبد احد الا ما عرفه من عالم الربوبية ولا عرف الا ما بلغ اليه من المرتبة فى الالوهية فيستفيض منه العلوم ويستنزل منه

عن ذكر الله وعن الصلاة فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام في الآية الاولى ثم افرد الخمر والميسر في هذه الآية قلت لان الخطاب مع المؤمنين بدليل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا والمقصود نهيهم عن شرب الخمر واللعب بالقمار وانما ضم الانصاب والازلام الى الخمر والميسر لتأكيد تحريم الخمر والميسر فلما كان المقصود من الآية النهى عن شرب الخمر والميسر لاجرم افردهما بالذكر في آخر الآية والله اعلم * وقوله تعالى (فهل انتم منتهون) لفظه استفهام ومعناه الامر اى انتهوا وهذا من ابلغ ما ينهى به لانه تعالى ذم الخمر والميسر واظهر قبحهما للمخاطب كأنه قيل قد تلى عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم منتهون مع هذه الامور ام انتم على ما كنتم عليه كانكم لم توعظوا ولم تنزجروا وفي هذه الآية دليل على تحريم شرب الخمر لان الله تعالى قرن الخمر والميسر بعبادة الاصنام وعدد انواع المفاسد الحاصلة بهما ووعد بالفلاح عند اجتنابهما وقال فهل انتم منتهون ومعناه الامر وقد صح من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شراب اسكر فهو حرام اخرجاه في الصحيحين وزاد الترمذي وابو داود ما اسكر الفرق منه فل‌ء الكف منه حرام الفرق بالتحريك اناء يسع ستة عشر رطلا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لن يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب لم يتب عليه وسقاه الله من نهر الخبال قالوا يا ابا عبد الرحمن وما نهر الخبال قال صديد اهل النار اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واخرجه النسائي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه اخرجه ابو داود * قوله عز وجل (واطيعوا الله واطيعوا الرسول) يعني فيما امركم به ونهاكم عنه (واحذروا) اى واحذروا مخالفة الله ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به ونهاكم عنه (فان توليتم) يعني فان اعرضتم عما امركم به ونهاكم عنه (فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين) وهذا وعيد وتهديد لمن اعرض عن امر الله ونهيه كانه قال فاعلموا انكم بسبب توليكم واعراضكم قد استحققتم العذاب والسخط * قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية عن البراء بن عازب قال مات ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر فلما نزل تحريم الخمر قال ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف باصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها قال فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله ارايت الذين ماتوا وهم يشربون الخمر لما نزل تحريم الخمر فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعنى الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اى لا حرج ولا اثم عليهم فيما شربوا من الخمر واكلوا من مال القمار في وقت الاباحة قبل التحريم قال ابن قتيبة يقال لم اطعم خبزا ولا ماء ولا نوما قال الشاعر فان شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

النقاخ الماء والبرد النوم (اذا ما اتقوا) يعني اذا ما اتقوا الشرك وقيل اتقوا ما حرم الله عليهم

البركات ويستمد منه المدد الروحاني ولهذا قالوا مع اقرارهم واسلامهم ربك ولم يقولوا ربنا الان ربهم لا يستطيع (ان ينزل علينا مائدة من السماء) شريعة من سماء عالم الروح تشتمل على انواع العلوم والحكم والمعارف والاحكام فيها غذاء القلوب وقوت النفوس وحياتها وذوقها (قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين) احذروه في ظهور صفات

(وآمنوا) يعني بالله ورسوله (وعملوا الصالحات) اى وازدادوا من عمل الصالحات (ثم اتقوا
وآمنوا) يعني اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم فعلى هذا تكون الاولى اخبارا عن حال من مات
وهو يشربها قبل التحريم انه لاجناح عليه والثانية خطاب لمن بقى بعد التحريم امروا باتقائها والايمان
بتحريمها (ثم اتقوا) يعني ماحرم عليهم فى المستقبل (واحسنوا) يعني العمل وقيل المراد بالاتقاء
الاول فعل التقوى وبالثانى المداومة عليها وبالثالث اتقاء الظلم مع ضم الاحسان اليه وقيل ان المقصود
من التكرير التأكيد والمبالغة فى الحث على الايمان والتقوى وضم الاحسان اليهما ثم قال تعالى
(والله يحب المحسنين) يعني انه تعالى يحب المتقربين اليه بالايمان والاعمال الصالحة والتقوى
والاحسان وهذا ثناء ومدح لهم على الايمان والتقوى والاحسان لان هذه المقامات من اشرف
الدرجات واعلاها (م) عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جناح فيما طعموا الى آخر الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لى انت منهم ومعناه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان ابن مسعود منهم يعني من الذين آمنوا وعملوا الصالحات
والتقوى والاحسان * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد) نزلت
هذه الآية عام الحديبية وكانوا محرمين فابتلاهم الله بالصيد فكانت الوحوش تغشى رحالهم من
كثرتها فهموا باخذها وصيدها فانزل الله هذه الآية يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله الآية اللام
فى ليبلونكم لام القسم اى ليختبرن طاعتكم من معصيتكم والمعنى يعاملكم معاملة المختبر بشئ
من الصيد يعني بصيد البر دون البحر وقيل اراد الصيد فى حالة الاحرام دون الاحلال وانما
قال بشئ من الصيد ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التى تزل عندها اقدام الثابتين
ويكون التكليف فيها صعبا شاقا كالابتلاء ببذل الاموال والارواح وانما هو ابتلاء سهل
كما ابتلى اصحاب السبت بصيد السمك فيه لكن الله عز وجل بفضله وكرمه عصم امة محمد صلى الله
عليه وسلم فلم يصطادوا شيأ فى حالة الابتلاء ولم يعصم اصحاب السبت فمسخوا قردة وخنازير
* وقوله تعالى (تناله ايديكم) يعني الفرخ والبيض ومالا يقدر ان يفر من صغار الصيد
(ورماحكم) يعني كبار الصيد مثل حمر الوحش ونحوها وقال ابن عباس فى قوله تناله ايديكم
ورماحكم هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلى الله به عباده فى احرامهم حتى لو شاؤا نالوه بايديهم
فنهاهم الله ان يقربوه (ليعلم الله) اى ليرى الله فانه قد علمه فهو مجاز لانه تعالى عالم لم يزل
والمعنى يعاملكم معاملة المختبر وقيل معناه ليظهر المعلوم وهو خوف الخائف وقيل هو من باب
حذف المضاف والتقدير ليعلم اولياء الله (من يخافه بالغيب) يعني من يخاف الله ولم يره فلا يصطاد
فى حالة الاحرام شيأ بعد النهى (فمن اعتدى بعد ذلك) يعني فصاد فى حالة الاحرام بعد النهى
(فله عذاب اليم) يعني فى الدنيا قال ابن عباس هو ان يوجع ظهره وبطنه جلدا وتسلب ثيابه
وهذا قول اكثر المفسرين فى معنى هذه الآية لانه قد سمى الجلد عذابا وهو قوله وليشهد عذابهما
طائفة من المؤمنين * وقوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وانتم حرم) جمع
حرام اى لاتقتلوا الصيد وانتم محرمون بالحج والعمرة وقيل المراد منه دخول الحرم يقال احرم
اذا عقد الاحرام واحرم اذا دخل الحرم وقيل هما مرادان بالآية فلا يجوز قتل الصيد للمحرم ولا
فى الحرم نزلت هذه الآية فى ابى اليسر شد على حمار وحش فقتله وهو محرم ثم صار هذا الحكم عاما

نفوسكم واجعلوه وقاية
لكم فيما يصدر عنكم
من الاخلاق والافعال
تنجوا من تبعاتها وتفوزوا
وتفلحوا ان تحقق ايمانكم
فلاحاجة بكم الى شريعة
جديدة (قالوا نريد ان نأكل)
نستفيد (منها) ونعمل
بها ونتقوى بها (وتطمئن

فلا يجوز قتل الصيد ولا التعرض له مادام محرما ولا في الحرم والمراد بالصيد كل حيوان متوحش مأكول اللحم وهذا قول الشافعي وقال ابو حنيفة هو كل حيوان متوحش سواء كان مأكولا اولم يكن فيجب عنده الضمان على من قتل سبعا اونمرا اونحو ذلك واستثنى الشارع خمس فواسق فاجاز قتلهن (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح الغراب والحدأة والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية خمس لاجناح على من قتلهن في الحرم والاحرام (ق) عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب كلهن فواسق يقتلن في الحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور ولمسلم خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وذكر نحوه وفي رواية النسائي قال خمس يقتلهن المحرم الحية والعقرب والفأرة والغراب الابقع والكلب العقور قال ابن عيينة الكلب العقور كل سبع ضار يعقر وقاس الشافعي عليها جميع مالايؤكل لحمه قال لان الحديث يشتمل على اشياء بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لايدخل في معنى السباع ولا معنى السباع ولا في معنى الهوام وانما هو حيوان مستخبث اللحم وتحريم الاكل يجمع الكل فاعتبره ورتب عليه الحكم وذهب اصحاب الرأى الى وجوب الجزاء في كل مالايؤكل لحمه الا الاعيان المذكورة في الحديث وقاسوا عليها الذئب فلم يوجبوا فيه كفارة * قوله تعالى (ومن قتله منكم متعمدا) قال مجاهد والحسن وابن زيد هو الذى يتعمد قتل الصيد مع نسيان الاحرام فعليه الجزاء اما اذا تعمد قتل الصيد ذاكرا لاحرامه فلا جزاء عليه لانه اعظم من ان يكون له كفارة وقال ابن عباس والجمهور يحكم عليه بالجزاء وان تعمد القتل مع ذكر الاحرام وهذا مذهب عامة الفقهاء اما اذا قتل الصيد خطأ بان قصد غيره بالرمى فاصابه فهو كالعمد في وجوب الجزاء وهو مذهب جمهور المفسرين والفقهاء قال الزهرى نزل القرآن بالعمد وجرت السنة في الخطأ يعني الحقت المخطئ بالمتعمد في وجوب الجزاء وقال سعيد بن جبير لاارى في الخطأ شيأ وهذا قول شاذ لايؤخذ به (فجزاء مثل ماقتل من النعم) يعني فعليه جزاء من النعم مثل ما قتل والمثل والشبه واحد واختلفوا في هذه المماثلة أهي في الخلقة ام بالقيمة والذى عليه جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم ان المماثلة في الخلقة معتبرة لان ظاهر الآية يدل على ذلك ومالامثل له فالقيمة وقال ابو حنيفة المثل الواجب في قتل الصيد هو القيمة لان الصيد المقتول اذا لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة وهذا لانزاع فيه فكان المراد بالمثل هو القيمة في هذه الصورة فوجب ان يكون في سائر الصور كذلك لان اللفظ الواحد لايجوز حمله الاعلى معنى واحد واجيب عنه بان حقيقة المماثلة امر معلوم فيجب رعايتها باقصى الامكان وان لم تمكن رعايتها الا بالقيمة وجب الاكتفاء بها للضرورة وحجة الشافعي ومن وافقه في اعتبار المماثلة بالخلقة ان الصحابة حكموا في بلدان شتى و ازمان مختلفة بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وهي لاتساوى بدنة وحكموا في حمار الوحش ببقرة وهو لايساوى بقرة وكذا في الضبع بكبش فدل ذلك على انهم انما نظروا الى مايقرب من الصيد شبها من حيث الخلقة فحكموا به ولم يعتبروا القيمة فيجب في الظبي شاة وفي الارنب عناق وفي الضب سخلة وفي اليربوع جفرة ويجب في الحمامة وكل ماعب و هدر كالفواخت والقمرى وذوات الاطواق شاة وما سواه

قلوبنا) فان العلم غذاء القلب وقوته (ونعلم) صدقك في الاخبار عن ربك ونبوتك ورسالتك بها وفيها (ونكون عليها من الشاهدين) الحاضرين اهل العلم نخبر بها من عدانا من الغائبين ونعلمهم وندعوهم بها الى الله (قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا) امرا اى شرعا ودينا يعود اليه من في زماننا من اهل ديننا

من الطير فقيه القيمة في المكان الذي اصيب فيه وروى عن عثمان وابن عباس انهما حكما في حمام الحرم بشاة وروى عن عمر انه قضى في الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الارنب بعناق وفي اليربوع بجفرة * وقوله تعالى (يحكم به ذوا عدل منكم) يعني يحكم بالجزاء في قتل الصيد رجلان صالحان عدلان من اهل ملتكم ودينكم وينبغي ان يكونا فقيهين فينظر ان الى اشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به قال ميمون بن مهران جاء اعرابي الى ابي بكر الصديق فقال اني اصبت من الصيد كذا وكذا فسأل ابو بكر ابيّ بن كعب فقال الاعرابي اني آتيتك اسألك وانت تسأل غيرك فقال ابو بكر وما انكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبي فاذا اتفقنا على شيء امرناك به * وقوله تعالى (هديا بالغ الكعبة) يعني ان الكفارة هدى يساق الى الكعبة وسميت الكعبة كعبة لارتفاعها والعرب تسمي كل بيت مرتفع كعبة وانما اريد بالكعبة كل الحرم لان الذبح لا يقع في الكعبة وعندها ملاقيا لها انما يقع في الحرم وهو المراد بالبلوغ فيذبح الهدى بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم هذا مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة له ان يتصدق به حيث شاء اذا وصل الهدى الى الكعبة (اوكفارة طعام مساكين اوعدل ذلك صياما) ذهب الشافعي ومالك وابو حنيفة الى ان كلمة او في هذه الآية للتخيير وقال احمد وزفر من اصحاب ابي حنيفة انها للترتيب وهما روايتان عن ابن عباس قال الشافعي اذا قتل صيدا له مثل فهو مخير بين ثلاثة اشياء ان شاء ذبح المثل من النعم وتصدق به على مساكين الحرم وان شاء قوم المثل دراهم والدراهم طعاما ثم يتصدق به على مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مد من الطعام يوما وقال ابو حنيفة يصوم عن كل نصف صاع يوما وعن احمد روايتان كالقولين واصل هذه المسئلة ان الصوم مقدر بطعام اليوم فعند الشافعي مقدر بالمد وعند ابي حنيفة مقدر بنصف صاع وله ان يصوم حيث شاء لانه لا نفع فيه للمساكين وذهب جمهور الفقهاء الى ان الخيار في تعيين احد هذه الثلاثة الاشياء الى قاتل الصيد الذي وجب عليه الكفارة لان الله اوجب عليه احد هذه الثلاثة على التخيير فوجب ان يكون هو المخير بين ايها شاء وقال محمد بن الحسن من اصحاب ابي حنيفة التخيير الى الحكمين لان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ومن قال ان كلمة او للترتيب قال ان لم يجد الهدى اشترى طعاما وتصدق به فان كان معسرا صام وقال مالك ان لم يخرج المثل من النعم يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به او يصوم وقال ابو حنيفة لا يجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شاء صرف تلك القيمة الى شيء من النعم وان شاء الى الطعام فيتصدق به وان شاء صام عن كل نصف صاع من بر وصاع من غيره يوما واختلفوا في موضع التقويم فقال جمهور الفقهاء يقوم في المكان الذي قتل فيه الصيد وقال الشعبي يقوم بمكة بثمن مكة لانه يصرف بها * وقوله تعالى (ليذوق وبال امره) يعني جزاء ذنبه والوبال في اللغة الشيء الثقيل الذي يخاف ضرره يقال مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وانما سمى الله ذلك وبالا لان اخراج الجزاء ثقيل على النفس لان فيه تنقيصا للمال وهو ثقيل على النفس وكذا الصوم ايضا ثقيل على النفس لان فيه انهاك البدن (عفا الله عما سلف) يعني قبل التحريم (ومن عاد) يعني الى قتل الصيد مرة ثانية (فينتقم الله منه) يعني في الآخرة والانتقام المبالغة في العقوبة وهذا الوعيد لا يمنع ايجاب الجزاء في المرة الثانية والثالثة فاذا تكرر من المحرم قتل الصيد تكرر عليه الجزاء وهذا قول جمهور العلماء وقد روى عن ابن عباس والنخعي وداود الظاهري انه اذا قتل الصيد مرة ثانية

ومن بعدنا ممن سيوج…
من النصارى (وآية منك
علامة وعلامتك تعرف
وتعبد (وارزقنا) ذلـ…
الشرع والعلم النافع والهد…
(وانت خير الرازقين
لا ترزق الا ما ينفعنا ويكو…
صلاحنا فيه (قال الله اني منز…
عليكم فمن يكفر بعد منكم
يحجب عن ذلك الـ…
بعد انزاله ووضوحه (فا…

فلاجزاء عليه لانه وعده بالانتقام منه قال ابن عباس اذا قتل المحرم صيدا متعمدا سئل هل قتل قبله شيأ من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل قبله سئل هل قتل قبله شيأ من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل قبله شيأ حكم عليه فان عاد بعد ذلك لم يحكم عليه ولكن يملأ ظهره وصدره ضربا وكذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صيدوج وهو واد بالطائف (والله عزيز ذو انتقام) يعنى ممن عصاه واذا اتلف المحرم شيأ من الصيد الذى لا مثل له من النعم مثل البيض وطائر صغير دون الحمام ففيه القيمة فيقوم ثم يشترى بقيمته طعاما ويتصدق به على محاويج الحرم او يصوم عن كل مد يوما * قوله تعالى (احل لكم صيد البحر وطعامه) المراد بالصيد ما صيد من البحر والمراد بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة فاما طعامه فاختلفوا فيه فقيل هو ما قذفه البحر ورمى به الى الساحل روى ذلك عن ابى بكر وعمر وابن ابى عمر وابوب وقتادة وقيل صيد البحر طريه وطعامه مالحه روى ذلك عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والسدى وروى عن ابن عباس ومجاهد كالقولين وجملة حيوان الماء على قسمين سمك وغير سمك فاما السمك فجميعه حلال على اختلاف اجناسه وانواعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه ابوداود والترمذى والنسائى ولا فرق بين ان يموت بسبب او بغير سبب فيحل اكله وقال ابو حنيفة لا يحل الا ان يموت بسبب وما عدا السمك فقسمان قسم يعيش فى البر والبحر كالضفدع والسرطان فلا يحل اكلهما وقال سفيان ارجو ان لا يكون بالسرطان باس واختلفوا فى الجراد فقيل هو من صيد البحر فيحل اكله للمحرم وذهب جمهور العلماء الى انه من صيد البر وانه لا يحل للمحرم اكله فى حال الاحرام فان اصاب جرادة فعليه صدقة قال عمر فى الجرادة تمرة وعنه وعن ابن عباس قبضة من طعام وكذلك طير الماء فهو من صيد البر ايضا وقال احمد يؤكل كل ما فى البحر الا الضفدع والتمساح قال لان التمساح يفترس ويأكل الناس وقال ابن ابى ليلى ومالك يباح كل ما فى البحر وذهب جماعة الى ان ماله نظير من البر يؤكل فيؤكل نظيره من حيوان البحر مثل بقر الماء ونحوه ولا يؤكل ما لا يؤكل نظيره فى البر مثل كلب الماء وخنزير الماء فلا يحل اكله * قوله تعالى (متاعا لكم وللسيارة) يعنى ينتفع به المقيمون والمسافرون فيتزودون منه * وقوله تعالى (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) ذكر الله عز وجل تحريم الصيد على المحرم فى ثلاثة مواضع من هذه السورة احدها فى اول السورة وهو قوله غير محلى الصيد وانتم حرم والثانى قوله يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم والثالث هذه الآية وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما كل ذلك لتأكيد تحريم قتل الصيد على المحرم واختلف العلماء هل يجوز للمحرم ان يأكل من لحم صيد صاده غيره فذهب قوم الى انه لا يحل ذلك بحال روى ذلك عن ابن عباس وهو قول طاوس واليه ذهب الثورى واحتجوا على ذلك بما روى عن الصعب بن جثامة الليثى انه اهدى لانبى صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابواء او بودان فرده عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى ما فى وجهه من الكراهة قال انا لم نرده عليك الا انا حرم اخرجاه فى الصحيحين وذهب جمهور العلماء الى انه يجوز للمحرم ان يأكل لحم الصيد اذا لم يصده بنفسه ولا صيد له ولا باشارته ولا اعان عليه وهذا قول عمر وعثمان وابى هريرة وبه قال عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك والشافعى واحمد واصحاب الرأى ويدل عليه ما روى عن ابى قتادة الانصارى قال كنت جالسا مع رجال من اصحاب النبى

(صلى الله)

اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين) لبيان الطريق ووضوح الدين والحجة مع وجود استعدادهم فلا يكونه المعاندين والعذاب مع العلم اشد من العذاب مع الجهل اذ الشعور بالمحجوب عنه يوجب شدة الايلام (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين

صلى الله عليه وسلم في منزل في طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم امامنا والقوم محرمون وانا غير محرم عام الحديبية فابصروا حمارا وحشيا وانا مشغول اخصف نعلا فلم يؤذنوا لي واحبوا لواني ابصرته فالتفت فابصرته فقمت الى الفرس فاسرجته ثم ركبت ونسيت السوط والرمح فقلت لهم ناولوني السوط والرمح قالوا والله لانعينك عليه فغضبت ونزلت فاخذتهما ثم ركبت فشددت على الحمار فعقرته ثم جئت به وقدمات فوقعوا فيه يأكلون ثم انهم شكوا في اكلهم اياه وهم حرم فرحنا وخبأت العضد فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عن ذلك فقال هل معكم منه شئ فقلت نعم فناولته العضد فأكل منها وهو محرم وزاد في رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انما هي طعمة اطعمكموها الله وفي رواية هو حلال فكلوه وفي رواية قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل منكم احد امره ان يحمل عليها او اشار اليها قالوا لا قال كلوا ما بقي من لحمها اخرجاه في الصحيحين واجاب اصحاب هذا المذهب عن حديث الصعب بن جثامة بانه انما رده النبي صلى الله عليه وسلم لانه ظن انه انما صيد لاجله والمحرم لا يأكل ما صيد لاجله (واتقوا الله) يعني فلا تستحلوا الصيد في حال الاحرام ولا في الحرم ثم حذرهم بقوله (الذي اليه تحشرون) يعني في الآخرة فيجازيكم باعمالكم *قوله عز وجل (جعل الله الكعبة البيت الحرام) جعل بمعنى صير وقيل معناه بين وحكم وقال مجاهد سمي البيت كعبة لتربيعه وقيل لارتفاعه عن الارض وسمي البيت الحرام لان الله حرمه وعظمه وشرفه وعظم حرمته وحرم ان يصطاد عنده وان يختلى خلاه وان يعضد شجره واراد بالبيت الحرام جميع الحرم لما صح من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة فقال ان هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه * وقوله تعالى (قياما للناس) اصله قواما لانه سبب لقوام مصالح الناس في امر دينهم ودنياهم وآخرتهم اما في امر الدين فانه به يقوم الحج وتتم المناسك واما في امر الدنيا فانه تجبى اليه ثمرات كل شئ ويأمنون فيه من النهب والغارة فلو لقي الرجل قاتل ابيه او ابنه في الحرم لم يهجه واما في امر الآخرة فان البيت جعل لقيام المناسك عنده وجعلت تلك المناسك التي تقام عنده اسبابا لعلو الدرجات وتكفير الخطيئات وزيادة الكرامات والمثوبات فلما كانت الكعبة الشريفة سببا لحصول هذه الاشياء كانت سببا لقيام الناس (والشهر الحرام) يعني وجعل الشهر الحرام قياما للناس واراد بالشهر الحرام الاشهر الحرم الاربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الفرد يعني وكذلك جعل الاشهر الحرم يأمنون فيها من القتال وذلك ان العرب كان يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكانوا اذا دخلت الاشهر الحرم امسكوا عن القتال والغارة فيها فكانوا يأمنون في الاشهر الحرم فكانت سببا لقيام مصالح الناس (والهدي والقلائد) يعني وكذلك جعل الهدي والقلائد سببا لقيام مصالح الناس وذلك انهم كانوا يأمنون بسوق الهدي الى البيت الحرام على انفسهم وكذلك كانوا يأمنون اذا قلدوا انفسهم من لحاء شجر الحرم فلا يتعرض لهم احد (ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض) يعني انه تعالى علم في الازل بمصالح العباد وما يحتاجون اليه فجعل الكعبة البيت الحرام والشهر الحرام والهدي والقلائد يأمنون بها لانه يعلم مصالح العباد كما يعلم ما في السموات وما في الارض لانه تعالى عالم جميع المعلومات الكليات والجزئيات وهو قوله تعالى (وان الله

من دون الله) دعو الناس الى نفسك وا[illegible] او الى مقام قلبك ونفس[illegible] فان من بقي فيه وجو[د] الانانية وبقية النف[س] والهوى اوكان فيه تلو[ن] بوجود القلب وظهو[ر] بصفته يدعون الخلق ا[لى] الى مقام نفسه واما الى مق[ام] قلبه لا الى الحق (قا[ل] سبحانك) تنزيه لله م[ن] الشريك وتبرئة له م[ن] وجود البقية (ما يكون [لي] ان اقول ما ليس لي بحق) فاني لا وجود لي بالحقيق[ة] فلا ينبغي ولا يصح ان اقو[ل] قولا ليس لي ذلك القو[ل]

بكل شئ عليم) يعني انه تعالى لايخفى عليه خافية (اعلموا ان الله شديد العقاب) يعني لمن انتهك
محارمه واستحلها (وان الله غفور رحيم) يعني لمن تاب وآمن ولما ذكر الله انواع رحمته
بعباده ذكر بعدها انه شديد العقاب لان الايمان لايتم الا بحصول الرجاء والخوف ثم ذكر بعده
مايدل على سعة رحمته وانه غفور رحيم * قوله تعالى (ماعلى الرسول الا البلاغ) يعني ليس
على رسولنا الذي ارسلناه اليكم الا التبليغ ماارسل به من الانذار بما فيه قطع الحجج ففي الآية تشديد
عظيم في ايجاب القيام بما امر الله وان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ
وقامت الحجة عليكم بذلك ولزمتكم الطاعة فلا عذر في التفريط (والله يعلم ماتبدون وماتكتمون)
يعني انه تعالى لايخفى عليه شئ من احوالكم ظاهرا وباطنا (قل لايستوى الخبيث والطيب) يعني الحلال
والحرام في الدرجة والرتبة ولا يعتدل الردئ والجيد ولا المسلم والكافر ولا الصالح والطالح (ولو اعجبك
كثرة الخبيث) يعني ولو سرك كثرة الخبيث لان عاقبته عاقبة سوء والمعنى ان اهل الدنيا يعجبهم كثرة
المال وزينة الدنيا وما عند الله خير وابقى لان زينة الدنيا ونعيمها يزول وما عند الله يدوم وقال ابن الجوزى
روى جابر بن عبد الله ان رجلا قال يارسول الله ان الخمر كانت تجارتي فهل ينفعني ذلك المال ان عملت
فيه بطاعة الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لايقبل الا الطيب وقال مقاتل نزلت
في شريح بن ضبعة البكرى وحجاج بن بكر وقد تقدمت القصة في اول السورة (فاتقوا الله)
يعني فيما امركم به اونهاكم عنه ولاتعتدوه (يااولى الالباب) يعني ياذوى العقول السليمة
(لعلكم تفلحون) * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا لاتسئلوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم)
اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فروى عن انس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطبة ماسمعنا مثلها قط فقال لو تعلمون مااعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فغطى اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم حنين فقال رجل من ابى فقال فلان فنزلت هذه
الآية لاتسئلوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم وفي رواية اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر فيها امورا عظاما
ثم قال من احب ان يسألني عن شئ فليسأل فلا تسألوني عن شئ الا اخبرتكم به مادمت في مقامي
فاكثر الناس البكاء واكثر ان يقول سلوا فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من ابى فقال
ابوك حذافة ثم اكثر ان يقول سلونى فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت على الجنة والنار آنفا في عرض هذا الحائط فلم اركاليوم
في الخير والشر قال ابن شهاب فاخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قالت ام عبد الله بن حذافة لعبد الله
بن حذافة ماسمعت بابن قط اعق منك امنت ان تكون امك قارفت بعض ماتقارف اهل الجاهلية
فتفضحها على اعين الناس فقال عبد الله بن حذافة لو الحقنى بعبد اسود للحقته زاد في رواية
اخرى قال قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية لاتسئلوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم
اخرجاه في الصحيحين (خ) عن ابن عباس قال كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم
استهزاء فيقول الرجل من ابى ويقول الرجل تضل ناقته اين ناقتي فانزل الله فيهم هذه الآية
ياايها الذين آمنوا لاتسئلوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم الآية كلها وقيل نزلت هذه الآية
في شأن الحج عن علي بن ابي طالب قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه

بالحقيقة فان القول والفعل
والصفة والوجود كلها لك
(ان كنت قلته فقد علمته)
اى ان كان صدر منى قول
فمن علمك ولا وجود لما
لاتعلم واوجد بعلمك وجد
(تعلم مافي نفسي) لاحاطتك
بالكل فعلى بعض علمك
(ولا اعلم مافي نفسك)
اى ذاتك لانى لااحيط
بالكل (ماقلت لهم)
ومالمرتهم الا ماامرتنى
قوله والزمتنى اياه
(ان اعبدوا الله ربى وربكم)
اى مادعوتهم الا الى الجمع
في صورة التفصيل وهو
الذى نسبة ربوبيته الى
الكل سواء فغلطوا فاراوه
الا في بعض التفاصيل لضيق
وعائهم (وكنت عليهم

سبيلا قالوا يارسول الله فى كل عام فسكت فقالوا يارسول الله فى كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم اخرجه الترمذى وقال حديث غريب (م) عن ابى هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل افى كل عام فسكت حتى قالها ثلاثا فسكت حتى قالها ثلاثا ثم قال ذرونى ما تركتكم ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وانما اهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم اذا امرتكم بشئ فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه وروى مجاهد عن ابن عباس لا تسئلوا عن اشياء قال هى البحيرة والوصيلة والسائبة والحام الا ترى انه يقول بعد ذلك ما جعل الله من بحيرة ولا كذا ولا كذا وقال عكرمة انهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ومعنى الآية يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء جمع شئ ان تبدلكم اى تظهر لكم وتبين لكم تسؤكم يعنى ان امرتم بالعمل بها فان من سأل عن الحج لم يأمن ان يؤمر به فلا يقدر عليه فيسوءه ذلك ومن سأل عن نسبه لم يأمن ان يلحقه النبى صلى الله عليه وسلم بغير ابيه فيفتضح ويسوءه ذلك (وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم) معناه ان صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض اونهى اوحكم وليس فى ظاهره شرح ما تحتاجون اليه ومست حاجتكم اليه فاذا سألتم عنه فحينئذ يبدى لكم ومثال هذا ان الله عز وجل لما بين عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها والحامل ولم يكن فى عدة هؤلاء دليل على عدة التى ليست ذات قرأ ولا حامل فسألوا عنها انزل الله عز وجل جوابهم فى قوله واللائى يئسن من المحيض من نسائكم الآية (عفا الله عنها) يعنى عن مسئلتكم عن الاشياء التى سألتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كره الله لكم السؤال عنها فلم يؤاخذكم بها ولم يعاقبكم عليه (والله غفور) يعنى ان تاب منكم (حليم) فلا يعجل بعقوبتكم وقال عطاء غفور يعنى لما كان فى الجاهلية حليم عنى عن عقابكم مذ آمنتم وصدقتم وقال بعض العلماء الاشياء التى يجوز السؤال عنها هى ما يترتب عليها امر الدين والدنيا من مصالح العباد وما عدا ذلك فلا يجوز السؤال عنه (ق) عن سعد بن ابى وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم المسلمين فى المسلمين جرما من سأل عن شئ لم يحرم على الناس فحرم من اجل مسئلته (ق) عن المغيرة بن شعبة انه كتب الى معاوية ان النبى صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال عن معاوية ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلوطات اخرجه ابوداود الاغلوطات صعاب المسائل التى تزل فيها اقدام العلماء ويؤيد ذلك قول ابى هريرة شرار الناس الذين يسألون عن شرار المسائل كى يغلطوا بها العلماء وعن سلمان قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء فقال الحلال ما احل الله فى كتابه والحرام ما حرمه الله فى كتابه وما سكت عنه فهو مما قد عفا عنه فلا تعتدوها وحرم اشياء فلا تقربوها وترك اشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها هذان الحديثان اخرجهما فى جامع الاصول ولم يعزهما الى الكتب الستة ثم قال تعالى (قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين) قال المفسرون يعنى قوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها فاصبحوا بها كافرين وقوم موسى قالوا ارنا الله جهرة فكان هذا السؤال وبالا عليهم وقوم عيسى سألوا نزول المائدة عليهم ثم كذبوا بها كأنه تعالى يقول ان اولئك سألوا فلما اعطوا سؤلهم كفروا به فلا تسألوا انتم شيأ فلعلكم ان اعطيتم سؤلكم ساءكم ذلك ﴿قوله تعالى (ما جعل الله) اى ما انزل الله ولا حكم به ولا شرعه ولا امر به (من بحيرة) البحيرة من البحر وهو الشق يقال بحر ناقته اذا شق اذنها فهى فعيلة بمعنى مفعولة (ولا سائبة) يعنى المسيبة المخلاة (ولا وصيلة) الوصيلة الشاة وكانت العرب فى الجاهلية اذا ولدت لهم ذكرا وانثى قالوا

شهيدا) رقيبا حاضرا اراعيهم واعلمهم (مادمت فيهم) اى ما بقى منى وجود بقية (فلما توفيتنى) افنيتنى بالكلية بك (كنت انت الرقيب عليهم)

وصلت اخاها (ولا حام) الحام هو الفحل من الابل يحمى ظهره فلا يركب ولا ينتفع به قال ابن عباس في بيان هذه الاوصاف البحيرة هي الناقة اذا ولدت خمسة ابطن لم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلأ ثم نظروا الى خامس ولدها فان كان ذكرا نحروه واكله الرجال والنساء وان كانت انثى شقوا اذنها وتركوها وحرموا على النساء منافعها وكانت منافعها للرجال خاصة فاذا ماتت حلت للرجال والنساء وقيل كانت الناقة اذا تابعت ثنتي عشرة سنة اناثا سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجزوا وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فانتجت بعد ذلك من انثى شق اذنها ثم سيبت مع امها ويفعل بها كما يفعل بامها وقيل السائبة البعير الذي يسيب لآلهتهم وذلك ان الرجل من اهل الجاهلية كان اذا مرض او غاب له قريب نذر فقال ان شفاني الله او شفى الله مريضي او قدم غائبي فناقتي هذه سائبة ثم يسيبها فلا تحبس عن ماء ولا مرعى ولا يركبها احد فهي بمنزلة البحيرة والوصيلة من الغنم كانت الشاة اذا ولدت سبعة ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبحوه واكل منه الرجال والنساء وان كانت انثى تركوها في الغنم وان كانت ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها واستحيوا الذكر فلم يذبحوه من اجل الانثى والحامي هو الفحل اذا ركب ولد ولده وقيل هو الفحل اذا نتج من صلبه عشرة ابطن قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى فاذا مات اكله الرجال والنساء (ق) عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها احد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار ولمسلم عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف اخا بني كعب وهو يجر قصبه في النار (خ) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه وهو اول من سيب السوائب القصب بضم القاف وسكون الصاد المهملة الامعاء كانت الجاهلية تفعل هذا في جاهليتهم فلما بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ابطل ذلك بقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام يعني ما بحر الله من بحيرة ولا سيب من سائبة ولا وصل من وصيلة ولا حمى من حام ولا اذن فيه ولا امر به ولكنكم انتم فعلتم ذلك من عند انفسكم (خ) عن ابن مسعود ان اهل الاسلام لا يسيبون وان اهل الجاهلية كانوا يسيبون ❊ وقوله تعالى (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) يعني لقولهم ان الله امرنا بها (واكثرهم لا يعقلون) اراد بالاكثر الاتباع يعني ان الاتباع لا تعقل ان هذا كذب وافتراء من الرؤساء على الله عز وجل (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول) يعني واذا قيل لهؤلاء الذين بحروا البحائر وفعلوا هذه الاشياء اضافوها الى الله كذبا تعالوا الى ما انزل الله يعني في كتابه والى الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم عليه كتابه ليبين لكم كذب ما تضيفونه الى الله ويبين لكم الشرائع والاحكام وان الذي تفعلونه ليس بشيء (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) يعني قد اكتفينا بما اخذنا عنهم من الدين ونحن لهم تبع قال الله ردا عليهم (اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيأ ولا يهتدون) يعني انما يصح الاقتداء بالعالم المهتدي الذي يبني قوله على الحجة والبرهان والدليل وان آباءهم ما كانوا كذلك فيصح اقتداؤهم بهم ❊ قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) قال بعض العلماء هذا امر من الله تعالى ومعناه احفظوا انفسكم من ملابسة الذنوب والاصرار الى المعاصي لانك اذا قلت عليك زيدا معناه الزم زيدا وقيل معناه عليكم انفسكم فاصلحوها واعملوا في خلاصها من عذاب الله عز وجل وانظروا لها ما يقربها من الله عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يعني لا يضركم كفر من كفر اذا كنتم مهتدين واطعتم الله عز وجل فيما امركم

لفنائي فيك (وانت على كل شهيد) حاضر بوجدك والا لم يكن ذلك شيء (ان تعذبهم) بادامة الحجاب (فانهم عبادك) احقاء بالحجب والحرمان

بموتها كهنه قال سعيد بن جبير ومجاهد نزلت هذه الآية في اهل الكتاب اليهود والنصارى يعني عليكم انفسكم لا يضركم من ضل من اهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وقيل لما قبلت الجزية من اهل الكتاب قال بعض الكفار كيف تقبل الجزية من بعض دون بعض فنزلت هذه الآية وقيل ان المؤمنين كان يشتد عليهم بقاء الكفار كفرهم فقيل لهم عليكم انفسكم واجتهدوا في صلاحها لا يضركم ضلال الضالين ولا جهل الجاهلين اذا كنتم انتم مهتدين فان قلت هل يدل ظاهر هذه الآية على جواز ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قلت لا يدل على ذلك والذي عليه اكثر الناس ان المطيع لربه عز وجل لا يكون مؤاخذا بذنوب اصحاب المعاصي فأما وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فثابت بدليل الكتاب والسنة عن قيس بن ابي حازم عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال ايها الناس انكم تقرؤن هذه الآية يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ولا تضعونها مواضعها ولا تدرون ما هي واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا الظالم فلم يأخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب منه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واخرجه ابو داود وزاد فيه ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على ان يغيروا ولا يغيروا الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب وقال قوم في معنى الآية عليكم انفسكم اذا امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يقبل منكم قال ابن مسعود مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم انفسكم ثم قال ان القرآن نزل منه آي قد مضى تأويلهن قبل ان ينزلن ومنه آي وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه آي وقع تأويلهن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه آي يقع تأويلهن في آخر الزمان ومنه آي يقع تأويلهن يوم القيامة وهو ما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم واهواؤكم واحدة لم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فاذا اختلفت قلوبكم واهواؤكم والبستم شيعا واذيق بعضكم بأس بعض فامرؤ نفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية وقيل لابن عمر لو جلست في هذه الايام فلم تأمر ولم تنه فان الله يقول عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال ابن عمر انها ليست لي ولا لاصحابي لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ليبلغ الشاهد الغائب فكنا نحن الشهود وانتم الغائب ولكن هذه الآية لاقوام يجيؤن من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم وعن ابي امية الشعباني قال اتيت ابا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع بهذه الآية قال اية آية قلت يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال اما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فان من ورائكم ايام الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم وفي رواية قيل يا رسول الله اجر خمسين رجلا منا او منهم قال لا بل اجر خمسين منكم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل في معنى الآية ان العبد اذا عمل بطاعة الله واجتنب نواهيه لا يضره من ضل وقال ابن عباس قوله عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يقول اذا ما العبد اطاعني فيما امرته من الحلال والحرام فلا يضره من ضل بعده اذا عمل بما امرته به وعن صفوان بن محرز قال دخل على شاب من اصحاب الاهواء فذكر شيأ من امره فقلت له ادلك على خاصة الله التي خص بها اولياءه يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال الحسن لم يكن مؤمن فيما مضى

وانت اولى بهم تفعل بهم ما تشاء (وان تغفر لهم) برفع الحجاب (فانك انت العزيز) القوى القادر على ذلك لا تزول عزتك بتقريبهم ورفع

ولا مؤمن فيها ثق الا والى جانبه منافق يكره عمله وقيل فى معنى الآية لا يضركم من كفر بالله وحاد عن قصد السبيل من اهل الكتاب اذا اهتديتم انتم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية فى اهل الكتاب وقال ابن زيد كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك وضللتهم وفعلت وفعلت وكان ينبغى لك ان تنصرهم وتفعل وتفعل فقال الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال الطبرى واولى هذه الاقوال واصح التأويلات عندنا فى هذه الآية ما روى عن ابى بكر الصديق وهو العمل بطاعة الله واداء ما لزم من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والاخذ على يد الظالم لان الله تعالى يقول وتعاونوا على البر والتقوى ومن التعاون على البر والتقوى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والاخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه وقال عبد الله بن المبارك هذه الآية اوكد آية فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لان الله تعالى قال عليكم انفسكم يعنى اهل دينكم بان يعظ بعضكم بعضا ويرغبه فى الخيرات وينفره عن القبائح والمكروهات والذى يؤكد ذلك ان معنى قوله عليكم انفسكم اى احفظوا انفسكم وهذا امر بان نحفظ انفسنا ولا يتم ذلك الا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر والله اعلم ❁ وقوله تعالى (الى الله مرجعكم جميعا) فى الآخرة الطائع والعاصى والضال والمهتدى (فينبئكم بما كنتم تعملون) يعنى فيخبركم باعمالكم ويجزيكم عليها ❁ قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم) سبب نزول هذه الآية ما روى ان تميم بن اوس الدارى وعدى بن بداء خرجا من المدينة فى تجارة الى الشام وهما نصرانيان ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه من المتاع والقاه فى متاعه ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه اوصى الى تميم وعدى وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله اذا رجعا الى المدينة ومات بديل ففتشا متاعه فوجدا فيه اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فغيباه ثم انهما قضيا حاجتهما وانصرفا الى المدينة فدفعا المتاع الى اهل البيت ففتشوه فاصابوا الصحيفة وفيها تسمية ما كان معه فجاء اهل البيت الى تميم وعدى فقالوا هل باع صاحبنا شيأ من متاعه قالا لا قالوا فهل اتجر تجارة قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق شيأ على نفسه قالا لا قالوا انا وجدنا فى متاعه صحيفة فيها تسمية ما كان معه وانا فقدنا اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فضة قالا لا ندرى انما اوصى الينا بشئ وامرنا ان ندفعه اليكم فدفعناه وما لنا علم بالاناء فاختصموا الى النبى صلى الله عليه وسلم فأصرا على الانكار وحلفا فانزل الله هذه الآية هذا قول المفسرين وروى الترمذى عن ابن عباس عن تميم الدارى فى هذه الآية يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت قال تميم برئ الناس منها غيرى وغير عدى بن بداء وكانا نصرانيين يختلفان الى الشام بتجارتهما قبل الاسلام فاتيا الى الشام بتجارتهما وقدم عليهما مولى لبنى سهم يقال له بديل بن ابى مريم بتجارة ومعه جام من فضة يريد به الملك وهو اعظم تجارته فمرض فاوصى اليهما وامرهما ان يبلغا ما ترك اهله قال تميم فلما مات اخذنا ذلك الجام فبعناه بالف درهم ثم اقتسمناه انا وعدى فلما اتينا اهله دفعنا اليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسألونا عنه فقلنا ما ترك غير هذا ولا دفع الينا غيره قال تميم فلما اسلمت بعد قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة تأثمت من ذلك فاتيت اهله فاخبرتهم الخبر واديت اليهم خمسمائة درهم واخبرتهم ان عند صاحبى مثلها فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم البينة فلم يجدوا فامرهم ان يستحلفوه بما يعظم على اهل دينه فحلف فانزل الله يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت الى قوله او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم فقام

جابهم (الحكيم) تفعل ما تفعله من التعذيب بالحجب والحرمان والتقريب باللطف والغفران بحكمتك البالغة (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم)

عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا فانتزعت الخمسمائة درهم من عدي قال الترمذي هذا حديث غريب وليس اسناده بصحيح وقد روي عن ابن عباس شيء من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه قال ابن عباس خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء فمات السهمي بارض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مخوصا بالذهب فاحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجدوا الجام بمكة فقيل اشتريناه من تميم وعدي فقام رجلان من اولياء السهمي فحلفا بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وان الجام لصاحبهم قال وفيهم نزلت هذه الآية يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واخرج هذه الرواية الاخيرة البخاري في صحيحه فاما التفسير فقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم يعني ليشهد ما بينكم لان الشهادة انما يحتاج اليها عند وقوع التنازع والتشاجر (اذا حضر احدكم الموت) يعني اذا قارب وقت حضور الموت (حين الوصية اثنان) لفظه خبر ومعناه الامر يعني ليشهد اثنان منكم عند حضور الموت واردتم الوصية (ذوا عدل منكم) يعني من اهل دينكم وملتكم يا معشر المؤمنين واختلفوا في هذين الاثنين فقيل هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي وقيل هما الوصيان لان الآية نزلت فيهما ولانه قال تعالى فيقسمان بالله والشاهد لا يلزمه يمين وجعل الوصي اثنين تأكيدا فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت (او آخران من غيركم) يعني من غير اهل دينكم وملتكم وهذا قول ابن عباس وابي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير والنخعي والشعبي وابن سيرين وشريح واكثر المفسرين وقيل معناه من غير عشيرتكم وقبيلتكم وهم مسلمون واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال ابراهيم النخعي وجماعة هي منسوخة كانت شهادة اهل الذمة مقبولة في الابتداء ثم نسخت بقوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم لان اجماع الامة على ان شهادة الفاسق لا تجوز وشهادة الكفار واهل الذمة لا تجوز بطريق الاولى وذهب قوم الى انها ثابتة لم تنسخ وهو قول ابن عباس وابي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير وابن سيرين وبه قال احمد بن حنبل قالوا اذا لم نجد مسلمين يشهدان على وصيته وهو في ارض غربة فليشهد كافرين او ذميين او من اي دين كانا لان هذا موضع ضرورة قال شريح من كان بارض غربة لم يجد مسلما يشهد وصيته فليشهد كافرين على اي دين كانا من اهل الكتاب او من عبدة الاصنام فشهادتهم جائزة في هذا الموضع ولا تجوز شهادة كافر على مسلم بحال الا على وصيته في سفر لا يجد فيه مسلما عن الشعبي ان رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقاء ولم يجد احدا من المسلمين حضر يشهده على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الكوفة فاتيا ابا موسى فاخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال ابو موسى هذا امر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وانها لوصية الرجل وتركته فامضى شهادتهما اخرجه ابو داود وقال قوم في قوله ذوا عدل منكم يعني من عشيرتكم وحيكم او آخران من غيركم من غير عشيرتكم وحيكم وان الآية كلها في المسلمين وهذا قول الحسن والزهري وعكرمة وقالوا لا تجوز شهادة كافر في شيء من الاحكام وهذا مذهب الشافعي ومالك وابي حنيفة غير ان ابا حنيفة اجاز شهادة اهل الذمة فيما بينهم بعضهم على بعض واحتج من قال بان هذه الآية محكمة بان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ واحتج من اجاز شهادة غير المسلم في هذا الموضع بان الله تعالى قال في اول الآية يا ايها الذين آمنوا فعم بهذا الخطاب جميع المؤمنين ثم قال بعده ذوا عدل منكم او آخران من غيركم فعلم بذلك انهما من غير المؤمنين ولان الآية دالة على وجوب

نفع صدقك اياك وصدق كل صادق لكونه خيرة الكمالات وخاصية الملكوت (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى

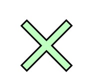
الحلف على هذين الشاهدين واجمع المسلمون على ان الشاهد المسلم لايجب عليه يمين ولان الميت اذا كان
فى ارض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته ضاع ماله ور بما كان عليه ديون اوعنده وديعة فيضيع
ذلك كله واذا كان ذلك كذلك احتياج الى اشهاد من حضر من اهل الذمة وغيرهم من الكفار حتى
لايضيع ماله وتنفذ وصيته فهذا كالمضطر الذى ابيح له اكل الميتة فى حال الاضطرار والضرورات قد
تبيح شيا من المحظورات واحتج من منع ذلك بان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والكفار ليسوا
مرضيين ولاعدول فشهادتهم غير مقبولة فى حال من الاحوال ❊ وقوله تعالى (ان انتم ضربتم
فى الارض) يعنى ان انتم سافرتم فى الارض (فاصابتكم مصيبة الموت) يعنى نزل بكم اسباب الموت
فاوصيتم اليهما ودفعتم مالكم اليهما (تحبسونهما) يعنى ان اتهمتما بعث الورثة وادعوا عليهما خيانة
فالحكم فيه ان يوقفوهما (من بعد الصلاة) يعنى من بعد صلاة العصر لان جميع اهل الاديان
يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقيل من بعد صلاة اهل دينهما لانهما اذا
كانا كافرين لايحترمان صلاة العصر (فيقسمان بالله) يعنى فيحلفان بالله قال الشافعى الايمان تغلظ
فى الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتى درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر
ان كان بمكة بين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند المنبر وان كان فى بيت المقدس فعند الصخرة
وفى سائر البلاد فى اشرف المساجد واعظمها (ان ارتبتم) يعنى ان شككتم ايها الورثة فى قول
الشاهدين وصدقهما فحلفوهما وهذا اذا كانا كافرين اما اذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما لان تحليف
الشاهد المسلم غير مشروع (لانشترى به ثمنا) يعنى لانبيع عهد الله بشىء من الدنيا ولا نحلف
بالله كاذبين لاجل عوض نأخذه او حق نجحده (ولوكان ذاقربى) يعنى ولو كان المشهود له
ذاقرابة منا وانما خص القربى بالذكر لان الميل اليهم اكثر من غيرهم (ولانكتم شهادة الله) انما
اضاف الشهادة اليه لانه امر باقامتها ونهى عن كتمانها (انا اذا لمن الآثمين) يعنى ان كتمنا
الشهادة اوخنافيها ولما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا تميما
وعديا وحلفهما عند المنبر بالله الذى لا اله الا هو انهما لم يخونا شيأ مما دفع اليهما فحلفا على ذلك فخلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ظهر الاناء بعد ذلك قال ابن عباس وجد الاناء بمكة فقالوا
اشتريناه من تميم وعدى وقيل لما طالت المدة اظهروه فبلغ ذلك بنى سهم فاتوهما فى ذلك فقالا انا
كنا اشتريناه منه فقالوا لهما الم تزعما ان صاحبنا لم يبع شيأ من متاعه قالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان
نقر لكم به فكتمناه لذلك فرفعوهما الى النبى صلى الله عليه وسلم (فان عثر) يعنى فان اطلع وظهر
والعثور الهجوم على امر لم يهجم عليه غيره وكل من اطلع على امر كان قد خفى عليه قيل له قد
عثر عليه (على انهما استحقا اثما) يعنى الوصيين ومعنى الآية فان حصل العثور والوقوف
على ان الوصيين كانا استوجبا الاثم بسبب خيانتهما وايمانهما الكاذبة (فآخران) يعنى
من اولياء الميت واقربائه (يقومان مقامهما) يعنى مقام الوصيين فى اليمين (من الذين
استحق عليهم) يعنى من الذين استحق عليهم الاثم وهم الورثة والمعنى اذا ظهرت خيانة الحالفين
وبان كذبهما يقوم اثنان آخران من الذين جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته (الاوليان) يعنى بامر
الميت وهم اهله وعشيرته (فيقسمان بالله) يعنى فيحلفان بالله (لشهادتنا احق من شهادتهما) يعنى ايماننا
احق واصدق من ايمانهما (وما اعتدينا) يعنى فى ايماننا وقولنا ان شهادتنا احق من شهادتهما (انا اذا لمن
الظالمين) ولما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى وداعة السهميان وهما من اهل الميت

الله عنهم ورضوا عنه) الصفات
بدليل ثمرات الرضوان فان
الرضا لايكون الا بفناء
الارادة ولاتفنى ارادتهم الا
اذا غلبت ارادة الله عليهم
فافنتها ولهذا قدم رضوان
الله عنهم على رضوانهم عنه
اى لما ارادهم الله تعالى فى

(وحلفا)

وحلفا بالله بعد العصر ودفع الاناء اليهما وانما ردت اليمين على اولياء الميت لان الوصيين ادعيا ان الميت باعهما الاناء وانكر ورثة الميت ذلك ومثل هذا ان الوصي اذا اخذ شيأ من مال الميت وقال انه اوصى له به وانكر ذلك الورثة ردت اليمين عليه ولما اسلم تميم الداري بعد هذه القصة كان يقول صدق الله وصدق رسوله انا اخذت الاناء فانا اتوب الى الله واستغفره ❊ وقوله تعالى (ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها) يعني ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين على اولياء الميت بعد ايمانهم ادنى اي اجدر واحرى ان يأتوا بالشهادة على وجهها يعني ان يأتي الوصيان وسائر الناس بالشهادة على وجهها فلا يخونوا فيها (او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم) اي واقرب ان يخاف الوصيان ان ترد الايمان على اولياء الميت فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين اذا خافوا هذا الحكم (واتقوا الله) يعني وخافوا الله ان تحلفوا ايمانا كاذبة او تخونوا امانة (واسمعوا) يعني المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا سمع اجابة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) يعني والله لا يرشد من كان على معصية وهذا تهديد وتخويف ووعيد لمن خالف حكم الله تعالى او خان امانته او حلف ايمانا كاذبة وهذه الآية الكريمة من اصعب ما في القرآن من الآيات نظما واعرابا وحكما والله اعلم باسرار كتابه ❊ قوله عز وجل (يوم يجمع الله الرسل) قال الزجاج هي متصلة بما قبلها تقديرها واتقوا الله يوم يجمع الله الرسل وقيل تقديره والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل اي لا يهديهم الى الجنة في ذلك اليوم وهو يوم القيامة وقيل انها منقطعة عما قبلها وتقديره اذكر يا محمد يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة (فيقول ماذا اجبتم) يعني فيقول الله تبارك وتعالى للرسل ماذا اجابكم اممكم وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم في دار الدنيا الى توحيدي وطاعتي وفائدة هذا السؤال توبيخ امم الانبياء الذين كذبوهم (قالوا) يعني الرسل (لا علم لنا) قال ابن عباس معناه لا علم لنا كعلمك فيهم لانك تعلم ما اضمروا وما اظهروا ونحن لا نعلم الا ما اظهروا فعلمك فيهم انفذ من علمنا وابلغ فعلى هذا القول انما نفوا العلم عن انفسهم وان كانوا علماء لان علمهم صار كلا علم عند علم الله وقال في رواية اخرى معناه لا علم لنا الا علم انت اعلم به منا وهذا القول قريب من الاول وقيل معناه لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك ايانا عن امر انت اعلم به وقيل معناه لا حقيقة لعلمنا بعاقبة امرهم لانا كنا نعلم ما كان من افعالهم واقوالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا ولا نعلم ما احدثوا من بعدنا ومنه ما اخبر الله عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ومنه ما روي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن اي رب اصحابي فيقال لي انك لا تدري ما احدثوا بعدك زاد في رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدي اخرجاه في الصحيحين وقال جمع من المفسرين ان للقيامة اهوالا وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك ويذهلون عن الجواب ثم اذا ثابت اليهم عقولهم يشهدون على اممهم بالتبليغ وهذا فيه ضعف ونظر لان الله تعالى قال في حق الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر وذكر الامام فخر الدين الرازي وجها آخر وهو ان الرسل عليهم السلام لما علموا ان الله تعالى عالم لا يجهل وحليم لا يسفه وعادل لا يظلم علموا ان قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع شرا فراوا ان الادب في السكوت وفي تفويض الامر الى الله تعالى وعدله فقالوا لا علم لنا (انك انت علام الغيوب) يعني انك تعلم ما غاب عنا من بواطن الامور ونحن نعلم ما نشاهد ولا نعلم ما في البواطن وقيل معناه انك لا يخفى عليك ما عندنا من العلوم وان الذي سألتنا عنه ليس

الازل بمظهرية ارادته ومحل رضوانه ورضي بهم محلا واهلا لذلك سلب عنهم ارادتهم بان جعل ارادته مكانها وابدلهم بها فرضي عنهم وارضاهم (ذلك الفوز العظيم) اي الفلاح العظيم الشأن ولو كان فناء الذات





عائدة من الله علينا وحجة وبرهانا والعيد يوم السرور واصله من عاد يعود اذا رجع والمعنى نتخذ ذلك
اليوم الذي تنزل فيه المائدة عيدا لعظمه ونصلي فيه نحن ومن يجيء من بعدنا فنزلت في يوم الاحد فاتخذه
النصارى عيدا وقال ابن عباس معناه يأكل منها اول الناس كما يأكل آخرهم (وآية منك) اي وتكون
المائدة دلالة على قدرتك ووحدانيتك وحجة بصدق رسولك (وارزقنا) اي ارزقنا ذلك من عندك وقيل
ارزقنا الشكر على هذه النعمة (وانت خير الرازقين) يعني وانت خير من تفضل ورزق (قال الله) عز
وجل مجيبا لعيسى (اني منزلها عليكم) يعني المائدة (فمن يكفر بعد منكم) يعني بعد نزول المائدة (فاني
اعذبه عذابا) يعني جنسا من العذاب (لا اعذبه احدا من العالمين) يعني من عالمي زمانهم فجحدوا وكفروا
بعد نزول المائدة فمسخوا خنازير قال الزجاج ويجوز ان يكون هذا العذاب معجلا في الدنيا ويجوز ان
يكون مؤخرا الى الآخرة قال عبدالله بن عمر ان اشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من
اصحاب المائدة وآل فرعون واختلف العلماء في نزول المائدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المائدة لان الله لما
اوعدهم على كفرهم بالعذاب بعد نزول المائدة خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل
عليهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله تعالى اني منزلها عليكم ان سألتم نزولها والصحيح الذي عليه جمهور
العلماء والمفسرين انها نزلت لان الله تعالى قال اني منزلها عليكم وهذا وعد من الله بانزالها ولا خلف في
خبره ووعده ولما روي عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت المائدة من السماء
خبزا ولحما وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردة وخنازير
اخرجه الترمذي وقال قد روي عن عمار من غير طريق موقوفا وهو اصح وقال ابن عباس ان عيسى
عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم اسألوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى
انا لو عملنا عملا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسألوا المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها
سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعوها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم وقال سلمان
الفارسي لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى صوفا وبكى وقال اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء
الآية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي
اليهم منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم واجعلها
رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون الى شيء لم ينظروا مثله ولم يجدوا ريحا اطيب من ريحه فقال
عيسى عليه السلام ليقم احسنكم عملا فليكشف عنها ويسم الله فقال شمعون الصفا رأس الحواريين انت
اولى بذلك منا فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء كثيرا ثم كشف المنديل عنها
وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس فيها شوك ولا عليها فلوس تسيل من الدسم وعند
رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها
زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله
امن طعام الدنيا هذا ام من طعام الجنة فقال عيسى ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة
ولكنه شيء اخترعه الله بقدرته العالية كلوا مما سألتم واشكروا يمددكم ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله
كن اول من يأكل منها فقال عيسى معاذ الله ان آكل منها يأكل منها من سألها فخافوا ان يأكلوا منها فدعا
لها اهل الفاقة والمرضى والبرص والجذام والمقعدين فقال كلوا من رزق الله لكم الشفاء ولغيركم البلاء
فاكلوا منها وهم الف وثلثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلى وصدروا عنها

وهم شباع واذا السمكة بحالها حين انزلت ثم طارت المائدة صعودا وهم ينظرون اليها حتى توارت ولم يأكل منها مريض اوزمن اومبتلى الاعوفى ولا فقير الا استغنى وندم من لم يأكل منها وقيل مكثت اربعين صباحا تنزلت ضحى فاذا نزل اجتمع اليها الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يأكلون منها ولاتزال منصوبة يؤكل منها حتى يفىء الفىء فاذا فاء الفىء طارت وهم ينظرون اليها حتى تتوارى عنهم وكانت تنزل غبا يوما تنزل ويوما لاتنزل فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اجعل مائدتى ورزقى للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا اترون المائدة حقا تنزل من السماء فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام انى شرطت ان من كفر بعد نزولها اعذبه عذابا لااعذبه احدا من العلمين فقال عيسى عليه السلام عند ذلك ان تعذبهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ الله منهم ثلثمائة وثلاثين رجلا باتوا ليلتهم مع نسائهم على فرشهم ثم اصبحوا خنازير يسعون فى الطرق يأكلون العذرة من الكتاسات والحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا ولما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تلطيف به وجعل عيسى عليه السلام يدعوهم باسمائهم فيشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وقال كعب انزلت المائدة منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل شىء الا اللحم وقال ابن عباس انزل على المائدة كل شىء الا الخبز واللحم وقال الكلبى كان عليها خبز وبقل وقال وهب بن منبه انزل الله اقرصة من شعير وحيتانا فكان القوم يأكلون ويخرجون ثم يجىء آخرون فيأكلون حتى اكلوا باجمعهم وفضل وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن والسلوى لبنى اسرائيل وقال الكلبى ومقاتل انزل الله سمكا وخمسة ارغفة فاكلوا منها ماشاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك من لم يشهد منهم وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به خيرا ثبته ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير وليس فيهم صبى ولا امراة فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ * قوله عز وجل (واذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله) الآية اختلف المفسرون فى وقت هذا القول فقال السدى قال الله لعيسى هذا القول حين رفعه الى السماء بدليل ان حرف اذ يكون للماضى وقال سائر المفسرين انما يقول يوم القيامة بدليل قوله يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة وبدليل قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وذلك يوم القيامة واجيب عن حرف اذ بانها قد تجىء بمعنى اذا كقوله ولو ترى اذ فزعوا يعنى اذا فزعوا وقال الراجز

ثم جزاك الله عنى اذ جزى * جنات عدن فى السموات العلى

ولفظ الآية فى قوله أأنت قلت للناس لفظه استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى عليه السلام من النصارى لان عيسى عليه السلام لم يقل هذه المقالة فان قلت اذا كان عيسى عليه السلام لم يقلها فما وجه هذا السؤال له مع علم الله بانه لم يقله قلت وجه هذا السؤال تثبيت الحجة على قومه واكذاب لهم فى ادعائهم ذلك عليه وانه امرهم به فهو كما يقول القائل لآخر افعلت كذا وهو يعلم انه لم يفعله وانما اراد تعظيم ذلك الفعل فنفى عن نفسه هذه المقالة وقال ماقلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم فاعترف بالعبودية وانه ليس باله كما زعمت وادعت فيه النصارى فان قلت ان النصارى لم يقولوا بالهية مريم فكيف قال اتخذونى وامى الهين من دون الله قلت ان النصارى لما ادعت فى عيسى انه اله وراوا ان مريم ولدته لزمهم هذه المقالة على سبيل التبعية وقوله تعالى اخبارا عن عيسى عليه السلام (قال

سبحانك) يعنى تنزيهالك عن النقائص و براءة لك من العيوب قال ابو روق اذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب وهو قوله أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت من اصل كل شعرة من جسده عين من دم وقال مجيبالله تعالى سبحانك (مايكون لى ان اقول ماليس لى بحق) اى كيف اقول هذا الكلام ولست باهل ولست استحق العبادة حتى ادعوا الناس اليه وليبين انه ليس له ان يقول هذه المقالة وهذا المقام مقام التواضع والخشوع لعظمة الله تعالى شرع فى بيان هل وقع ذلك منه ام لا فقال (ان كنت قلته فقد علمته) اسند العلم الى الله تعالى وهذا هو غاية الادب واظهار المسكنة لعظمة الله تعالى وتفويض الامر الى علمه ثم قال (تعلم مافى نفسى ولا اعلم مافى نفسك) يعنى تعلم مااعلم ولا اعلم ماتعلم وقال ابن عباس تعلم مافى غيبى ولا اعلم مافى غيبك وقيل معناه تعلم مااخفى ولا اعلم ماتخفى وقيل معناه تعلم ماكان منى فى دار الدنيا ولا اعلم مايكون منك فى دار الآخرة وقيل معناه تعلم مااقول وافعل ولا اعلم ماتقول وتفعل والنفس عبارة عن ذات الشئ يقال نفس الشئ وذاته بمعنى واحد وقال الزجاج النفس عبارة عن جلة الشئ وحقيقته يقول تعلم جميع حقيقة امرى ولا اعلم حقيقة امرك وقيل معناه تعلم معلومى ولا اعلم معلومك وانما ذكر هذا الكلام على طريقة المشاكلة والمطابقة وهو من فصيح الكلام ثم قال (انك انت علام الغيوب) يعنى انك تعلم ماكان وماسيكون وهذا تأكيد لما تقدم من قوله تعالى تعلم مافى نفسى ولا اعلم مافى نفسك * قوله تعالى اخبارا عن عيسى (ماقلت لهم الا ماامرتنى به) يعنى ماقلت لهم الاقول لا امرتنى به (ان اعبدوا الله) يعنى قلت لهم اعبدوا الله (ربى وربكم) يعنى وحده ولا تشركوا به شيأ (وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم) يعنى وكنت اشهد مايفعلون واحضره مادمت مقيما فيهم (فلما توفيتنى) يعنى فلما رفعتنى الى السماء فالمراد به وفاة الرفع لا الموت (كنت انت الرقيب عليهم) يعنى الحفيظ عليهم المراقب لاعمالهم واحوالهم والرقيب الحافظ الذى لا يغيب عنه شئ (وانت على كل شئ شهيد) يعنى انت شهدت مقالتى التى قلتها لهم وانت الشهيد عليهم بعدما رفعتنى اليك لا تخفى عليك خافية فعلى هذا الشهيد بمعنى الشاهد لما كان ومايكون ويجوز ان يكون الشهيد هنا بمعنى العليم يعنى انت العالم بكل شئ فلا يعزب عن علمك شئ * قوله عز وجل اخبارا عن عيسى عليه السلام (ان تعذبهم) يعنى ان تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بان تميتهم على كفرهم (فانهم عبادك) لا يقدرون على دفع ضر نزل بهم ولا جلب نفع لانفسهم وانت العادل فيهم لانك اوضحت لهم طريق الحق فرجعوا عنه وكفروا (وان تغفر لهم) يعنى لمن تاب من كفره منهم بان تهديه الى الايمان فان ذلك بفضلك ورحمتك (فانك انت العزيز) يعنى فى الانتقام ممن تريد الانتقام منه لا يمتنع عليك ماتريده (الحكيم) فى افعالك كلها وهذا التفسير انما يصح على قول السدى لانه قال كان سؤال الله عز وجل لعيسى عليه السلام حين رفعه الى السماء قبل يوم القيامة اما على قول جمهور المفسرين ان هذا السؤال انما يقع يوم القيامة ففى قوله وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اشكال وهو انه لا يليق بعيسى عليه السلام طلب المغفرة لهم مع علمه بان الله تعالى لا يغفر لمن يموت على الشرك والجواب عن هذا الاشكال من وجوه احدها انه ليس هذا على طريق طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال فانك انت الغفور الرحيم ولكنه على تسليم الامر الى الله وتفويضه الى مراده فيهم لانه العزيز فى ملكه الحكيم فى فعله يجوز فى حكمه وسعة

مغفرته ورحمته ان يغفر للكفار لكنه تعالى اخبر انه لا يفعل ذلك بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الوجه الثاني قيل معناه ان تعذبهم يعني باقامتهم على كفرهم الى الموت وان تغفر لهم يعني لمن آمن منهم وتاب ورجع عن كفره الوجه الثالث قال ابن الانباري لما قال الله لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله لم يقع لعيسى الا ان النصارى حكت عنه الكذب لانه لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب فيجوز ان يسأل له المغفرة والله اعلم بمراده واسرار كتابه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني الآية وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فاسأله ما يبكيك فاتاه جبريل عليه السلام فسأله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى اصبح بآية والآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اخرجه النسائي * قوله عز وجل (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) اتفق جمهور العلماء على ان المراد بهذا اليوم يوم القيامة والمعنى ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في الآخرة لانه يوم الاثابة والجزاء وما تقدم من صدقهم في الدنيا يتبين نفعه يوم القيامة والمراد بالصادقين النبيون والمؤمنون لان الكفار لا ينفعهم صدقهم يوم القيامة قال قتادة متكلمان لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام لانه يقوم فيقول ما قص الله عنه ما قلت لهم الا ما امرتني به الآية فكان صادقا في الدنيا والآخرة فينفعه صدقه واما المتكلم الآخر فابليس فانه يقوم فيقول وقال الشيطان لما قضي الامر الآية فصدق عدو الله فيما قال ولم ينفعه صدقه وقال عطاء هو يوم من ايام الدنيا لان الآخرة دار جزاء لا دار عمل وذهب في هذا القول الى ظاهر الآية من ان الصدق النافع انما يكون في الدنيا وهذا القول موافق لمذهب السدي حيث يقول ان هذه المخاطبة جرت مع عيسى عليه السلام حين رفع الى السماء والوجه ما ذهب اليه الجمهور ثم ذكر الله تعالى ما لهم من الثواب على صدقهم فقال تعالى (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) فهذا اشارة الى ما يحصل لهم من الثواب الدائم الذي لا انقطاع له ولا انتهاء (رضي الله عنهم) يعني بطاعتهم له (ورضوا عنه) يعني بما اعطاهم من ثوابه وجزيل كراماته (ذلك) اشارة الى ما ذكره من ثوابهم (الفوز العظيم عظيم) يعني انهم فازوا بالجنة ورضوانه عنهم ونجوا من النار (لله ملك السموات والارض وما فيهن) عظم الله عز وجل نفسه عما قال فيه النصارى يعني ان الذي له ملك السموات والارض هو الذي يستحق الالهية لا ما قالت النصارى من الهية المسيح وامه لانهما من جملة من في السموات والارض فهما عبيده وفي ملكه وقيل هو جواب لسؤال مضمر في الكلام كانه لما وعد الصادقين بالثواب العظيم قيل من يعطيهم ذلك قال الذي له ملك السموات والارض ومن فيهن (وهو على كل شيء قدير) والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تم الجزء الاول من تفسير الخازن ويليه الجزء الثاني اوله تفسير سورة الانعام ﴾

صحيفه

﴿ تمت ﴾

فهرس الجزء الثاني من المجلد الأول الخاص بتفسير ابن عربي